
المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة
1209
جارثى رودريجيث دى مونتالبو
أماديس دى جاولا
ترجمة
صبرى محمدى التهامى
السيد عبد الظاهر غانم
مراجعة و تقديم
صبرى محمدى التهامى
"الجزء الثانى"
الإبداع
القصصى



أماديس دى جاولا

(الجزء الثانى)

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة الإبداع القصصى
المشرف على السلسلة : خيرى دومة

- العدد : ١٢٠٩
- أماديس دى جاولا ج ٢
- جارثى رودريجيث دى مونتالبو
- السيد عبد الظاهر غانم
- صبرى محمدى التهامى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٨

هذه ترجمة كتاب :

Amadís de Gaula

Garci Rodríguez de Montalvo

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.Mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

أماديس دى جاولا

(الجزء الثانى)

تأليــــــف : جارثى رودريجيث دى مونتالبو
تــرجـــمــة : السيد عبد الظاهر غانم
وصبرى محمدى التهامى
مراجعة وتقديم : صبرى محمدى التهامى



٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

دى مونتا لبو ، جارثى رودريجبيث .
أماديس دى جاولا / تأليف : جارثى رودريجيث دى مونتالبو ،
ترجمة : السيد عبد الظاهر غانم ؛ مراجعة وتقديم: صبرى محمدى التهامى
- ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨
٥٦٠ ص مج ٢ ، ٢٤ سم
١ - القصص الإسبانية
(أ) غانم ، السيد عبد الظاهر (مترجم)
(ب) التهامى ، صبرى محمد (مراجع ومقدم)
(جـ) العنوان ٨٦٠,٣

رقم الإيداع ١٠٠٣١ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-437-743-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

يبدأ هنا الكتاب الثَّالث

لأماديس دى جاولا حيث ستُحكى فيه الخلافات والنزاعات التى حدثت فى قصر الملك ليسوراتى وبلاطه، نتيجة النَّصيحة السَّيئة التى أسداها له جانداندیل للإضرار بأماديس وأقربائه، وأصدقائه والتى فى بدايتها أمر الملك ليسوارتى بخروج أنجريوتى ونجل شقيقه من بلاطه ومن جميع ممالكه وإماراته، وأرسل إليهما لكى يتحدَّاهما فى نزال، وقد ردا عليه بالموافقة على التَّحدى كما سيحكى فيما بعد .

الكتاب الثّالث

لحكاية أماديس دى جاولا

رحل الفرسان المدافعون عن ماداسيما ووصيفاتها من جديد إلى الجزيرة اليابسة ، بينما انسحب جاندانديل وبروكادان الأمير ومعهما ولداهما المتوفيان إلى جزيرة مونجاثا. وأمًّا الملك ليسوارتى فقد أمر ثينديل دى جانوتا بأنْ يذهب إلى حيث يوجد أماديس وأتباعه ويخبرهم بتحديه لهم .

وما إنْ سمع أماديس تلك الرِّسالة التى أتى بها ثينديل دى جانوتا حتى ردَّ هو وجنوده بتحدٍ آخر على الملك؛ فقد أكدوا فيه أنَّهم سيبذلون كلَّ ما فى وسعهم من أجل إرجاع جالبانيس وماداسيما إلى جزيرة مونجاثا التى انتزعها منهما الملك ، وأما أماديس الذى كسب هذه الجزيرة لحساب الملك فقد أكد أنَّه لن يحاربه من أجل انتزاعها منه . وأما السَّيد جنداليس وسادامون المكلفان بالذِّهاب إلى مقر الملك لإخباره بالرَّدِّ على تحديه فقد عادا إلى الجزيرة اليابسة معلنين أنَّ جيوش ليسوارتى تستعد للرَّحيل صوب جزيرة مونجاثا .

وهنا رحل الجنود جميعا ، فيما عدا أماديس والسَّيد برونيو دى بونامار، عن الجزيرة اليابسة متوجهين إلى قلعة البحيرة السَّاخنة فى جزيرة مونجاثا . وبعد سبعة أيامٍ من الإبحار بلغوا مرساهم وواجهوا الكونت لاتينى وجالدار دى راسكويل ، اللذين كانا يقودان قوات الملك. وبانتهاء المعركة ، وصل إلى هناك وهو على أهبة الاستعداد لمواصلة المعركة، أربان دى نورجاليس وجاسكيلان (ملك السِّويد) على رأس ثلاثمائة فارسٍ تابعين للملك .

الفصلُ الخامس والسِّتون

فى تلك الأثناء خرج أماديس متوجها إلى جاولا ، وبينما هو فى الطَّريق نزل عند جزيرة تريستى، حيث يسكن العملاق ماداركى. أغاث أماديس ومن معه كلا من جالاؤر والملك ثيلدادان ، اللذين كانا على شفير الموت ، بعد أنْ لاحقهما رجال العملاق . وبعد هزيمة هؤلاء وسيدهم ماداركى قام أماديس وجالاؤر ورفاقهما بإطلاق سراح المسجونين فى الجزيرة، واستقلوا السَّفينة من جديد متوجهين إلى جاولا ، حيث تمَّ استقبالهم بحرارةٍ شديدةٍ من قبل الملك بيريون والملكة إيليسينا . بعد حوار دار بين أماديس ووالده عاد جالاؤر، فارس الملك ليسوارتى ، إليه وبرفقته الملك ثيلدادان ، الذى يرى نفسه مديناً للملك أيضاً بسبب هزيمته أمام أماديس وفرسانه.

الفصلُ السَّادس والسِّتون

فى الطَّريق إلى مقر الملك ليسوارتى وجد جالاؤر وثيلدادان فى أحد دور العبادة فتاةً أتت ومعها فتىً صغيرٌ جميلٌ برفقة اثنى عشر فارسا. وبناءً على طلبٍ من الفتاة ، توسَّل جالاؤر وثيلدادان إلى الملك أنْ يبارك الفتى فارسًا . قَبِلَ الملك ذلك ، ثم أخبرته الفتاة بأنَّ الفتى هو ثمرة حبه للأميرة ثيليندا. طلب جالاؤر من الملك ، الذى كشف له سرَّ أبوته ، أنْ يكون الفارس الجديد رفيق سلاحه على مدى عامٍ كاملٍ . وافق الملك ثمَّ رحل فى الحال متوجها إلى جزيرة مونجاثا، التى تتعرَّض لهجمات فرسان الجزيرة اليابسة، وبرفقته جميع فرسانه .

فرحت أوريانا كثيرا برحيل والدها ، لأنَّه كان قد حان الوقت كى تضع حملها ، ثم نادت على مابيليا، وقالت لها إنه وفقا لما تحسه من إغماءات وغيرها فإن هذا لا يعنى سوى أنَّها ستضع مولودها ، وأمرت الفتيات الثَّلاث بأنْ يتركنها. ذهبت أوريانا إلى حجرتها ، وبرفقتها مابيليا والفتاة الدَّانماركية ، وقد أعدتا من قبل كلَّ الأشياء اللازمة لعملية الولادة . ظلت أوريانا هناك تشعر ببعض الآلام حتى أقبل الليل ، ونتيجةً لذلك أحسَّت بشيءٍ من الإرهاق ، ثم بدأت الآلام تزداد شيئا فشيئا ، وهكذا بدأت تعانى هما وحزنا كبيرين ، كمن لم تكن تعلم شيئا عن هذا الأمر الحتمى الواقع لا محالة ، لكن خوفها من افتضاح أمرها لما فعلت من إهانة قد دفعها دفعاً إلى ذلك الجو الكئيب الحزين ، الذى أصبحت تعانى فيه دونما ألم. وفى منتصف الليل توسَّلت إلى ربها، الذى بيده إصلاح الأمر كله ، أنْ تلد طفلاً ذكرًا ، يكون مخلوقا جميلا. وبعد أنْ حدث ذلك ، قاموا بلف الطِّفل فى ملابس فاخرة ، وأمرت أوريانا بأنْ يحملوه إلى السَّرير ، وحملته فى يدها ثم قبلته مراراً وتكراراً . وهنا قالت الفتاة الدَّانماركية لمابيليا :

– أرأيت هذا الشىء الذى يوجد بجسد الطِّفل ؟

– لا – قالت مابيليا – فأنا كنت مشغولةً كثيراً، وكان يتحتَّم علىَّ أن أسعفه وأمه حتى تلده، لذلك لم أتأمَّل شيئًا آخر .

– هنا – قالت الفتاة الدَّانماركية – يملك الطِّفل شيئا فى صدره لا يملكه الأطفال الآخرون.

وهنا قامتا بإشعال شعلةٍ، ونزعتا عنه ملابسه فوجدتا أسفل ثديه الأيمن حروفا ناصعة البياض كالثَّلج، وتحت ثديه الأيسر سبعة أحرف ملوَّنة كالجمرات المتقدة ، لكنَّهما ما عرفا لهذه الأحرف قراءةً ، ولا ماذا تعنى ، لأنَّ الحروف البيضاء كانت حروفًا لاتينيةً غامضةً، والأخرى الملونة كُتبت بلغة يونانية مبهمةٍ ، وبعد أنْ شاهدتا هذه الأحرف قامتا بلفِّه فى ملابسه مرَّة أخرى ووضعتاه إلى جوار أمه ، واتفقتا على حمله فيما بعد إلى المكان الذى سيتربَّى فيه كما تمَّ الاتفاق على ذلك من قبل. وهكذا تمَّ تنفيذ الأمر ، فقد خرجت الفتاة الدَّانماركية من القصر خفيةً ، وذهبت إلى نافذة إحدى الحجرات ، وكان أخوها دورين معها كلٌّ على جواده ، وكانت مابيليا ، فى هذه الأثناء ، قد وضعت الطِّفل فى سلَّةٍ ولفتها فى عصابةٍ قويةٍ ثم أدلتها بحبل إلى أسفل حتى بلغت الفتاة الدَّانماركية . فأخذتها والطِّفل ثم انصرفت به آخذة طريق ميرافلورس، إلى حيث ستترك الطِّفل على أنَّه ابنها لتعمل الرَّاهبة على تربيته سرا . غير أنه بعد فترة قصيرةٍ تركا الطَّريق المعتاد وسلكا طريقًا يعرفه دورين يمتد بين غابة كثيفة الأشجار ، وقد فعلا هذا حتى لا يراهما أحدٌ . سار دورين فى المقدمة تتبعه الفتاة . هكذا وصلا إلى نبع ماءٍ يوجد بسهل لا شجر فيه ، لكنَّهما وجدا هناك واديًا وعرًا كثيف الأشجار من الصعب أنْ يجتازه أىُّ إنسانٍ ، وفقا لوحشة ووعورة الجبل ، حيث كانت تعيش هناك أسودٌ وحيواناتٌ متوحِّشة أُخرى . وفى بطن هذا الوادى كانت هناك دارٌ للعبادة صغيرة وقديمة جدا يعيش فيها ذلك النَّاسك المسمى ناسيانو . وكان معروفا لدى الجميع بورعه وتقواه ، وقد ردَّد بعض أهل المنطقة أنَّ هذا النَّاسك نزلت عليه مائدةٌ من السَّماء فى بعض الأحيان ، وإذا ما غاب عنه هذا الطَّعام ، ذهب يبحث

عنه فى الأرض الواسعة دون أنْ تمسه الحيوانات المتوحشة بسوء على الإطلاق ، رغم أنَّه قابل العديد منها بينما كان يسير مخترقا المكان على متن حماره ، بل يبدو أنها كانت تأتى إليه طائعةً خاشعةً . ووجد بالقرب من هذه الدَّار المخصصة للعبادة كهفًا صغيراً بين أحجاره ولدت إحدى اللبؤات أشبالها الصِّغار . وفى مرَّاتٍ عديدة كان النَّاسك يزورهم ويقدِّم لهم الطَّعام ، حين كان يجده ، دون أنْ يخشى أمهم ، وكانت حين تراه معهم تذهب إلى مكان آخر حتى ينصرف عنهم ، وكان يمضى وقته ، بعد أنْ يؤدِّى صلواته ، ينظر إلى هذه الأشبال وهى تلعب هنا وهناك داخل الكهف . وحين وصلت الفتاة الدَّانماركية وأخوها إلى ذلك النَّبع أحسَّت عطشًا شديداً ، لما قامت به من عمل طوال الليل ، ولشدة الطَّريق ، فقالت لأخيها :

– لنترجَّل ، وخذ هذا الطِّفل ، فأنا أريد أنْ أشرب ماءً .

أخذ منها الطِّفل وهو متَدثِّرٌ فى ثيابه الفاخرة، فوضعه فوق جذع شجرة كان هناك، وما إن أراد أنْ يُنزِلَ أخته حتى سمعا زئير أسدٍ قادمٍ إليهما من أعماق الوادى كثيف الأشجار ، مما أزعج الجوادين كثيرا ففراً هاربين من المكان بأقصى سرعة ممكنة دون أنْ تتمكَّن الفتاة من السَّيطرة على جوادها، وظنت أنَّ الجواد سيقتلها بين هذه الأشجار، وأخذت تدعو ربها أن ينقذها، وظلَّ دورين يجرى خلفها حتى وقف أمام الجواد واستوقفه ، فوجد أخته فى حالةٍ سيئةٍ وقد فقدت وعيها وما تكلَّمت إلا بصعوبةٍ بالغةٍ ، فأنزلها ثم قال لها :

– أختاه ، ابقى هنا ، وسوف أذهب على متن هذا الجواد بحثًا عن جوادى .

– بل اذهب بحثًا عن الطِّفل – قالت هى – وأحضره لى ، حتى لا يحدث له أىُّ شىءٍ .

– هذا ما سأفعله – قال هو – وأمسكى بلجام هذا الجواد ، فأخشى إذا ما أخذته معى ألا يستطيع حملى إلى النَّبع .

وهكذا ذهب ماشيًا . ولكن قبل ذلك حدثت واقعةٌ غريبةٌ ، فتلك اللبؤة – التى كانت تربِّى أشبالها كما سمعتم، وكانت تزأر كلَّ هذا الزئير – كانت قد اعتادت الذَّهاب إلى

ذلك النَّبع كلَّ يومٍ لتقتفى أثر الظِّباء التى تأتى لتشرب من مياهه ، ولما وصلت إلى هناك ظلَّت تطوف بالمكان مقتفيةً الآثار ، وفى رحلتها هذه سمعت الطِّفل يبكى فوق جذع الشجرة ، فتوجَّهت نحوه وحملته فى فمها بين أسنانها الحادة من الثياب التى كان ملفوفًا بها ، دون أن تمسَّ جسده فى شيءٍ ، وفق مشيئة الرَّب ، ورأت أنَّ الطِّفل سيكون طعامًا سائغًا لأشبالها ، فحملته إليهم ، وكان هذا الحدث وقت طلوع الشمس ، ولكن الرَّب الرَّحيم ، الذى يسمع نداء المحتاجين ويرى كرب الأبرياء الذين لا يملكون من أمر أنفسهم شيئا ويطمعون فى عفوه ورحمته ، قد أنقذه على هذا النَّحو؛ فما إن انتهى النَّاسك ناسيانو من أداء صلاة الفجر حتى خرج إلى النَّبع طلبًا للرَّاحة هناك ، حيث كان الليل شديد الحرارة ، فرأى كيف كانت اللبؤة تحمل الطِّفل فى فمها ، وهو يبكى بصوتٍ ضعيفٍ ، كمن وُلِدَ هذه الليلة ، فعرف أنَّه طفلٌ ، ففزع لهذا الأمر ، وتساءل من أين أتت به ، ثم رفع رأسه إلى السَّماء ودعا ربه ، ثم قال للبؤة :

– قفى ، أيَّتُها الدَّابة الشِّريرة ، ودعى مخلوق الله ، فما خلقه من أجلك .

وهنا توقَّفت اللبؤة ، وظلت تدور فى مكانها ، ثم أتت إليه طائعةً وديعةً ووضعت الطِّفل بين قدميه ، ثم انصرفت . وهنا أشار عليه الرَّاهب ناسيانو بعلامة الصَّليب، ثم حمله بين ذراعيه وسار به متوجها إلى الكنيسة ، ولما بلغ الكهف الذى كانت اللبؤة تربِّى فيه أشبالها وجدها ترضعهم ، فقال لها :

– آمرك من قبل الرَّب ، القادر على كلِّ شيءٍ ، أنْ تكفى عن إرضاع أشبالك ، وترضعى هذا الطِّفل وأنْ تحفظيه مثلهم من كلِّ سوءٍ .

جرت اللبؤة نحوه فألقت بنفسها بين قدميه فوضع النَّاسك الطِّفل على صدرها لترضعه ، فأمسك الطِّفل بصدرها وبدأ يرضع ، ومن الآن فصاعدا كانت اللبؤة تأتى وديعةً لترضعه كلَّما دعت الضَّرورة إلى ذلك .

ولكن النَّاسك أرسل فيما بعد فتاه الذى كان يساعده فى إقامة الصَّلوات – وهو ابن أخته – ليذهب فى عجالة ويأتى بأبيه وأمه معه دونما رفيق آخر ، لأنَّه فى حاجة ملحة إليهما. ذهب الفتى بعد ذلك إلى حيث يعيشان ، وهو مكان عند مخرج الغابة ،

وبما أنَّه لم يجد والده هناك، لم يستطيعوا العودة إلى النَّاسك إلا بعد مرور عشرة أيَّام، امتلأت خلالها بطن الطِّفل بلبن اللبوءة فترعرع ، فضلا عن لبن عنزة كانت قد وضعت حملا ذكراً ، فكانتا ترعيانه بينما كانت اللبوءة تخرج فى رحلة صيدٍ من أجل أشبالها .

حين رحل دورين عن أخته - كما سمعتم - ذهب بأسرع ما أمكنه متوجها إلى النَّبع حيث ترك الطِّفل هناك. ولما لم يجده أصابه فزعٌ شديدٌ وأخذ يبحث عنه فى كلِّ مكان، لكنه لم يجد شيئًا سوى آثار اللبوءة ، حيث ظنَّ أنها قد أكلته حقا ، فعاد إلى أخته والحزن يملؤه ، وبمجرَّد أن أخبرها بما حدث صكَّت وجهها وتعالى صوتها بالبكاء ، ناعيةً حظَّها واليوم الذى ولدت فيه ، فبهذا قد خَسِرت كلَّ شىءٍ حسن ، وما تدرى كيف ستظهر أمام سيدتها بعد ذلك ، أخذ دورين يواسيها باكيًا ، غير أن الأمر لم يكن يحتاج إلى المواساة ، فقد كانت فى غاية الحزن والغيظ حتى ظلَّت ما يزيد على ساعتين غائبةً عن الوعى . وقال لها دورين :

- سيدتى الطَّيِّبة وأختى ، هذا الذى تفعلينه لا فائدة من ورائه ، ويمكن أنْ يؤدى إلى ضررٍ أكبر لسيدتك وصديقها إذا علما شيئا عن هذا الأمر .

رأت أنه يقول لها الحقيقة ، فقالت له :

- إذنْ ماذا نفعل ، فأنا لست فى حالة تؤهلنى للنَّظر فى هذا الأمر ؟

- أرى - قال دورين - أنه بما أن جوادى قد فُقد ، فلنذهب الآن إلى ميرافلوريس ونبقى هناك ثلاثة أو أربعة أيام لكى نعطى انطباعا بأنك قد حضرت إلىَّ لسببٍ ما، وحين نعود إلى أوريانا لا تَقُصِّى عليها شيئًا ممَّا حدث سوى أنَّ الطِّفل أصبح فى يدٍ أمينةٍ ، حتى تتعافى ، وبعد ذلك تشاورى مع مابيليا حول ما يجب عمله .

وافقت على هذا الرأى بعد امتحانه ، وامتطيا الجواد ثم توجَّها إلى ميرافلورس ، وبعد ثلاثة أيَّام عادا إلى أوريانا ، وأبدت الفتاة فرحةً عارمةً على وجهها ، فأخبرتها بأنَّ كلَّ شىءٍ قد تم تنفيذه حسب الاتفاق .

ولنعد الآن إلى النَّاسك الذى كان يرعى الطِّفل ، فقد جاءته أخته وزوجها بعد عشرة أيام ، فأخبرهما كيف عثر على هذا الطِّفل ، وكيف أنَّ الله قد حفظه لأنَّه يحبه ، وتوسَّل إليهما بأنْ يحملاه إلى بيتهما ليرعياه حتى يستطيع الكلام ، ثم يأتياه به ليعلِّمه . وافقا على طلبه وأخبراه بأنَّهما سينفذان ما أمرهما به .

- إذا فعلىَّ أنْ أعمده الآن - قال الرَّجل الصَّالح .

وهكذا فعل ، ولكن عندما بدأت السَّيدة تُجرِّده من ملابسه بالقرب من العمود رأت على جسده الحروف البيضاء والأخرى الملونة فأرته للرَّجل الصَّالح ، الذى فزع كثيراً لما رأى ، وقرأ الحروف البيضاء المكتوبة باللاتينية فوجدها تقول : إيسبلانديان ، فظنَّ أن هذا اسمه ، وهكذا أطلقه عليه ، وأما الحروف الملونة فقد بذل جهدا خارقا فى قراءتها ، لكنه لم ينجح فى فكِّ رموزها ، وبعد ذلك تمَّ تعميده تحت اسم إيسبلانديان ، الاسم الذى عرف به فى ديارٍ كثيرة غريبة لما فعله من أمورٍ عظيمةٍ ، كما سنحكى فيما بعد . وبمجرَّد أنْ تمَّ التَّعميد ، أخذته السَّيدة بكلِّ سرورٍ إلى منزلها ، وكلُّها أملٌ فى أنْ يكون هذا الطِّفل سببا فى الغفران لها ولأهل بيتها ، فاعتنت به عنايةً فائقةً كمن تأمل فيه الخير كله الذى تنتظر .

وفى الوقت الذى حدده النَّاسك أحضراه إليه جميلاً ، وقد أكرما مثواه ، فكان كلُّ من يراه يكبر حسنه وبهاءه .

الفصل السَّابع والسِّتون

بعد معركةٍ طويلةٍ وقاسيةٍ هُزِمَ السَّيد فلوريستان وفرسان الجزيرة اليابسة على يد الملك ليسوارتى فى جزيرة مونجاثا . وبعد أن انتهت المعركة سلَّم الملك ليسوارتى الجزيرة إلى جالبانيس وماداسيما بعد أنْ أصبحا من أتباعه ، ثم علم من قبل عمه أرجامون أنَّ ملوك الجزر التَّابعة لملكته - بفضل خطةٍ دبَّرها أركالاوس الإنكنتادور - قد خرجوا فى تمردٍ عليه ونصَّبوا عليهم زعيمًا هو الملك أرابيجو ، فعاد على الفور إلى قصره مستعدا لمواجهة أولئك السَّادة المتمردين .

الفصل الثّامن والسِّتون

يحكى فيه حال أماديس والسَّيد برونيو منذ أنْ بقيا في جاولا ، وكيف كان السَّيد برونيو مسروراً جدا وأماديس حزيناً ، وكيف تمَّ الاتفاق على أنْ ينفصل برونيو عن أماديس ، ليخرج بحثا عن مغامرات ، بينما اتفق أماديس وأبوه ، الملك بيريون ، وفلوريستان على المجيء إلى الملك ليسوارتى لمعاونته .

برحيل الملك ثيلدادان والسَّيد جالاؤر عن جاولا بقى هناك أماديس وبرونيو دى بونامار ، لكنهما رغم الحب الذى جمع بينهما كانا مختلفين فى مفهوم الحياة ، ظلَّ برونيو هناك حيث كانت سيدته ميليثيا ، وأصبح قريبا منها ويتحدث إليها عن أمور الدُّنيا الأخرى التى غابت عن ذاكرته تماماً . أما أماديس ، فبعد أنْ أصبح بعيداً عن سيدته أوريانا دونما أملٍ يذكر فى رؤيتها ثانيةً ، أصبح كلُّ شيءٍ أمامه يدفعه إلى الحزن والعزلة . وهكذا فقد حدث ذات يوم أنَّه كان يسير على شاطئ البحر ، وما كان معه سوى جندالين ، جلس هناك على صخوره العالية علَّه يرى قوارب قادمةً من بريطانيا العظمى يعرف من خلالها أخباراً عن تلك الدِّيار التى تسكنها محبوبته ، وبعد مدة قضاها هناك رأى سفينة قادمة من تلك الدِّيار التى يحبها ، وما إنْ بلغت الميناء حتى قال لجندالين :

- اذهب وتحسَّس الأخبار من أولئك القادمين من هناك، واحفظها جيدا حتى ترويها لى. وقد فعل هذا كى يفكِّر فى محبوبته وسيدته فقط ، التى كثيرا ما أفسد عليه جندالين التفكير فيها أكثر من أىِّ شيءٍ آخر. وما إن رحل عنه

جندالين حتى ترجل وربط جواده فى فرع شجرةٍ هناك ، وجلس على صخرةٍ حتى يرى بريطانيا العظمى بصورةٍ أفضل ، وهكذا يورد على خواطره الأيام الخوالى والمتع الحسيِّة التى قضاها مع سيدته فى تلك الدِّيار، حيث كان يفعل كل شيءٍ بأمرها ، فرآه قد تناءى عنه وأصبح من العسير استعادته ، فداخله حزن وهم عميقان وما أصبح يرى شيئا سوى الأرض ، وظلت عيناه تجودان بالدمع الغزير .

توجَّه جندالين إلى السَّفينة ، فتفقد كلَّ من فيها ، فوجد من بينهم دورين ، شقيق الفتاة الدَّانماركية ، فترجَّل سريعا ، ونادى عليه ليتحدَّث معه على انفرادٍ ، وتعانقا عناق المحبين ، وأخذه معه ، وحمله إلى أماديس . وما إن وصلا قريبا من المكان الذى يوجد فيه حتى شاهدا صورة شيطانٍ فى شكل عملاقٍ كبيرٍ يدير ظهره إليهما ، ممسكًا بنبلة يصوبها تجاه أماديس، وقد سدد إليه ضربةً منها فمرَّت فوق رأسه . وقد فشل فى تصويب ضربته هذه عندما رفع جندالين صوته عاليا فأزعجه ، وهنا عاد أماديس إلى وعيه فرأى الشَّيطان يسدِّد إليه ضربته ، فأمسك سيفه وتوجَّه نحوه يريد ضربه ، غير أنَّه رآه يفرُّ هاربًا بأسرع ما يمكن لدرجة أنَّه لم يعد هناك من يستطيع اللحاق به . ووصل إلى جواد أماديس ، فامتطاه ، ثم قال بصوت عال :

– آه ، يا أماديس يا عدوى ! أنا أندادونا عملاق جزيرة تريستى ، وإذا لم تتح لى الفرصة الآن لأفوز بما كنت أتمنَّى ، فسيكون لدىَّ الوقت الذى سأنتقم فيه .

أراد أماديس أنْ يلاحق ذلك الشَّيطان على متن جواد جندالين ، لكنَّه حين رآه امرأةً كفَّ عن ذلك ، وقال لجندالين :

– امتط هذا الجواد ، وإن استطعت أنْ تقطع رقبة ذلك الشَّيطان فافعل .

امتطى جندالين جواده وخرج خلفها مسرعًا ، وأمَّا أماديس فعندما رأى دورين عانقه بكلِّ ود ومحبةٍ ، فقد رآه يحمل أخبارًا له عن سيدته ، وحمله إلى الصَّخرة التى

كان يجلس عليها من قبل ، فسأله عن سبب مجيئه. سلَّمه دورين رسالةً من أوريانا ، رسالة حقيقية ، فقال له أماديس :

- الآن أخبرنى بما أرسلوك به .

قال له دورين :

- سيدى ، إنَّ سيدتك بخير وترسل لك سلامات كثيرة ، وتقول لك لا تحزن ، ولكن عليك بالصَّبر والسَّلوى مثلها حتى يأتى الله بأيام أفضل من هذه ، وتخبرك بأنَّها قد وضعت مولوداً ذكرا ، فحملناه أنا وأختى إلى أندالاستا راهبة ميرافلورس ، التى ستقوم على تربيته على أنَّه ابن أختى (لكنَّه لم يخبره بشىءٍ عن كيفية ضياعه) وترجوك بذلك الحب الذى تكنه لك ألا ترحل عن هذه الدِّيار حتى يصل لك أمر بذلك .

فرح أماديس كثيراً بما علمه عن سيدته والطِّفل ، غير أنَّه لم يسترح قط لذلك الذى ورد على لسانها من انتطاره لأمرها ، لأنَّ فى ذلك إهانةً لشرفه كما يقول النَّاس ، غير أنَّه مهما كان الأمر فلن يتجاوز ما تأمره به . وبقى هناك مدةً من الزَّمن يسمع فيها مزيداً من الأخبار من دورين ، ثمَّ نظر فرأى جندالين الذى خرج لملاحقة ذلك الشَّيطان قادمًا ، وكان يحضر معه جواد أماديس ، ورأس أنداندونا معلَّقةً فى رقبة الجواد من شعرها الطَّويل الأشيب ، الأمر الذى فرح له أماديس ودورين كثيراً ، وسأله كيف قتلها ، فأخبرهما أنه حين خرج وراءها ليلحق بها أرادت أنْ تركب قاربا بعد أنْ نزلت من فوق الجواد الذى كانت تمطيه - وهو قارب كانت قد أخفته - وأرادت أنْ تدفع الجواد بجذبها إيَّاه بقوة؛ فأسقطها تحته بعد أن اختل توازنها وقال .

- ولحقت بها وأمسكتها بقوة فسقطت على الأرض ممدة، وهنا قطعت رقبتها .

وبعد ذك امتطى أماديس جواده ، وذهب إلى الجزيرة وأمر بحمل رأس أنداندونا إلى برونيو كى يراها ، وقال لدورين :

– صديقى ، اذهب إلى سيدتى وأخبرها أنى أُقَبِّل يديها لذلك الخطاب الذى أرسلته لى ، ولما قلته لى من طرفها، واطلب منها أنْ تكون شفيقةً بشرفى فلا تجعلنى أنتظر هنا كثيراً ، فما لى أنْ أتخطَّى أمرها ، فمن سيرانى بعد ذلك أنتظر كل هذا الوقت – ودون علمه بحقيقة الأمر – سيعزو ذلك إلى جبنى وضعف قلبى ، ورغم أن نيل الفضل يعد من الأمور الصَّعبة؛ فإنه يمكن لذلك المجد وتلك الشُّهرة اللذين عملت على كسبهما حتى تلك اللحظة بفضلها هى أن يُلطَّخا بالنِّسيان ، لأنَّ بنى البشر بالطبع يميلون إلى الإساءة إلى كلِّ ما هو أمر حسن فينالون منه بألسنتهم ، وسرعان ما يصير هذا الأمر المحمود والجدير بالثناء خزياً وعاراً لا يضارعهما الموت .

بهذا عاد دورين إلى حيث أتى ، والسَّيد برونيو دى بونامار بعد أنْ تعافى من قروحه الجسدية التى كان يعانى منها أصبح يثابر جروحاً أخرى نفسية من جرَّاء بقائه إلى جانب سيدته ميليثيا ، عدَّة مرات ، الأمر الذى أدى إلى اشتعال لهيب الوجد فى قلبه ، ورأى أنَّه لن يستطيع الحصول على ما يصبو إليه إلا إذا كابد الشَّوق الأكبر ، والخطر الأدهى ، فيقدم على عمل تلك الأشياء التى فعلها من قبل وكانت ، نظراً لشجاعته التى لا تقارن ، سبباً فى حبِّ سيدته له ، ورأى ضرورة أنْ يرحل عن المكان ويبتعد عن تلك المتع الحسية ، حتى يمكنه أنْ يحصل على ما يتمنَّى. وبينما يستعد لحمل سلاحه وهو فوق الجبل برفقة أماديس ، الذى كان الصيد شغل حياته الشَّاغل آنذاك ، قال له :

– سيدى ، إنَّ عمرى وما كسبته من قليل المجد والشُّهرة يحتِّمان علىَّ الخروج من هذه الحياة المترفة والبحث عن أخرى ، ففيها سأجد مجداً وشهرةً أسمى . وإذا ما كنتم تنوون الخروج بحثًا عن المغامرة فسوف أنتظركم ، وإلا فأطلب منكم السَّماح لى فى الخروج غداً لأشقَّ طريقى .

ولما سمع أماديس منه هذا الكلام ، بدأ يتميَّز من الغيظ والهم ، فقد كان يرغب فى مثل هذا الخروج كثيراً ، غير أنَّه لا يستطيع أنْ ينكث وعده مع سيدته ، وقال :

– يا سيد برونيو ، كنت أودُّ أن أرافقك ، لأن فى مثل هذه الصُّحبة شرفٌ كبيرٌ لى ، لكن أمر والدى الملك يمنعنى من الخروج معك ، إذ يحتاجنى فى إصلاح بعض الأمور هنا بممالكه ، ولهذا فلن أستطيع القيام بأى عملٍ فى الوقت الرَّاهن سوى أن أتضرَّع إلى الله كى يحفظكم .

عادا إلى الجزيرة فى تلك الليلة ، وتكلَّم السَّيد برونيو مع ميليثيا ، وأخبرته بأنه بناء على رغبة الملك ، والدها ، والملكة ، يسعدها أنْ تتزوج منه ، وعند ذلك ودَّعها . كما ودَّع الملك والملكة ، وشكرهما كثيراً على ما قدماه له من خير ، وأخبرهما أنه سيظل دائما فى خدمتهما ، ثم انصرف لينام . وفى فجر اليوم التَّالى أدَّى صلاته وأخذ أسلحته وامتطى جواده ، وخرج بصحبة أماديس والملك ، وودَّعهما بكلِّ تواضعٍ وخشوعٍ ، وأخذ طريقه يقوده القدر ، حيث وقعت له أحداثٌ جسامٌ وخطيرةٌ سيكون سردها من قبيل الإسهاب المفرط ، لذلك لن نذكر عنه شيئًا آخر ، وحين يأتى الوقت المناسب سنقصُّ عليكم منه ذكرًا .

ظلَّ أماديس فى جاولا – كما سمعتم – على مدى ثلاثة عشر شهراً ونصف ، فى هذا الوقت الذى كان الملك ليسوارتى يحاصر قلعة البحيرة السَّاخنة ، وكان يخرج إلى الجبال للصَّيد ، حيث كانت هذه هى هوايته المفضَّلة ، وفى تلك الأثناء غدت مآثره وبطولاته تندثر وتغوص فى عالم النِّسيان والظُّلمات بسبب أولئك الذين بمباركتهم للفرسان الآخرين الذين خرجوا بحثًا عن المغامرات ظلُّوا يصبُّون عليه كبير لعناتهم ، قائلين لقد تخلَّى فى أفضل سنى عمره عن ذلك الأمر الذى اصطفاه الله له من بين عباده الآخرين ، وخاصة تخليه عن أولئك الفتيات والسَّيدات اللاتى أتينه وقد لحقت بهن إهانات مؤلمة كى يستجرن به ، فما أجارهن كما كنَّ قد اعتدن ذلك ، فخرجن ينشرن فى الطُّرقات ، والحزن يعتصرهنَّ ، ما لحق بالفارس من خزىٍ وعارٍ . وقد بلغه ووصل إلى سمعه هذا الكلام أو الأغلب الأعم منه ، فرأى أن ما يمرُّ به فى اللحظة الرَّاهنة هو من سوء حظه ، وما استطاع أنْ يخرج من عزلته وخزيه وعاره ، ولم يستطع كذلك عصيان أوامر سيدته .

هكذا ظل طوال هذا الوقت مطعونًا فى شرفه وشهرته من الجميع ، فى انتظار ما تأمره به سيدته ، وذلك حتى وصل الملك أرابيجو والملوك السِّتةُ الآخرون وكل أتباعهم إلى جزيرة ليونيدا للاستقرار فى بريطانيا العظمى . وأما أركالاوس الإنكنتادور - الذى حركهم بأقصى سرعة ممكنة ، وأكدَّ لهم أنهم سيكونون أصحاب هذه المملكة بمجرَّد أن تطأ أقدامهم أرضها ، وأشياء أخرى وعدهم بها حتى يستميلهم فلا يفعلون إلا ما يأمرهم به - فقد أعدَّ قوات كبيرةٍ من أجل أنْ يجابههم .

وعلى الرَّغم من أنَّ الملك ليسوراتى ، وهو الشُّجاع والمتحلى بالفطنة قد تلقى تلك الإهانة بنوع من الاستخفاف وأظهر ذلك على قسمات وجهه ، فإن تصرف الملكة لم يكن بهذه الصورة ، حيث قالت للجميع آنفًا إن الخسارة الكبرى التى تعرَّض لها الملك هى خسارته لأماديس وأقربائه ، الذين لو كانوا موجودين معه فى هذا الظرف العصيب ، لما أعطت لهؤلاء الفرسان الذين أتوا إلى مملكتهم عنايةً كبيرةً واهتمامًا بما يمكنهم أن يفعلوا . لكن أولئك الفرسان الذين كانوا فى جزيرة مونجاثا قد هاجوا وماجوا رغم أنَّهم لا ينوون الخير للملك ، وما إن رأوا من جانبهم أنَّ السَّيد جالاوْر والسَّيد بريان دى مونجاستى اللذين أتيا بأمر من الملك لادسان ملك إسبانيا فى ألفى فارس ، أرسلهم لمساعدته ، وأصبحوا جميعًا تحت إمرته ، والسَّيد جالبانيس ، الذى كان أحد أتباعه أيضًا حتى تمَّ الاتفاق بينهم جميعًا على أنْ يكونوا فى خدمته ويعاونوه فى تلك المعركة التى ستكون حامية الوطيس وعظيمة المخاطر . والذين جاءوا إلى هناك هم كوادارجانتى ، وليستوران دى تورِّى بلانكا، إيموسيل دى بورجونيا ، وماندانثيل دى لا بوينتى دى لابلاتا ، وكثيرون من أصحابهم الذين ظلُّوا هناك حبا فيهم . وأسرعوا جميعا فى إعداد أسلحتهم وفرسان وما يلزم للمعركة ، منتظرين خروج هؤلاء الملوك من الجزيرة كِى يتحرَّك الملك ليسوارتى لمهاجمتهم .

تحدَّثت مابيليا ذات يوم مع أوريانا قائلة لها : إنَّه لعمل مشينٌ أنْ نبقى فى هذا الوقت العصيب ولا نتذكَّر ما ينبغى على أماديس القيام به ، لأنَّه إذا شاءت الأقدار أن يكون فى الطرف المعادى لأبيها ، فمن المؤكد أن أحدهما سيكون فى خطرٍ عظيمٍ ، فإذا ما هزم فرسان والدها ، فبالإضافة إلى الضرر الذى سيلحقها بعد أنْ تفقد أرضها التى تملكها ، سيلقى والدها حتفه هناك . ونفس الشىء سيحدث لأماديس إذا كانت الهزيمة

من نصيبه هو وفرسانه . ولما رأت أوريانا أن مابيليا تقول الحق ، عزمت على أنْ ترسل إلى أماديس لكى لا يشترك فى المعركة ضدَّ والدها ، وبمقدوره الذَّهاب إلى أىِّ مكانٍ يريد ، وإلا فله أنْ يظلَّ فى جاولا إنْ شاء . وضعت هذه الرِّسالة داخل رسالة أخرى لمابيليا ، وحملتها فتاةٌ كانت قد جاءت إلى القصر بهدايا من الملكة إيليسينا لأوريانا ومابيليا ، والتى بمجرَّد أن ودعتهما ووصلت إلى جاولا سلَّمت الرسالة لأماديس ، الذى أصبح فرحًا بعد أنْ قرأها ، وشعر بسعادةٍ لا تضارعها سعادةٌ قط ، كمن خرج من الظلمات إلى النُّور . إلا أنَّه أصبح فى حيرةٍ شديدةٍ ، لا يدرى ماذا هو فاعلٌ ، فلم يكن ينوى أنْ يصبح مقاتلاً فى صفوت الملك ليسوارتى ، وكذلك لم يكن يعتزم الوقوف فى وجهه ، لأنَّ سيدته قد منعته من ذلك . هكذا ظلَّ حائرًا دون أنْ يدرى ماذا يفعل ، ثم ذهب إلى والده والبِشر ظاهرٌ على وجهه بصورةٍ لم يعهدها فى نفسه من قبل ، وبينما يتحدَّثان ذهبا إلى ظل ممدود تحت أشجار النبق التى كانت قائمة على جذوعها فى باحة ميدان قريب من شاطئ البحر ، وهناك دار الحديث بينهما حول بعض الأمور وما ورد إليهما من أخبارٍ عن بريطانيا العظمى من ثورة أولئك الملوك بخيلهم وخيلائهم ضدَّ الملك ليسوارتى .

والحال هكذا – كما سمعتم – رأى الملك بيريون وأماديس فارسًا قادمًا على متن جواد مترهِّلٍ ومتعبٍ ، والأسلحة التى كان يحملها له مساعده ممزَّقة من جوانب عديدة ، وما اتضح من بعيد لمن تكون هذه الأسلحة ، والزرد مكسورٌ وفى حالة سيئةٍ ، لم يكن من الممكن أبدا الدِّفاع به . كان الفارس ضخمًا وبدا مدججًا بالسِّلاح . نهضا من المكان الذى كانا فيه ليكونا على شرف استقباله كما جرت العادة فى تشريف الفرسان الذين يخرجون بحثًا عن المغامرات، ولما اقترب منهما أكثر عرف أماديس أنه أخوه فلوريستان ، وقال للملك :

– سيدى ، هاهو أفضل فارس عرفتُه بعد السَّيد جالاؤر قادمٌ إلينا ، ولتعلم أنَّه فلوريستان ابنك .

فرح الملك فرحًا شديدًا ، فما رآه من قبل ، وقد سمع عن شهرته ذائعة الصِّيت ، ولَمَّا وصل إليه فلوريستان ترجل ، وأدَّى تحية الاحترام ، أراد أن يُقبِّلَ قدمى الملك ،

غير أنَّ الملك رفعه وسلَّم عليه وقبَّله فى فمه ، وحينئذ حملاه معهما إلى القصر ، وأمرا بنزع سلاحه عنه ، وغسل وجهه ويديه ، ثم ألبسه أماديس ملابس فاخرة لم يلبسها أحدٌ من قبل ، كانت قد صنعت لأماديس ، وبما أنَّ فلوريستان كان ضخم الجسم وممشوق القوام وجميل الوجه ، فقد بدا فى غاية الجمال الذى لا يماثله فيه سوى قلة نادرة ، وهكذا حملاه إلى الملكة ، فاستقبلته هى وابنتها ميليثيا أحسن استقبال كأىِّ واحدٍ من إخوته ، فما كان قدره عندهم أقل من الآخرين ، وذلك لما عُرف عنه من مهارةٍ عاليةٍ فى المعارك والنِّزال ، وحين تكلَّموا معه فى إحداها جاء رده عليهم ينمُّ عن أدب جم وعقل راجح . ثم سألوه ، بما أنه قادم من بريطانيا العظمى ، عن أمر ملوك الجزر ومن يرافقونهم . قال لهم فلوريستان :

– هذا ما أعرفه جيدًا . وصدِّقونى ، أيُّها السَّادة ، إنَّ قوة هؤلاء الملوك كبيرةٌ، بصفوفهم أناسٌ غرباء وأولو بأسٍ شديدٍ ، ولهذا فأرى أنَّ الملك ليسوارتى لن يكون له قبل بهم ، إذ لن يتمكن من الدِّفاع عن نفسه أو أرضه ، وهو ما لا نأسف عليه ، نظرًا للأحداث الماضية .

– بُنى فلوريستان – قال الملك – أنا أرى الملك ليسوارتى ، فى الصورة التى يحدثوننى عنها فى مثل هذا الموقف ، له من القوة والسُّبل الأخرى الجيدة التى لا بد للملك أنْ يتحلَّى بها ، ولسوف يخرج من هذا المأزق بالشَّرف نفسه الذى تحقَّق له بالخروج من المآزق الأخرى ، ومع أنَّه تحوَّل إلى عكس ما كان عليه نحونا ، فلا علينا أنْ نسعد لما هو فيه ، لأنَّه ما من ملك يفرح لتدمير ملك آخر إذا لم يكن هذا التَّدمير على يديه هو مستندًا على أسبابه المشروعة التى تدفعه إلى ذلك دفعًا .

هكذا بقوا فى المكان نفسه مدة من الزمان ، ثم ذهب الملك إلى حجرته ، وأماديس وفلوريستان إلى حجرتهما ، وحين أصبحا منفردين قال فلوريستان :

– سيدى، لقد جئت إليك أطلب منك أنْ تخبرنى بشىء سمعته فى كلِّ مكان ذهبت إليه، ويتألَّم له قلبى كثيرًا ، وإنه ليؤسفك سماعه .

- أخى - قال أماديس - إنَّنى أُسرُّ لكلِّ شىءٍ تقوله وأبتهج لسماعه ، وإذا كان ذاك الأمر يستحق العقوبة فسوف أخضع لها بأمرك .

قال فلوريستان :

- صدقنى ، سيدى ، إن هناك من يوشون بك يا سيدى؛ فيخوضون فى شرفك بالنَّقيصة ، حيث يروون أنك قد تخلَّيت عن حمل السِّلاح فى شكل سيئ ، كما تخلَّيت عن كلِّ ذلك الذى كان يميزك ويبرزك بين الآخرين جميعًا .

قال له أماديس ضاحكًا :

- إنَّهم يتدخَّلون فيما لا يعنيهم من شئونى ، ومن الآن فصاعدا سوف يكون تناولهم لهذا الأمر بصورةٍ أخرى ، بناءً على تغيير طارئ عليه .

أمضوا ذلك اليوم فى متعهٍ كبيرةٍ لمجىء ذلك الفارس إليهم ، والذى توافد العديد من النَّاس لرؤيته وتشريفه . وحين أتى الليل رقد الجميع فى فرشٍ وثيرةٍ وما اكتحلت عينا أماديس بالنَّوم لأمرين أخذ يفكر فيهما : أحدهما أنْ يبذل مجهودًا كبيرًا وخارقًا فى مجال النِّزال حتى يغير الفكرة التى سادت بين النَّاس عنه ، والأمر الآخر ماذا عساه أنْ يفعل فى المعركة المنتظرة ، التى وفقًا لمكانتها لم يكن بمقدوره الاعتذار عنها ، فإذا أصبح فى الجانب المناوئ للملك ليسوارتى فإن هذا الأمر ترفضه سيدته ، وإذا أصبح فى جانبه فذاك أمرٌ يرفضه العقل، نظرًا لأنَّه تنكر له من قبل ، وأهان أهله وأتباعه . لكنَّه فى نهاية الأمر عزم على أنْ يدخل المعركة مقاتلا فى صفوف الملك ليسوارتى لسببين : أولهما أن أفراد جيشه كانت أقل بكثير من أفراد قوات أعدائه ، وثانيها أن هزيمة قوات الملك ليسوارتى تعنى فقدان سيدته أوريانا لأملاكها .

فى صباح اليوم التَّالى أخذ أماديس فلوريستان معه ثم ذهبا إلى حجرة والدهما ، وبعد أن أمر بخروج الجميع قال له :

- سيدى ، لم تذق عيناى طعم النَّوم هذه الليلة أفكِّر فى تلك المعركة المنتظرة بين ملوك الجزر والملك ليسوارتى ، وبما أنَّها ستكون أمرًا ذائعًا ، فلا بد لكلٍّ من

يجيد استخدام السِّلاح حضور هذه المعركة سواءً أكان من أنصار هذا الجانب أم ذاك ، وبما أنَّه قد مضى عليَّ زمن طويل دون أنْ أخوض أيَّه تجربة من تجارب النِّزال ، وبهذا أصبحت محطًا لكلِّ نقيصة - كما تعلم أنت يا أخى - فقد قررت أنْ أحضرها ، وأنْ أكون فى صفوف الملك ليسوارتى ، ليس لأنَّنى أحبُّه ، ولكن لأمرين أقصُّهما عليكما : أولهما أنه لا يقاتل معه إلا نفرٌ قليلٌ، وهو ما يكون مدعاة لانضمام النَّاس إليه لمعونته . وثانيهما أننى أفكر فى الموت هناك أو أن أفعل شيئا عظيماً لم أفعله فى مكان آخر . وإذا ما جعلت نفسى فى الصُّفوف المعادية للملك ليسوارتى . ففى صفوفه يوجد كلٌّ من جالاوُر وكوادراجانتى وبريان دى مونخاستى ، وكل واحد من هؤلاء ، وفق طيبته ، سيكون له التَّفكير نفسه دون أنْ يكون فى مقدورهم الاعتذار ليكونوا فى جانبى ، فلك أنْ تتخيل مثل هذا الأمر الذى سيكون فيه هلاكى أو هلاكهم . ولكن ذهابى إلى هناك سيكون أمرًا سرِّيا وسأبذل كلَّ جهدى حتى لا يعرف به أحدٌ .

قال له الملك :

- بُنى ، أنا دائمًا أكون صديقًا للطيبين؛ وحيث إنك تقول إن هذا الملك يعدُّ واحداً منهم، فأنا على استعداد أنْ أعينه على شرفه وأمدَّ له يد العون بكل ما أقدر عليه ، وإذا ما كنت قد ابتعدت عنه فى هذه الآونة ، فهذا لأنَّه قد ارتكب ما ارتكبه فى حقِّك وحقِّ أصدقائك . وبما أنك قد عزمت على ما قلت ، أودُّ أنْ أكون أنا أيضًا فى عونه وأرى ماذا سيحدث هناك . ويؤسفنى أنَّ الوقت وجيزٌ جدا بحيث لا أقدر على حمل عدد كبير من النَّاس كما هى رغبتى ، ولكنَّنا سنذهب ومعنا منهم من نستطيع اصطحابه منهم .

ولما سمع السَّيد فلوريستان هذا الكلام ظلَّ يتأمَّل لفترةٍ ، ثم قال :

- سيدى ، أتذكَّر الآن قساوة ذلك الملك ، وكيف أنَّه كان سيدفع بنا إلى الموت فى الميدان لولا السَّيد جالاوُر، وأتذكَّر أيضا تلك العداوة التى يناصبنا إياها دونما

سبب، وهنا لا أجد ما أقنع به قلبي حتى يقف مقاتلاً في صفوفه ، ولكن هناك أمرين خطرا لي الآن يجعلاني أغيِّر رأيي : أولهما أنكما تريدان أن تكونا في معونة ذلك الذي أخدمه حتى الآن. وثانيهما أنَّه في الوقت ذاته الذي أعطيت فيه جزيرة مونجاثا إلى السَّيد جالبانيس وقَّعنا هدنةً لمدة عامين. وهكذا ، ورغم أنَّني ليس بمقدوري أنْ أخدمه ، فمن الملائم رغمًا عنِّي أنْ أقدِّم له معونتي . وأرغب في أنْ أذهب معكم ، إذ ستكون نفسي في حالة غيظٍ شديدٍ إذا ما وقعت معركةٌ كهذه ولم أكن حاضراً فيها أقاتل مع طرف من طرفيها .

وهنا عمَّت الفرحة قلب أماديس إذ رأى كلَّ شيء أتى موافقًا لرغبته وهواه ، ثم قال للملك :

– سيدي ، أنت وحدك تساوي عددًا كبيرًا من النَّاس، ونحن سنكون في خدمتك ، وما تبقَّى شيءُ سوى أنْ تأمر بأن يكون ذهابنا سرا ومعنا أسلحة فتاكة ومعروفة يمكن لنا أنْ نعتمد عليها في الدِّفاع عن أنفسنا ، فلو أنك حملت نفرا كثيراً معك لن نتمكن من إخفاء أمرنا .

– بما أنَّ هذا هو رأيك – قال الملك – هيا بنا إلى حجرة السِّلاح الخاصة بي، ولنأخذ منها أكثرها مجداً وشهرةً من بين تلك التي سنعثر عليها هناك .

وبعد أن خرجوا من الحجرة دخلوا فناءً مليئًا بالأشجار ، وما إن أصبحوا تحتها حتى رأوا فتاةً قادمةً إليهم ترتدي ثيابًا فاخرة وتمتطي جوادًا غاية في الجمال ، وبرفقتها ثلاثة من حملة السِّلاح وجواد يحمل على متنه لفافةً كبيرةً . أنزلها حملة السِّلاح من فوق جوادها ، وذهبت إلى الملك ، ثم ألقت السَّلام على الجميع ، وأحسن الملك وفادتها ، ثم قال لها :

– أيَّتُها الفتاة ، أتريدين الملكة ؟

– لا – قالت – بل أريدك أنت ، سيدي ، وهذين الفارسين ، وأنا قادمةُ من طرف صاحبة جزيرة نوأيادا ومعي لكم هذه الهدايا التي أرسلتها معي ، وعليه فتأمر بانصراف الجميع ، وسوف أريكها .

أمر الملـك بأنْ يخرج الجميع . وأمرت الفتـاة حـاملى السِّلاح بأنْ يفكوا اللفافة التى كانت على متن الجواد وأخرجت منـها ثلاثة دروع ، أرضيتها فضية وعليها رسوم لثعـابين ذهبية، وقـد صنعت عليـها بصورة عجيبة جعلتـها تبدو حية تسـعى ، وأما حاشيتـها فقد كانت من الذهب الرَّقيق المرصَّع بالأحجار الكريمة . وبعد ذلك أخرجت ثلاثة شعارات لها صنعة الدُّروع نفسـها وثلاث خوذات تختلف كلٌّ واحدة عن الأخرى فى صنعتها ، الأولى بيضاء والثَّانية بنفسجية والثَّالثة مذهبة . أخذت الخوذة البيضاء مع أحد الدُّروع وشعار فقدمتـها للملك بيريون ، والبنفسجية إلى السَّيد فلوريستـان ، والذَّهبية والأشياء الأخرى إلى أماديس، وقالت له :

- سيدى أماديس ، ترسل سيدتى بهذه الأسلحة، وتخبرك بأنَّك سوف تقاتل بها أفضل من تلك التى صنعتها بعد أنْ نزلت بهذه الدِّيار .

تشكك أماديس فى كشف نواياهم ، ثم قال :

- أيَّتُها الفتاة ، أخبرى سيدتك أننى أقدِّر تلك النَّصيحة التى تقدِّمها لى أكثر من هذه الأسلحة رغم أنَّها أسلحة فاخرةٌ وجميلة ، وأنَّنى سأبذل كلَّ ما فى وسعى حتى أفعل ما أمرت به .

قالت الفتاة :

- سادتى ، هذه الأسلحة ترسلها لكم سيدتى ، حتى يمكن لكم أنْ تتعارفوا أثناء المعركة، وتتعاونوا فيما بينكم حين يستدعى الأمر ذلك .

- كيف عرفت سيدتك - قال الملك - أنَّنا سوف نشترك فى المعركة ، فحتى الآن نحن لا نعرف شيئًا عن هذا ؟

- لا أدرى - قالت الفتاة - سوى أنَّها قالت لى إنَّنى سوف أجدكم فى هذا الوقت معًا فى هذا المكان ، وأمرتنى بأنْ أقدم إليكم الأسلحة هنا .

أمر الملك بأن يقدِّموا لها الطَّعام، وأنْ يقدموا إليها كل أنواع التَّشريف ، وبعد أن تناولت الفتاة طعامها رحلت متوجهةً إلى بريطانيا العظمى ، حيث أُمِرت بالذِّهاب إلى هناك .

وحين رأى أماديس الهيئة التى كانت عليها الأسلحة وجد فى نفسه شوقًا للرحيل ، خوفًا من أن تبدأ المعركة دون أنْ يكون له نصيبٌ فيها ، وحين عرف والده الملك بهذا أمر بتجهيز سفينةٍ بصورةٍ سريةٍ ، معلنا أنَّه يعدها للذِّهاب إلى الجبل ذات ليلة حين ينتصف الليل ، ودخل الجميع دونما عائق يذكر ، وتوجَّهوا إلى بريطانيا العظمى ، وهو المكان الذى علموا أنَّ الملوك السَّبعة قد نزلوا به ، ونزلوا إلى غابة حتى بلغوا أرضًا ذات أشجار كثيفةٍ نصبوا خيامهم عندها ، ثم أرسلوا حامل السِّلاح لينظر ماذا يصنع الملوك السَّبعة ، وفى أى جانب يكونون ، وأنْ يعرف قدر الإمكان فى أىِّ يوم ستكون المعركة . وفى الوقت نفسه بعثوا برسالةٍ إلى مخيَّم أو معسكر الملك ليسوارتى لجالاؤر ، كما لو كانوا قد بعثوا بها من جاولا ، يخبرونه فيها بأنَّهم قد بقوا ثلاثتهم فى جاولا ، وأنَّهم يرجونه كثيرًا أن يخبرهم عن صحته فور انتهاء المعركة . فعلوا هذا كله إمعانًا فى تخفيهم .

عاد حامل السِّلاح فى مساء اليوم التَّالى ، وأخبرهم بأنَّ جند الملك قليلون بينهم يوجد أناسٌ غرباء يتحدَّثون لغاتٍ غريبةً ، وأنَّ هناك قلعةً محاصرةً لفتيات كنَّ يملكنها ، ورغم أنَّ القلعة كانت شديدة المنعة ، فإنهن كنَّ فى ضيقٍ شديدٍ حسبما سمعت ، وأنَّه حين كان يتمشَّى داخل القصر رأى أركالاوس الإنكنتادور ، الذى كان يسير ويتحدث مع ملكين آخرين ويقول إنَّه من المناسب أنْ تكون المعركة بعد ستَّة أيَّام ، لأنَّ المؤن لن تكون كافية لهذا العدد الغفير من النَّاس .

هكذا أمضوا وقتهم فى هذا المقام يتمتَّعون ويمرحون ، يصطادون العديد من الطيور التى وردت إلى ذلك النَّبع القريب منهم لتشرب الماء ، فضلاً عن بعض الظباء ، وفى اليوم الرَّابع أتاهم الرسول الآخر، وقال لهم :

– سادتى ، لقد تركت السَّيد جالاؤر فى حالةٍ جيدةٍ ويأخذ أهبته للقتال ، ومعه كل من حوله، وحين أخبرته برسالتكم وما تأمرونه به وأنَّكم بقيتم ثلاثتكم فى جاولا اغرورقت عيناه بالدُّموع وتنفَّس الصعداء، ثم قال : " آه ، سيدى ، لو أنَّهم قد أتوا جميعًا للانضمام إلى صفوف الملك، كما هى عادتهم ، لهزموا أية قوة " ، ثم

أخبرنى بأنَّه إذا ما خرج من المعركة حيا ، فسوف يحكى لكم كل ما جرى له وللآخرين على أرض المعركة .

– حفظه الله – قالوا جميعًا – والآن حدثنا عن رجال الملك ليسوارتى .

– سيدى – قال – معه صحبةٌ طيبةٌ ، فضلاً عن العديد من الرِّجال المعروفين والبارزين ، لكنَّها ، وفق ما يقال ، صحبة قليلة بالمقارنة بصحبة الأعداء . وفى هذين اليومين سيكون هناك تفاوض بين الملك وأعدائه ، بغية إطلاق سراح الفتيات المحاصرات .

وهكذا أتى الملك ليسوارتى مع رجاله واستقر فى جبلٍ يبعد نصف فرسخٍ عن المرج الذى نزل به أعداؤه ، فأصبح كل منهم يرى خصمه رأى العين ، ولكن أنصار الملوك السَّبعة يبلغون ضعف ما لدى الملك من قواتٍ . وقد ظلَّ طوال تلك الليلة يجهِّز أسلحته وفرسانه لكى يخوضوا المعركة فى اليوم التَّالى .

والآن لكم أنْ تعلموا أنَّ الملوك السَّبعة وغيرهم من السَّادة البارزين قد أقاموا حفلةً فى تلك الليلة على شرف الملك أرابيجو، حيثُ يعدُّ كبيرهم فى هذا النِّزال ، وأنَّهم سيدخلونها تحت إمرته ، وقد أقسم لهم أنَّه لن يحصل على نصيب من هذه المملكة أكثر من أىٍّ منهم ، وما يريد لنفسه شيئًا سوى الشَّرف ، وبعد ذلك أمروا رجالهم بعبور النهر الذى كان بينهم وبين الملك ليسوارتى ، حتى أصبحوا قاب قوسين أو أدنى منه .

وفى اليوم التَّالى تسلَّح الجميع بسلاح المعركة ووقف أمام الملك أرابيجو عددٌ كبيرٌ من النَّاس مدجَّجين بالسِّلاح لا يهابون أعداءهم مثقال ذرةٍ ، وقالوا بما أنَّ الملك قد تجاسر وأعدهم للمعركة كى يخوضها ، فليطمئن بأنَّ بريطانيا العظمى كلها قد أصبحت فى قبضة يده . رتَّب الملك أرابيجو رجاله فى تسع فرقٍ . وفى كلِّ فرقةٍ ألف فارسٍ ، غير أنَّ مجموعته كانت تتألف من ألف وخمسمائة ، ثم سلمها للملوك وغيرهم من الفرسان ، وجعل الفرق متجاورةً بعضها إلى بعض . أمَّا الملك ليسوارتى فقد أمر السَّيد جروميدان وجالاوَر وكوادراجانتى وأنجريوتى دى إيستراباوس بأنْ يوزعوا رجالهم ويعدونهم فوق ساحة الميدان كما لو كانوا سيبدأون المعركة ، فقد كان هؤلاء

من ذوى الخبرة العالية فى مجالات الاستعداد والنِّزال ، ثم هبط الملك بعد ذلك من الجبل عبر منحدر منخفض حتى يبقى فى السُهول ، وبما أنَّ الشَّمس كانت ساطعةً فى ذلك الوقت ، فقد انعكست على صفحات الأسلحة وبدا رجاله فى صورةٍ حسنة يتمتَّعون برشاقةٍ تفوق ما يتمتَّع بها أعداؤهم الذين استهانوا بهم من قبل ، وأصبحوا الآن ينظرون إليهم بمنظارٍ آخر . وقد أقدم هؤلاء الفرسان الذين ذكرتهم لكم إلى توزيع الرِّجال إلى خمسة فيالق ، على رأس الأوَّل جاء بريان دى مونجاستى مكونًا من ألف فارس من فرسان إسبانيا أرسلهم والده إلى الملك ليسوارتى . وعلى رأس الثانى جاء الملك ثيلدادان برجاله ومعه فليقٌ آخر أسندوا رئاسته إليه . أمَّا الثَّالث فقد كان يقوده جالبانيس وجابارتى ، ابن أخيه، الذى أتى إلى هنا حبا فيه وفى الأصدقاء الذين جاءوا للمعركة بغية خدمة الملك ، وأوكلت قيادة الفيلق الرابع إلى خيونتيس ، نجل شقيق الملك ومعه مجموعة عظيمة من الفرسان . أما الفرقة الخامسة فقد كان يقودها الملك ليسوارتى ، وتتكوَّن من ألفى فارسٍ ، وتوسَّل إلى جالاؤر وكوادراجانتى وأنجريوتى دى إيستراباوس وجابارتى دى بال تيمروسو وأنتريمون البالينتى وأمرهم بأنْ يحرسوه ويحافظوا على حياته ، ولهذا لم يؤمِّرهم على أى مجموعة .

هكذا كما سمعتم ، وبهذا التَّرتيب تحرَّكوا عبر الميدان فى هدوءٍ ، يواجه كل منهما الآخر. وفى هذه الأثناء وصل إلى المرج الملك بيريون وابناه أماديس وفلوريستان بجيادهم الجميلة والأسلحة التى تحمل على نصولها الأفاعى، والتى كانت تبرق فى ضوء الشمس؛ وساروا فى طريقهم حتى أصبحوا بين الجيشين وأخذوا يلوِّحون برماحهم المصنوعة من الحديد الخالص النظيف فأخذت تلمع تحت أشعة الشَّمس كالنجوم ، وسار الأب بين ولديه . أخذ الطَّرفان ينظران إليهم بتمعنٍ يتمنَّى كل منهما أنْ يقف هؤلاء الفرسان فى صفه ، ولكن أحدًا لم يعرف إلى من تتوجَّه نيتهم بالمعونة والمساعدة وما عرفوهم ، وحين رأى هؤلاء الفرسان الثَّلاثة أنَّ فرقة بريان دى مونجاستى كانت آخذة فى الاقتراب إلى الأعداء أسرعوا بجيادهم إلى حيث يوجد بريان دى مونجاستى ، وبعد ذلك توجَّهوا إلى الملك تارجادان ، الذى أتوا للقتال ضده . فرح السَّيد بريان بمعونتهم على الرَّغم من أنَّه لم يعرفهم ، وحين رأوا أنَّ الوقت قد حان

توجَّهوا ثلاثتهم صوب الملك تارجادان وأعملوا فيه وجنوده أسلحتهم بكلِّ قوةٍ فأنزلوا الرُّعب في قلوب الجميع . وفي تلك الهجمة ضرب الملك بيريون الملك ضربة شديدة أطاحت به على وجه الأرض ونفذ جزءٌ من الرُّمح في صدره . وأمَّا أماديس فقد وجه ضربةً إلى أباداسيا البرابو ، الذى لم تنفعه دروعه بشيءٍ ، فأعمل رمحه فى ضلوعه حتى خرج من النَّاحية الأخرى ، فخرَّ على الأرض يصارع الموت . وقام دون فلوريستان بضرب كاردويلا فأطاح به من فوق جواده فألقى به بين سيقانه ، وفوقه سرجه ، وقد أقدم هؤلاء الثَّلاثة بصفتهم أبرز فرسان فيلقهم لملاقاة أصحاب الأفاعى ، وبعد ذلك شهر هؤلاء سيوفهم وتوجَّهوا إلى الفيلق الأول ، فأطاحوا بكلِّ من وقف فى طريقهم ، وانتقلوا إلى الفرقة الثَّانية . وحين رأوا أنفسهم وسط أفراد الفيالق التى كانت ترقبهم وأفعالهم العجيبة التى قاموا بها بسيوفهم ، لم يتجرأ أيُّ فردٍ من هذا الطرف أو ذاك على مهاجمتهم ، ووجدوا تحت أقدام جيادهم أكثر من عشرة فرسان قد أطاحوا بهم . وفى نهاية الأمر ، حين رأى الأعداء أنَّهم لا يزيدون عن ثلاثة ، حملوا عليهم من كل جانب يضربونهم ضربًا مبرحًا . وهنا أُصبحت مساعدة بريان دى مونجاستى أمرا ضروريا لهم ، حيث أتاهم فيما بعد بفرسانه الإسبان ، الذين يتمتَّعون بالقوة والمهارة والتَّمرس على القتال ، وهاجموهم بكلِّ قوة ، فتركوهم بين جريح وقتيل ، ومنهم من مات وجرح أيضا ، وهنا أسعف أصحاب الأفاعى ، وحلَّت الإهانة بالأعداء الذين اضطروا رغمًا عنهم إلى سحب هذين الفيلقين كي ينضما إلى الثَّالث ، وقع قتالٌ شديدٌ وأحاط الخطر بالجميع ، وقُتِلَ عددٌ كبير من الفرسان من الجانبين ، ولكن ما فعله الملك بيريون وولداه لا يمكن سرده؛ فقد جاء أثر ذلك كبيراً على الملك أرابيجو وأتباعه؛ فخاف أنْ يكون فى انسحاب مَنْ معه من المعركة مدعاة لانسحاب الآخرين والانضمام إلى الأعداء؛ فصاح بصوت عالٍ على أركالاوس كي يحرِّك الفيالق ليقاتلوا جنبًا إلى جنبٍ . وهكذا تم تنفيذ الأمر، حتى أصبح الجميع فى مجموعةٍ واحدةٍ ومعهم الملك أرابيجو ، وما تأخَّر الوقت حتى تمَّ تطبيق الأمر نفسه على صفوف الملك ليسوارتى . وهكذا اختلط الحابل بالنَّابل على أرض المعركة ، وخلَّفت المعركة العديد من الجرحى، وأصبحت الأرض ترتجف من جرَّاء صدى أصوات سيوف الفرسان وقعقعتها، وتصدَّعت الوديان أيضًا .

وفى هذا الحين قام الملك بيريون ، الذى هجم هجمةً شرسةً على الأعداء المتقدمين بالصفوف الأولى ، بتسديد الضّربات لهم دونما هوادة حتى كاد أنْ يهلك ، غير أنَّه قد أنقذ من هذا الموقف على يد ولديه ، اللذين هاجما أولئك الذين أمطروه بضرباتهم فقتلوا الكثيرين منهم ، وأخذت الفتيات تقلن فى صوت عال من ناحية البرج :

– يا لعظمة الفارس ذى الخوذة البيضاء لقيامه بواجبه على أفضل ما يكون !

ولكن فى هذه الحملة الإنقاذية لقى جواد أماديس حتفه وسقط معه على جناح السُّرعة ، أما أنصار والده وأخيه فقد خرجوا مثخنين بالجروح ، ولمَّا أن رأوه مترجِّلاً والخطر قد أحدق به ترجَّلوا هم أيضًا ووقفوا بجانبه . وهنا حمل عليهم أناسٌ كثيرون ليقتلوهم وآخرون لينقذوهم ، ولكنَّهم قد أصبحوا فى خطرٍ شديد، ولولا ما بذلوه من جهدٍ وفيرٍ وماسدَّدوه من ضرباتٍ موجعةٍ، بحيث لم يتمكَّن الأعداء من الوصول إليهم ، لماتوا جميعًا . وبما أنَّ الملك ليسوارتى كان يصول ويجول فى المعركة من جانب إلى آخر مع رفاقه السَّبعة الذين تعرفونهم ، فقد رأى أصحاب الأفاعى وقد لحق بهم أذى شديدٌ ، وهنا قال لجالاؤر والآخرين :

– الآن ، أصدقائى الأعزاء ، لتظهر الآن أفضالكم؛ لنهب لنجدة هؤلاء الذين هم عون لنا .

– الآن هلموا إليهم ! – قل جالاؤر .

وهنا همز الجميع جيادهم، وانطلقوا إلى ساحة الوغى حتى بلغوا راية الملك أرابيجو ، الذى كان يصيح بأعلى صوته مستنفرا أنصاره للهجوم . وكان الملك ليسوارتى قد أظهر قدرًا كبيرًا من الشَّجاعة شاهرًا سيفه البتَّار فى يده ، وسدَّد العديد من الضَّربات المميتة ، حتى فزع الجميع لرؤيته، وما كان لحراسه من قدرة على متابعته إلا بشق الأنفس ، ومهما بالغوا فى ضربه فما تمكَّنوا من الحيلولة بينه وبين الوصول إلى الرَّاية ومن أنْ ينزعها عنوةً من يد من كان يحملها ، وحين أمسك بها ألقى بها تحت أقدام الخيل، ثم قال بصوتٍ مرتفعٍ :

– كلارنيثيا ، كلارنيثيا ، أنا الملك ليسوارتى ! (فقد كان هذا هو لقبه) .

لقد فعل الكثير ودام وقتًا طويلاً بين أعدائه الذين قتلوا جواده، حيث سقط سقطةً كسر على أثرها ، وبهذا لم يتمكن حراسه من حمله على جواد آخر. وهنا وصل إلى المكان كل من أنجريوتى وأنتيمون الباليتى ولادين دى فاخاركى ، فنزلوا عن جيادهم. وهنا حملوه على جواد أنجريوتى ، وذلك بمعونة هؤلاء الذين كانوا يقومون على حراسته ، وعلى الرَّغم من كونه مثخنًا بالجراح ومصابًا ببعض الكسور ، فإنه لم يبرح مكانه حتى امتطى أنتيمون ولادين دى فاخاركى وأحضرا جوادًا آخر لأنجريوتى من بين تلك التى أمر الملك بإطلاقها فى ساحة المعركة للاستعانة بها .

وفى الوقت الذى حدث فيه ذلك وقع عبء المعركة كله على عاتق جالاؤر وكوادراجانتى، فأظهرا هناك شجاعة كبيرة فى الصَّبر على البلاء وتسديد الضَّربات القاتلة ، ولتعلموا أنَّه لولا وجودهما ، حيث عملا بما بذلاه من جهدٍ وفيرٍ على كبح جماح الآخرين ، لأصبح الملك ليسوارتى ومن معه حين كانوا مترجلين فى خطر داهم ، وكانت فتيات البرج يصِحن بأعلى أصواتهن معلنات أن هذين الفارسين اللذين يحملان شعار الأزهار هما من أفضل الرِّجال . ولكن لم يكن لهذا الكلام أو لغيره أنْ يمنع أنصار الملك أرابيجو فى ذلك الوقت من تحسين موقفهم ، فتقدَّموا فى أرض المعركة فى قوةٍ وعنفٍ ، وكان السَّبب الرَّئيسى فى ذلك أنَّه دخل أرض المعركة فارسان جديدان لهما فى النِّزال باعٌ طويلٌ وكان لهما من الشَّجاعة حظ وافر بحيث بدأ أنصارهما يعلقون النصر فى المعركة عليهما ، لأنَّهم ظنُّوا أنَّه لا يوجد بين صفوف الملك ليسوارتى فارسٌ بمقدوره مواجهتهما . كان الأوَّل يدعى برونتاخار دانفانيا والثانى أرجومادس دى لا de La Insula Profunda (الجزيرة العميقة) . كان هذا يحمل أسلحةً خضراء ومطبوعا عليها حمائم بيضاء ، وأما برونتاخار فقد كان يحمل فى درعه رسوماتٍ ذهبيةً وملونةً براقةً ، وبمجرَّد أنْ نزلا إلى المعركة بدا مظهرهما ضخمًا مخيفًا للجميع ، وحين أطلقا رماحهما لم يبق أمامهما فارسٌ فوق سرج جواده ، وعندما كُسِرَ رماحهم أمسكا بسيفيهما العظيمين والهائلين . وماذا أقول لكم ؟ لقد

سدَّدا بسيفيهما هذين ضربات عديدة حتى لم يعد أمامهما من يضربانه بهما ، وهكذا سارا فى طريقهما يُحرِّران ساحة القتال من كلِّ هؤلاء، وهنا قالت فتيات البرج :

– أيُّها الفرسان ، لا تهربوا من الميدان ، فهم إنس وليسوا بجان .

لكن أتباعهما صاحوا بأعلى أصواتهم قائلين :

– الهزيمة للملك ليسوارتى .

وحين سمع الملك ذلك أخذ يحرِّض أتباعه قائلاً :

– إما أنْ أموت هنا أو أنتصر ، كى لا يضيع ملك بريطانيا العظمى .

أقبل عليه الجميع ، حيث كان فى حاجة ماسة إليهم . أخذ أماديس جواداً آخر أجمل، وقد بدا فى أبهى زينة، وأشار إلى والده أن يمتطى جواده ، وحين سمع تلك الأصوات العالية التى أعلنت هزيمة الملك ليسوارتى توجَّه بالكلام إلى أخيه فلوريستان الذى كان على متن جواده :

– ما هذا الذى يزأر به هؤلاء النَّاس التُّعساء ؟!

ردَّ عليه قائلاً :

– ألا ترى هذين الفارسين القويين الشُّجاعين اللذين لم ير قط مثلهما يحصدان ويدمِّران كلَّ شىء فى طريقهما ، وهما فى هذه المعركة لا يضارعهما أحدٌ حتى الآن ويحقِّقان بقوتهما النَّصر لأتباعهما ؟!

التفت أماديس فرأى برونتاخار دانفانيا قادمًا إلى ذاك الاتجاه الذى كان يقف فيه يضرب ويطيح بكلِّ فارس يجده فى طريقه ، وفى بعض الأحيان كان يترك سيفه يتدلَّى من سلسلة ربطه بها . ويستخدم ذراعيه ويديه فى الإطاحة بكلِّ فارس يلقاه . هكذا لم يعد أمامه من فارس على ظهر جواده، وفر الجميع أمامه هاربين .

– يا أيَّتها العذراء البتول ! – قال أماديس – ماذا عساه أن يكون هذا ؟

وهنا حمل رمحًا قويًا وقدَّم له حامل السِّلاح الجواد ، وتذكر فى هذا الوقت سيدته أوريانا، وأيضا ذلك الضَّرر الذى سيلحق بها لو أن أباها هُزم فى المعركة . وهنا مكن نفسه فوق جواده ، وقال لفلوريستان :

– عليك حراسة والدنا .

فى هذه الأثناء كان برونتاخار قد وصل بالقرب من أماديس ، ورآه كيف يستعد للقائه، وكيف أنَّه كان يحمل خوذةً ذهبية ، ونظرًا لما علمه عنه من أشياء عظيمةٍ من قِبَلِ الآخرين قبل أنْ يأخذ دوره فى هذه المعركة ، فقد سار والغيظ يتملَّكه وكلُّه شوقٌ للقائه . ثم حمل بعد ذلك رمحًا سميكًا، وصاح بأعلى صوته قائلاً :

– الآن سترون الضَّربة الجميلة إذا جرؤ صاحب الخوذة المذهبة على نزالى .

وحثَّ جواده على المسير ، ورمحه تحت إبطه ، وتوجَّه صوبه ، وأماديس تحرَّك هو الآخر نحوه ، فتلاقيا برمحيهما فأصاب كل منهما درع الآخر ، فتصارعا وكُسر الرِّمحان ، ثم التقيا بجسدى جواديهما فى صدام شديدٍ حتى بدا لكل منهما أنَّه قد اصطدم بصخرة شديدة الصَّلابة . أصيب برونتاخار بإغماءةٍ شديدةٍ أدارت رأسه، ولم يعد يتمكن معها من إمساك نفسه على متن جواده، ثم سقط على الأرض كما لو كان قد لقى حتفه ، وأكثر من ذلك فقد ألقى بجسده كله فوق ساقه فانكسرت ، كما حمل جزءًا من الرُّمح وقد نفذ فى درعه ، رغم أنَّه كان قوى البنية . وأمَّا أماديس فقد تراجع جواده إلى الخلف مسافةً كبيرةً وكان على وشك الوقوع ، وأصيب أماديس بحالةٍ من الدوار، فما قدر على أنْ ينهر جواده لكى يتوقف ، أو أن يمسك بسيفه فيدفع عن نفسه ضربات الآخرين الموجَّهة إليه ، ولكن الملك بيريون ، الذى كان على متن جواده ورأى الفارس الكبير واللقاء الحاسم الذى جمع بينه وبين أماديس بدت عليه الدهشة ، ثم قال :

– ربَّاه ، لتحفظ لنا هذا الفارس .

– الآن ، يا فلوريستان ، علينا أنْ نهب لنجدته .

وحينئذ وصلا إليه فى شجاعة كبيرة تعجّب الجميع لها ، وتوغّلا بين الجميع يضربان فريقًا، وفريقًا يطرحان أرضًا حتى وصلا إلى أماديس . وقال له الملك :

– ما هذا ، أيُّها الفارس ؟ تماسك ، تماسك ، فها أنا بجوارك .

عرف أماديس صوت والده وأخيه فبدأ يوجه ضرباته إلى هؤلاء وأولئك ، رغم أنّها لم تكن ضربات موجعةً وشديدةً ، وقد أصبحوا فى تلك الآونة يمرون بظروف عصيبة وخطر شديد ، لأنّ أعداءهم قد اشتدّ ساعدهم، أمّا رجال الملك ليسوارتى فقد خسروا أراض كثيرة وتجمّع الكثيرون عليهم ليقتلوهم فى الوقت ذاته الذى لم تعد لدفاعاتهم قوةً رادعةً . ولكن فى هذا الوقت حضر أجراخيس وجالبانيس وبريان دى مونجاستى فى سرعة كبيرة ليتمكّنوا من ملاقاة برونتاخار دانفانيا ، الذى عاث فى الميدان فساداً – كما سمعتم – وما إن شاهدوا فرسان الأفاعى فى تلك المحنة حتى هبوا لنجدتهم لا يخافون شيئًا . وفى إقبالهم هذا وقعت ضحايا عديدة بين صفوف الأعداء ، حيث تمكّن أصحاب الأفاعى من توجيه ضربات شديدة إلى أعدائهم .

استعاد أماديس وعيه تمامًا ، نظر إلى ناحية اليمين ، فرأى الملك ليسوارتى مع صحبة من الفرسان قد هبُّوا لملاقاة الملك أرابيجو الذى أتاه مهاجمًا فى عدد كبير من أتباعه ، وأرجوماديس يتقدم الجميع واثنان من أولاد شقيق الملك أرابيجو ، من أصحاب القلوب الشُّجاعة ، والملك أرابيجو ذاته أخذ يصيح بأعلى صوته ، ليحمّس أتباعه لأنّه سمع صوتًا من جانب البرج يقول :

– لقد قتل صاحب الخوذة الذهبية الشيطان الأكبر !

وحينئذ قال أماديس :

– أيُّها الفرسان ، لنهب لنجدة الملك ، فهو فى حاجة إلى ذلك .

وهنا هبوا جميعًا دفعةً واحدةً واندفعوا بين صفوف المقاتلين حتى وصلوا إلى مكان الملك ليسوارتى ، الذى ، حين رأى إلى جواره أولئك الفرسان الثّلاثة أصحاب الأفاعى ، ازداد حماسًا وقوّةً ، لأنّه رأى كيف أنّ صاحب الخوذة الذهبية قد قتل

برونتاخار دانفانيا الشُجاع بضربةٍ واحدةٍ ، وبعد ذلك توجَّه صوب الملك أرابيجو الذى كان قد اقترب منه ، وأرجوماديس الذى أتى شاهرًا سيفه فى وجه الملك ليسوارتى يريد ضربه ، اعترض طريقه صاحب الخوذة الذَّهبية ، وانتهى لقاؤه بأوَّل ضربةٍ فقط؛ فحين رأى صاحب الخوذة الذهبية السَّيف قادمًا نحوه رفع الدِّرع وتلقَّى الضَّربة فيه ، فنزل السَّيف بالدِّرع قرابة شبرٍ، ونفذ بالخوذة قرابة ثلاثة أصابع ، ولو نفذ أكثر من ذلك قليلا لفارق الحياة . أمَّا أماديس فقد سدَّد إلى خصمه ضربةً فى كتفه الأيسر فقطع زرده المصنوع من شبكةٍ سميكةٍ ، وقطَّع بعض لحمه وعظمه حتى الضُّلوع ، لدرجة أنَّ الذِّراع مع جزءٍ كبيرٍ من الكتف ظلا يتدلَّيان من الجسد . كانت تلك أفظع ضربة سيف تمَّ تسديدها طوال هذه المعركة .

وهنا بدأ أرجوماديس الهرب كرجلٍ طائش قد تاه عقله ، وأعاده الجواد إلى حيث أتى ، وأصحاب البرج ينشدون قائلين :

– هاهو صاحب الخوذة الذهبية يفزع الحمائم .

وهنا همَّ أحد ولدى شقيق الملك أرابيجو الذى كان يدعى أنثيديل بشن هجوم على أماديس فسدَّد ضربةً قويةً شقت وجه جواده فسقط على الأرض ميِّتا . وما إن رأى السَّيد فلوريستان هذا الامر حتى انطلق نحوه ، وكان ما يزال يفتخر بما فعل ، فسدَّد إليه ضربةً قويةً أصابت خوذته فأطاحت به على رقبة جواده ، وأمسك به من خوذته بشدة، ثم نزعه من رأسه فأطاح به تحت أقدام أماديس ، وقد أصيب فلوريستان بقروح بفعل طرف سيف أنثيديل.

وفى هذه الأثناء التقى الملك ليسوارتى بالملك أرابيجو وأنصار الثَّانى ، فنشبت بين الطَّرفين معركة حامية الوطيس ، وأبلى كل منهما بلاءً حسنًا فى الدِّفاع عن نفسه ضد الآخر وفى نجدة المصابين والموتى الذين سقطوا من الجانبين .

أمَّا دورين ، فتى أوريانا الذى أتى إلى هناك ليحمل أخبار المعركة ، فقد كان على متن أحد الجياد التى أمر الملك ليسوارتى بإحضارها حتى تكون فى خدمة الفرسان

حين تقتضى الضَّرورة ذلك ، وحين رأى صاحب الخوذة الذَّهبية على الأرض توجَّه بالكلام إلى الفتية الذين كانوا على متون الجياد الأخرى قائلاً :

- أودُّ أنْ أسعف هذا الفارس بهذا الجواد ، فليس بمقدورى أنْ أقدِّم للملك خدمة أكثر من هذه ، ثم ألقى بنفسه بين الأخطار حيث يوجد عددٌ قليل من النَّاس ، فوصل إلى الفارس ، وقال له :

- أنا لا أدرى من أنت ، ولكن بحكم ما رأيتُ أحضر لك هذا الجواد .

أخذه منه ثم امتطاه ، وقال له فى هدوء :

- آه ياصديقى دورين ! ليس هذا هو المعروف الأوَّل الذى قدمته لى .

أمسكه دورين من ذراعه ، ثم قال له :

- لن أدعك حتى تخبرنى من أنت .

أطرق قليلاً ، ثم قال :

- أنا أماديس ، ولا يعرفنَّ هذا الأمر منك سوى تلك التى تعرفها (يقصد أوريانا) .

ثم انطلق بعد ذلك بأسرع ما أمكنه ، فأبلى بلاءً حسنًا ، وفعل أمورًا غريبةً وعجيبةً فى المعركة كمن يفعل كل هذا وأمامه سيدته .

أمَّا الملك ليسوارتى ، الذى نازل الملك أرابيجو ، فقد سدَّد إليه ثلاث ضربات شديدة لم يجرؤ بعدها على الوقوف أمامه فى المعركة ، ولما علم أنَّ ذلك هو رأس أعدائه وزعيمهم استجمع كلَّ قواه حتى يضربه وتراجع خلف رجاله ، بسبب أركالاوس الإنكنتادور ، الذى أتى به إلى هذه الدِّيار ، مغريا إيَّاه بأنَّه سيكسبها لصالحه . أمَّا جالاؤر فقد واجه سارمادان أحد الفرسان الشُّجعان ، لمَّا أن أتى متعبًا من جرَّاء الضَّربات التى سدَّدها بذراعه، وما عاد سيفه بتارًا كما كان قبل ذلك ، فقد أمسك خصمه بيديه ، ونزعه من سرجه وأطاح به على الأرض فوقع على رقبته فلقى حتفه .

أما أماديس فأخبركم بأنَّه حين عاد إلى وعيه تمامًا وتذكَّر ذلك الوقت الذى أضاعه فى جاولا، وكيف أنَّ شرفه قد تلطَّخ وأنَّه لن يستطيع استعادته إلا بفعل شىء مغاير ، قد فعل أمورًا فظيعةً لم يجد من يجرؤ على الوقوف أمامه ليمنعها ، واصطف إلى جانبه والده وفلوريستان وأجراخيس ودون جالبانيس وبريان دى مونجاستى ونورانديل وجيلان الكويدادور والملك ليسوارتى ، الذى بدا فى ذلك الوقت فى غاية الشَّجاعة . وهكذا تمكنوا من الإطاحة بالعديد من الأعداء ، وضيقوا عليهم الخناق كثيرًا وأرهبوهم حتى رأوا أنفسهم عاجزين عن تحمل ما نزل بهم من بلاءٍ، وشاهدوا الملك أرابيجو يفرُّ هاربا من الميدان ، فأسلموا أنفسهم للرِّيح حتى بلغوا السُّفن فى محاولةٍ للهرب ، أما بعضهم الآخر فقد تشتَّت فى الجبال المحيطة بأرض المعركة . غير أنَّ الملك ليسوارتى وأتباعة قد أعملوا فيهم سيوفهم فقتلوا العديد منهم شرَّ قتلة، وجاء أصحاب الأفاعى فى مقدمة الجميع ، فما تركوا أحدًا ، ومن بقى منهم لجأ إلى قارب قد استقله الملك أرابيجو والقوارب الأخرى التى قدر على بلوغها ، غير أنَّ عددًا كبيرًا منهم قد مات غرقا وبعضهم الآخر تمَّ أسره .

فى ذاك الوقت الذى انتهت فيه المعركة كان الوقت ليلاً وعاد الملك ليسوارتى إلى خيام أعدائه ، وبات ليلته هناك فرحا بالنَّصر الذى وهبه الله له . غير أنَّ أصحاب الأسلحة المزيَّنة برسومات الأفاعى ، عندما رأو الميدان قد خلا من المتحاربين وما عاد هناك من دفاع يذكر ، زاغوا جميعًا عن الطَّريق الذى أيقنوا أنَّ الملك سيعود منه ، وجلسوا تحت مجموعةٍ من الأشجار على مقربةٍ من نبع ماء هناك ، ترجَّلوا ثمَّ شربوا من مياهه ، هذا بالإضافة إلى جيادهم التى بذلت مجهودًا عظيمًا فى ذلك اليوم . وحين همُّوا بامتطاء جيادهم لينصرفوا شاهدوا حامل سلاح قادما على متن جواد فارتدى كل منهم خوذته حتى لا يتعرَّف عليهم ونادوه بلا مواربة ، تشكَّك الرَّجل فى أنْ يكونوا من الأعداء ، ولكن حين رأى معهم الأسلحة المزودة برسومات الأفاعى وصل إليهم دون أدنى ريبةٍ . قال له أماديس :

- أيُّها الرَّجل الطَّيِّب ، أبلغ رسالتنا إلى الملك إن شئت .

- قل ما تريد - قال الرَّجل - فسوف أبلغه إيَّاه .

- إذنْ قل له - قال أماديس - إنَّنا نحن الفرسان أصحاب أسلحة الأفاعى الذين شاركناه معركته نودُّ منه ألا يلقى باللوم علينا فى عدم تمكننا من وداعه ، لأنَّه من المناسب لنا أن نخرج من هذه الدِّيار قاصدين أرضًا أخرى ، ونرجوه أنْ يعطى نصيبنا من الغنيمة لفتيات البرج ، نظير الإساءة التى سبَّبوها لهنَّ ، أعطه هذا الجواد الذى أخذته من أحد فتيانه فى المعركة ، فلا نريد منه مكافأةً أخرى غير هذا الذى نقول .

أخذ حامل السِّلاح الجواد وانصرف ، ثم ذهب إلى الملك كى يخبره بما سمع . أمَّا الفرسان فقد امتطوا جيادهم واستأنفوا طريقهم ، وبعد أنْ قطعوا مسافةً طويلةً وصلوا إلى مأواهم بالغابة. وبعد أنْ نزعوا عنهم أسلحتهم غسلوا وجوههم وأيديهم من الدِّماء والغبار ، وضمَّدوا جراحهم قدر استطاعتهم وتناولوا عشاءهم ، الذى أُحسن صنعه ، ثم رقدوا فى فراشهم، فناموا ليلتهم فى راحةٍ تامةٍ .

وأمَّا الملك ليسوارتى فبعد أنْ عاد إلى خيام أعدائه ، إثر تدميرهم عن بكرة أبيهم ، سأل عن الفرسان الثَّلاثة الذين كانوا يحملون الأسلحة المزيَّنة بأشكال الأفاعى ، لكنَّه لم يجد أحدًا يجيبه سوى أنَّهم رأوهم متوجهين صوب الغابة .

قال الملك :

- لعلَّ ذلك الذى كان يحمل خوذةً ذهبيةً هو أخوك أماديس ، فما فعله لا يمكن أنْ يُوهب لإنسانٍ آخر سواه .

- صدِّقنى سيدى - قال جالاؤر - ليس هو ، فما مضى سوى أربعة أيَّام على معرفتى بخبر وجوده فى جاولا مع والده والسَّيد فلوريستان أخوه .

- يا إلهى ! - قال الملك - إذنْ من عساه أنْ يكون ؟ .

- لا أدرى - قال جالاؤر - ولكن أيا كان هو ، فليكن الله فى عونه ، فقد نال الشَّرف والشُّهرة التى فاقت الجميع نظير ما أبلى فى المعركة والمخاطر التى تعرَّض لها .

والحال هكذا قدِمَ إليهم حامل السِّلاح وأخبر الملك بكلٍّ ما أمروه بإبلاغه ، واستشعر الحزن حين سمع أنَّهم قد انصرفوا وسط كل هذه المخاطر التى تعلمونها ، ولكن إذا ما كان أماديس قد قال ذلك على سبيل المزاح فقد بدا عين الحقيقة ، كما ستعلمون ذلك فيما بعد . هكذا يجب على الرِّجال أن يبشِّروا ولا ينفِّروا فيما يتعلَّق بمستقبلهم، وهاهو الجواد الذى أتى به حامل السِّلاح قد سقط على الأرض ميتا أمام الملك، وذلك من جرَّاء الجراح المؤلمة التى كان يعانى منها . فى تلك الليلة نام جالاؤر وأجراخيس ومعهم الكثير من الفرسان والأصدقاء فى خيمة أركالاوس ، التى كانت فاخرة وجميلة ، ورأو فيها تطريزاتٍ حريريةً تحكى المعركة التى خاضها ضدَّ أماديس ، وكيف أنَّه قد سحره من قبل وأشياء أُخرى فعلها .

فى اليوم التَّالى قام الملك بتوزيع الغنائم على أتباعه ، وأعطى نصيبًا كبيرًا منها لفتيات البرج ، ثم صرَّح لكل من يريد العودة إلى الدِّيار بالذِّهاب إنْ شاء ، وبصحبة الآخرين توجَّه صوب بلدة كانت تدعى جاندابا ، وكانت توجد بها الملكة وابنتها ، وعن المتعة التى استشعروها جميعًا لا يمكن أنْ يحيط بكنهها أى وصف ، فلكلٍّ واحدٍ أنْ يتصوَّر كيف كانت هذه الفرحة وفق المعطيات التى سبقتها .

الفصل التَّاسع والسِّتون

كيف ركب فرسان الأفاعى السَّفينة متوجهين إلى مملكتهم جاولا ، وجاءتهم الظروف غير مواتية فألقت بهم فى مكان تقاذفتهم فيه مخاطر شديدة فى قبضة أركالاوس السَّاحر ، وكيف أنَّهم حين رحلوا عن هناك ، استقلوا سفينةً وسلكوا طريقهم ثانيةً ، و ربما كان السَّيد جالاوْر ونورانديل قد سلكا الطَّريق نفسه بحثًا عن مغامرات ، فضلا عما حدث لهم أكثر من ذلك .

ارتاح الملك بيريون وولداه بضعة أيام فى تلك الغابة ، ولما أن رأوا الجو مناسبًا ومهيأً نزلوا البحر فى قاربهم ، ظنًّا منهم أنَّهم سيصلون إلى جاولا بعد مدَّةٍ وجيزةٍ . غير أنَّه قد أتت الرِّياح بما لا تشتهى السُّفن ، فقد هبَّت ريح عاتية هاج البحر على أثرها ، مما اضطرهم للعودة مرَّةً أخرى إلى بريطانيا العظمى ، ليس إلى المكان الذى نزلوا به من قبل ، ولكن إلى آخر أبعد منه. استوى القارب بهم على طرف جبل يلامس البحر بعد خمسة أيَّام من العواصف، أخرجوا جيادهم وأسلحتهم ، كى يتمكَّنوا من السَّير فى هذه الأرض ، حتى يهدأ البحر مرَّةً أخرى وتهب رياح مواتية ، وقام رجالهم بإدخال ماء عذب إلى القارب حيث كانوا فى حاجة إليه . ولمَّا تناولوا طعامهم حملوا أسلحتهم وامتطوا جيادهم وساروا فى مناكب هذه الدِّيار آملين فى معرفة أىِّ مكان نزلوا، ثمَّ أمروا رجال القارب أنْ يبقوا به فى انتظار عودتهم . حملوا معهم ثلاثةً من حملة السِّلاح ، غير أنَّ جندالين لم يكن بينهم ، لأنَّه كان معروفًا جدا .

هكذا – كما ترون – صعدوا جميعًا إلى أحد الأودية فوجدوا فوقه سهلاً ، وما طال بهم المسير بين جنباته حتى عثروا على فتاةٍ بالقرب من نبع ماءٍ تسقى جوادها وقد ارتدت أحسن الثِّياب ، وفوق ثيابها ترتدى معطفًا قرمزيا يربط بإبزيم من الذَّهب ، وبرفقتها حامل سلاح وفتاتان تحملان كلابا وصقوراً كانت تستخدمها فى الصَّيد ، ولما أن رأتهم عرفتهم بأسلحتهم ذات العلامات المعروفة ، رسومات الأفاعى ، وأبدت سعادة غامرة تجاهم ، وأدَّت التَّحية فى تواضع جم وأشارت عليهم بأنها خرساء وبدت لهم فى غاية الجمال وحزنوا لكونها خرساء . اقتربت من صاحب الخوذة الذهبية وعانقته وأرادت أنْ تقبل يديه ، بعد أن ظلت على هذا الحال برهة من الزَّمن وجهت إليهم الدعوة كى ينزلوا ضيوفًا عليها فى قلعتها تلك الليلة ، لكنَّهم لم يفهموها ، فأشارت إلى حاملى سلاحها كى يفهموهم ما تريد ، ففعلوا . وحين رأوا منها تلك النِّية الطَّيِّبة ، وأن الوقت قد تأخَّر بهم ، ذهبوا معها إلى قلعتها آمنين ، وما طال بهم المسير حتى بلغوا قلعةً جميلةً ، ورأوا الفتاة ثرية ، فهى سيدة هذه القلعة ، ولما دخلوها استقبلهم أهلها بكلِّ ترحابٍ ، خاصةً السَّيدات والفتيات ، حيث كان الجميع يعامل الفتاة البكماء معاملة السَّيدة . وبعد ذلك أخذوا منهم جيادهم ، وأدخلوهم إلى غرفة فاخرة للغاية ، وأمروهم بأن ينزعوا عنهم أسلحتهم وأحضروا إليهم جلابيب يتدثرون بها ، وبينما كانوا يتحدَّثون إلى البكماء والفتيات الأخريات أتوا إليهم بالعشاء ، وأجزلوا لهم فى العطاء والخدمة. ثم انصرفت الفتيات إلى مخادعهن ، وما تأخَّر بهنَّ الوقت حتى عُدن مرةً أخرى يحملن عدداً كبير من المشاعل والأدوات التى تضفى على الضُّيوف كلَّ سعادةٍ وغبطةٍ ، وحين أتى وقت النَّوم تركنهم وانصرفن .

كانت غرفة الضُّيوف مزودةً بثلاثة أسرة فاخرة أمرت الفتاة البكماء بإعدادها ، وأمرت بوضع أسلحتهم بالقرب من كلِّ سرير . ناموا جميعًا وخلدوا إلى الرَّاحة التَّامة كما لو كانوا قد ساروا يومهم متعبين فى العمل الممل والمضجر ، ورغم أنَّ أرواحهم قد استراحت وسكنت ، فإن حياتهم لم تهدأ ، نظرا للفخ الخطر الذى تعرَّضوا له ، والذى يمكن مقارنته بأمور الدُّنيا، فلكم أنْ تعرفوا أنَّ هذه الغرفة قد صنعت بفن خادع للغاية ، فقد كانت تبنى كلها على عمود واحد من الحديد على شكل حلزونى معشق فى

آخر الخشب بوسط الغرفة ، وكان من الممكن رفعه وخفضه من أسفل ، وبه عتلةٌ حديديةٌ حول محيطه ، حيث يبدو للغرفة حائط . وهكذا حين استيقظوا فى الصَّباح وجدوا أنفسهم على أرضية انخفضت عشرين ذراعًا عن ارتفاع الغرفة حين دخلوها آنفا .

بمقدورنا أن نعقد مقارنةً بين هذه الفتاة الخرساء الجميلة ، والدُّنيا التى نعيش فيها، والتى تبدو جميلة بلا فمٍ ولا لسانٍ ، حين تثير فرحنا وتملقنا وتدعونا إلى كثير من المتع والملذَّات ، الأمر الذى يجعلنا ، دون ريبة تذكر ، نتبعها فنتعانق ، ونتمنى من ذاكرتنا كلَّ تلك الهموم والكروب التى بسبب استلهامها تتمثَّل لنا بعد أنْ تتبعناها وتعاملنا معها ، علينا أنْ نخلد إلى النَّوم الهادئ، وحين نستيقظ ، بعد أنْ نكون قد انتقلنا من الحياة إلى الموت – مع أنَّ الأحق أنْ نقول من الموت إلى الحياة ، لدوامها – سنجد أنفسنا فى عمق سحيق بعد أن تنحسر عنا تلك الرَّحمة الكبرى من قِبَلِ ربنا ، وعند ذلك لن يبقى لنا من خلاص يذكر ، وإذا ما كان هؤلاء الفرسان قد حازوه ، فهذا لأنَّهم لا يزالون على قيد الحياة هذه، حيث لا يحل لشرير ما أو مخطئٍ أنْ يفقد الأمل فى العفو والمغفرة ، وذلك فور أنْ يتخلَّى عن الأعمال السَّيئة ويسير فى سبيل ذلك الرَّب القادر على العفو والمغفرة ..

بالعودة إلى أولئك الفرسان الثَّلاثة ، فإنهم حين استيقظوا ولم يرقبوا أية علامة على تغيير طريقهم ، وشعروا بأن أهل القلعة يسيرون فوقهم تعجبوا لذلك كثيرًا ، ونهضوا من فراشهم، وبدأوا يتحسَّسون الأبواب والنَّوافذ ، فوجدوها ، وبمجرَّد أنْ مدُّوا أيديهم من خلالها اصطدمت بسور القلعة . وهكذا تأكدُّوا من أنَّه قد غُرِّر بهم .

استشعروا حزنًا شديدًا لوجودهم فى هذا المأزق الخطر ، وهنا ظهر فى إحدى نوافذ الحجرة فارسٌ عملاقٌ ومفتول العضلات ، له وجه مخيفٌ ، وبلحيته ورأسه شعر أبيض يفوق بكثير ما بهما من سواد ، يرتدى ثياب المبارزة أو النِّزال ، وبيده اليمنى قفازٌ من القماش الأبيض يصل حتى مرفقه ، وقد قال بصوتٍ عالٍ :

– من هناك بالدَّاخل ؟ فما نزلتهم أهلا ، فتبعًا للحزن الشَّديد الذى سببتموه لى سيكون جزاؤكم – وخير الجزاء هو – الموت المغلَّف بالقسوة والغصة ، وهذا

كله لا يكفى ولا يشفى غليلى ، وفقًا لما لقيته منكم فى تلك المعركة التى اشترك فيها ذلك الملك المزيف ليسوارتى . اعلموا أنَّنى أنا أركالاوس السَّاحر ، وإذا لم تكونوا قد رأيتمونى قط فالآن ستعرفوننى ، فما أفلت أحدٌ من عقابى قط سوى واحد ما زلت آمل أن أجده بينكم ، ثم أقطع يديه نظير هذه التى قطعها لى قبل أنْ يدركنى الموت ، وهنا قالت الفتاة التى كانت على مقربةٍ منه :

- أيُّها الرَّجل الطَّيِّب ، ذلك الفتى الواقف هناك هو صاحب الخوذة الذَّهبية .

ومدَّ يده صوب أماديس .

وحين رأوا أنَّ ذلك الذى يحدِّثهم هو أركالاوس انتابهم خوفٌ شديدٌ ، وتعجَّبوا كلَّ العجب حين شاهدوا الفتاة البكماء التى جاءت بهم إلى هذا المكان تتكلم بطلاقةٍ ، ولتعلموا أن هذه الفتاة تسمى ديناردا ، وكانت ابنة لأردان كابينيليو ، وكانت تتمتَّع بذكاءٍ ودهاءٍ فى الشَّر ، وقد أتت هذه الدِّيار كى تدبِّر أمر قتل أماديس بأيَّة طريقة ، ولهذا تصنَّعت البكم .

قال لهم أركالاوس :

- أيُّها الفرسان ، سآمر الآن بأنْ تقطع رقابكم أمامى ، وسوف أرسل بها إلى الملك أرابيجو تعويضًا عن بعض الأذى الذى سببتموه له .

ثم ابتعد عن النَّافذة ، وأمر بإغلاقها ، فأصبحت الحجرةُ معتمةً حتى لم يعد أحدهم يرى الآخر .

وهنا قال لهم الملك بيريون :

- أبنائى الأعزاء ، هذا الظَّرف الذى نمرُّ به إنَّما هو دليلٌ قاطعٌ على تبدل الأقدار . فمن ذا الذى كان بمقدوره أنْ يفكِّر فى أنَّه بعد أن نجونا من تلك المعركة التى شارك فيها العديد من الفرسان ، والتى أحاطتنا فيها مخاطر جمَّة وحققنا فيها شهرةً واسعةً ومجدًا عظيمًا ، تخدعنا فتاةٌ ضعيفةٌ لا تتكلَّم بهذه الصورة !

ومن العجيب جدا أمر أولئك الذين يضاعفون الأمل فى تلك الأمور الدُنيوية الفانية دون أنْ يرد على أذهانهم أنَّها قليلة القيمة وينبغى على الإنسان أن يعدها تافهةً . ولكن فى حالتنا نحن ، بعد أنْ خضنا تجارب عديدة تحققنا من خلالها من هذا الأمر ، لا يجب أن يبدو لنا ما حدث أمراً غريبًا ولا خطيرًا ، إذ إن وظيفتنا الأساسية هى البحث عن المغامرات ، ولهذا فعلينا أنْ نتقبل الخير والشَّر على حد سواء ، وأنْ نكرِّس كلَّ جهودنا من أجل تغييرها ، وما عدا ذلك ، وعندما لا تقوى جهودنا على القيام بشىءٍ ، فلنسلم أمرنا إلى الله العلى القادر على كل شىء . وهكذا ، فيا أبنائى ، لندع جانبًا ذلك الضَّرر الذى تسببه لنا البشرية لكونكما منِّى وأنا منكما ، ولنطلب الخروج من هذا المأزق لكوننا فى سبيل الله .

أما ابناه فقد أصبحا يقدِّران رأفة الأبِّ على ما هم فيه من خطر وإهانة ، وحين أحسَّا فيه تلك القوة العظيمة سعدا كثيراً ، وركعا أمامه ثم قبلا يديه ، وأخذ هو الآخر يباركهما . وهكذا – كما ترون – فقد أمضوا ذلك اليوم بلا طعام أو شراب . وبعد أنْ تناول أركالاوس عشاءه وأمضى قطعًا من الليل أتى إلى النَّافذة حيث يوجدون حاملاً فى يده فأسين ماضيتين ، وكانت معه ديناردا ورجلان عجوزان ، ثم أمر بفتح النَّافذة قائلاً :

– أنتم ، أيُّها الفرسان القابعون هناك ، أريد أن تأكلوا إنْ شئتم .

– بكلِّ سرور – قال فلوريستان – إذا ما أمرت بإحضاره لنا .

قال أوركالاوس :

– لو كانت هذه رغبتى فلينزعها الله منِّى ، ولكن حتى لا تيأسوا من كلِّ شىءٍ فبدل الطعام أريد أن أزفَّ إليكم بعض البشارات . اعلموا أنَّه قد أتى الآن إلى باب القلعة اثنان من حملة السِّلاح وقزمٌ يسألون عن فرسان أسلحة الأفاعى ، فأمرت بأسرهم وإيداعهم السِّجن أسفل منكم ، ومنهم سأعرف غداً من أنتم ، وإلا فسوف أقطِّعهم إربًا إربًا .

اعلموا أنَّ ما قال لهم أركالاوس هو عين الحقيقة ، فحين رأى المكلفون بالبقاء عند القارب أنَّهم قد تأخروا وأن الوقت قد أصبح مواتيًا للرحيل عبر البحر ، رأوا أن يخرج للبحث عنهم كلٌّ من جندالين والقزم وأورفيو، ضابط الإيواء لدى الملك، وقد أودعوا السجن كما قيل.

جاءت هذه الأخبار ثقيلة على أسماع الملك وابنيه ، لأنَّها كانت فى غاية الخطورة . وهنا رد أماديس على أركالاوس قائلاً :

- حسنا ، فهو أنا المقصود بعد أن تعرف من نحن ، ولن تؤذونا أكثر مما آذيتمونا من قبل ، لأنَّه لكونك فارسًا وتعرضك لأمور شتَّى فى الحياة لن يسوءك ما قمنا به من مساعدة أصدقائنا دونما بشاعة تذكر ، وقد كنا سنفعل مثل هذا الأمر لو كنا من أتباعك ، وإذا ما كان ذلك أمرًا طيِّبًا منَّا فمن حقنا أنْ نكرَّم ونمُجَّد ، وهانحن نلقى عكس ما كان يحدث لنا داخل المعركة ، وحين تأسرنا وتعاملنا بهذه الطَّريقة فإن هذا ليس من حسن الأدب والمجاملة .

- من ذا الذى ينازعكم هذا الأمر الذى تقولون ؟ - قال أركالاوس - إنَّ الشَّرف الذى سأهبكم إيَّاه سيكون ذلك الشَّرف الذى سأقدمه لأماديس دى جاولا إذا ما عثرت عليه بينكم ، فهو أسوأ من أبغضه فى هذا الكون ، وأكثر من أودُّ الانتقام منه .

وهنا قالت ديناردا :

- عمِّى ، بما أنَّك سوف ترسل بروس هؤلاء إلى الملك أرابيجو ، فلا عليك أنْ تقتلهم جوعًا ، أبق عليهم أحياء حتى تكون معاناتهم أكثر .

- بما أنَّك ترين الأمر على هذا النَّحو ، يا ابنة أخى - قال أركالاوس- فسوف أفعل ما تأمرين به .

ثم قال لهم حينذاك :

- أيُّها الفرسان ، أخبرونى بالله عليكم ما الذى يشقُّ عليكم أكثر ، الجوع أم العطش؟

– إذا كان لنا أنْ نقول الحقيقة –قالوا– فرغم أن الأكل أنسب ، فإن العطش هو الذى يشق علينا أكثر .

– إذنْ – قال أركالاوس لإحدى الفتيات – يا ابنة أخى ، ألق إليهم بفطيرة محشوة بشحم الخنزير ، حتى لا يقولوا إننى لم ألب حاجاتهم .

ثم انصرف عن مكانه والآخرون معه . شاهدت الفتاة جمال أماديس ، ولعلمها بالأعاجيب التى فعلها فى أرض المعركة ، فقد حركتها الشّفقة عليه وعلى الآخرين ، ثم وضعت فى سلّةٍ جرّة ماءٍ وجرّة خمرٍ فضلاً عن الفطيرة ، علقتها بحبل ثم أدلت بها إليهم قائلة :

– خذوا هذه ، وحافظوا على هذا السّرّ ، وإذا كان بوسعى فلن يصيبكم هنا سوءٌ .

شكرها أماديس كثيرًا ، ثم انصرفت . تناولوا عشاءهم ثم ناموا كل فى سريره ، ثم أمروا حاملى أسلحتهم الذين كانوا معهم بأن يضعوا الأسلحة فى مكان حيث يمكنهم الحصول عليها بأسرع وقت ، فإذا لم يكن قد قدر لهم الموت جوعًا فعليهم أن يدافعوا عن أنفسهم من أجل البقاء .

تمّ إيداع جندالين والقزم وأورفيو السجن الذى يوجد أسفل الطّابق الذى يوجد به أسيادهم وتقابلوا هناك مع سيدةٍ وفارسين ، أحدهما تزوّجها منذ بضعة أيام ، والآخر ابنها ، فى عمر الشّباب ، وقد مضى عليهم فى هذا المكان ما يقرب من عام ، دار حوار بين الطّرفين صرح فيه جندالين بأنّهم قد أتوا بحثًا عن الفرسان الثّلاثة أصحاب الأسلحة المزينة برسومات الأفاعى ، لكنهم قد وقعوا فى هذا الأسر :

– يا الله ! – قال الفارس – اعلموا أنّ هؤلاء الفرسان قد أتوا إلى هذه القلعة وأحسن أهلها وفادتهم ، ولما أخلدوا إلى النّوم دخل إلى هنا أربعة رجال ، وبهذه العتلة الحديدية التى ترون هنا أنزلوا هذا الطّابق من القلعة ، وهكذا حاقت بهم خيانة القوم . وهنا أدرك جندالين بفطنته أنّ سيده ومن معه يوجدون بهذا المكان ، فضلاً عن الخطر الشّديد المحيط بهم هنا والذى يودى بحياتهم ، ثم قال :

- بما أنَّ الأمر على هذا النَّحو ، وأنَّهم فوقنا ، ولن ننجو نحن ولا هم قط من هذا المكان، فاعلموا أنَّهم إذا نجوا فسوف يطلق سراحنا أيضاً .

وهنا قام الفارس وابنه من ناحية ، وجندالين وأورفيو من ناحية أخرى ، بتدوير عتلة التَّحويل حتى أصبح أسفل المكان عاليه. وهنا نجد أنَّ الملك بيريون الذى لم يكن قد نام بعد، لقلقه على ولديه أكثر منه على نفسه ، شعر بالأمر بعد ذلك ثم أيقظهما قائلاً لهما :

- انظرا إنَّ الطَّابق يرتفع ، ولا أدرى سبباً لذلك .

قال أماديس :

- أيًا كان السَّبب ، فهناك فارقٌ كبيرٌ بين أنْ نموت فرساناً وأن نموت لصوصاً .

وبعد ذلك نهضوا من أسرتهم ، وأمروا حاملى أسلحتهم بأنْ يلبسوهم إيَّاها ، وانتظروا ليروا ما هذا الذى يحدث . غير أنَّ الطَّابق ظلَّ يرتفع ، بعد جهد جهيد من جانب من قاموا برفعه ، كان يتحتم عليهم القيام به ، وكان الملك بيريون وولداه يقفون عند الباب ، وقد شاهدوا النُّور عبر الألواح وعرفوا أنَّهم قد دخلوا من ذلك المكان ، فتعلَّقوا به ثلاثتهم بكل قوة فأطاحوا به ، وخرجوا إلى السور بكل شجاعةٍ وبسالةٍ حيث كانت الأنوار مشعلةً ، فكان أمراً عجيباً ؛ ثم أعملوا سيوفهم فى كل من اعترض طريقهم ففريقاً قتلوا وفريقاً أزاحوه عن طريقهم قائلين :

- جاولا ، جاولا ، القلعة لنا.

وحين سمع أركالاوس ذلك فزع فزعاً شديداً ، وظنَّ أنَّ ذلك قد وقع نتيجة خيانة من أحد أتباعه ، الذى أتى بأعدائه إلى هناك ، ففرَّ عارياً إلى أحد الأبراج وحمل معه السلَّم المتحرِّك ؛ ولم يكن يخشى المسجونين ، فقد كانوا فى مأمنٍ كما يعتقد . أطلَّ من النَّافذة فرأى الفرسان أصحاب الأسلحة المزينة برسومات الأفاعى يسيرون عبر جنبات القلعة فى سرعةٍ عجيبةٍ ؛ ورغم أنَّه قد عرفهم فإنه لم يتجرأ على الخروج والنُّزول إليهم ، غير أنَّه قد رفع صوته منادياً على أتباعه بألا يخشوهم ، فما هم إلا ثلاثة رجالٍ. وهنا

بدأ بعض رجاله القابعين أسفل القلعة يحملون أسلحتهم ، غير أنَّ الفرسان الثَّلاثة ، الذين أزاحوا المشاعل عن السُّور ، نزلوا إليهم بعد أنْ سمعوهم ، وفى أقلَّ من ساعةٍ أجهزوا عليهم بين قتلى وجرحى ، فما بقى منهم أحدٌ يقوى على مقاومتهم . وأمَّا الذين كانوا فى السِّجن ، فبعد أنْ سمعوا ما جرى نادوا على الموجودين حتى ينقذوهم . عرف أماديس صوت قزمه ، فقد تملَّك القزم والسَّيدة خوفٌ كبير ، وتوجَّهوا جميعا إليهم لينقذوهم ؛ وهكذا فعلوا . بعد أنْ فكُّوا قيودهم وفتحوا الباب لينطلق منه جميع السُّجناء ، همُّوا بالبحث فى الأماكن المطلَّة على فناء القلعة فوجدوا جيادهم وجياد أسيادهم ، وجواد ديناردا للسَّيدة ، فأخرجوهم جميعًا إلى خارج القلعة ؛ وحين أصبحوا على صهوات جيادهم أمر الملك بيريون بإشعال النَّار فى الغرف السفلى من القلعة فاشتعلت وأصبح كلُّ شيءٍ كاللهب المستعر ؛ كانت النَّار فى غاية القوة بحيث بلغت البرج . وهنا قال القزم بصوتٍ عالٍ :

– سيدى أركالاوس ، استقبل بكل هدوءٍ وصبرٍ هذا الدخان ، كما فعلت أنا يوم أنْ علقتنى من ساقى حين سحرت سيدى أماديس .

تفاخر الملك كثيراً بهذا الاستهزاء من جانب القزم تجاه أركالاوس ، وضحك الجميع حين رأوا أنَّ هذه هى نهاية شجاعته . ثم أخذوا طريقهم الذى أتوا منه صوب القارب ، وما إن صعدوا منطقة جبليةً حتى رأوا اللهب المستعر يقذف بشرره من القلعة ، وسمعوا الأصوات تنطلق من حناجر أولئك الذين كانوا يمرحون ويتمتَّعون بها . هكذا تابعوا سيرهم حتى أصبحوا فى قمة الجبل . وحين بزغ نور الصَّباح ونظروا فرأوا قاربهم أسفل الجبل على مقربة من الشَّاطئ توجَّهوا إليه ، ثمَّ دخلوه حتى ينزعوا عنهم أسلحتهم ويستريحوا . وحين رأت السَّيدة الملك قد نزع سلاحه عنه ذهبت إليه وركعت أمامه فعرفها ، ثم رفعها بيديه معانقًا إيَّاها وعلامات السَّعادة ترتسم على وجه ، فقد أحبها كثيراً ، ثم قالت السَّيدة للملك :

– سيدى ، مَنْ مِنْ هؤلاء أماديس ؟

قال لها :

- هو ذاك الذى يرتدى رداءً أخضر .

وعند ذلك توجَّهت نحوه ، أدَّت إليه التَّحية وأرادت أنْ تقبِّل يديه ، غير أنَّه رفعهما واعتراه خجلٌ شديدٌ لما فعلته . عرَّفته السَّيدة بنفسها ، فقالت له إنَّها تلك السَّيدة التى ألقت به فى البحر آنذاك . قال أماديس لها :

- أيَّتُها السَّيدة ، الآن عرفت ما لم أعرفه قط ، فعلى الرَّغم من أنَّنى علمت من سيدى جنداليس أنَّه قد عثر على فى مياه البحر ، فإننى لم أعرف سبب ذلك ، وأنا أعفو عمَّا ارتكبته من خطأ فى حقِّى ، حيث إنَّ ما قمت بعمله كان من أجل تلك التى أخصص حياتى كلها لخدمتها .

سعد الملك كثيراً بالحديث عن تلك الأيَّام ، وظلَّ يضحك معهم مدَّةً طويلةً ، وساروا فى طريقهم بالبحر فرحين بمغامرتهم ، حتى بلغوا مملكة جاولا .

أمَّا أركالاوس فقد ظلَّ - كما سمعتم - داخل البرج عاريًا ، حيث فرَّ هاربًا إلى هذا المكان ، وبما أنَّ النيران قد اقتربت من الباب ، لم يتمكَّن من النُّزول . كان الدُّخان والحرُّ شديدين حتى لم يكن بوسعه أيَّة وسيلة للخروج من هذا المأزق ، ورغم أنَّه قد دخل إلى قبو ؛ فإن الدُّخان كان هناك فى غاية الكثافة فخنقه ، وظلَّ هكذا على مدى يومين فما استطاع أحدُ الدُّخول إلى القلعة ، حيث زادت حدة النِّيران. غير أنَّهم فى اليوم الثَّالث تمكَّنوا من الدُّخول وصعدوا البرج فوجدوا أركالاوس فاقد الوعى وعلى وشك أن تفارق روحه جسده ، ألقوا عليه الماء فعاد إلى وعيه ، وقد كلَّفهم ذلك جهداً جهيداً . حملوه بين سواعدهم إلى البلدة ؛ ولما رأى القلعة تحترق وكلَّ شىءٍ مدمرًا ، قال وهو يتنفس الصُّعداء والألم يعتصر قلبه :

- آه ، يا أماديس دى جاولا ، يا للأذى الذى لحق بى بسببك ! لو تمكَّنت منك لأعملت فيك كلَّ قسوةٍ حتى أنتقم لقلبى الذى أوذى كثيراً بسببك ، ومن أجلك أقسم أننى لن أدع أبداً أىَّ فارس يقع فى يدىَّ حيا ، بحيث إذا ما وقعت فى يدىَّ فلن تفلت منهما كما فعلت الآن .

ظلَّ طيلة أربعة أيام فى المحلة للنقاهة والرَّاحة ؛ ثم خرج بعد ذلك على محفَّةٍ فى حراسة سبعة فرسانٍ ، ورحل إلى قلعته "مونتى الدين" ، ومعه ديناردا ، سيدة الحسن والجمال ، وفتاة أخرى. باتوا ليلتهم فى منزل صديقٍ له ، وفى اليوم التَّالى كان من الضَّرورى أنْ يصل إلى قلعته ؛ ولمَّا أن أمضى ثلثى اليوم سائراً فى طريقه رأوا عند سفح الغابة فارسين بالقرب من نبع ماءٍ يمرحون ، وكانا مدجَّجين بالسِّلاح ، ولهما جوادان فى غاية الزِّينة . ولما رأوا المحفَّة والفرسان انتظروا ليروا ماذا يجرى هناك ، والحال هكذا وصلت ديناردا إلى أركالاوس، وقالت له :

- عمِّى الطَّيِّب ، أترى هذين الفارسين الغريبين هناك ؟

رفع أركالاوس رأسه ، ولمَّا أنْ رآهم نادى على أصحابه قائلاً :

- خذوا أسلحتكم وأحضروا لى هذين الفارسين دون أنْ تخبروهما من أنا ؛ وإذا قاوما أو امتنعا ، فأتونى برأسيهما .

واعلموا أنَّ الفارسين كانا جالاؤر ورفيقه نورانديل ، وطلب منهما فرسان أركالاوس، عندما بلغوهما ، أنْ يلقيا أسلحتهما ويذهبا معهم لمقابلة صاحب المحفَّة وفق أوامره.

- باسم الله - قال جالاؤر- ومن هذا الذى يأمر بهذا ، وماذا يهمه إذا ما ذهبنا إليه مسلَّحين أو غير مسلَّحين ؟

- لا ندرى - قال الفرسان - ومن الأفضل أنْ تنفِّذوا الأمر، وإلا حملنا رأسيكما معنا .

- لم نصل إلى هذا الحد بعد - قال نورانديل- حتى يصبح فى مقدوركم عمل ما تقولون .

- الآن سترون ما نقول - قال الفرسان .

اشتبك الطَّرفان ، ومنذ بداية اللقاء وقع اثنان منهم جرحى أو موتى ، غير أنَّ الآخرين قد صوَّبوا إليهما رماحهم ولكن دون أنْ يحركوهما من فوق جواديهما ؛ وبعد

ذلك أمسكوا بسيوفهم ودارت بين الطَّرفين معركةٌ حامية الوطيس ، غير أنَّه في نهاية المعركة هُزِمَ الثَّلاثةُ الباقون وأثخنوا بالجراح ، وأمَّا الفارسان اللذان بقيا على قيد الحياة فما استطاعا الصَّبر على تلك الضَّربات القاتلة الموجَّهة إليهما ، فهرعا مسرعين على جواديهما بين جنبات الغابة . وقف الرَّفيقان ولم يتبعاهما ، وذهبا ليريا من عساه أنْ يكون صاحب المحفَّة ؛ وحين وصلا إلى هناك فرَّ من أمامهما كلُّ من كان في صحبة أركالاوس إلا فارسين ظلا على متن جواديهما ؛ رفعا الرَّاية ثمَّ قالا :

– أيُّها السيد الفارس لعنك الله ، أهكذا تعامل الفرسان الذين يسيرون آمنين في الطَّريق؟ لو أنَّك أتيت مسلحًا لأريناك كيف أنَّك إنسانٌ شريرٌ ومزيفٌ عند الله والنَّاس أجمعين ؛ ولكن بما أنَّك مريضٌ ، فسوف نرسل إلى السَّيد جروميدان ليحكم عليك بالعقوبة التي تستحقها .

وحين سمع أركالاوس هذا الكلام فزع فزعًا شديدًا ، لأنَّ السَّيد جروميدان لو رآه لأصبح مصرعه وشيكًا ، ولأنَّه كان فطنا وذكيا في الأمور كلِّها ، أجاب وقد ارتسمت البشاشة على محيَّاه ، وقال :

– نعم سيدي ، فإن أرسلتني إلى السَّيد جروميدان ، ابن عمي وسيدي ، فمعنى ذلك أنَّك صنعت بي معروفًا ، فهو يعلم جيدًا شري وطيبتي ، لكنَّني أجدني من المغضوب عليهم حين أندب حظي من غير حق ، وما أفكرُ في شيء سوى أن أكون في خدمة كل الفرسان الجوَّالين ، وأرجوكما ، سيديَّ ، أنْ تتفضلا وتسمعا ما أقصُّه عليكما عن حظي وبعد ذلك لكما أنْ تفعلا بي ما تشاءان .

ولما أنْ سمعاه يقول إنَّه ابن عم السَّيد جروميدان ، الذي يحبَّانه حبا جما ، أحزنهما ما قالاه له من ألفاظ جارحةٍ ، ثم قالا له :

– الآن قل ما شئت ، فنحن ننصت إليك بارتياحٍ .

قال لهما :

– اعلما ، سيداي ، أنني كنت سائرًا على متن جوادي ذات يوم ومعي سلاحي بين جنبات غابة البحيرة السَّوداء ، حيث وجدت بها امرأةً تشكو من مظلمةٍ

لها عند بعض النَّاس ؛ وقد ذهبت معها وأعدت إليها حقها أمام الكونت جونثيستري . ولما أنْ سلكت طريقي عائدًا إلى قلعتي ، لم يطل بي المسير حتى التقيت بذلك الفارس الذي قتلته هناك - لعنه الله ، فقد كان رجلاً شريرًا - وبرفقته فارسان آخران . ولأن تلك القلعة كانت ملكي فقد هاجمني ؛ وحين رأيت هذا الأمر أعددت رمحي وتوجَّهت صوبهم ، جمعت قواي ، ودافعت عن نفسي دفاعًا مريرًا ، لكنَّني هُزمت وأسرتُ وحبسني في قلعته مدة عام ، وإذا كان له أيُّ فضلٍ عليَّ فقد اقتصر ذلك على علاجي من هذه القروح .

وهنا كشف لهما عن جروحه ليريهما إيَّاها . كانت كثيرةً ، فقد كان فارسًا شجاعًا سدَّد العديد من الضَّربات وتلقى مثلها .

- وحين تملَّك اليأس منِّي توصلت إلى اتفاق معه بأنْ أخرج من الحبس حتى أسلمه القلعة ، ولكنَّني كنت منهكًا وما أمكن له إلا أنْ يحضرني في هذه المحفَّة . وقد كنت أرى في نفسي ضرورة الذِّهاب إلى دون جروميدان ، ابن عمي ، وإلى الملك ليسوارتي ، سيدي ، فأطالب بحقي من ذلك الخائن الذي سرقني. وعليه ، سيداي ، فأنتم قد حكمتم في الموضوع بشكل أفضل مما فكرت فيه ، وإذا لم أجد هناك حلا لقضيتي فسأبحث عن أماديس دي جاولا وأخيه جالاؤر ، وأطلب منهما أنْ يرفقا بي ، ويجدا حلا لأمري كما يفعلان مع الذين يقصدونهما حينما يلمُّ بهم خطــرٌ داهــمٌ . وأحيطكما علمًا بأنَّ سبب مهاجمة أولئك الخونة لكم هو ألا تعرفا منِّي من أين أتيت على هذه المحفَّة ، والسَّبب هو ما ذكرته لكما .

وحين سمعا ذلك منه اعتقدا صحته تمامًا ، وطلبا منه العفو لما بدر منهما من كلمات نابية ، ثم سألاه عن اسمه ، قال لهما :

- ينادونني بجرانفيليس ، لا أدرى هل سمعتما عنِّي ؟

- نعم سمعت عنك - قال جالاؤر- وأعلم أنَّك تقوم بتكريم الفرسان الجوَّالين ، وفقًا لما قاله لي ابن عمك .

- الحمد لله - قال - أنكما تعرفاني لهذا الأمر ، وبما أنكما عرفتما اسمي ، فأرجوكما أنْ تنزعا عنكما خوذتيكما وتخبراني ما اسمكما .

قال له جالاوْر :

- اعلم أنَّ هذا الفارس يدعى نوراندیل، وهو ابن الملك ليسوارتي ، وأنا أدعى جالاوْر شقيق أماديس، ثم نزعا خوذتيهما .

- الحمد لله - قال أركالاوس- أنْ أتى هذان الفارسان لنجدتي .

أطال النظر إلى جالاوْر حتى يعرفه، لكي يلحق به الأذى إذا مكَّنه القدر من ذلك ، وقال :

- لدي ثقة في الله ، سيداي ، أن يأتي ذلك الوقت الذي يضعكما القدر في المكان الذي يمكن أنْ تتحقَّق فيه أمانيكم ، وأتوسل إليكما أنْ تخبراني ماذا أفعل .

- لك ما تريد - قالا.

قال :

- أودُّ مواصلة السَّير حتى أصل إلى قلعتي .

- ليكن الله في عونك - قالا .

وهكذا رحل حين جن عليه الليل البهيم ، وبعد مدة ظهر ضوء القمر السَّاطع ، ولما كان عليه أن يجتاز منحدرًا فقد ترك ذلك الطَّريق وسلك آخر مجهولاً كان يعرفه جيداً . وأمَّا الفارسان فقد قرَّرا ، بعد أنْ حل عليهما التَّعب وأقبل الليل ووجدا جواديهما مجهدين ، الخلود إلى الرَّاحة بالقرب من هذا النَّبع .

- إذا وافقتم على هذا الرَّأي - قال حامل سلاح السَّيد جالاوْر - فسوف يعدُّ لكما نزلاً أفضل ممَّا تتخيَّلانه .

- وكيف ذلك ؟ قال نوراندیل .

- اعلما - قال حامل السِّلاح - أنَّ فى ذلك المبنى القديم القائم بين أشجار العوسج قد اختفت فتاتان كانتا ترافقان ذلك الفارس الذى أتى محمولاً على محفَّةٍ .

وحينئذٍ ترجَّلا أمام النَّبع وغسلا وجهيهما وأيديهما، وتوجَّها إلى حيث توجد الفتاتان ودخلا فى أماكن ضيقة ، وقال السَّيد جالاوَر بصوتٍ عالٍ :

- من الذى يختبئ هنا ؟ أعطنى الشعلة هنا لأنَّنى سأضطرهم للخروج.

عندما سمعت ديناردا ذلك انتابها الخوف، وقالت :

- آى ، سيدى الفارس شفقةً سأخرج !

- إذن اخرجى - قال هو- وسأرى من أنتم .

- ساعدونى - قالت هى - لأنَّنى لن أستطيع الخروج بوسيلةٍ أخرى .

اقترب جالاوَر ومدَّ لها ذراعيه اللذين ظهرا فى ضوء القمر ، وأمسكها من يدها وأخرجها من حيث كانت ، فولع بها ولعًا شديدًا حتَّى أنَّها بدت له وكأنه لم ير لها مثيلاً قط ، كانت ترتدى فستانًا قرمزيًا وعباءةً من الحرير والذَّهب ، وأخرج نوراندِيل الأخرى واصطحباهما إلى النَّافورة حيث تناولا فى سرور العشاء ، مما كان حاملوا الدروع قد أحضروه ومما وجدوه على جواد أركالاوس .

كانت ديناردا يستحوذ عليها الخوف أن يكون جالاوَر يعرف مثلها أنَّها هى التى أدخلت والده وأشقَّاءه السِّجن ، وكانت لديها الرَّغبة فى أنْ يُتيم بها وأنْ يقع فى بحبها ، ويكفى حينذاك أنَّها لم تمنحه لأحد من قبل ، ولذلك كانت تنظر إليه دائمًا بعينين مغرمتين، وكانت تقوم ببعض الإيماءات لوصيفتها تمتدح فيها جماله الفتَّان ، كان كلُّ ذلك وهى تمعن التَّفكير فى أنه لو حدث هذا فلن يبدو لها سيئًا ما تُضمره من سوءٍ ، لكن جالاوَر طبقًا لحيله وإربه لم يكن يفكِّر فى تلك الحالة إلاَّ أنْ يتخذها صديقةً فقط ، لم يتوان فى أنْ يعرف منها المعلومات الكثيرة التى كانت لديها ، لذلك ذهب مع ديناردا بعد العشاء وترك نوراندِيل مع الوصيفة ، كانا يتحدَّثان بين أشجار الغابة ، كان

يعانقها ، وكانت تضع ذراعها حول عنقه ، وقد أظهرت له كثيراً من الحب وإنْ كانت تمقته وتبغضه كما اعتاد أنْ يفعل البعض ، وربما كان ذلك بدافع الخوف ، أو بدافع الحرص على مصالح أكثر منَ الشرور حيث إنهَّا ، على الرَّغم من أنَّ كثيرين قد أحبُّوها ، فإنها حافظت على شرفها وعفتها واتخذتهم أصدقاء وسيلة للتَّخلص منهم ، وأحبَّت ذلك العدو ضد رغبتها وحظِّها ، وفضَّلته على غيره ، وتحولَّت من وصيفةٍ إلى سيدةٍ مبجَّلة . ظل نوراندنيل مع وصيفتها ، وقد ألحَّ عليها كثيراً كي توليه حبَّها لأنَّه كان متيَّمًا بها ، لكنها قالت له :

– تستطيع بالقوة فرض إرادتك ، لكن إرادتى لن تخضع إذا لم تأمرنى به سيدتى دينااردا .

قال نوراندنيل :

– هل هذه هى دينااردا نجلة أردان كانيليو التى يقولون لنا إنَّها قادمةٌ إلى هذه الأرض استجابة لنصحية أركالاوس السَّاحر لكى تنتقم لمقتل والدها ؟

– لا أدرى سبب قدومها – قالت هى – لكن هذا ما تقولونه لى ، صدقونى حقيقة فطوبى للفارس الذى سيحظى بحبها ؛ فهى امرأةٌ مولعٌ بها الجميع ، ويحبونها أكثر من أية امرأةٍ أخرى . لكن حتى الآن لم يستطع أحد نيل حبها .

وفى تلك الأثناء وصل إليهم جالاؤر ودينااردا اللذان كانا قد تحدَّثا معًا ، وأقول قبل كلِّ شىء إنَّ حزنها كان كبيراً وفاق بكثيرٍ متعته . أخذ نوراندنيل السَّيد جالاؤر على حدةٍ ، وقال له:

– ألا تعرفون من هذه الفتاة ؟

– لا أعرف أكثر ممَّا تعرفون – قال هو .

– إذنْ اعلموا أنَّ هذه دينااردا ، نجلة أردان كانيليو ، تلك التى قالت عنها ابنة عمومتكم مابيليا إنَّها جاءت إلى هذه الأرض بحثًا عن أيَّة حيلة لقتل أماديس .

ظلَّ السَّيد جالاؤر يفكِّر ، وقال :

– لا أعرف شيئًا عن قلبها أكثر مما يبدو من أنَّها تحبُّنى ، ولن أقترف ما يؤذيها مهما كان السَّبب ، إنَّها المرأة – من بين الكثيرات اللاتى رأيتهن – التى أدخلت السُّرور على قلبى ، ولا أريد أنْ تبتعد عنِّى الآن ، وبالنِّسبة لجاولا ، فسأبحث عن وسيلة بشىء من التَّعديل لكى تعفو عن أماديس .

وبينما كانا يتحدَّثان كانت ديناردا مع وصيفتها ، وعرفت كيف أنَّها لا تريد الإصغاء لرجاء ، نورانديل وتوسله وكيف أنَّها كشفتها؛ الأمر الذى أحزنها كثيراً ، وقالت :

– يا صديقتى ، من الواجب التزام الرَّزانة هذه الأيَّام لكى نخفى مقاصدنا ، وإلا أحدق بنا خطرٌ داهمٌ ، أتوسَّل إليك بأنْ تستجيبى لذلك الفارس وتُظهرى له حبا حتى يسنح الوقت المناسب لنرحل عنهم .

قالت :

– سأفعل ذلك .

كان السَّيد جالاؤر ونورانديل يتحدَّثان، ثم عادا إلى الوصيفتين وظلا يتحدَّثان جانبًا من الليل، ويلعبان معهما فى مرحٍ وسرورٍ .

حينئذ أخذ كلُّ واحد منهما فتاته واضطجعا على أسرَّةٍ من العشب قام بإعدادها حاملو الدُّروع ، وناما فقضيا هناك الليلة كلها .

سأل السَّيد جالاؤر حينئذٍ ديناردا عن اسم ذلك الفارس الشِّرير الذى يريدان قتله ، قالت له إنَّها على استعداد لقتله ، وفهم منها أنَّه صاحب المحفَّة أو النَّقالة ، وقالت له :

– كيف لم تعرف عند وصول المحفَّات أو النَّقالات أنَّه أركالاوس ؟ وأنَّ الفرسان الذين قضيتم عليهم كانوا رجاله .

– هل بالتَّأكيد – قال السَّيد جالاؤر – كان ذلك الفارس أركالاوس ؟

– نعم ، حقيقة – قالت هى .

– آه ، يا لمريم العذراء ؟ – قال هو – كيف أفلت من الموت بتلك الحيل الذَّكية !!

عندما سمعت ديناردا بأنَّهم لم يقتلوه كانت أسعد مخلوقٍ فى العالم ، لكنها لم تظهر ذلك ، وقالت:

- كان الوقت مواتيًا لكى أضحِّى بحياتى إنقاذًا لحياته ، لكنى الآن أحبكم ورهن إشارتكم . كنت أودُّ أن يكون قد مات شرَّ ميتةٍ ، لأنَّنى أعرف أنَّه يبغضكم إلى أقصى درجةٍ ، وما يريده لكم ولذريتكم أنَّه يدعو الله بالفناء لكم .

عانقته وأظهرت له كلَّ ما استطاعت من حبٍّ .

هكذا كما تسمعون قضوا تلك الليلة ، وعندما أشرق الصَّباح تسلَّحا بأسلحتهما وأخذا صديقتيهما وحاملى دروعهما الذين كانوا يحملون لهم الأسلحة ، وانطلقوا فى طريق جاولا لكى يتوغَّلوا فى البحر .

وصل أركالاوس إلى قلعته فى منتصف الليل ، وقد استحوذ عليه الخوف والذُّعر من جرَّاء ما قد يحدث له ، فأمر بإغلاق الأبواب وألا يدخل شخصٌ إلا بأمره ، وعزم على أنْ يكون أسوأ مما كان عليه من قبل ، وأنْ يرتكب أسوأ الشُّرور والآثام كما يفعل الأشرار. فهم على الرَّغم من أنَّ الله يريد أن يعفو عنهم فإنهم لا يريدون حتى التَّحرر من السَّلاسل القوية التى كبَّلهم بها العدو الشَّرير ، وسيذهبون بها إلى قاع الجحيم ، كما ينبغى أنْ يسود الاعتقاد بأنَّ هذا الشَّرير كان كذلك .

سار السَّيد جالاؤر ونورانديل وصديقتاهما يومين صوب ميناءٍ لكى يذهبوا إلى جاولا ، وفى اليوم الثَّالث وصلوا إلى القلعة حيث اتفقوا على المبيت فيها . وجدوا الباب مفتوحًا ، فدخلوا فيها دون أنْ يجدوا أىَّ شخصٍ ، وفيما بعد خرج فارسٌ من قصرٍ ، كان صاحب القلعة، وعندما رآهم داخلها تجهَّم محيَّاه من رجاله لأنَّهم تركوا الباب مفتوحًا ، ومع ذلك استقبل الفرسان أعظم استقبالٍ ورحَّب بهم بحفاوة بالغة رغم أنفه ، لأنَّ هذا الفارس كان يدعى أمباديس وكان ابن عم أركالاوس السَّاحر ، وتعرَّف على ديناردا التى هى نجلة شقيقه، وعرف منها أنَّهم أجبروها على المجىء بالقوة ، وبكت معها والدة أمباديس هذا سرا ، وأرادت أنْ تقتلهم ، لكن ديناردا قالت لها :

- لا يخطر ببال حضرتك ولا فى ذهن عمِّى مثل هذا الجنون .

حينئذٍ حكت لها كيف قضوا على الفرسان السَّبعة لأركالاوس وكلَّ ما حدث له، وقالت :

- يا سيدتى ، رحِّبى بهم إنَّهم فرسانٌ مضطرون ، وفى الصَّباح أنا ووصيفتاى سنتخلَّف، وعند خروجهم أغلقوا الباب جيداً ؛ وبهذا سنكون قد نجونا .

تم الاتفاق على هذا مع أمباديس ووالدته ، وقدَّما العشاء لكل من السَّيد جالاؤر ونورانديل وحاملى أسلحتهم ، وأُعِدَّت لهم أسِرَّةٌ جيدةٌ لكى يناموا . ولم ينم أمباديس طوال الليل ، لقد كان خائفًا لوجود هؤلاء الرِّجال فى قلعته ، وبمجرد أن أشرق النهار نهض وتسلَّح وذهب إلى ضيوفه ، وقال لهم :

- يا سادتى ، أريد أنْ أرافقكم وأشير عليكم بالطَّريق ؛ فهذه مهنتى السَّير مسلحًا بحثًا عن المغامرة .

- يا أيُّها المضيف - قال السَّيد جالاؤر - نشكركم شكرًا جزيلاً .

حينئذ تسلَّحوا وساعدوا صديقاتهم على امتطاء جياد الوصيفات ، وخرجوا من القلعة، لكن الضَّيف والوصيفات ظلُّوا فى الخلف ، وبمجرد أن أصبحوا هم وحاملو الدروع خارج القلعة أغلقوا الباب بشكل جعل الخديعة رائعة . نزل أمباديس من على صهوة جواده بمتعةٍ كبيرةٍ وصعد الجدار ، فرأى الفرسان الذين كانوا ينتظرون أنْ يروا أحدًا لكى يطلبوا منه الوصيفات ، وقال :

- اذهبوا أيُّها الضُّيوف الأشرار والمزيَّفون ، فلينتقم الله منكم ولتقضوا ليلة تعيسةً كما جعلتمونى أقضى ليلة بائسةً ، والسَّيدات اللاتى كنتم تفكرون فى الاستمتاع بهنَّ سيبقين معى .

قال له السَّيد جالاؤر :

- يا أيُّها الضَّيف ما هذا الذى تقولون ؟ لقد أكرمتمونا جيدًا فى منزلكم وأمتعتمونا ، وفى النِّهاية ترتكبون هذه الخيانة العظمى بالاستيلاء على نسائنا بالقوة .

- إذا كان الأمر كذلك - قال هو - سيكون السُّرور أعمَّ وأشمل لأنَّ الغضب سيكون كبيرًا ، لكنَّنى استوليت عليهم منكم لأنَّهن كن مضطرات للسير مع أعدائهن .

– إذن فليهلكن والفناء لهنَّ – قال السَّيد جالاؤر– وسنرى ما إذا كانت الحقيقة هكذا كما تقولون .

– افعلوا ذلك – قال – لا لكى أمتع حضراتكم ، لكن لأنكم سترون كم أنكم مبغضون من جانبهن .

حينئذ أطلَّت ديناردا من الجدار ، وقال لها السَّيد جالاؤر :

– ديناردا يا سيدتى ، إنَّ هذا الفارس يقول إنَّك ستظلين هنا بمحض إرادتك ، وأنا لا أستطيع تصديق ذلك استناداً إلى الحب الكبير الذى يجمع بيننا .

قالت ديناردا :

– إذا كنت قد أظهرت لكم الحبَّ فإنَّما كان بسبب الخوف الذى انتابنى ، لكن بما أنَّكم تعرفون أنَّنى نجلة أردان كانيليو وأنتم شقيق أماديس ، كيف إذن أحبكم وخاصة أنكم تريدون اصطحابى إلى جاولا لتجعلونى فى حوزة أعدائى ؟ اذهبوا يا سيد جالاؤر ، وإذا كنت فعلت شيئا من أجلكم فلا تشكره لى ، ولا تحاول أنْ تتذكَّرنى اللهم إلاَّ كونى عدوةً لك .

– ابقيا الآن – قال جالاؤر – وليمُن الله عليكن بمصيبةٍ كبيرة ، مثل التى ابتلى بها أركالاوس لا تستطيعون اجتيازها .

كان نورانديل غاضباً للغاية ، فقال لصديقته :

– وأنتِ ماذا ستفعلين ؟

– طبقا لإرادة سيدتى – قالت هى .

– فالله ينتقم منك – قال هو – ومن ذلك الرَّجل الذى خدعنا .

– إذا كنت أنا سيئًا – قال أماديس – فأنتما لستما كذلك حتى الآن ، وستعدونى شريفا للغاية إذا تغلبت على هذين الرَّجلين .

- إذا كنت رجلاً كما تمتدح نفسك - قال نورانديل - فاخرج خارج القلعة وقاتلني أنا واقفا على رجلي وأنت على الجواد ، وإذا قتلتني فاعتقد أنك تخلّصت من عدو لدودٍ لأركالاوس ، وإذا قتلتك فأعطنا الوصيفتين .

- كيف؟! إنَّك سفيهُ - قال أمباديس - فبالنسبة لكليهما لا أريد منهما شيئًا ، إذنْ ماذا سأفعل بك إذا كنت راجلاً ، وأنا على الجواد ؟ . وفيما يتعلَّق بأركالاوس ، سيدي، فعشرون مثلك ، وليس ذلك الآخر رفيقك ، لن يعطي فيهم عودٌ من القش .

وأخذ قوسا تُركيا وبدأ يقذفهم بسهام ، انصرفا وعادا إلى الطَّريق الذي كانا يسيران فيه من قبل ، وهما يتحدَّثان عن كيف أنَّ سوء أركالاوس وخبثه بلغ جميع سلالته ، وكانا يضحكان أحدهما مع الآخر على ردِّ ديناردا وضيفها ، وعلى الغضب العارم لنورانديل ، وكيف نجا الضَّيف واستحوذ على ديناردا . هكذا ساروا ثلاثة أيَّام حيث كانوا يبيتون في القرى والنجوع على هواهم ، وفي اليوم الرَّابع وصلوا إلى مدينةٍ كانت ميناءً ، وكانت تسمى الفياد ، ووجدوا مركبين في طريقهما إلى جاولا ، دخلوا فيهما وأُبلغوا على الفور عن مكان وجود الملك بيريون وأماديس وفلوريستان .

هكذا حدث أنَّ أماديس دي جاولا كان مستعداً للرحيل بحثًا عن المغامرة لكي يستغلِّ الوقت جيداً ، استمر كل يوم يمتطي صهوة جواده على شاطئ البحر وهو ينظر إلى بريطانيا العظمى ، حيث كانت هناك رغباته وطموحاته وكلُّ خير يتوق إليه ، كان يسير يوما ويتنزَّه مع السَّيد فلوريستان ، فرأيا قاربين وذهبا إلى هناك لاستطلاع أخبار ، وعندما وصلا إلى الشَّاطئ كان السَّيد جالاؤر ونورانديل قادمين في مركبٍ على وشك الخروج إلى اليابس . تعرَّف أماديس على شقيقه ، وقال :

- يأيَّتُها العذراء البتول ، إنَّ ذلك هو شقيقنا السَّيد جالاؤر ، فمرحبًا به .

وقال للسَّيد فلوريستان :

- هل تعرفون الشَّخص الآخر القادم معه ؟

- نعم - قـال فلوريسـتـان - إنَّه نورانديل ، نجل الملك ليسوارتى ورفيق السَّيد جالاؤر، واعلموا أنَّه فارسٌ ممتازٌ ، وقد أثبت ذلك فى المعركة التى شنَّها والده فى جزيرة مونجاثا ، لكنه حينذاك لم يكن معروفا أنَّه نجله ، إلى أنْ وقعت معركة الملوك السَّبعة ، حيث أمر الملك بأنْ يشيع الأمر ويُطير النَّبأ إلى جميع الأرجاء نظرًا لطيبة قلبه وشجاعته .

كان أماديس سعيداً به جدا ، لكونه شقيقًا لزوجته ، وكان يعرف أنَّها تحبُّه طبقًا لما كانت قد قالته لدورين . وفى تلك الأثناء وصل الفرسان إلى الشَّاطئ وخرجوا إلى اليابس حيث وجدوا أماديس وفلوريستان وقد نزلا من على ظهر جواديهما واستقبلاهم وتعانقوا مرات عديدةٍ ، وقد أعطوا لهما جياداً وذهبوا جميعًا إلى الملك بيريون الذى كان يريد امتطاء جواده لكى يستقبلهم . وعندما وصلوا إليه أرادوا تقبيل يديه ، لكن الملك لم يصافح نورانديل ، وإنْ كان قد عانقه ورحَّب به كثيراً ، واصطحبهم إلى الملكة حيث استقبلوا أروع وأحر استقبال .

إنَّ أماديس - كما قلت لكم - كان قد أعدَّ العُدة لكى يرحل فى اليوم الرَّابع . وذات يوم تحدَّث مع الملك ومع أشقائه وأخبرهم بأنَّه من الملائم بالنِّسبة له أنْ يرحل عنهم ، وفى يومٍ أخر سيلتقى بهم فى الطَّريق .

قال الملك :

- يا ابنى ، إنَّ الله يعلم مدى الوحدة التى أشعر بها ، لكن لن أكون عائقًا لك لأنك ستكتسب مزيداً من الشَّرف ، وتحوز مجداً وشهرةً ، كما فعلتم دائمًا .

قال السَّيد جالاؤر :

- شقيقى العزيز ، إذا لم يكن لأمر مُلح وبحق لا نستطيع الرَّحيل - حيث تورطنا أنا ونورانديل - لكنا صاحبناكم ، فمن الأنسب أنْ ننتهى منه أولاً ، أو يمرَّ عامٌ ويومٌ كما هو المعتاد فى بريطانيا العظمى .

قال الملك :

- يا ابنى ، ما هو ذلك الأمر إذا كان من الممكن معرفته ؟

- نعم يا سيدى - قال جالاؤر - إننا نعدكم بإخباركم به على الملأ ، ألا وهو هذا : اعلموا جلالتكم أنَّنا فى المعركة التى خضناها مع الملوك السَّبعة للجزر ، كان مع الملك ليسوارتى ثلاثة فرسانٍ بأسلحتهم من الحيَّات بشكلٍ ما ، لكن الخوذات كانت مختلفةً ، كان بعضها أبيض ، وبعضها الآخر أزرق رُصاصى ، ونوع ثالث كان مذَهبا ، وبفضل الخوذة المذهبة لا أعتقد أنَّ أحداً يستطيع مضاهاتها أو تقليدها . وبالتَّأكيد يسود الاعتقاد بأنَّه لولا هذه الخوذات لما تحقَّق النَّصر للملك ليسوارتى ، وبما أنَّ المعركة كانت قد انتهت فقد انصرف الثَّلاثة من ميدان المعركة متسترين فلم يتعرَّف عليهم أحدٌ، وبما أنَّ الحديث كثيرٌ بشأنهم فقد تعهدنا بالبحث عنهم ومعرفتهم .

قال الملك :

- احكوا لنا هنا عن هؤلاء الفرسان ، والله يوفقكم فى مهمتكم ومعرفة أخبارهم .

هكذا قضوا ذلك اليوم حتى الليل. وقد وقف أماديس بين والده والسَّيد فلوريستان ، وقال لهما :

- يا سيدى ، إنَّنى أريد الرَّحيل غدا ، ويبدو لى بعد رحيلى أنه ينبغى على جلالتكم إخبار السَّيد جالاؤر بالحقيقة عن ذلك الأمر الذى يدور الحديث بشأنه ، لأن عملكم لن يكون مجدياً ، وسيذهب أدراج الرياح ، لن ينسب ذلك لنا ، ولن يستطيع أحدٌ أن يعرف ذلك ، فأطلعهم على الأسلحة وسيتعرفون عليها جيداً .

- حسنًا ما تقولون - قال الملك - وسيتم القيام بذلك .

ظلاَّ تلك الليلة مع الملكة ونجلتها ومع كثير من النِّساء ووصيفاتهن يتحدثون فى فرحٍ وسرورٍ كبيرين ، لكنهم جميعًا كانوا يشعرون بالأسى لوحدة أماديس الذى أراد الرحيل ولا يعرفون إلى أين يذهب ، لقد ودَّعهم جميعًا ، وانصرفوا للنَّوم . وفى اليوم التَّالى

سمعوا جميعًا قداَّسًا ، وخرجوا مع أماديس الذى كان مدجَّجًا بالسلاح ممتطيا صهوة جواده ، ولم يرافقه سوى جندالين والقزم وقد زودته الملكة من المؤن والزَّاد بما يكفيه لمدة عام . توسَّل إليه السَّيد فلوريستان بإلحاحٍ وحماسٍ كى يصطحبه معه ، ولكنه لم يستطع إقناعه لسببين : أوَّلهما أنه ليست لديه مشاكل لكى يفكرَ فى زوجته. وثانيهما أن الأمور المتعلقة بالإهانات الكبيرة التى ينتظر حدوثها ، كان يفضل أنْ يجابهها بمفرده ، الموت هكذا أو المجد والشُّهرة. وعندما ساروا فرسخًا ودَّعهم أماديس ، وشقَّ طريقه بمفرده ، وعاد الملك وأبناؤه إلى المدينة حيث تحدث على حدة مع السَّيد جالاؤر نجله ونورانديل ، وقال لهما :

- إنَّكما متورطان فى أمرٍ ، وإذا لم تجداه هنا فلن تجداه فى العالم بأسره ، عن ذلك أشكر الله أن هداكما إلى هذا المكان ، وبالتَّالى وفَّر عليكما عملاً بلا جدوى . اعلموا الآن أنَّ الفرسان الثَّلاثة بأسلحة الحيَّات أو الأفاعى الذين تريدون التَّعرف عليهم هم أنا وأماديس والسَّيد فلوريستان ، وكنتُ ألبس الخوذة الزرقاء الرصاصية ، وأماديس المذهبة التى حقَّق بها البطولات الهائلة التى رأيتماها .

حكى لهما الاتفاق الذى تمَّ بشأن تلك المغامرة ، وكيف أنَّ أورجاندا بعثت لهما الأسلحة ثم قال :

- ولأنَّكما تريدان الاعتقاد الجازم بأنَّ مغامرتكما قد انتهت تعاليا معى .

اصطحبهما إلى غرفة أخرى للأسلحة وأظهر لهما الحيَّات من جميع جوانبها والضَّربات التى تلقَّتها ، حيث تعرَّفا عليها لأنهما شاهدا كثيرًا منها فى المعركة ، أحيانا كانا يتمتَّعان بمساعدتها وأحيانًا أخرى كانا يشعران بغبطةٍ كبيرةٍ لما كان سادتهما يفعلون بها . قال السَّيد جالاؤر :

- يا سيدى ، لقد أنعم الله علينا بكثيرٍ من النِّعم . وأنتما تريدان أنْ تحرمانا من هذا الحماس لأنَّ فكرنا كان منصبا بكل قوانا على البحث عن فرسان هذه

الأسلحة ، وإذا لم نوفَّق جزئيا بلا حياءٍ كبيرٍ لم يكن بوسعنا الرَّحيل من جرَّاء الغضب العارم ، ونحارب معهم حتى الموت ، وليعلم الجميع عمومًا أنَّ الفرسان الثَّلاثة حقَّقوا بطولات ومآثر أكثر من الباقين إلا أنَّه ، على الصعيد الخاص ، سيحكم على الأمور بشكلٍ آخر أو الموت من أجل ذلك .

- لقد فعل الله ذلك - قال الملك - بفضله .

طلب نورانديل تلك الأسلحة بإصرارٍ ، لكن بمزيد من الجدية من جانب الملك تَّم منحه إيَّاها . حينئذٍ حكى لهم الملك كيف تمَّ إدخالهم سجن أركالاوس ، وكيف تمَّ إخراجهم منه . اغروورقت عينا جالاؤر بالدُّموع لذلك العمل المحفوف بالخطر الدَّاهم ، وحكى لهما ما حدث له ولنورانديل مع أركالاوس ، وكيف أنَّ جرانفيليس هرب منهما وكلَّ ما حدث لديناردا ، وكيف أنَّها ظلَّت فى القلعة ، وما حدث لهم مع الضَّيف أماديس . هكذا ظلاَّ هناك أربعة عشر يومًا ، ثمَّ ودَّعا الملك والملكة وركبا قاربًا وقد اصطحبا معهما أسلحة الحيَّات تلك . مرا فى وقت رائع ببريطانيا العظمى ووصلا إلى المدينة حيث كان الملك ليسوارتى والملكة. تجرَّدا من أسلحتهما فى غرفتهما ، ثم ذهبا إلى القصر لكى يبرهنا لهما على أنَّهما أنهيا مهمتهما . وقَد أخذا معهما أسلحة الحيَّات فى أغمادها . وقد استُقبلا بحفاوة وحرارة من جانب الملك وكل رجال البلاط . قال جالاؤر للملك :

- يا سيدى ، إذا كان يروق لكم مرنا بأنْ نذهب لكى نحكى للملكة .

- نعم - قال الملك .

ثم ذهبا بعد ذلك إلى غرفتها وكان الجميع معها ، لكى يروا ماذا أحضراه . سعدت الملكة بقدومهما ، وقاما بتقبيل يديها .

قال جالاؤر :

- ياسادتى ، حضراتكم تعلمون كيف أنَّنى ونورانديل خرجنا من هنا فى مأمورية للبحث عن الفرسان الثَّلاثة ذوى أسلحة الحيَّات أو الأفاعى ، الذين شاركوا فى معركتكم وكانوا رهن إشارتكم ، والحمد لله - بلا جهدٍ أو مشقَّةٍ - استطعنا تحقيق

ذلك ، كما سيبين ذلك نوراندیل.

حينئذ أمسك نوراندیل الخوذه البيضاء ، وقال :

- يا سيدى هذه الخوذة تعرفونها جيداً ؟

- نعم - قال الملك - لقد رأيتها كثيراً حيث أردت رؤيتها .

- إنَّ هذه أحضرها على رأسه الملك بيريون الذى يحبكم حُبا جما.

ثم بعد ذلك أمسك بالخوذه الزَّرقاء الرَّصاصية ، وقال :

- ترون هذه هنا ؟ لقد أحضرها السَّيد فلوريستان .

ثم أخرج المذهبة ، وقال :

- هل ترون جلالتكم هذه التى قدمت خدمات جليلة لكم ، وفعلت ما لم يستطع أحدُ أنْ يفعل مثله ؟ أحضرها أماديس . إذا كنت أقول الحقيقة فى هذا الصَّدد أو لا فجلالتكم أفضل شاهد ؛ حيث قضيتم بينها وقتًا طويلاً ، وهذه الأسلحة كانت تستمتع بالمجد والشُّهرة وجلالتكم بالنَّصر .

وحكى لهم كيف أنَّ الملك بيريون ونجليه كانوا متسترين فى المعركة ، ولسببٍ ما انصرفوا دون أنْ يتعرَّف عليهم أحدٌ ، وكيف أُودعوا سجن أركالاوس ، وكيف خرجوا منه بعد أنْ حرقوا القلعة ، وكيف التقيا فى النَّقالات مع السَّيد جالاؤر ، وكيف أفلت منهم المدعو جرانفيليس نجل عم السَّيد جروميدان ، الذى ضحكا معه كثيراً فى وجوده ، ومــزح هو معهما أيضًا قائلاً لهما إنه سعيدٌ للغاية لأنه التقى بهذا القريب الذى لم يكن يعرفه .

سأل الملك كثيراً عن الملك بيريون ، وقال له نوراندیل :

- صدِّقوا جلالتكم أنَّه لا يوجد ملكٌ فى العالم ذو مملكةٍ واسعةٍ مثله .

- إذنْ لن نخسر شيئًا - قال السَّيد جروميدان - بسبب أولاده .

صمت الملك حتى لا يمتدح أو يثنى على جالاوْر الذى كان موجوداً ، ولا على الآخرين الذين لم يكن مولعًا بهم إلا قليلاً ، لكنَّه أمر بوضع الأسلحة فى القوس الزُّجاجى بقصره حيث كانت توجد أسلحةٌ أخرى لرجالٍ مشهورين .

تحدَّث السَّيد جالاوْر ونوراندِيل مع أوريانا ومابيليا وأبلغاهما تحيَّات وثناءات الملكة إيليسينا ونجلتها ، وقد استقبلتها بكثير من الحب مثل هؤلاء اللاتى كانت تحبهنَّ حبا جما ، وأحزنها أنْ يقال لهما إنَّ أماديس ذهب بمفرده إلى أراضٍ أجنبيةٍ متعدِّدة اللغات بحثًا عن المغامرات الأكثر قوةً وخطورةً ؛ حينئذ ذهبا إلى غرفتهما وظلَّ الملك يتحدَّث مع فرسانه عن أمورٍ كثيرةٍ .

الفصل السَّبعون

ما يحكى عن إيسبلانديان، وكيف كان فى صحبة ناسيانو الزَّاهد النَّاسك، وكيف أنَّ أماديس، والده، ذهب بحثًا عن المغامرات وقد غيَّر اسمه ولُقِّب بالفارس ذى السَّيف الأخضر، والمغامرات العظيمة التى كانت تحكى انتصاراته وبطولاته .

بعد ميلاد إيسبلانديان بأربعة أعوام أرسل الزَّاهد ناسيانو لإحضاره، فجاء وقد نشأ نشأةً هائلةً ، ولما رآه رائع الحسن والجمال قام بمباركته حتى أنَّه وصل إلى قلبه ، وكان الطفل يقبله كما لو كان يعرفه . حينئذٍ أمر بعودة المربية وظلَّ هناك كابنه ، وتم تغذية إيسبلانديان على اللبن ، وظلَّ الطفلان يلعبان معًا فى الصَّومعة ، لأنَّ الرَّجل الطَّيِّب كان مسرورًا للغاية وكان يشكر الله لأنَّه أراد أن يرعى ذلك الطِّفل ، هكذا حدث إذن ، وبما أنَّ إيسبلانديان كان متعبًا من كثرة اللعب فقد نام تحت شجرةٍ، واللبؤة التى سمعتم عنها كانت معتادة أحيانا الذِّهاب إلى الزَّاهد النَّاسك، وكان يطعمها إذا كان لديه طعامٌ ، رأت الطِّفل وذهبت إليه وسارت حوله قليلاً وهى تشمُّه ثم اضطجعت حيث كان يوجد . وذهب الطفل الآخر يبكى للرجل الطَّيِّب قائلاً له كيف أنَّ كلبًا كبيرًا أراد أنْ يأكل إيسبلانديان . خرج الرَّجل الطَّيِّب ورأى اللبؤة وذهب إلى هناك ، لكنها أتت إليه مداعبةً وأمسكت الطفل الذى كان مستيقظًا بين ذراعيها ، وبمجرد أن رأى اللبؤة قال :

– يا أيُّها الأب ، يا له من كلبٍ جميلٍ ، هل هو لنا ؟

– لا – قال الرَّجل الطَّيِّب – إنه لله فكل المخلوقات ملكٌ له .

- كم كنت أتمنى أنْ يكون لنا يا أيُّها الأب .

سُرَّ الزاهد ، وقال له :

- يا ابنى ، هل تريد إطعامه ؟

- نعم - قال الطفلُ .

حينئذ أحضر ساق ظبى كان بعض الرُّماة قد أعطاها له ، وأعطاها الطِّفل للبؤة واقترب منها ، ووضع يديه على أذنيها وفمها . واعملوا أنه من الآن فصاعدا اعتادت اللبؤة المجىء كلَّ يومٍ دائمًا ، كانت تنتظره حتى يخرج من الصَّومعة ويسير خارجها . وعندما كبُرَ أعطاه الزَّاهد قوسًا على مقاسه وآخر لنجل شقيقته ، وبعد أنْ تعلَّما القراءة كانا يقذفان بالسِّهام ، وكانت اللبؤة تذهب معهما علَّهما يصطادان ظبيًا ، كانت اللبؤة تحمله أحيانًا ، وكان يأتى هناك بعض الرُّماة أصدقاء النَّاسك وكانوا يذهبون للصَّيد مع إيسبلانديان حبا فى اللبؤة التى كانت تجلبُ لهم الصيد ، ومنذ ذلك الحين تعلم إيسبلانديان الصَّيد . هكذا كان يقضى وقته تحت إشراف ذلك الرَّجل الطَّيِّب .

ورحل أماديس عن جاولا - كما حكينا لكم - بنية القيام بتلك المهام بالأسلحة ضدَّ هؤلاء الذين نالوا من شرفه بسبب غيابه الطَّويل بناءً على طلب زوجته ، وكانت هذه الافتراءات أكاذيب لا أساس لها من الصِّحة ، وبهذا التَّفكير توغَّل فى أراضى ألمانيا ، حيث أصبح معروفًا بعد وقتٍ قصير ، فقد جاء إليه الكثيرون والكثيرات بمظالم وإهاناتٍ ارتكبت ضدهم واستطاع أنْ يردَّ لهم حقوقهم بعد أنْ عرض نفسه لكثير من المعاناة والأخطار، حيث حارب فى أماكن كثيرة ضدَّ فرسان شجعان، أحيانًا ضد واحدٍ وأحيانًا أخرى ضد اثنين وثلاثة طبقًا للواقعة . ماذا سأقول لكم ؟ لقد فعل الكثير فى جميع أنحاء ألمانيا ، وعرف بأنَّه أحسن فارسٍ فى كلِّ تلك الأراضى ، ولم يكونوا يعرفون له سوى لقب فارس السَّيف الأخضر أو فارس القزم ، نظرًا للقزم الذى كان معه . وخلال هذا الرَّحيل الذى قام به واستغرق أربع سنوات لم يعد إلى جاولا ولا إلى الجزيرة اليابسة ، كما لم يعرف شيئًا عن زوجته أوريانا ، وهذا ما كان يُسبِّبُ له عذابًا كبيرًا

ممَّا أهمَّه وأصاب قلبه بالكرب مقارنةً بجميع الأخطار الأخرى والمهام المنوطة به ، وإذا كان لديه بعضٌ من السلْوى أحسَّ به لم يكن سوى أنْ يعرف ما إذا كانت زوجته، لا تزال ثابتةً على ذكراه وأنها تعانى أيضًا من وحدةٍ مماثلة .

ظلَّ يتنقَّل فى تلك الأراضى طول الصَّيف ، ولما جاء الشتاء خشى البرد فتذكَّر إمكانية الذهاب إلى مملكة بوهيميا ليقضيه هناك إلى جانب ملك طيب يُدْعى طافينور الذى كان يحكم آنذاك ، وسمع عنه كثيرًا من أعمال الخير الكبيرة وطيبة قلبه ، وكان فى حرب مع باتين إمبراطور روما الذى كان يمقته بسبب موضوع أوريانا زوجته الذى سمعتم عنه من قبل ، ثمَّ ذهب بعد ذلك إلى هناك . وقد حدث عند وصوله إلى نهرٍ فى الجانب الآخر أنْ رأى كثيرًا من النَّاس يسيرون وقد أطلقوا طائرًا يدعى سنقور(*) على طائر البلشون أو مالك الحزين فقتله فى الجانب الذى كان موجودًا به الفارس ذو السَّيف الأخضر ، فنزل من على صهوة جواده ، وكان يسير مدجَّجا بالسلاح ، ونادى كثيرًا على النَّاس فى الجانب الآخر لكى يعطوه قليلاً من طعم الصَّيد ، فأعطوه . حينئذ أطعم ذلك الذى رآه ، فقد كان واجبًا عليه مثل ذلك الذى كان يفعله كثيرًا .

كان النَّهر عميقًا ولم يكن من الممكن العبور من هناك . واعلموا أنَّ الملك طافينور عاهل بوهيميا كان هناك ، ولمَّا رأى الفارس ومعه القزم ، سأل عمَّا إذا كان بعض هؤلاء يعرفه ، لكن لم يكن هناك من يعرفه .

– هل عساه يكون – قال الملك – ذلك الفارس الذى كان يسير فى أراضى ألمانيا ، والذى فعل أعاجيب مذهلة بالأسلحة ، يتحدث عنها الجميع على أنَّها معجزة ويطلقون عليه لقب فارس السَّيف الأخضر وفارس القزم ؟ أقول ذلك بسبب القزم الذى معه .

كان هناك فارسٌ يُدعى ساديان ، وكان قائدًا من الذين كان يحتفظ بهم الملك ، فقال :

– بالتَّأكيد هو ؛ لأنَّه يحضر السَّيف الأخضر الذى يتقلَّد به .

(*) وهو من الطُّيور الجارحة لون ريشه بنى ، وله خطوط بيضاء واضحة فى الجناحين والذَّيل ، إلى جانب بعض الرِّيش الرمادى اللون فى البطن ، وهو الصَّقر الأكبر، ولذلك كان معروفًا واتخذ طائرًا للصَّيد . (المترجم)

أسرع الملك في الوصول إلي معبر على النَّهــر ، لأنَّ فارس السَّيف الأخضـر كان قد أتى وفى يده طائر السَّنقور .

وبمجرَّد أنْ وصل إليه قال له :

- يا أيُّها الصديق العزيز ، مرحبًا بكم فى هذه الأرض .

- هل جلالتكم الملك ؟

- نعم ، أنا - قال الملك - والحمد والشُّكر لله .

حينئذ جاء الفارس بوقار جم لكى يُقبل يديه ، وقال :

- يا سيدى ، معذرةً لأننى لم أكن أعرفكم ، إنَّنى جئت لكى أراكم وأكون فى خدمتكم ، فقد أخبرونى أنَّكم فى حرب مع ذلك الرَّجل القوى ، وأنتم تحتاجون إلى جهود رجالكم وفرسانٍ أجانب، فإذا أردتم فسأكون أحدهم معكم ، وسأكون أحد رعاياكم بالطبع إذا اعتبرتمونى كذلك .

- يا أيُّها الفارس ذو السَّيف الأخضر ، يا صديقى ، كيف أشكر لكم هذا المجيء الميمون وما تقولونه لى ! إنَّ ذلك قلبى الذى ضاعف هكذا كان الملك يتحدَّث معه ، وكان جديراً بثناء الجميع لجماله ولكونه مدجَّجا بالسلاح على أكمل وجه أكثر من أى فارس آخر كان قد رآه . وصلوا إلى القصر حيث أمر الملك بتخصيص غرفة فسيحة لإقامته . تجرَّد من أسلحته فى حجرة رائعة ، ثم ارتدى ملابس أنيقة وجميله أحضرها له القزم ، وذهب إلى حيث يوجد الملك بهذه الهيئة المذهلة التى كانت تشهد على البطولات العظيمة التى قام بها، والتى كانوا يحكون عنها ، وهناك أكل مع الملك ، وقد أكرمت ضيافته كرجلٍ ذى شأنٍ على مائدة فاخـرة . وعند رفـع المفارش حيث كان الجميـع هادئين قال الملك :

- يا أيُّها الفارس ذو السَّيف الأخضر ، ياصديقى ، إنَّ أخباركم الجديدة العظيمة ووجودكم المشرف يدعونى إلى طلب مساعدتكم ، وإنْ كنَّا حتى الآن لم نقدرك قدرك ، لكنَّ الله سيسعد عندما تكافأون فى وقت ما . اعلم يا صديقى الطَّيِّب

أنَّنى أشنُّ هذه الحرب على أقوى رجلٍ للمسيحيين ، إنَّه باتين ، إمبراطور روما الذى يريد بقوته العظمى ومكابرته العظيمة أنْ تكون هذه المملكة التى منحنى الله إيَّاها خاضعة للضَّرائب وتدفع له الجزية ، لكنَّنا حتى الآن بثقة رعاياى وأصدقائى وقوتهم دافعنا عن مملكتنا ومنعناه من ذلك بقوة ، وسنمنعه ما دمت حيا ، لكن بما أنَّ الأمر يحتاج إلى مزيد من المشقة والجهد الدَّءوب والدِّفاع لوقتٍ طويلٍ من جانب فئة قليلة ضدَّ فئةٍ كثيرةٍ ، فإنَّ قلبى معذَّبٌ دائمًا بحثًا عن الحلِّ . إذن فذلك ليس إلا – بعد الله سبحانه وتعالى – طيبة وجهد سيبذله قليل من الرجال فى مواجهة الآخرين ، والآن قد جعلكم الله مشهوراً فى ربوع العالم أجمع وخصَّكم بالطيبة والقوة ، لذلك لدى أملٌ كبيرٌ فى مجهودكم العظيم الذى سيحقق مجداً وشرفًا وعزَّةً وسيجعلك تفوز بالنَّصر مع القلَّة . لذلك يا صديقى العزيز عليك أنْ تساعد فى الدفاع عن هذه المملكة التى ستكون رهن إشارتكم دائمًا .

قال له الفارس ذو السَّيف الأخضر :

– يا سيدى ، سأساعدكم ، وبما أنَّكم ترون أعمالى فإننى أرجو أن تحكموا على طيبة قلبى .

هكذا – كما سمعتم – ظلَّ الفارس ذو السَّيف الأخضر فى منزل الملك طافينور عاهل بوهيميا ، حيث كانوا يجلونه ويكرمونه أعظم تكريم وإجلال ، وكان يرافقه دائمًا نجل الملك المدعو جراساندور بناءً على أمر العاهل نفسه فضلاً عن كونت ومستشار للملك يُدعى جالتينيس لكى يكون مكرَّمًا فى خير معية وصحبةٍ .

وذات يومٍ كان الملك يمتطى صهوة جواده فى الرِّيف مع كثير من الرِّجال الطَّيِّبين ، وكان يتحدَّث مع نجله جراساندور ومع الفارس ذى السَّيف الأخضر عن حربه ، وأنَّ الهدنة كانت لمدَّة تلك الأيام الخمسة ، وبينما كان يواصل حديثه رأوا اثنى عشر فارساً قادمين بين الحقول ، وكانوا يحضرون فوق الجياد وأسلحتهم ملفوفة ، وكذلك الخوذات والحراب وحاملى دروعهم . لقد تعرَّف الملك من بينهم على درع السَّيد جاراداان الذى

كان نجل عم الإمبراطور باتين ، وكان أكثر الفرسان قدراً بين سادة روما وفرسانها جميعا ، وكان هذا الفارس فى حرب مع هذا الملك عامل بوهيميا ، فقال مخاطباً الفارس ذا السَّيف الأخضر :

- أى ، يا للغضب الذى سبَّبه لى صاحب ذلك الدِّرع !

وأطلعه عليه ، وكان الدِّرع شعاره الأرض الزَّرقاء ذات اللون الرَّمادى ونسران كبيران جدا من الذَّهب كانا يغطيان مساحته . قال له الفارس ذو السَّيف الأخضر :

- يا سيدى ، كم من المكابرات والإهانات الزَّائدة عن الحد التى تلقيتموها من عدوكم ! فما عليكم الآن سوى أنْ تثقوا فى أنَّ انتقام الله سيحدث ، ويا سيدى إذا كانوا قد جاءوا إلى أرضكم ووطنكم عقلاء يتحلَّون بالحكمة فاستقبلوهم بحفاوةٍ وأكرموا وفادتهم ، ولن يضير هذا شرفكم .

عانقه الملك ، وقال له :

- اذهب فى معية الله - يا أيَّها البطل المغوار - كما أنت دائمًا ، وأنت صاحب فضل معى دائمًا ومالى وملكى سيكون رهن إشارتكم ، ووصلوا إلى الفرسان ، وتوجَّه جارادان ورفاقه إلى الملك ، وقد استقبلهم أفضل استقبال بلسانه لا بقلبه ، وقال لهم :

- ادخلوا المدينة ، وسيتم تكريمكم بكل تكريمٍ وتشريفٍ .

قال السَّيد جارادان :

- إنَّى أتيت لأمرين تعرفونهما من قبل ، حيث لا ينبغى أنْ تستشيروا فيهما أحداً إلا قلبكم ، ثم ردُّوا علينا فيما بعد لأنَّنا لن نستطيع التَّوقف كثيراً والهدنة تمرُّ سريعةً كالبرق الخاطف .

حينئذ سلَّمه رسالة للتصديق على ذلك كانت من الإمبراطور باتين الذى جاء فيها أنَّه سيوافق وسيقرُّ كلَّ ما يتم الاتفاق بشأنه مع السَّيد جارادان .

- يبدو لى - قال الملك بعد أنْ قرأها - أنَّه يثق فيكم ثقة كبيرةً . والآن أخبرنى بما أمركم به .

- يا أيُّها العاهل - قال السَّيد جارادان - بما أنَّ الإمبراطور كان نجيب الأصل والسِّيادة أكثر منكم ، ويريد إنهاء الحرب معكم لأمرٍ من أمرين أيُّهما تفضلان ، الأوَّل إذا أردتم الدُّخول فى معركة مع سالوستانكيديو نجل عمه وأمير كالابريا مائة فارس ضد مائة فارس حتى ألف ضد ألف ، والثانية الاثنا عشر بالاثنى عشر فارسًا الذين جاءوا معى ، وأنَّه سيفعل ذلك بشرط إذا انتصرتم فستكونون أحرارًا ولا قبل له بكم إلى الأبد ، وإذا هزمتم فستكونون من رعاياه ، هكذا كما فى تاريخ روما حيث إنَّ هذه المملكة كانت خاضعة لتلك الإمبراطورية فى الأزمنة الماضية . والآن اختاروا ما تريدون ، وإذا رفضتم فإنَّ الإمبراطور يحيطكم علمًا بأنَّه سيترك أشغاله الأخرى كلها ، وسيأتى إلى هنا شخصيا ، ولن يرحل عن هنا حتى يسحقكم سحقًا ويقضى عليكم .

- يا سيد جارادان - قال الفارس ذو السيف الأخضر - لقد عبرتم عن مكابرة الإمبراطور ومكابرتكم ، فالله يقضى ذلك بقليل من شفقته ورحمته ، وسوف يعطيكم الملك الرَّدَّ الذى يحلو له ، لكنَّنى أريد أن أسأل سؤالا : إذا قبل خوض إحدى هذه المعارك فكيف تتأكدون من أنَّكم ستحافظون على ما تعدون به؟

نظر إليه السَّيد جارادان ، وقد ذُهِل كيف أنَّه ردَّ دون النَّظر إلى ما سيقول الملك، وقال له :

- يا أيُّها السَّيد الفارس ، إنَّنى لا أعرف من أنتم ، لكن يبدو من لغتكم أنَّكم من بلد أجنبى ، وأراكم رجلاً قليل العقل بالرَّد دون أنْ يأمركم الملك بذلك ، لكن إذا كان يوافق على ما قلتموه وسيسمح بما طلبته منه فسأثبت أنا ما سألتم بشأنه .

- يا سيد جارادان - قال الملك - إنَّنى أوافق على ما قاله الفارس ذو السَّيف الأخضر وأسمح به .

عندما سمع جارادان الحديث عن رجل ذى شأن رفيع فى الأسلحة تحرَّك قلبه لسببين: الأوَّل أن ذلك أحزنه لأنَّ ذلك الفارس كان من جانب الملك ، والثانى أن ذلك أشعره بالسَّعادة ، لأنَّه يريد مبارزته ومحاربته كما كان يشعر فى الرغبة بذلك ، وكان يفكر فى

إلحاق الهزيمة به أو قتله ، وأن ينال كلَّ ذلك الشَّرف والمجد والشُّهرة التى كان قد نالها فى ألمانيا وفى الأراضى والبلدان التى لا يدور الحديث فيها إلا عن طيبته وشهامته ، وقال :

- إذنْ لقد منحكم الملك موافقته الآن ، فقرِّر ما إذا كنت ستريد خوض إحدى هذه المعارك .

قال له الفارسُ ذو السَّيف الأخضر :

- إنَّ ذلك سيقرِّره الملك وقتما يحلو له ، لكنى أقول لكم إننى فى أى من هذه المعارك التى سيختارها جلالته سأكون فى خدمته ورهن إشارته إذا أراد مشاركتى فيها وخوضى لها ، وسأخوض الحرب طالما أنا مقيمٌ فى منزله .

وضع الملك ذراعه على عنقه ، وقال :

- ياصديقى الطَّيِّب ، لقد أحرجتنى كلماتك هذه ولن أشك فى أىِّ قرار فيما قدَّموه لى ، ولذلك أرجوكم أنْ تختاروا منهما ماترونه أفضل .

- بالتَّأكيد ، يا سيدى ، لن أفعل ذلك أنا - قال أماديس - وإنما مع رجالك الطَّيِّبين أنصح جلالتكم بذلك ، واتخذوا ما ترونه كما يحلو لكم ، ومرونى بأنْ أخدمكم ، لأنَّه إذا حدث ذلك بطريقة أخرى فسيكونون غاضبين منِّى، وسأتكفل بذلك الذى لم يدخل فى حسبانى ورصانتى ، لكننى يا سيدى ما زلت أقول ، ينبغى عليكم النَّظر فيما جاء به السَّيد جارادان لكى يتمَّ تنفيذه فى ثباتٍ .

عندما سمع السَّيد جارادان هذا قال :

- كما تريدون ، يا أيُّها السَّيد الفارس ، فإنه يبدو أنَّكم بتبريراتكم تريدون إطالة الحرب ، إنَّنى أريد إثبات ما تطلبونه ، لكى أختصر تسويفاتكم وتأجيلاتكم .

ردَّ عليه فارس القزم :

- لا تندهش يا سيد جارادان من ذلك ، فليس هناك أعظم من أنْ يسود السَّلام بدلاً من المعارك الخطيرة ، لكن الخزى والعار يسبِّبان عكس ذلك ، والآن

تحتقرونني ، وأنتم لا تعرفونني ، ومع ذلك فإنَّ الملك هو الذى سيردُّ عليكم ، إنَّنى أثق فى الله وأنَّكم ستحكمون عليَّ بطريقة أخرى .

حينئذ نادى السَّيد جارادان على أحد حاملى الدُّروع كان يحمل صندوقًا ، أخرج منه رسالةً كان بها ثلاثون ختمًا مغلقة بخيوط من حرير ، وكانت جميعها من الفضَّة باستثناء الذى فى الوسط فقد كان من الذَّهب وختم الإمبراطور ، أمَّا الأخرى فقد كانت لكبار سادة الإمبراطورية وأعطاها للملك ، فابتعد مع رجاله الطَّيِّبين وقرأها فوجد أنَّ ما قاله السَّيد جارادان كان صحيحًا ، وأنَّه كان بوسعه أنْ يختار أيا من المعارك وأن يكون أمرهم شورى بينهم . وبالحديث عن ذلك كان هناك بعضهم الذين يفضِّلون معركة المائة فى مواجهة المائة ، والآخرون الذين يفضلون معركة الاثنى عشر فى مواجهة الاثنى عشر متعللين بأنَّ العدد القليل سيتيح فرصة للملك لكى يختار أفضل فرسانه حتى هناك ، وألا يُعرِّض مملكته لمغامرة معركة واحدة . هكذا كانت الأصوات متنوعةً للغاية.

حينئذ قال كونت جالتينيس :

- يا سيدى تشبثوا برأى فارس السَّيف الأخضر الذى رأى كثيراً من الأمور ، فهو نو خبرةٍ كبيرةٍ ولديه رغبةٌ كبيرة فى أنْ يخدمكم .

وافق الملك والجميع على ذلك واستدعوه لكى يتحدَّث هو وجراساندور مع السَّيد جارادان ، وقد كان الفارس نو السَّيف الأخضر ينظر إليه كثيراً ، وبما أنَّه كان يراه قويا بدنيا ، فقد رأى أنه ينبغى أنْ يكون أيضا ذا عقلٍ راجحٍ مما جعله يتشكَّك فى معركته ويخاف أنْ يحاربه ، لكنه من ناحيةٍ أخرى رآه يقول كلامًا فارغًا لا جدوى منه فضلاً عن كونه كلمات مكابرةٍ جعلته يتشبث بالأمل فى أنْ الله لن يخذله وسيقضى على مكابرته . وبما أنَّه سمع أمر الملك ذهب إلى هناك ، وقال له الملك :

- يا فارس القزم ، يا صديقى العظيم ، أتوسَّل إليكم ألاَّ تعتذروا عن إسداء نصحكم بشأن ما تحدَّثنا بصدده .

حينئذ حكوا له الخلافات فى الرَّأى التى سارت بينهم . سمع الفارس كلَّ شيءٍ وقال :

- يا سيدى ، إنَّه لقرار عظيمٌ بشأن أمرٍ عظيمٍ جدا ، لأنَّ المخرج فى يد الله وليس فى آراء الرِّجال ، ولكن أيا كان الأمر ، أتحدَّث عن رأيى ، فلو أنَّ الأمر يتعلَّق بى ، فسأفعل يا سيدى ؛ أعنى : لو أنَّ لى قلعةً واحدةً ومائة فارسٍ وعدوى لديه عشرة قلاع وألف فارس فإنَّنى أتوق إلى الاستيلاء عليها ، وليرد الله أنْ تكون معركةً متكافئةً بين أناس الجانبين ، وإنَّه لشرفٌ عظيمٌ أنْ أفعل ذلك ، وبالتَّالى يا أيُّها الفرسان لا تتركوا مشاورة الملك ، وأقبلوا على خدمته بإخلاص ، وأريد أنْ أحاط علمًا بكل ما تقرِّرونه وتعقدون النِّية عليه .

وأراد الانصراف إلا أنَّ الملك جذبه من طرف عباءته وأجلسه ، وقال له :

- يا صديقى الطَّيِّب ، إنَّنا جميعا نوافق على رأيكم ، وأريد معركة الاثنى عشر فارسًا ، والله يعلم القوة التى سيمُدُّنى بها وسيساعدنى ، هكذا مثلما فعله مع الملك بيريون دى جاولا ليس منذ وقتٍ طويلٍ ، حيث سمح بدخول أرضه للملك أبييس عاهل أيرلندا ذى القوة العظمى ، وعندما كان على وشك الهزيمة تمَّ علاج ذلك كله فى معركةٍ ، حيث استطاع فارس واحد التَّغلب على الملك أبييس نفسه الذى كان فى النِّهاية أحد أشجع الفرسان فى العالم جرأةً وجسارةً ، أمَّا الفارس فقد كان صبيا لم يتجاوز الثَّامنة عشرة من العمر ، وقد قُتل فيها ملك أيرلندا وقد حلَّ محلَّه الملك بيريون فى مملكته كلها . وبعد أيام قليلة وفى مغامرة هائلة اعترف به ابنًا من صلبه ، وإلى ذلك الحين أطلق عليه لقب DONCEL DEL MAR (فتى البحر) ، واعتبارًا من هذه اللحظة أسماه أماديس دى جاولا الذى يعرفه العالم أجمع بأنَّه أشجع فارسٍ موجودٍ حتى الآن ، ولا أدرى هل تعرفونه ؟

- لم أره أبدًا - قال الفارس ذو السَّيف الأخضر - لكنَّنى عشت فى هذه البلاد بعض الوقت وسمعت كثيرًا عن ذلك المدعو أماديس دى جاولا ، وأعرف شقيقين له وليسا أقل منه بوصفهما فارسين .

قال له الملك :

- إذنْ بما أنَّنى أثق فى الله مثل ذلك الملك بيريون فإنَّنى أوافق على قبول معركة الاثنى عشر فارسًا .

– باسم الله – قال الفارس ذو السَّيف الأخضر – إنَّ هذا فى رأيى هو أفضل اتفاق ، لأنَّه وإن كان الإمبراطور أكبر منكم ولديه رجالٌ أكثر منكم بالنِّسبة للاثنى عشر فارسًا فإنَّنا سنجد فى منزلكم فرسانًا شجعانًا مثل فرسان الإمبراطور ، وإذا استطعتم أنْ تتفقوا مع جارادان لكى يكونوا أقلَّ فهذا أفضل ، كى أبارزهم واحدًا تلو الآخر فأنا أثق فى الله وفقا لعدالتكم ومكابرته المبالغ فيها ، سأنتقم لكم منه وسأضع نهايةً للحرب التى تخوضونها مع سيده .

شكره الملك شكرًا جزيلاً ، ثم ذهبا إلى حيث يوجد جارادان الذى شكا من تأخرهم كثيرًا فى الرَّدِّ عليه . وبمجرَّد أنْ وصلا إليه قال له الملك :

– يا سيد جارادان ، لا أدرى هل سينال ذلك إعجابكم ، إنَّنا وافقنا على معركة الاثنى عشر فارسًا ، وليكن ذلك غدًا .

– فلينقذنى الله – قال جارادان – لقد أجبتم وفقًا لما تشتهيه إرادتى ، وإنَّنى مسرورٌ للغاية من هذا الرَّدِّ .

قال فارسُ السيف الأخضر :

– فى كثير من الأحيان يكون الرجال سعداء فى البداية ، وفى النِّهاية يكون الحزن من نصيبهم .

نظر إليه جارادان بمحيا متجهِّم ، وقال له :

– إنَّكم ، أيُّها السَّيد الفارس ، تريدون الحديث فى كلِّ مناسبة ودعوى ، حسنًا فأنت تبدو غريبًا ، غريبا جدًّا وأقلَّ رزانةً ، وإذا عرفت أنَّك من الفرسان الاثنى عشر فسأقتلك .

قَبِلَ الفارسُ ذو السَّيف الأخضر التَّحدى ، وقال :

– أعدكم بأنَّنى سأكون فى الوقت المحدَّد بالضَّبط بالمعركة ، وافهم جيدًا أنَّنى سأقطع لكم رأسكم التى يقدِّمانها لى مكابرتكم وجنونكم .

عندما سمع جارادان ذلك منه استشاط غضبًا وجُنَّ جنونه ، وقال بصوت عالٍ :

– ويحى بلا حظ ! آمل أن يحل الغد سريعًا ونلتقى فى المعركة ، لكى يرى الجميع كيف أنَّ جنونك يا فارس القزم سيجدُ عقابه .

قال له الفارس ذو السَّيف الأخضر :

– إذا كان من الآن حتى الغد فترة طويلة فما زال اليوم طويلا ، ومن لديه حظ يستطيع قتل الآخر ، لنتسلح إذا أردتم ولنبدأ المعركة بشأن هذه الدَّعوى ، ومن يبق على قيد الحياة منا يستطع مساعدة رفاقه غداً .

قال له السَّيد جارادان :

– بالتَّأكيد يا أيُّها السَّيد الفارس ، إذا كان ماقلتموه تتجاسرون على تنفيذه فأنا أصفح عنكم ماقلتموه ضدِّى .

وبدأ يطلب أسلحته على وجه السُّرعة . أرسل فارس القزم جندالين لإحضار أسلحته ، هكذا فعل الشَّاب . وقام رفاق السَّيد جارادان بتسليحه ، وقام الملك ونجله بتسليح الفارس ذى السَّيف الأخضر ، ثم خرجا خارج المنزل ونزلا الميدان الذى سيتحاربان فيه .

امتطى السَّيد جارادان صهوة جوادٍ جميلٍ جدا وضخم ، وانطلق فى الميدان سريعًا ، ثم عاد إلى رفاقه وقال لهم :

– كونوا متأكِّدين مِنْ أنَّ هذه المرَّة سيصبح هذا الملك خاضعًا للإمبراطور – ودون أنْ تضربوا أنتم ضربةً واحدةً – بكل شرف واعتزاز . أقول لكم ذلك لأنَّ أمل خصومكم كلَّه معقودٌ على هذا الفارس ، الذى إذا هزمته فيما بعد وقُتل فلن يتجاسروا غدًا على الدُّخول فى ميدان القتال لخوض المعركة معى ولا معكم .

قال له الفارس ذو السَّيف الأخضر :

– ماذا تفعل ياجارادان ؟ لماذا تبدى قليلاً من الاهتمام وتُضيعُ اليوم فى مدائح وإطراءات ؟ فعمَّا قريب سيظهر كلُّ واحدٍ منَّا على حقيقته ، ولن تجدى المجاملات فى شىءٍ .

ووضع المهاميز لجواده وتوجَّه إليه ، وجاء الآخر فى اتجاهه ، وقذفا بعضهما بالحراب فى الدُروع التى على الرَّغم من كونها قوية تحطمت لأنَّها كانت مزيَّفة، كانت الضَّربات قويةً للغاية ، وقد اقترب الخصمان بالدُروع والخوذات بشجاعةٍ منقطعة النَّظير لدرجة أنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر مال إلى الخلف قليلاً ولكنَّه لم يقع ، وقد أخرج جارادان السَّيف الأخضر ووقع بقوة على الأرض وقد كان شبه فاقدٍ للوعى . ورآه ذو السَّيف الأخضر وهو يتقلَّب فى الميدان حينما كان يحاول النُهوض ولم يستطع، أراد الذِّهاب إليه ، لكن الجواد عجز عن الحركة ، فقد كان مرهقا منهك القوى كما كان الفارس جريحًا فى ذراعه الأيسر من حربةٍ اخترقت الدِّرع ، ونزل فيما بعد على الأرض مثل ذلك الذى كاد يتميز من الغيظ ، وضع يده على سيفه البتَّار وتوجَّه إلى جارادان الذى كان مثخنًا بالجراح ، لكنَّه تذكَّر أنَّه لا يزال ممسكًا بالسَّيف فى يده وهو يشهره وقد احتمى جيدًا بدرعه ، لكنه لم يكن شجاعًا كما كان من قبل . ثم جرح بعضهما بعضا بشجاعةٍ وبسالةٍ وصوبًا إلى بعضهما كثيرًا من الضَّربات التى تعجَّب منها كل من رآها . لكن الفارس ذا السَّيف الأخضر بما أنَّه رآه قد أُضير جدا من وقوعه على الأرض وكان غاضبًا غضبًا كبيرًا ، أجهز عليه بضرباتٍ كثيرةٍ وقويةٍ لم يستطع الآخر تحملها ، فابتعد قليلاً ، وقال :

- بالتَّأكيد يا أيُّها الفارس ذو السَّيف الأخضر ، الآن أعرفكم أكثر من ذى قبل وأبغضكم وأمقتكم أكثر من ذى قبل ومهما ظهرت لى طيبة قلبكم فإن طيبتى ليست فى وضع يسمح لها بأنْ تُقرِّر من منَّا هو الفائز، وإذا كنتم ترون أنَّنا نتسلَّى برهة من الوقت، فهلمُّوا إلى المعركة أفضل .

قال له ذو السَّيف الأخضر :

- بالتَّأكيد يا سيد جارادان ، إنَّ التَّسلية بالنِّسبة لى أفضل كثيرًا من القتال ، لكنها بالنِّسبة لكم طبقًا لطيبتكم ومهارتكم الفائقة فى استخدام الأسلحة ، سيكون الأمر على العكس من ذلك تمامًا، استنادًا إلى الكلمات التى قلتموها اليوم . وبما أنَّكم رجلٌ طيِّب جدا فلا تخش، إنَّنى لا أريد الانسحاب من المعركة حتى تُكتبَ لها النِّهاية .

أحزن ذلك السَّيد جارادان كثيراً ، الذى كان يرى نفسه مثخنًا بالجراح وقد تحطمت أسلحته من كلِّ جانب وتمزَّق جسده فى أماكن كثيرة ، وكان ينزف دمًا كثيراً ، ورأى نفسه وقد أُصيب إصابةً كبيرةً فى سقوطه على الأرض. حينئذ جاءت إلى ذاكرته مكابرته ، خاصة ضدَّ الشَّخص الماثل أمامه ، لكنه بذل كلَّ ما فى وسعه . ثم هاجم أحدهما الآخر كما حدث فى أوَّل الأمر ، لكنَّه لم يتأخَّر كثيراً فإن الأمر كان قد راق لفارس القزم الذى استطاع إخضاعه لرغبته وإرادته بالشكل الذى جعل الحاضرين للقتال يقتنعون بأنَّ جارادان لو كانت له ضعف قوته الحالية فإنها لن تكون مجديةً طبقًا لمجهوده ، كان كلاهما ثائرًا وسقط جارادان فاقد الوعى فى ميدان المعركة بعد أنْ تلقَّى ضربة قاتلةً من فارس القزم من فوق الخوذة ، وقد أخرج سيفه منه بالكاد ، وتوجَّه نحوه بقوةٍ فخلع عنه خوذة رأسه، فرأى أنَّ تلك الضَّربة عميقةٌ غائرةٌ بعثرت مخه مما أسعد الفارس ذا السَّيف الأخضر ، نظرًا لحزن الإمبراطور ولسعادة الملك الذى كان توَّاقًا لخدمته ، ونظف سيفه ووضعه فى غمده ، وغرس حرابه وسهامه ، وشكر الله على فضله ومعونته فى أن وفقه فى ذلك العمل المجيد .

ولما رآه الملك هكذا نزل من على صهوة جواده ومعه فارسان آخران ، أحاطوا بذى السَّيف الأخضر ورأى يديه مخضبتين بالدِّماء ، من دمه ودم خصمه ، فقال له :

- يا صديقى الطَّيِّب ، كيف حالكم ؟

- على ما يرام - قال الفارس - بفضل الله ، فما زلت على استعدادٍ للذِّهاب مع رفاقى إلى المعركة غدًا .

وبعد ذلك جعله يمتطى صهوة جواده واصطحبه إلى المدينة فى تشريف عظيمٍ ، حيث تجرَّد من أسلحته فى غرفته وضمدت جروحه . أمَّا الفرسان الرُّومان فقد حملوا جارادان قتيلاً إلى الخيام ، وهناك حزنوا حزنًا شديداً عليه ، فقد كانوا يحبونه حبا جما ، وسيفتقدونه فى المعركة التى كانوا ينتظرونها فى يوم آخر لدرجة أنَّ كثيرين منهم كانوا يتشكَّكون ، لأنَّهم بعد موته - وفى مواجهة الفارس ذى السَّيف الأخضر - لن يستطيعوا أنْ يفعلوا شيئًا ، كانوا يتحدَّثون عما سيفعلون ، فوجدوا أمرين فى غاية الخطورة :

الأمر الأوَّل أنه قد وصل إلى سمعهم مقتل ذلك الفارس الشُّجاع وبقاء عدوه على قيد الحياة استعداداً للقتال ، أمَّا الأمر الثَّانى فإنه لو أنَّهم هجروا المعركة فسيلحق الخزى والعار بإمبراطورهم ، وقد كانوا فى حيرة قاتلة ، لكنَّهم اتفقوا على ألا يشتركوا فى المعركة ويعتذروا أمام الإمبراطور بسبب مكابرات جاراداان وعناده ، وكيف أنَّه ضدً رغبتهم وإرادتهم قرَّر خوض المعركة التى قُتلَ فيها . كانت الأغلبية على هذا الرَّأى فأيدَّوه ، أمَّا الآخرون فقد لاذوا بالصَّمت ، وكان من بينهم فارس شاب نجيب الأصل، يُدعى أركيسيل ، الذى كان ينتسب مباشرة إلى دم الأباطرة ، وعمًّا قريب - إذا مات الإمبراطور باتين بعد أجل مسمًّى - سيكون هذا هو الوريث لكلِّ الإمبراطورية ، هذا السَّبب كان مكروها له وكان دائمًا يبعده عنه . عندما رأى الاتفاق السَّيئ لرفاقه ، لم يجرؤ على أنْ يقول شيئًا نظراً لصِغر سنِّه الذى لم يتجاوز العشرين عامًا ، وقال لهم :

- بالتَّأكيد يا سادتى إنَّنى مذهولٌ من وقوع رجال طيِّبين فى هذا الخطأ الكبير الذى إذا نصحكم به أحدٌ فلا بد أنْ تعتبروه عدوا ، وألاَّ يكون من رأيكم ، وإذا كنتم تخشون الموت فإنَّ الخزى والعار سيلحق بكم من جرَّاء إخفاقكم فى مهمتكم . فى أى شيء تتشكَّكون وممَّ تخافون ؟ هل هناك فارقٌ كبيرٌ بين أحد عشر فارسًا وعشرة فرسان ؟ إذا كنتم فعلتم ذلك لمقتل السَّيد جاراداان فينبغى عليكم أنْ تفرحوا لأنَّ رجلاً مكابراً جدا وغير عاقل أصبح خارج فرقتنا، وإذا كنتم فعلتم ذلك بسبب ذلك الفارس الذى تخشونه كثيراً فإنَّنى سأتكفَّل به وأعدكم بأنَّنى لن أرحل حتى الموت . إنَّ ذلك كان على رأس الفرسان لفترة من الزَّمن ، انظروا إلى الفارق بينكم وبين خصومكم . لذلك يا سادتى لا داعى لهذا الخوف الكبير فى أنفسكم لأنَّ الموت سيلحق بكم وسيتبعكم بسبب قصدكم هذا أو سيكون موتا سرمديا ومهينا .

كان لهذه الكلمات تأثيرٌ قوى لذلك المدعو أركيسيل لدرجة أنَّ مقصد رفاقه قد تغيَّر تمامًا، وشكروه شكرًا جزيلاً وأثنوا على نصيحته وقرَّروا خوض المعركة .

بعد أنْ ضمَّدت جراح الفارس ذى السَّيف الأخضر ، وبعد أنْ أطعموه قال للملك :

- يا سيدى ، من الأفضل أن تخبروا الفرسان أنَّه ينبغى عليهم أنْ يكونوا فى المعركة غدًا، وينبغى عليهم أنْ يُبكِّروا ويأتوا إلى هنا عند الفجر للاستماع إلى القُدَّاس فى مصلاَّكم ، لأنَّنا سنذهب معًا إلى ساحة القتال .

- هكذا سيتم - قال الملك - ونجلى جراساندور سيكون أولهم ، أمَّا الآخرون فسيكونون كما هم ، وبعون الله ومساعدتكم سنحقق النَّصر .

- لا تدع الله - قال الفارس - طالما أنَّ لدىَّ أسلحةً لم ترها أنت ولا نجلك ، وسيكون الآخرون كذلك كما هم ، بعون الله ومساعدتكم ، سنحقق النَّصر .

- توكل على الله - قال الفارس - وطالما أنَّ لدىَّ أسلحةً لم ترها أنت ولا نجلك ، وسيكون الآخرون مثله أيضًا وحتى يستطيعون أنْ يعفونى .

قال جراساندور له :

- يا سيدى الفارس ذا السِّيف الأخضر ، لن أُعفى أنا طالما أنَّكم ستشاركون فى هذه المعركة مثل الأخريات التى حدثت فى وجودى ، وإذا كنت جديرًا بهذا الفارس مثلكم أرجو منحى هذا الشَّرف، ومن الآن فصاعدًا أطالبكم بأنْ تضمونى إلى فرقتكم . لذا مهما كانت الأسباب والظُّروف لن أتخلَّف عن مواجهة الغد ، حتى ولو لكى أتعلَّم شيئًا من فنون قتالكم العظيمة الهائلة .

تواضع الفارس ذو السيف الأخضر بسبب الشرف الرَّفيع الذى منحه إياه نجل الملك بوقار عظيمٍ ، وتوجَّه إليه بما هو أهلٌ له ، وقال له :

- يا سيدى ، إذا كان هذا سيسعدكم فلكم ما أردتم بعون الله .

قال الملك :

- يا صديقى الطَّيِّب، إن كانت أسلحتكم ليست على ما يرام وليس بها أىُّ دفاع أو حصانةٍ ، فإننى أريد تزويدكم ببعض الأسلحة التى لم تروها قط ، وأدرك أنَّها ستنال إعجابكم ، وجوادٍ وإن كنتم قد رأيتم الكثير من الجياد ، فلن يكون هناك أفضل منه .

وبعد ذلك أمر بإحضاره ، وقد وضع عليه سرج جميل وزيِّن بأفضل زينةٍ . عندما رآه الفارس ذو السيف الأخضر جميلاً جدا وقد تزيَّن بأحلى زينةٍ تنهَّد ، وقال لو كان في ذلك المكان لأمكنه إرساله إلى صديقه المخلص أنجريوتي دي إيستراباوس كي يستخدمه أفضل استخدام . كانت الأسلحة جميلة جدا ، وكان بها الميدان الذَّهبي للقتال والأسود الزَّرقاء الرَّمادية اللون وشعارات الفارس على هذه الوتيرة أو النَّمط ، لكن السَّيف كان أفضل سيف رآه على الإطلاق ، بما في ذلك سيف الملك ليسوارتي وسيفه الخاص ، وظلَّ ينظر إلى السَّيف الأوَّل ، وأعطاه لجراساندور لكي يخوض به الحرب .

وفي اليوم التالي استمعوا إلى القُدَّاس مع الملك وقد تسلَّحوا جميعًا وقبَّلوا يديه وامتطوا صهوات جيادهم وذهب معهم كثيرٌ من الفرسان ، وذهبوا إلى السَّاحة حيث ستدور رحى المعركة ورأوا كيف أنَّ الرُّومان تسلَّحوا وامتطوا جيادهم وقد تزوَّد رجالهم بكثير من الطُّبول في سعادةٍ غامرةٍ استعدادًا لبذل الجهد والتَّضحية . وكان أركيسيل بينهم يمتطي جوادًا أبيض وأسلحته خضراء ، وقال لرفاقه :

– تذكروا ما تحدَّثنا بشأنه ، وإنَّني سأنَفذ ما وعدتكم به . وتوجَّه إلى الفارس ذي السَّيف الأخضر ، والتقيا بالحراب التي تحطَّمت فيما بعد ، وقد خرج أركيسيل من السرج إلى عجز الجواد وقد استعان بالقرابيس ، وبما أنَّه كان شجاعًا استعاد مكانه على السرج . توجَّه إليه الفارس ذو السَّيف الأخضر واقترب منه ، وبجزءٍ من حربته بقي لديه وجَّه الضَّربة قوية إلى أوَّل فارس قابله في الخوذة أخرجها من رأسه وأسقط أركيسيل ، لكنه التقى بفارسين ضرب أحدهما في درعه والآخر في ساقه ، اجتازت الحربة الجزء السُّفلي من الدِّرع فأصابته بجرح تألَّم منه كثيرًا مما جعله أكثر غضبًا وحنقًا مما كان عليه من قبل ، وعندما استخدم السَّيف جرح فارسًا ، ولكن الفارس تفادى الضَّربة فانهالت على عنق الجواد فمزَّقته تمزيقًا ، وبالتَّالي سقط على الأرض ووقع على ساق سيده فأصابها .

اعتدل أركيسيل على السرج ، وأمسك السَّيف بقوةٍ وذهب ليُصيب الفارس ذا السَّيف الأخضر بكل قوته فوق خوذته ، فتطاير الشَّرر من الخوذه والسَّيف مما جعله

يخفض رأسه كثيراً ، إلاَّ أنَّه لم يتأخَّر كثيراً فى الفوز بالجائزة ، حيث أصابه بجرح فى الكتف وحطَّم أسلحته ومزَّق لحمه ، لدرجة أنَّ أركيسيل أحسَّ بأنَّه فقد ذراعه .

وبما أنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر رآه هكذا تجاوزه وذهب ليصيب الآخرين الذين أثخنهم جراساندور ورجاله بالجراح . ومع ذلك تتَّبعه أركيسيل وأصابه فى جميع أنحاء جسده، لكنَّها كانت إصابات خفيفة كما فى البداية . عاد إليه الفارس ذو السَّيف الأخضر وأصابة ثمَّ توجَّه إلى الآخرين ، ولم تكن لديه الرَّغبة فى أن يُصيب أركيسيل بمزيد من الجروح فقد كان مثخنًا بالجراح فى جميع أنحاء جسده ، وعندما رآه يتقدم رجاله أملاً فى لقائه ، لأنَّ أركيسيل لم يكترث بجراحه ، فقبل ذلك كان قد توغل بين الجميع وأصاب الفارس ذا السَّيف الأخضر على قدر استطاعته . وفى تلك السَّاعة كان قد سقط بعضهم صرعى وأصيب بعضهم الآخر ، بينما استسلم الباقون عندما عجزوا عن الدفاع عن أنفسهم . ولما رأى الفارس ذو السَّيف الأخضر أنَّ أركيسيل كان يتتبعه غير عابئ بجراحه قال :

– ألا يوجد أحدٌ يحمينى من هذا الفارس .

سمعه جراساندور فذهب نحوه مع فارسين والتقوا به ، كان الجميع جنبًا إلى جنب وقد وجدوا أركيسيل منهكًا فأخرجوه من السرج وطرحوه أرضًا وتوجَّهوا إليه لقتله ، لكنَّ فارس القزم أنقذه ، وقال :

– يا سادتى لقد أصبت كثيراً من هذا الفارس ، فدعوه لى كى أنتقم منه .

بعد ذلك ابتعد الجميع ، ووصل هو وقال :

– يا أيُّها الفارس كن أسيراً إذا كنتم لا تريدون الموت على أيدى من يتوق إلى ذلك .

أركيسيل الذى لم يكن ينتظر شيئًا آخر سوى الموت كان سعيداً ، وقال :

– ياسيدى ، إنَّ قدرى أراد الكثير ولكن لم يستطع أنْ يفعل أكثر من ذلك ، فأنا أسيركم وأشكر لكم الحياة التى تهبونها لى. وأخذ منه السَّيف ثمَّ أعطاه إيَّاه فيما بعد، وقد وعده بأنَّه سيفعل ما يأمره به، ونزل عن صهوة جواده وظلَّ معه،

وجعله يمتطى جواداً آخر كان قد أمر بإحضاره ، ثمَّ امتطى الفارسُ ذو السَّيف الأخضر جواده ، وذهبا إلى الملك الذى سعد أيَّما سعادةٍ لأنَّه رأى أنَّ حربه الخطيرة قد انتهت فرحَّبَ بهما ، واصطحبهما إلى قصره ، وذهب الفارسُ ذو السَّيف الأخضر إلى غرفته ومعه أسيره أركيسيل حيث أُكرِم أعظم إكرام لكونه جديراً بذلك ، فقد كان فارساً عظيماً ومن أسرة نجيبة الأصل كما سمعتم . لكن أركيسيل قال له :

– يا سيدى الفارس ذا السَّيف الأخضر ، أتوسَّل إليكم لرجاحة عقلكم أنْ أظلَّ أسيركم لكى أساعدكم وقتما تأمرونى بذلك ، وأنْ يكون سجنى تحت إمرتكم ، وأنْ تسمحوا لى بعلاج رفاقى الذين بقوا على قيد الحياة ، وأن أدفن موتاهم .

قال الفارس ذو السَّيف الأخضر :

– إنَّنى أمنحكم ذلك ، وتذكَّروا الوعد الذى قطعتموه على أنفسكم . ثمَّ عانقه وودعه وذهب هو إلى رفاقه الذين وجدهم فى حالة يرثى لها ، وأصدر أوامره بأنْ يأخذوا جثمان جارادان والموتى الآخرين ليدفنوهم فى الطريق . ولهذا لن يتطرَّق الحديث إلى هذا الفارس إلى أنْ يحين الوقت المناسب، حيث سنحكى عن شجاعته الفذَّة . ظلَّ الفارس ذو السَّيف الأخضر هناك مع الملك طافينور حتى شُفى من جراحه . وبما أنَّه رأى أنَّ حرب الملك قد انتهت فكَّر فى الهموم والرَّغبات القاتلة التى سببتها له زوجته أوريانا ، والتى أثَّرت فيه كثيراً فى ذلك الحين ، لذلك فكَّر فى أنَّ أفضل شىءٍ هو التَّخلص من تلك الهموم بالسَّير ، وأنَّ الإرهاق كفيلٌ بأنْ يريحه من تلك الرَّذيلة . وتحدَّث مع الملك قائلاً له :

– ياسيدى ، بما أنْ حربكم قد انتهت ، وأنَّ قدرى لا يسمح لى بالهدوء ، فمن المناسب أنْ أتخلَّى عن إرادتى وأظلَّ طوع إرادتك ، فإنَّى أستأذن فى الرَّحيل غداً . وبفضل الله أريد الوصول فى الوقت المناسب ، وآمل أنْ أستطيع الرَّد على تكريمكم وتشريفكم لى بأنْ أستطيع خدمتكم وقتما تريدون .

عندما سمع الملك منه ذلك اضطرب ، وقال :

- آى ، يأيها الفارس ذو السَّيف الأخضر ، يأيُّها الصَّديق الحقيقى ، خذ من مملكتى ما تشاء وكذلك من القيادة والسُّلطة والأموال ولا أراكم تبتعدون عن رفقتى .

- يا سيدى - قال الفارس - إنِّى أصدق ذلك . وتعلمون جلالتكم رغبتى فى خدمتكم ، وهذا شرف عظيمٌ لى وفضلٌ منكم ، لكن الأمر لا يتعلق بى ولن أرتاح حتى يهدأ قلبى الذى دائمًا يفكِّرُ فى ذلك الجزء الغالى من الوطن .

رأى الملك عزمه الصَّارم ، وبعد تأكده من ضرورة مباشرة أموره بنفسه وأنَّه ليست هناك طريقة لتغيير إرادته قال له بمحيًا حزينٍ :

- يا صديقى المخلص ، لك ما أردت ، لكن هناك أمرين أرجوك إيَّاهما : الأوَّل أنَّنى سأتذكرك دائما وكذلك مملكتى ، ونحن طوع أمرك لتلبية احتياجاتك إذا لزم الأمر . أما الأمر الثَّانى فستسمعون القُدَّاس معى فإنَّنى أُريد التحدث معكم .

- يا سيدى - قال الفارس - هذا الوعد الذى وعدتمونى إيَّاه فإننى أقبله كى أتذكَّره إذا لزم الأمر ، وغداً بعد أنْ أتسلَّح بأسلحتى وأنا فى الطريق سأكون معكم فى القُدَّاس .

- أمر الفارس ذو السَّيف الأخضر جندالين فى تلك الليلة بأن يُعدَّ كل ما يحتاجون إليه لأنه فى الغد يريد الرَّحيل ، وهكذا تحقَّق له ما أراد . لم يستطع النَّوم فى تلك الليلة لأنَّ العمل البدنى نأى بالروح عنه مما سبَّب له كثيراً من الهموم والكروب والرَّغبات القاتلة التى كانت تتعلَّق بزوجته ، وقد أرهقه ذلك كثيراً .

- وعندما حلَّ الصَّباح كان قد بكى بكاءً مريراً وكثيراً ، نهض وتقلَّد أسحلته وامتطى صهوة جواده ، وركب كل من جندالين والقزم جواديهما وقد حملا معهما الأشياء الضَّرورية اللازمة للطَّريق . ذهب الفارس إلى مصلَّى الملك فاستقلبه بحفاوةٍ ، وبعد أنْ استمع إلى القدَّاس أمر الملك بأنْ يخرج الجميع من المصلَّى ، ويبقى بمفرده مع الفارس ذى السَّيف الأخضر ، وقال له :

- يا صديقى العظيم ، امنحنى شيئًا شريطة ألاَّ يؤثر عليكم فى طريقكم ولا على شرفكم.

- هكذا فكرت فى ذلك - قال الفارس - ما عليكم إلا أنْ تطلبوه طبقًا لفضيلتكم العظيمة ، وأنا سأمنحكم إيَّاه .

- إذن يا صديقى الطَّيِّب - قال الملك - أخبرنى ما اسمك وأنت نجلُ منْ ، وصدِّقونى أنَّنى سأحتفظ به سرا حتى تفشوه بأنفسكم .

ظلَّ الفارسُ ذو السَّيف الأخضر برهةً دون أنْ يتكلَّم وقد أثقل كاهله ما تورَّط فيه ، وقال :

- يا سيدى ، من فضلكم هل بوسعكم التَّخلى عن هذا السؤال ، فهو ليس فى صالحكم .

- يا صديقى الطَّيِّب - قال الملك - لا تتردَّدوا فى أنْ تذكروه لى ، وسأحفظهُ لكم كما تحفظونه بأنفسكم .

قال الفارس له :

- إذن بما أنَّ هذا يرضيكم ويسعدكم ، وإن كان ذلك ضدَّ إرادتى ، اعلموا جلالتكم أنَّنى ذلك المدعو أماديس دى جاولا نجل الملك بيريون الذى تحدَّثتم عنه أثناء المعركة .

قال له الملك :

- آى ، يا أيُّها الفارس نجيب الأصل نحن ، نعمت السَّاعة التى ولدتم فيها ، ولقد شرُف بكم والدكم ووالدتكم وكلُّ أسرتكم ، وكذلك نحن الذين لسنا من أسرتكم ، لقد أسعدتمونى بإبلاغكم إيَّاى ذلك ، وإنَّنى على يقينٍ بأنَّ الله سينصركم ، وآمل أنْ أستطيع شيئًا مما أنا مدين لكم به .

وبما أنَّ ذلك الملك قال ما قال بمحض إرادته أكثر من كونه فى حاجة إلى ذلك، فإن أماديس هكذا قد تمَّ له ما أراد بطريقتين : الأولى ، أنه أراد أنْ يُسجِّل كلَّ الأمور المتعلقة بأسلحته فى تلك البلاد وما حدث فيها ، والثَّانية أنَّه كان له أكبر عونٍ مع نجله ورجال مملكته فى عملٍ رائع كما سيقال فيما بعد فى الكتاب الرَّابع .

لقد تمَّ ذلك ، وقد امتطى صهوة جواده ثُمَّ ودَّع الملك الذى كان مصرا على الخروج معه إلا أنَّه أقنعه بالبقاء . خرج معه نجله جراساندور والكونت جالتينيس وكثيرٌ من الرِّجال الطَّيِّبين ، وسار فى الطَّريق بنية المرور بجزر رومانيا لكى يُجرِّب المغامرات التى سيجدها هناك ، وعندما كان على مسافة نصف فرسخ من المدينة عاد هؤلاء الفرسان وقد استودعوه الله ، وواصل أماديس طريقه .

الفصل الحادى والسَّبعون

حينما خرج الملك ليسوارتى للصَّيد مع الملكة وكريماته وكان برفقته فرسانه ، وذهب إلى الجبل حيث توجد صومعة ذلك القديس ناسيانو وجد شابًا أنيقًا حسن الهيئة فى مغامرة غريبةٍ - كان نجل أوريانا وأماديس - فأحسن معاملته دون أنْ يعرفه .

لكى يستريح الملك ليسوارتى ويرفه عن رجاله قرَّر الذَّهاب إلى الصَّيد فى الغابة ، وأن يصطحب معه الملكة وكريماته و كلَّ قهرماناته ووصيفاته ، وأمر بأنْ تُنْصب الخيام عند نافورة LAS SIETE HAYAS (نافورة السَّبع شجرات الزَّان) حيث كان مكانًا جميلاً وساحراً . واعلموا أنَّ هذه الغابة هى التى كان يعيشُ فيها النَّاسك ناسيانو وكان يُشرفُ على تربية إيسبلانديان . وصل الملك والملكة فى رفقته ، وظلَّت الملكة فى الخيام بينما توغَّل الملك وصيادوه فى أعماق الجبل ، وبما أنَّ الأرض كانت فى حراسة رائعةٍ اصطادوا صيداً عظيماً. هكذا حدث ذلك ، وقد حدث أنْ رأى الملك ظبيا منهك القوى ففكَّر فى قتله ، ركض خلفه على جواده حتى دخل الوادى ، وهناك حدث أمرٌ غريبٌ عندما رآه يهبط فى النَّاحية الأخرى حيث رأى صبيًا يتراوح عمره ما بين خمس وست سنوات ، أجمل صبى رأته عيناه، كان يحضر لبؤةً فى شبكةٍ ، وبمجرد أن رأى الظَّبى أطلق عليه اللبؤة وطلب منها صيده .

ركضت اللبؤة بأقصى سرعةٍ ممكنة ولحقت به وأسقطته على الأرض وبدأت تمتص دمه . وصل الصَّبى سعيداً جدا ، وبعد ذلك رأى فتىً أكبر منه بقليل جاء خلفه ، وصلا إلى الظَّبى تغمرهما سعادة كبيرة ، وأخرجا سكينتهما وقطعا من حيث أكلت اللبوءة .

كان الملك بين الأعشاب والشُّجيرات مذهولاً مما رآه ، وقد انتاب الذعر الجواد من اللبؤة ، ولم يستطع الوصول إليهم ، عزف الصَّبى الجميل على صفارة صغيرةً

كانت على عنقه فجاء كلبا صيدٍ ، أحدهما أصفر اللون والآخر أسود فحملا الظبى . وعندما انتهت اللبؤة من تناول طعامها وضعوها فى الشَّبكة، وذهب الصَّبى الكبير معها عبر الجبل وسار الآخر خلفه . لكن الملك الذى كان واقفًا وقد ربط الجواد فى شجرةٍ توجَّه نحوهما ونادى على الصَّبى الجميل فتوجَّه إليه على وجه السُّرعة . ظل الصَّبى واقفا ، ووصل إليه الملك الذى رآه جميلاً جدا فذُهل لهذا الجمال الفتَّان ، وقال:

- يا أيُّها الفتى الطَّيِّب ، فليبارك الله فيك وليوفقك فى خدمته . أخبرنى أين نشأت ومن هو والدك ؟

رد الصَّبىُ عليه قائلاً :

- يا سيدى، إنَّ الرَّجل الطَّيِّب العبد النَّاسك ناسيانو هو الذى ربَّانى ، وأنا أعتبره والدى .

ظلَّ الملك لفترة يتأمَّل ويفكرٍّ كيف أنَّ رجلاً عجوزًا جدا له ابنٌ صغيرٌ وجميلٌ للغاية ، لكنَّه فى النِّهاية لم يُصدق ذلك ، وأراد الصَّبى الانصراف ، لكن الملك سأله أين يوجد منزل النَّاسك ؟

- هناك - قال الصَّبىُ الجميل - المنزل الذى يعيش فيه .

وأطلعه على طريق صغير ليس معبَّدًا ، وقال له :

- من هنا تستطيعون الذَّهاب إلى هناك ، وأترككم فى رعاية الله ، فإننى أريدُ الذهاب خلف ذلك الفتى الذى برفقة اللبؤة فى طريقهما إلى النَّافورة ، حيث يوجد صيدنا .

وهكذا فعل.

عاد الملك إلى جواده ، وامتطاه وسار فى الطريق ، ولم يسر كثيرًا حتى رأى الصَّومعة بين أشجار الزَّان وكثير من نبات العوسج الكثيف . وعندما وصل إليها لم يجد شخصًا واحدًا كى يسأله ، نزل من على صهوة الجواد ثم ربطه عند الباب ، ودخل المنزل فرأى رجلاً جاثيًا على ركبتيه يُصلِّى وفى يده كتابُ ، وقد ارتدى ملابس

الرَّهبانيـة وكانت رأسـه بيضـاء تمامًا ، وأتمَّ صلاته . بعد أن أتم الرَّجل الطَّيِّب قراءة الكتاب ذهب إلى الملك الذى جثا على ركبتيه أمامه وقد توسَّل إليه كى يباركه ، باركه الرَّجل الطَّيِّب . ثم سأله ماذا يريد. فقال له الملك :

– يا صديقى الطَّيِّب ، لقد وجدت فى هذا الجبل صبيا مع لبؤة ، فقال لى إنَّه خادمكم ، ولأنَّه قد بدا لى غريبًا فى جماله وحسن هندامه ، وفى مرافقته لتلك اللبؤة ، فإنَّنى أتوسل إليكم كى تشيروا علىَّ أين منزلكم ، وأعدكم بصفتى ملك بألا يلحق بكم أىُّ أذى .

عندما سمع الرَّجلُ الطَّيِّب ذلك حملق فيه أكثر من ذى قبل ، وعرف أنَّه رآه فى مرَّات أخرى وجثا أمامه على ركبتيه وأراد أنْ يُقبِّلَ يديه، لكن الملك جعله ينهض وعانقه، وقال له :

– يا صديقى ناسيانو ، إنَّنى أتيت تحدونى الرَّغبة فى معرفة ما أسألك عنه ، ولا تتردَّدوا فى إخبارى به .

اصطحبه الرَّجل الطَّيِّب خارج الصَّومعة عند الباب حيث كان جواده مربوطًا ، وجلس على مصطبةٍ ، وقال :

– يا سيدى ، إنَّنى أصدق كلَّ ما تقولونه لى ، وأنكم بصفتكم ملكا تحافظون على هذا الطفل ، لأنَّ الله أراد حفظه ، وبما أنَّه يسركم أن تعرفوا عنه المزيد ، أقول لكم : لقد وجدته وربيته فى مغامرةٍ غريبةٍ جدا .

حينئذ حكى له كيف أنَّه أخرجه من فم اللبؤة وكان متدثِّرًا بملابس فاخرة، وكيف أنَّه ربَّاه على لبنها ولبن نعجة فضلاً عن مرضعةٍ طبيعية كانت زوجة شقيقه كانوا يسمونها سارخيل . وهكذا يُسمَّى أيضا الفتى الثَّانى الذى رأيتموه معه .

وقال :

– بالتَّأكيد يا سيدى ، أعتقد أنَّ الطفل نجيب الأصل ، ولديه شىء من أغرب ما رأيته على الإطلاق . وهو أننى عندما قمت بتعميده وجدت فى جانب صدره الأيمن

بعض الحروف البيضاء بلغة لاتينية غامضةٍ تقول إيسبلانديان ، وقد أسميته كذلك، وفى الجانب الأيسر فى جهة القلب سبعة حُروف ملونة مثل الياقوت الرَّقيق، لكن لم أستطع قراءتها لكونها بعيدة تمامًا عن اللاتينية وعن لغتنا .

قال له الملك :

- إنَّكم تقولون لى أشياء عجيبة ، يا أيُّها الأب ، لم أسمع عنها من قبل ، وأعتقد أنَّ اللبؤة أحضرته صغيراً جدا كما تقولون ، وبالتَّالى لا يمكن أنْ تكون قد أتت به إلا من مكانٍ قريب من هنا .

- إنَّ ذلك مالا أعرفه - قال النَّاسكُ - كما لم نحاول معرفة ذلك ، وتركنا ذلك لإرادة الربَّ .

- إذن أرجوكم وألح فى الرَّجاء - قال الملك - وأدعوكم هنا لتناول الغداء معى غداً، فى هذه الغابة عند نافورة أشجار الزَّان السَّبع، وهناك ستجدون الملكة وكريماتها وآخرين فى رفقتنا ، وأحضروا معكم إيسبلانديان مع اللبؤة كما وجدتها ، والفتى الآخر نجل شقيقتكم الذى ينبغى علىَّ أنْ أفعل شيئًا من أجله لأنَّ والده سارخيل كان فارسًا طيِّبًا وخدم شقيقى الملك بإخلاص .

عندما سمع الرَّجل الطَّيِّب ناسيانو هذا الكلام قال :

- سأفعل ذلك كما أمرتمونى ، يا سيدى ، وأدعو الله أنْ يكون بفضل الله فى خدمته .

امتطى الملك صهوة جواده وعاد من الطَّريق نفسه الذى جاء منه ، وسار كثيرًا حتى وصل إلى الخيام بعد ساعتين من الظُّهر ، فوجد هناك السَّيد جالاؤر ونوراندیل وجيلان المربِّى والحارس الذين جاءوا بظبيين كبيرين جدا قد ماتا لأنَّهم قطعوا مسافةً كبيرة بالنَّهر ، لكنه لم يخبرهم بشىء عن مغامرته ، وأمر بإحضار المفارش لكى يتناولوا الطَّعام . وصل السَّيد جروميدان ، وقال :

- يا سيدى ، إنَّ الملكة لم تأكل ، وطلبت من جلالتكم التَّحدث معها قبل الأكل ، وأن يتمَّ الامتثال لذلك .

نهض الملك فيما بعد وتوجَّه إلى هناك ، فأطلعته الملكة على رسالة مغلقةٍ بزمردة تقول: "هذا هو خاتم أورجاندا المجهولة" . وقالت :

– اعلم ، يا سيدى ، أننى عندما كنت قادمة فى الطَّريق ظهرت هناك فتاةٌ أنيقة الملبس على جوادٍ ، ومعها قزمٌ على ظهر جواد جميل لونه يشبه لون الخوخ ، وعلى الرَّغم من أنَّ الذين كانوا يسيرون أمامى قد لحقوا بها فإنها لم ترد إخبارهم بمن هى ولا حتى أوريانا ولا الأميرات اللاتى كنَّ يرافقنها ، وبمجرد أنْ خرجت وقالت لى أيتها الأميرة خذى هذه الرِّسالة واقرئيها مع الملك اليوم قبل تناول الغذاء .. انصرفت عنىِّ ، وقد تبعها القزم يحثُّ جواده على السير ، ابتعدت كثيراً وبسرعة ، فلم يكن لدى مجالٌ لكى أسألها عن شىءٍ .

فتح الملك الرِّسالة وتلاها ، وكانت تقول ما يلى :

" إلى الشَّريف وصاحب المقام الرَّفيع الملك ليسوارتى : أنا أورجاندا المجهولة أحبكم حبا جما ، وأنصحكم من أجل مصلحتكم بأنَّه عندما يظهر الصَّبى الجميل الذى أرضعته ثلاث مرضعات مختلفات بأنْ تحبوه وتحافظوا عليه جيداً ، ولسوف يكون سببًا فى إدخال السُّرور عليكم ، وسينقذكم من أكبر خطرٍ سيحدق بكم . إنَّه غلامٌ نجيب الأصل ، واعلموا ، أيُّها الملك ، أنَّه من اللبن الذى رضعه من مرضعته الأولى سيكون قويا جدا وشجاع القلب، وسيتغلب على جميع الشُّجعان فى عصره وسيطمس ذكرهم ، ومن لبن المرضعة الثَّانية سيكون وديعًا ، عاقلاً ، متواضعًا وذكيا للغاية ، وسيكون صبيًا جلدًا أكثر من أىِّ رجل آخر فى العالم، وبالنسبة لرضاعة المرضعة الثَّالثة سيكون عاقلاً جدا وذا ذكاء خارقٍ وكاثوليكيا وذا كلامٍ طيِّبٍ ، وسيكون فى جميع أموره سبَّاقًا وموقرًا بين الجميع ، ومحبوبًا ومعزَّزًا من الرِّجال الطَّيِّبين أكثر من جميع الفرسان ، ولن يكون له مثيل من بينهم ، وستكون أعماله الحربية فى سبيل الله ، سيزدرى ما يتوق إليه فرسان عصره من الشُّهرة والمجد الدُّنيوى . وسيجعلكم دائمًا عن يمينه وزوجتكم عن يساره . وأقول لك بالإضافة إلى ذلك ، يا أيُّها الملك الطَّيِّب ، إنَّ هذا الصَّبى الجميل سيكون السَّببَ فى أنْ يحلَّ السَّلامُ بينك وبين أماديس ، وهذا أمرٌ لن يحظى به أىُّ فارس آخر" .

شكر الملك الله بعد أنْ انتهى من قـــراءة الرِّسـالة لما بها من هذه البشارات الرَّائعة ، وقال :

- إنَّ معرفة هذه المرأة لا يمكن التَّفكير فيها ولا كتابتها .

وقال للملكة :

- اعلمى أنَّنى وجدت الصَّبى نفسه الذى تتحدَّث عنه أورجاندا .

وحكى لها كيف رآه مع اللبؤة، وكيف أنَّه توجَّه إلى النَّاسك، وما عرفه منه عن ذلك الصَّبى ، وكيف أنَّ ذلك الطفل سيأتى غدًا لتناول الغداء معهم . كانت الملكة سعيدة جدا لما سمعت بأنَّها سترى الطِّفل الغريب ، ولأنَّها ستتحدَّث مع ذلك الرَّجل الطَّيِّب عن بعض الأشياء التى تدور فى وجدانها ، وعندما أراد الملك الانصراف عنها أخبرها ألاَّ تفصح عن شىءٍ ممَّا قاله لها لأحدٍ مهما كان ، ثم ذهب إلى خيمته ليتناول الغداء ، حيث وجد كثيراً من الفرسان كانوا فى انتظاره ، وظلَّ هناك يتحدَّث معهم عن الصَّيد الذى قاموا به ، وأمرهم بألاَّ يذهب أحدٌ منهم للصَّيد يومًا آخر لأنَّه يريد أنْ يقرأ عليهم رسالة بعثت له بها أورجاندا المجهولة ، وأمر القنَّاصون بأن يأخذوا جميع الحيوانات الموجودة إلى وادٍ ناءٍ ، وأنْ يظلوا معهم طوال اليوم . لقد فعل الملك ذلك حتى لا ينتابهم الذُّعر من اللبؤة .

هكذا - كما تسمعون - قضوا ذلك اليوم يتسلَّون فى ذلك المرج الأخضر الذى كانت تغطيه الزُّهور والعشب الأخضر النَّضر .

وفى اليوم التَّالى جاءوا إلى خيمة الملك ، وهناك استمعوا إلى القدَّاس ، ثم أخذهم الملك معه وذهب إلى خيمة الملكة حيث كانت تجلس عند حافة نافورةٍ فى مرجٍ نضرٍ جدا يلائم الطقس فى ذلك الحين ، فى شهر مايو ، وكانت رافعة ذراعيها مثل جميع القهرمانات والأميرات والوصيفات الأخريات بطريقة عظيمة حيثما كن يجلسن فى منصاتهنَّ . ووصل إلى هناك الفرسان نجيبوا الأصل لكى يتحدثوا معهنَّ . وبما أنَّهم كانوا هناك جميعًا أمر الملك أنْ تقرأ رسالة أورجاندا التى سمعتموها ، حيث استمعوا إليها واندهشوا من أنَّ الصَّبى المحظوظ سيكون ذلك الفتى ، لكن أوريانا كانت أكثر الحاضرات إصغاءً واهتمامًا . تنهَّدت بسبب نجلها الذى فقدته ، وفكَّرت فى أنْ يكون هو ذلك الصَّبى بالصُّدفة . قال الملك لهم :

– ما رأيكم فى هذه الرِّسالة ؟

– بالتأكيد يا سيدى – قال السَّيد جالاوْر – إنَّنى لا أشكُّ فى حدوث ذلك كما تقول ، بسبب أمور أخرى كثيرة أخبرت بها أورجاندا والتى كانت حقيقيةً بالفعل . وإن كانت الصُّدفة التى جعلت هذا الصَّبى يأتى حينما أراد الله أنْ يريه لنا ، فأنا أسعد الجميع لأنَّه سيتحقَّق ما أتوق إليه ، وهو أنْ أرى أنَّ شقيقى أماديس سيحبكم وسيكون فى خدمتكم ، وكل أسرتى كذلك ، كما حدث من قبل .

قال الملك له :

– إن كان ذلك فى يد الله ، فهذه إرادته ، ولا راد لإرادته ، وسنكون سعداء معها .

هكذا إذنْ، وبينما كانوا يتحدَّثون عن هذه الأمور رأوا النَّاسك قادماً ومعه خدمه . كان إيسبلانديان قادمًا فى الأمام ومعه أخوه فى الرضاعة ، وكان يحضر اللبؤة فى شبكة رقيقة ، وجاء بعدهما حاملوا الأقواس ، هؤلاء الذين ساعدوا فى تنشئة إيسبلانديان فى الجبل ، وقد أحضروا الظَّبى الذى اصطاده إيسبلانديان على ظهر حيوان ، وكان هؤلاء يحملون أقواسهم ، وكان الكلبان يحملان إيسبلانديان فى شبكة وجاء خلفهم الرَّجل الطَّيِّب ناسيانو . وعندما رأى أهل الخيمة هذه الصُّحبة واللبؤة الضَّخمة جدا والخائفة نهضوا مذهولين وذهبوا ليقفوا أمام الملك ، لكنَّه بسط عصاه وأمرهم بأنْ يظلُّوا فى أماكنهم قائلاً لهم :

– إنَّ ذلك الذى استطاع أنْ يحضر اللبؤة قادرٌ على أنْ يحميكم منها .

قال السَّيد جالاوْر :

– حسنًا ، فليكن ذلك ، وإن كان يبدو لى أننا سنكون فى حماية ضعيفة ، خاصة إذا نظرنا إلى القناص الذى أحضرها إذا غضبت اللبؤة ، إنَّ هذا يبدو شيئًا عجيبًا .

انتظر الأطفال ورماة الأقواس حتى يكون الرَّجل الطَّيِّبُ فى المقدمة ، وعندما اقتربوا من الملك قال لهم :

- يا أصدقائى ، اعلموا أنَّ هذا هو الرجل الطَّيِّبُ ناسيانو الذى يعيش فى هذا الجبل، فلنذهب إليه لكى يباركنا ويدعو لنا .

حينئذ جثوا أمامه راكعين ، وقال له الملك :

- طوبى لك يا عبد الله ، ادع لنا وباركنا .

رفع يده ، وقال له :

- باسم الله تلقُّوا البركة كإنسانٍ خطَّاء .

وبعد ذلك أخذه الملك وتوجَّها إلى الملكة ، لكن النسوة حينما رأين اللبؤة المتوحشة - التى كانت تحرك عينيها يمنةً ويسرةً تنظر إليهنَّ ، وتخرج لسانها المشرب بالحمرة بين شفتيها، وتظهر أسنانها القوية جدا والحادة للغاية - انتابهن الهلع عند رؤيتها .

استقبلت الملكةُ وكريمتها وجميع الحاضرات السَّيد ناسيانو استقبالاً حافلاً ، وقد ذهلن جميعًا من جمال الصَّبى الفتَّان الذى ذهب أمام الملكة ، وقال :

- يا سيدتى ، نحضر لجلالتك هذا الصَّيد .

اقترب الملك منه ، وقال :

- يا أيُّها الصَّبى الطَّيِّب ، وزِّعه كما يحلو لكم .

فعل هذا لكى يرى ماذا سيفعل مع الصَّيد . قال الصَّبى :

- إنَّ الصَّيد صيدكم ، فأعطوه ، جلالتكم ، لمن تحبون .

- ما زلت مصرا - قال الملك - على أنْ توزِّعوه أنتم .

انتاب الصَّبى الخجل ، واحمرَّ وجهه كالوردة مما جعله أكثر جمالاً ، وقال :

- يا سيدى ، خذوا الظَّبى لكم ولرفاقكم .

وذهب إلى الملكة مع سيده ناسيانو وتحدَّث معها، وجثا راكعًا أمامها وقبَّل يديها، وأعطاها حيوان اليحمور ، ونظر إلى يمينه ، وبدا له أنَّه لم تكن هناك أيَّةُ إنسانة جديرةٍ بالتَّشريف فى نظره أكثر من أوريانا والدته التى لم تكن تعرفه . اقترب منها وجثا أمامها على ركبتيه ، وأعطاها طيور الحجل والأرانب ، وقال لها :

- يا سيدتى ، إنَّنا لا نصطاد بأقواسنا صيداً آخر إلا هذا .

قالت له أوريانا :

- يا أيُّها الصَّبى الجميلُ ، ليوفقك الله فى الصَّيد وفى كلِّ الأمور الأخرى ، نادى عليه الملك ، وكان جالاؤر ونورانديل قريبين منه فأخذاه وعانقاه مرات كثيرةٍ ، وكأنَّ الفطرة شدَّتهما وجذبتهما إليه ، حينئذٍ أمر الملك الجميع كى يلتزموا الصَّمت ، وقال للرَّجل الطَّيِّب ناسيانو :

- يا أيُّها الأب صديق الله ، قص علينا الآن أمام الجميع قصَّة هذا الصَّبى كما أخبرتنى بها ، حكى لهم الرَّجل الطَّيِّبُ هناك كيف أنَّه عند الخروج من صومعته رأى كيف أنَّ لبؤة شجاعة كانت تحمل ذلك الصَّبى فى فمها متدثَّرًا فى أحلى الثِّياب الفاخرة أمام أشبالها ، وكيف أنَّه بفضل الله وضعته عند قدميه ، وكيف أنَّها أرضعته من لبنها مثل نعجةٍ كانت لديه وسبق لها الولادة حتى أعطاه لمرضعة لتُربيه . وحكى لهم كلَّ الأمور التى حدثت له أثناء نشأته وأنَّه لم ينقصه شيءٌ كما حكى ذلك الكتاب . عندما سمعت ذلك أوريانا ومابيليا والوصيفة الدانماركية نظرن بعضهن إلى بعض ، وقد ارتعدت أجسادهن من السُّرور عندما علمن بأنَّ ذلك الصَّبى بالفعل هو نجل أماديس وأوريانا ، الذى فقدته الوصيفة الدانماركية كما سمعتم من قبل . لكن عندما جاء النَّاسكُ ليتحدَّث عن الأحرف البيضاء والملوَّنة الموجودة على صدره ، والتى أظهرها لكى يراها الجميع ، حينئذٍ تأكَّدت لهن شكوكهن الحقيقية فغمرتهن سعادةٌ كبيرةٌ فى أنفسهن لا يمكن سردها . وخاصة الفاتنة الحسناء أوريانا عندما علمت أنَّ هذا الصَّبى هو نجلها الذى كانت تَعُدُّه مفقوداً .

طلب الملك من الرَّجل الطَّيِّب ناسيانو الصَّبيين لكى يربِّيهما بكفاءة ، فقام بدوره على أكمل وجه كى يقوما بالمهام المنوطة بهما التى خلقها الله من أجلهما، وإن كان ناسيانو قد أحسَّ بحزنٍ عميقٍ لأنَّه أصبح وحيداً ولأنَّه كان يحبُّ إيسبلانديان حبا جما .

وعندما أصبحا فى حوزة الملك أعطى إيسبلانديان للملكة لكى يخدمها، وبعد وقتٍ قليلٍ أعطته لنجلتها أوريانا التى اعتنت به اعتناءً كبيراً مثل تلك التى ولدته .

هكذا كان هذا الطِّفل - كما سمعتم - فى حضانة والدته بعد أنْ كانت قد فقدته كما سمعتم . كانت تخاف عليه خوفًا شديداً بعد أنْ تمَّ إخراجه من فم تلك اللبؤة المتوحشة التى تربَّى على لبنها . إنَّ هذه هى معجزات الله القادر على كلِّ شىءٍ ، الله الذى يرعانا ويحفظنا جميعًا ، الذى يريد ولا رادَّ لإرادته . وهناك أولادٌ آخرون من أبناء الملوك وعلية القوم تتم تربيتهم بين الحرير والإستبرق الرَّقيق ، وعلى الزَّرابى البيضاء من الفراش الوثير ، ويحيطهم حبُّ من يربونهم فضلاً عن كثيرٍ من الهدايا والرِّعاية دون نوم بلا سكينةٍ أو هدوء إذا حدث لهم أىُّ حادث ، ويخرجون إلى هذا العالم ضعفاء لا يقوون على مجابهة المشاكل أو التَّصدى للصِّعاب. إنَّ الله أراد أنْ يحدث ذلك ، والله عادلٌ فى كلِّ شىء ، ولشىءٍ عادل ينبغى على الأطفال أنْ يحصلوا على الرِّعاية والاهتمام من جانب الآباء والأمهات ، وينبغى أنْ يتوجَّه هؤلاء الآباء والأمهات بالشُّكر إلى الله الذى أراد فرض إراداته ، التى لا تشبه إراداتنا التى كثيراً ما تخطئ ، أمَّا إرادة الله فلا يشوبها شىء من الخطأ .

اعترفت الملكة للرَّجل الطَّيِّب وكذلك أوريانا ، حيث اضطرتا لكشف سرِّهما وسر أماديس ، وبما أنَّ ذلك الطِّفل كان نجله ، وفى تلك المغامرة فقده ، لم يخبر بذلك أىَّ شخص فى العالم اللهم إلا الذين كانوا على علم بذلك راجيًا إيَّاهم ألا ينسوا الدُّعاء فى صلواتهم . اندهش الرَّجل الطَّيِّب من ذلك الحبِّ بالنِّسبة لرجل فى منصبٍ مرموق ورفيع المنزلة كان ينبغى عليه أنْ يكون القدوة ، وقد انتهرها كثيراً وطلب منها ألا تخطئ خطأً عظيمًا ، وإلاَّ فلن يصفح عنها ويغفر لها، وستعرض نفسها وروحها للخطر . لكنها قالت - وهى تبكى مثلما بكت فى الوقت الذى انتزعها فيه أماديس من أركالاوس السَّاحر -

إنَّ أماديس حين عرفها في باديء الأمر كانت قد تلقَّت منه وعداً بأنَّه سيكون زوجها ، ويمكن أنْ يتحقق ذلك بل يجب أنْ يتم . كان النَّاسك مسروراً جدا من ذلك ، وكان سبب خيرٍ عميم ووفير لكثيرٍ من النَّاس الذين أعفوا من عقوبة الموت المرعبة المحققة التي كانت تنتظرهم كما سيحكي لنا الكتاب الرَّابع والذي هو أطولهم قاطبةً .

حينئذ برَّأها وعفا عنها ، وقدَّم لها الكفارة التي كانت تناسبها ، ثم توجَّه بعد ذلك إلى الملك ، وأخذ إيسبلانديان معه معانقًا إيَّاه باكيًا ، وقال له :

– يا مخلوق الله ، يا منْ منَّ الله عليَّ بتربيته ، الله يحفظك ويرعاك ويجعلك رجلاً طيبا يجاهد في سبيله .

وقبَّله وباركه وسلَّمه للملك ، ثم ودَّعه والملكة والجميع ، وأخذ معه اللبؤة ورماة الأقواس ، وعاد إلى صومعته حيث سيعمل الكثير فيما بعد من أجل هذه القصة .
ثم عاد الملك مع رفقته وموكبه إلى المدينة .

الفصلُ الثَّانى والسَّبعون

كيف أنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر ، بعد أنْ ودَّع الملك طافينور عاهل بوهيميا لكى يذهب إلى جزر رومانيا ، رأى مجىء جمهور كبيرٍ كانت من بينه جراسيندا وفارسٌ من فرسانها يدُعى برانداسيديل ، الذى اضطر الفارسَ ذا السَّيف الأخضر إلى المجىء رغمًا عنه أمام زوجته جراسيندا ، وكيف أنَّه بارزه وتغلَّب عليه .

لقد حكينا لكم كيف أنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر، فى الوقت الذى رحل فيه عن الملك طافينور عاهل بوهيميا ، كانت نيته الذِّهاب إلى جزر رومانيا ، حيث كان قد سمع أنَّ هناك أناسا فى غاية الشَّجاعة، وهكذا تمَّ له ما أراد . لم يذهب إلى هناك مباشرة ، بل كان يسير هنا وهناك فى أماكن كثيرةٍ ، وكان يقضى على كثير من المظالم والإهانات لأناسٍ ضعفاء من الرِّجال والنِّساء من جانب فرسانٍ مكابرين ارتكبوها فى حقهم ، وفى كثيرٍ من الأحيان كان يصاب بالجراح وأحيانًا أخرى بالألم ، هكذا كان يفعل ذلك رغمًا عنه . لكن عندما كان فى أنحاء رومانيا حيث واجه أخطارًا قاتلةً مع فرسان أقوياء عمالقة وشجعان ، وعلى الرَّغم من تعرض حياته للخطر فإن الله كتب له النَّصر والغلبة عليهم جميعًا ، واكتسب مزيداً من الشُّهرة والمجد ومزيداً من الشَّرف والرِّفعة ، وكانوا جميعا ينظرون إليه على أنَّه معجزة . لكن لم تكن لهذه المظالم الكبيرة والمهام الشَّاقة قوةٌ كبيرةٌ بحيث تبعده أو تنأى به عن تلك الهموم الكبيرة التى كانت تعانى منها زوجته أوريانا والتى كانت تؤرِّقه . وعلى فكرة يمكنكم أنْ تصدِّقوا أنَّه لولا نصائح جندالين الذى كان يجبره دائمًا ، لما كان له تلك القوة التى تحكَّم بها فى نفسه بعد أن أصاب الهم والكرب والغم قلبه الذى لم تجد معه الدُّموع . إذنْ كان يسير فى تلك الأراضى ، فى الحياة التى تسمعون عنها ، يتنقل بين جميع الأنحاء ما استطاع

إلى ذلك سبيلاً ، ولم يصب الكلل جسده ولا روحه ، نزل في مدينة تُطلُ على البحر كانت ميناءً في مواجهة بلاد الإغريق ، وكانت ذات موقع جميل جدا وتكثر بها الأبراج العالية والبساتين عند نهاية اليابسة وتُسمَّى ساديانا ، وبما أنَّها كانت تحتاج إلى جزء كبير من النَّهار لكي يدخلها نظرًا لمساحتها الشَّاسعة ، فقد اكتفى بالنَّظر إليها من الخارج على الرَّغم من أنَّها بدت له جميلةً ، وكان مولعًا برؤية البحر الذي لم يره منذ أنْ غادر جاولا أي منذ عامين مضيا . بينما هو يسير رأى على الشَّاطئ فرقةً من الفرسان والقهرمانات والوصيفات ، وبينهن قهرمانة ترتدي ملابس فاخرةً وكانت ترتدي فوقها ملبسًا آخر ليحميها من شدَّة حرارة الشَّمس . وكان الفارس ذو السَّيف الأخضر كلَّما مرَّ على أناسٍ انشغل بالتَّفكير في زوجته ، لذلك غيَّر طريقه لأنَّه لم يكن هناك داعٍ لمقابلتهم . ولم يبتعد عنهم كثيرًا حتى وجد فارسًا قادمًا نحوه على جوادٍ ممتازٍ مدجَّجًا بالسِّلاح ومعه حربة في يده يريد أنْ يطلقها. على ما يبدو كان الفارس شجاعًا ضخم الجثة وقويا، وكانت برفقته وصيفته في مجموعة القهرمانات ترتدي أجمل الثياب، وبما أنَّه رأى أنَّهم قادمون تجاهه ، ظلَّ صامتًا ، وصلت الوصيفة أمامه ، وقالت :

– يا سيدي الفارس، إنَّ تلك القهرمانة سيدتي الموجودة هناك تطلب منكم الذَّهاب إليها ، وقالت إنَّ هذا لصالحكم .

بما أنَّ لغة الوصيفة كانت ألمانية فإنَّ فارس القزم فهم ما تريده جيدًا لأنَّه كان دائمًا يتعلَّم لغات البلدان التي يمرُّ بها ، وردَّ عليها :

– يا سيدتي الوصيفة ، الله يبارك ويمن عليها بالشَّرف وعليكم ، لكن أخبريني ماذا يريد ذلك الفارس ؟

– هذا ليس في مصلحتكم – قالت هي – لكن افعلوا ما أقوله لكم .

– لنْ أذهب معكم إلى أي مكان إذا لم تخبريني .

ردَّت عليه وقالت :

– إذنْ هكذا حدث ، لقد فعلت ذلك وإنْ كان رغمًا عني . اعلموا أيُّها الفارسُ أنَّ زوجتي رأتكم ، ورأت هذا القزم الذي يسير معكم ، لأنَّهم حدَّثوها عن فارسٍ

غريبٍ يتنقل بين هذه البلدان يقوم ببطولاتٍ بالأسلحة تشبه المعجزات لم يرها النَّاس من قبل ، وبما أنَّها علمت أنَّكم أنتم ذلك الفارس فإنها تريد تشريفكم وتكريمكم وأن تكشف لكم عن سر مشغول به قلبكم، حتى الآن لم يعرف به أحد . وبما أنَّ هذا الفارس فهم مقصدها فقد قال إنَّه سيأمركم بالذَّهاب ، خاصة وأنَّه يجيد التَّعامل مع الأسلحة بشكل يفوق أيَّ فارس فى هذه الأراضى ، لذلك أنصحكم بالمجيء معى .

– يا أيَّتها الوصيفة – قال لها – يخجلنى ألاَّ أستجيب لأمر سيدتك ، لكننى أريد أنْ أعرف ما إذا كانت ستفعل ما قالته .

– إنَّنى متشبِّثةٌ – قالت هى – بكلامكم وعقلكم .

حينئذٍ ابتعدت عنه ، وذهب الفارس ذو السَّيف الأخضر إلى الطَّريق الذى كان يسلكه من قبل . عندما رأى الفارس الآخر ذلك قال بصوتٍ عالٍ :

– أنتم أيُّها الفارس الشِّرير ، يا من لم ترد الذَّهاب مع الوصيفة ، انزل من على جوادك ، وامتط الجواد فى الاتجاه المضاد ممسكًا بالذَّيل فى يدك كاللجام والدِّرع معكوسًا ، واذهب هكذا أمام تلك السَّيدة إذا كنتم لا تريدون أنْ تفقدوا رأسكم فاختاروا ما يحلو لكم .

– بالتَّأكيد ، يا أيُّها الفارس – قال الفارس ذو السَّيف الأخضر– ليس لدى الآن قلب للاختيار بين الأمرين ، قبل أى شىءٍ أريد أنْ يكون الخياران لكما .

– إذنْ الآن سترون – قال الفارسُ الآخر – كيف سأجبركم على اتخاذه .

ووضع المهاميز لجواده أملاً فى أنْ يطيح به من فوق السرج فى أول هجوم مثلما فعله مع آخرين كثيرين ، لأنَّه كان أفضل مبارز فى المنطقة ، أخذ فارس القزم أسلحته وتحرَّك نحوه ، وقد احتمى بدرعه جيداً ، وقد حُسمت هذه المبارزة فى الهجمات الأولى حيث ألقيت الحراب وقد سقط الفارس المغرور خارج السَّرج ، أمَّا الفارس ذو السَّيف الأخضر فقد أصابه بجرح فى زوره آلمه ألمًا مبرحًا . واقترب منه وانتزع من درعه جزء

الحربة المغروس فيه ، ثم عـاد ناحيـة براندا سيديل - هكذا كـان يُسمى الفارس - فرآه ممدداً على الأرض كالميت ، فقال لجندالين :

- انزع الدِّرع والخوذة عن هذا الفارس ، وافحصه فانظر ما إذا كان قد مات .
وهكذا تمَّ له ما أراد . واستراح الفارس واستردَّ قواه لكنه لم يستطع . وضع الفارس ذو السَّيف الأخضر طرف سيفه في وجهه وجرحه ما استطاع ، وقال :

- أنتم يا سيدى الفارس ، يا من تهينون وتزدرون من لا تعرفون ، من الملائم أنْ تفقدوا الرَّأس أو يُطبَّق عليكم القانون الذى أشرتم به .

كان الفارس الآخر يخشى الموت ، فتذكَّر وخفض وجهه ، وقال له الفارس ذو السَّيف الأخضر :

- ألا تريدون الكلام ؟ ينبغى أنْ أقطع لكم رأسكم .

حينئذٍ قال الآخر :

- آه يا أيُّها الفارس ، الرَّحمة حبا فى الله ! فقبل كلِّ شىءٍ سأنفِّذ أمركم بدلا من الموت المهين الذى سأفقد فيه روحى طبقًا للوضع الذى أنا فيه الآن .

- إذنْ فليكن ذلك بسرعة دون تأخيرٍ أو تسويفٍ .

استدعى براندا سيديل حاملى دروعه الذين كانوا موجودين هناك ، فأركبوه الجواد معكوساً ووضعوا له الذَّيل فى يده والدِّرع معكوسًا على عنقه، وحملوه هكذا إلى القهرمانة الشَّهيرة فى وسط المدينة لكى يراه الجميع ، وليكون عبرةً لهؤلاء الذين تطغى عليهم مكابرتهم وتدعوهم لازدراء واحتقار من لا يعرفونهم، وحتى الرَّب إنْ استطاعوا دون أن يفكروا فى مصائب هذه الدُّنيا ولا فى الآخرة . لقد اندهشت القهرمانة ورفقتها وأهل المدينة من مأساة ذلك الفارس المغرور الذى كن يعتبرنه فارسا قويا ، فامتدحوا وأثنوا على من تغلَّب عليه وأذلَّه ، وتأكدوا من أنَّ الأعمال البطولية التى سمعوا أنه قام بها حقيقيةٌ وأكيدةٌ .

هكذا تمَّ ذلك، رأى الفارس ذو السَّيف الأخضر الوصيفة التى كانت قد نادت عليه من قبل وقد شهدت الحوار بين الفارسين وكذلك المعركة ، فتوجَّه إليها ، وقال لها :

- يا سيدتى الوصيفة ، سأذهب تلبيةً لأمر سيدتك إذا أردت .

- يسرُّنى كثيرًا - قالت الوصيفة - هكذا ستقوم بذلك لسيدتى جراسيندا (هكذا كانت تسمى القهرمانة) .

هكذا ذهبا معًا ، وعندما وصلا رأى الفارس ذو السَّيف الأخضر أنَّ القهرمانة كانت جميلة ونضرِةً ، بعد أنْ رحل عن شقيقته ميليثيا لم يجد أحدًا يشبه جمالها ، كما بدا هو بالنسبة لها كذلك حسن الهندام أنيق الملبس ، وأجمل فارسٍ رأته عيناها ، وأعظمهم سلاحًا ، فقالت له :

- يا سيدى ، لقد سمعت عن أشياء عجيبةٍ بعد أنْ دخلتم هذه الأراضى قمتم بها بالأسلحة ، وبعد رؤيتكم أرى حقيقةً ما يقال . كما أخبرونى أيضًا بأنَّكم كنتم فى منزل الملك طافينور عاهل بوهيميا ، وقد نال الشَّرف واستفاد من وجودكم ، وقالوا لى إنَّهم يسمُّونكم الفارس ذا السَّيف الأخضر أو فارس القزم ، لأنَّنى رأيته يرافقكم دائمًا ، وأنا سأسميكم هكذا أيضًا . لكننى أتوسَّل إليكم من أجل مصلحتكم أن تكون ضيفى فى هذه المدينة ، لأننى أراكم جريحًا وينبغى أنْ تعالجوا جراحكم ، فلن تجدوا عنايةً ولا رعايةً مماثلةً فى كلِّ المنطقة .

قال لها :

- يا سيدتى ، بالنَّظر إلى رجائكم ، لو أنَّ هناك مغامرةً أو خطرًا يحدق بكم فأنا طوع إشارتكم، أمَّا ما عدا ذلك فلن أفعل سوى ما أحتاج إليه على وجه السُّرعة لكى أستكمل مغامراتى .

أخذته القهرمانة معها وذهبت إلى المدينة ، كان هناك فارسٌ عجوزٌ يأخذ بزمام جوادها ، بسط يده وصافح الفارس ذا السَّيف الأخضر ، ثم انصرف إلى المدينة لكى يجهِّز الطَّريق حيث سيمرُّ الفارسُ ، وكان ذلك الفارس كبير خدم القهرمانة .

اصطحب فارس القزم القهرمانة وتحدَّث معها عن بعض الأمور . وإذا كانت قد أعجبت به كثيراً لعظيم شهرته فقد نال احترامها أكثر لرصانته فى الحديث ورزانته العظيمة ، وكذلك أعجب هو بها أيضاً ، فقد كانت فاتنةً حسناء عذبة الحديث مرتبة الأفكار ذات منطقٍ عجيبٍ فى الحديث . وعندما دخلا المدينة خرج جميع النَّاس لدى الأبواب وفى النَّوافذ لكى يروا سيدتهم التى كان الجميع يحبها حبا جما ، وكذلك لرؤية الفارس الجميل الأنيق الذى قام بعملياتٍ بطوليةٍ كثيرةٍ بالأسلحة ، والذى قهر براندسيديل الذى كان يخشاه الجميع .

هكذا وصلا إلى قصر القهرمانة ، وهناك أسكنته غرفة فسيحة مريحة تزينت بأجمل الزِّينات ، وهى إحدى غرف منزل تلك السَّيدة ، ثم تجرَّد من أسلحته وغسل يديه ووجهه من التُّراب الذى كان عليها ، ثم أعطوه عباءةً قرمزية وردية لكى يتدثَّر بها ، وعندما رأته جراسيندا ذُهلت من جماله الفتَّان ، والتى كانت تفكِّر بأنَّ هذا لا يمكن أن يكون بشراً ، وأمرت بأنْ يأتى أستاذٌ لكى يُضمِّد له جراحه ، كان أحسن جرَّاحٍ ماهر فى تلك المنطقة فعالج له جُرح زوره ، وقال له:

– يا سيدى لديكم جرحٌ فى مكان خطيرٍ ومن الضَّرورى علاجه ، وإذا لم يحدث ذلك فستعرضون حياتكم للخطر .

– يا أستاذى الطَّبِّب – قال الفارس ذو السَّيف الأخضر – أتوسَّل إليكم بالله وبزوجتكم الموجودة هنا أنَّه بمجرَّد أنْ أكون فى وضع يسمح لى بامتطاء الجواد أخبرونى بذلك ، فأنا لا تناسبنى الرَّاحة والاستجمام حتى يمكننى الله بفضله وكرمه من الوصول إلى ذلك المكان الذى يتوق إليه قلبى .

وعندما قال له ذلك تزايد كربه وهمه ولم يستطع إخفاء الدُّموع التى برقت فى عينيه، لأنَّ هناك عارٌ كبيرٌ ينبغى أنْ يغسله ، وحينئذ سيسعد محيَّاهُ .

عالج له الأستاذ الطَّبيب جرحه وأعطاه من الطَّعام ما هو ضرورى ، وقالت له جراسيندا :

– يا سيدى ، استريحوا وناموا ، وسنذهب نحن لتناول الطَّعام وسنراكم عندما يسمح الوقت بذلك ، ومروا حامل دروعكم دون خجلٍ بأنْ يطلب كلَّ ما تحتاجون إليه .

بذلك ودَّعته ، وظلَّ هو فى فراشه يفكر فى زوجته أوريانا بحماسٍ شديدٍ حيث هناك توجد كلُّ متعته وراحته وسعادته الغامرة ممتزجةً بالعذاب والمعاناة والعواطف التى كان يفكِّر فيها دائمًا ، ولمَّا أصابه الإرهاق نام .

وعن جراسيندا أقول لكم : إنَّها منذ أنْ تناولت طعام غدائها ذهبت إلى غرفتها واضطجعت فى فراشها وبدأت تفكِّر فى جمال الفارس ذى السَّيف الأخضر وفى الأشياء العظيمة التى يقولونها عنه ، وبما أنَّها جميلة جدا وثرية ومن تلك الأسرة النَّجيبة نفسها بوصفها ابنة شقيق الملك طافينور عاهل بوهيميا ومتزوِّجة من فارسٍ عظيمٍ ، لم تعش معه سوى عام واحد دون أنْ تنجب منه أىَّ ولدٍ ، فقد قرَّرت أنْ يكون زوجًا لها وإن لم تر منه شيئًا سوى أنَّه فارسٌ جوالٌ ، وفكَّرت فى طريقة لإبلاغه بذلك . عنَّت لها فكرة وهى أنَّها رأته يبكى، وحاولت جاهدةً بأنْ يكون ذلك بسبب حب لامرأة لم يستطع الزواج بها. هذا ما جعلها تتوقَّف حتى تعرف المزيد عنه، وبما أنَّها علمت أنَّه كان مستيقظًا ، أخذت معها قهرماناتها ووصيفاتها وذهبت إلى غرفته تكريمًا له ولكى تشعر بالسَّعادة واللذة لرؤيته والحديث معه . ولم يكن هو أقل منها توقًا لذلك ، وإنْ كان ذهنه وتفكيره شاردين فى اتجاه آخر . وكانت معها قهرمانتها برفقتها تجلب لها السَّعادة قدر استطاعتها . لكنها ذات يوم لم تستطع أن تتحمَّلها ابتعدت عن جندالين ، وقالت له :

– يا أيُّها الطَّيِّب حامل الدُّروع ، فليساعدك الله ويجعلك سعيدًا . أخبرنى بشىءٍ إذا كنت تعرفه فأنا أريد أنْ أسألك ، وأعدك بأنَّنى لن أفشيه لأحد ، وهذا وعدٌ ، أخبرنى إذا كنتم تعرفون أيَّة امراةٍ متيَّمٌ بحبِّها سيدكم .

– يا سيدتى – قال جندالين – إنَّنى منذ وقتٍ قليلٍ أعيش معه ، وهذا القزم الذى نعرف منه الأشياء العظيمة ؛ فإنَّنا يقتصر دورنا على الخدمة ، وقد طلب منَّا ألا نسأله عن اسمه ولا عن أسرته وأعماله ، بل نلتزم فقط بقدر والمصير ، ومنذ أنْ دخلنا فى خدمته رأينا الكثير والكثير من بطولاته ومآثره وشجاعته وبسالته مما أذهلنا كثيرًا ، ويمكن لك يا سيدتى أنْ تصدِّقى أنَّه هو أعظم فارسٍ موجودٌ فى العالم ، ولا أعرف عنه أكثر من ذلك .

كانت القهرمانة منكّسة الرّأس والعينين ، كانت تفكّر كثيراً ، رآها جندالين على هذا الحال ، ففكّر فى أنّها تحِبُّ سيده وأراد أنْ يثنيها عن عزمها فى هذا الأمر ، لكنّه لم يستطع ذلك بأيَّة وسيلة ، وقال لها :

- يا سيدتى ، إنّنى أراه يبكى كثيراً وقلبه فى هم وكرب كبيرين ، ولا أدرى كيف يعيش بهذا الحزن ، وهذا ما أعتقد أنّه يجعله يزدرى - طبقًا لمجهوده الوافر والعظيم - كلَّ الأمور الشُّجاعة والمخيفة ، ولن يتأتى له إلاَّ همُّ حب كبير فى مكانٍ بعيد ، حب عميق لامــرأةٍ لأنَّ مثــل هذا الحبِّ ذو ألم كبــيرٍ ولا علاج له ولا تكفى معه أيَّة رصانة أو جهد مهما كان .

- نعم ، فلينجنى الله - قـالت هى - إنّنى أُصـدِّق مـا تقـولونه وأشكركم شكراً جزيلاً ، اذهبوا إليه وليخفِّف الله عنه همومه وكروبه .

وانصرفت نحو حريمها بنية ألاَّ تعمل ما تجهد نفسها فيه من الآن فصاعداً هناك فيما كانت تُفكرُ فيه لكونه هادئًا فى أفعاله وأقواله ، معتقدةً فى قرارة نفسها أنّها لنْ تتراجع عن اقتراحها ومقصدها .

هكذا - كما سمعتم - ظلَّ الفارس ذو السَّيف الأخضر فى منزل تلك السَّيدة العظيمة الفاتنة والثَّرية التى تُسمَّى جراسيندا يُعالِج من جراحه ، حيث نال عظيم الشَّرف والتَّكريم والمتعة والسَّعادة ، وكأنَّه فارسٌ فقيرٌ متجول بحيث كان يبدو أنَّه نجل ملك مثل العاهل بيريون دى جاولا، والده . وعندما أحسَّ بأنَّه فى وضع يسمح له بحمل السِّلاح أمر جندالين بأن يُجهِّز الاحتياجات اللازمة للطَّريق . فقال له كلُّ شىءٍ جاهزٌ تمامًا ، وبينما كانا يتحدَّثان عن ذلك دخلت جراسيندا ومعها أربع من وصيفاتها ، وقد خرج لها وأمسك بيدها وجلسا على دكَّة فوق قماش من الحرير المطرَّز بالذَّهب ، وقال لها :

- يا سيدتى ، إنّنى فى وضع يسمح لى بالسَّير . وبالتَّشريف والتَّكريم اللذين تمتعت بهما لديكم فإننى على أتمِّ الاستعداد لخدمتكم ، وبالتَّالى ، يا سيدتى ، إذا كانت خدمتى تلائمكم فما عليكم إلا أن تأمرونى بذلك وسأنفِّذ على الفور .

ردَّت عليه :

- بالتَّأكيد يا أيُّها الفارس ذو السَّيف الأخضر ، هكذا فأنا أصدق ما تقولون من أعماق قلبي ، وبالنِّسبة للسَّعادة والسُّرور والمتعة والخدمة التي وجدتموها هنا ، فإنَّني أتساءل عما إذا كان هناك تقصيرٌ في أيِّ شيءٍ ، فما عليكم إلا أنْ تأمروا دون خجل أو حياءٍ ، لكنَّني أرجوكم متوسِّلة إليكم أنْ تخبروني : إلى أيِّ مكان ستتوجَّهون ؟

- إلى جهة بلاد الإغريق - قال الفارس - إذا أراد الله ، لكي أطلع على حياة الإغريق وإمبراطورهم الذي سمعت عنه أنباءً سارةً .

- إذنْ - قالت جراسيندا - إنَّني أريد المساعدة في هذه الرِّحلة ، وذلك بأنْ أُقَدِّم لكم سفينةً ممتازةً وعليها بحارةٌ مهرةٌ سيكونون تحت إمرتكم ، فضلاً عن المؤن والزَّاد ما يكفي لعام ، وسيكون معكم الطَّبيبُ الذي عالجكم المدعو إيليساباد ، والذي رغم مشقة مهنته لن تجد آخر مثيلاً له ، شريطة أنْ تكونوا بمحض إرادتكم في هذه المدينة معي بعد عامٍ .

كان الفارس سعيداً للغاية نظراً لهذه المساعدة العظيمة التي كان في حاجةٍ ملحةٍ لها ، كان الفارس رزيناً في كلامه يفكِّر في كلِّ ما يقوله ، وقال لها :

- يا سيدتي ، إذا لم أرد على فضائلك ونعمائك التي لا تُحصى وقد فعلتِها من أجلي فسأكون أتعس فارسٍ في العالم، ولذلك فأنا بلا خجل أو حياء رهن إشارتكم وطوع أمركم في كلِّ ما تأمرونني به .

- يا سيدي - قالت جراسيندا- عندما يردُّكم الله من هذه الرِّحلة سآمركم بذلك الذي يتوق إليه قلبي منذ وقتٍ طويلٍ ، وسيكون لزيادة شرفكم حتى لو كان هناك بعض الخطر .

- سيكون هكذا - قال الفارس ذو السَّيف الأخضر- لأنَّني أثق برجاحة عقلكم ، وبأنَّكم لن تأمروا بشيءٍ إلا بما أستطيع تلبيته والاستجابة له .

- إذنْ امكثوا معنا هنا - قالت جراسيندا - هذه الأيَّام الخمسة ، حتى يُعدُّوا لكم ما تحتاجون إليه فى الطَّريق .

اتفق على ذلك الفارس ذو السَّيف الأخضر على أنْ يرحل فى يومٍ آخر وقد عقد العزم على ذلك . تمَّ تزويد السَّفينة بالمؤن فى تلك الفترة بكلِّ شيءٍ من ذلك المطلوب للسفر ويمكن حمله . وكان الفارس مع الأستاذ الطَّبيبُ إيليساباد ، الذى يرجع الفضل إلى الله ثم إليه فى شفائه من جراحه واسترداده لصحته ، قد ركبا فى السَّفينة بعد أن ودَّعا تلك السَّيدة الجميلة ، ورفعا الشِّراع وأمرا المجدفين ببدء الرِّحلة بالإبحار فى اتجاه القسطنطينية حيث كان الإمبراطور ، ثم بعد ذلك إلى جزر رومانيا التى كان من المقرر أنْ يذهب إليها وأراضٍ أخرى تحت السِّيادة الإغريقية ، حيث قام الفارس ذو السَّيف الأخضر بعدَّة بطولات عظيمة بالأسلحة ، يحارب النَّاس الغرباء بسبب قضايا كبيرة كانت تحثُّه على تقويم مكابرتهم ، ويحارب أناسًا آخرين جاءوا لمحاربته بعد أنْ سمعوا عن عظيم شهرته ومجده لكى يقيسوا قواهم على قوته.

هكذا اجتاز الفارس كثيرًا من الصِّعاب والأخطار فضلا عن الجراح التى أُصيب بها، وقد تحقَّق له النَّصرُ والشَّرفُ والمجدُ والعزَّةُ من جانب الجميع . وقد شُفى من تلك الجراح على أيدى الأستاذ الطَّبِّيب البارع الذى كان يرافقه . كان يبحر وسط هذه العاصفة الشَّديدة يتنقَّل من جزر إلى جزر أخرى ، ومن أخريات إلى أخريات حتى شعر البحارة بالإرهاق الكبير الذى أصاب الفارس ، واشتكوا أمره للأستاذ الطَّبيب الذى قال للفارس القزم تذكَّر أنه إذا كانت إرادتك تأمرك بأنْ ترى جميع هذه الأراضى والبلدان فإنَّ إرادة البحارة قد أصابها الإرهاق والنَّصب، وبالتَّالى وجِّهوا السَّفينة إلى جهة القسطنطينية ، لأنَّه فى ذلك الذِّهاب والإياب - إذا أراد الله - سيعود بعد عامٍ إلى جراسيندا كما وعدها . وبهذا الاتفاق بين جميع رجال السَّفينة بدأوا رحلة العودة من القسطنطينية والرِّياح فى صالحهم .

لقد حكينا لكم فى الكتاب الثَّانى كيف أنَّ باتين كان فارسًا بلا شأنٍ ، إنَّه كان ينتظر فقط ما سيحدث بعد موت شقيقه سيودان الذى كان إمبراطورًا لروما ، لأنَّه لم

يكن له ابنٌ يرث عرش إمبراطوريته ، كما أنه سمع عن مغامرات هؤلاء الفرسان الذين وصلوا إلى بريطانيا العظمى وكانوا يعملون فى خدمة الملك ليسوارتى ، لذلك قرر المجىء لكى يُجرِّب حظَّه معهم ، وفى النِّهاية أحبَّ الملكة سارداميرا ملكة سردينيا حبا جما وسلك طريقه هذا فى خدمتها . وصل إلى منزل الملك ليسوارتى حيث استقبل استقبالاً حارا بكل مظاهر التكريم والتَّبجيل ؛ نظرًا لنجابة أصله وعراقة أسرته ، رأى الحسناء الفاتنة أوريانا كريمة الملك ليسوارتى التى لم يكن بالعالم كله امرأة جميلة مثلها لدرجة أنَّه تُيِّم بها فنسى حبَّه القديم واستمر فى حبِّه الجديد ، وطلب من والدها الزَّواج بها ، وعلى الرَّغم من أنَّ الرَّدَّ اشتمل على أمل شريفٍ طاهرٍ فإن إرادة الملك كانت تعارض هذا الاقتران والزَّواج ، ومع ذلك فقد أصرَّ الفارس ذو السَّيف الأخضر على بلوغ مأربه حتى تحقَّق له ما أراد ، أراد أنْ يُبرهن على قوته وبالتَّالى يحظى بحبِّ تلك الحسناء عن جدارةٍ واستحقاق ، فذهب متنقلاً فى تلك الأراضى يبحث عن الفرسان الرَّحالة أو المتجوِّلين لكى يحاربهم . لازمه سوء حظه حيث التقى مع أماديس دى جاولا فى النِّهاية . كان أماديس يائسًا محبطًا فى حبه لزوجته ، وكان يبكى بكاءً مريرًا ، أمَّا باتين فقد كان يثنى على حبه ويمتدحه. نشبت بينهما معركة هوى فيها باتين على الأرض فى المبارزة، وبعد ذلك استعاد جواده ، وبضربة سيفٍ واحدة أصيب بجرح عميق ونافذٍ فى رأسه وكان على وشك الموت ، لذلك ترك الزَّواج من أوريانا معلقًا بعض الوقت ، ثم عاد إلى روما حيث توفى الإمبراطور بعد وقت قصير ، تُوِّج شقيقه إمبراطورًا ولم ينس العاطفة المتأجِّجة التى أشعلتها أوريانا فى قلبه ، واعتقد أنَّه بعلو شأنه ومنزلته سيستطيع استرداد حبِّه لها ، فقرَّر أنْ يطلب يدها مرَّةً أخرى من الملك ليسوارتى ، فعهد بذلك إلى نجل عم له يُدعى سالوستانكيديو أمير كالابريا ، وهو فارسٌ شهيرٌ فى استخدام الأسلحة ، ومعه كبير خدمه برونداخيل دى روكا ، وكذلك أسقف تالانثيا ، وذهب معهم ثلاثمائة رجل والملكة الحسناء سارداميرا برفقة عددٍ كبيرٍ من القهرمانات والوصيفات لمرافقة أوريانا. وبما أنَّهم رأوا أنَّ ذلك كان يمثل إرادة الإمبراطور اتفقوا على تنفيذ الأمور التى تمَّ الاتفاق عليها المتعلقة بالتَّغيير ، وسيحكى ذلك بالتَّفصيل فيما بعد .

الفصل الثّالثُ والسَّبعون

كيف أنْ الفارس ذا السّيف الأخضر بعد أنْ رحل عن جراسيندا للذّهاب إلى القسطنطينية اضطره البحر إلى النزول فى جزيرة الشّيطان ، حيث وجد حيوانًا متوحشًا يدعى إيندرياجو ، وفى النّهاية استطاع التّغلب عليه .

كان الفارسُ نو السَّيف الأخضر يبحر مع رفاقه إلى القسطنطينية - كما سمعتم - والرياح مواتية لعملية الإبحار ، وفجأة تغير اتجاه الرياح كما يحدث فى كثير من الأحيان ، اشتدَّ هياج البحر واضطرب اضطرابًا شديدًا ، ولم تعد تجدى معه كثرة المرافقين ولا معرفة وخبرة ودراية البحارة فى التَّغلب على ذلك . لقد تعرَّضوا مرَّاتٍ كثيرةٍ لخطر الغرق إلا أنَّ هذه المرة كان الخطر لا مثيل له . كانت الأمطار غزيرة ، وكانت الرِّياح شديدةً والسَّماء قاتمةً مظلمةً لدرجة أنَّ اليأس استحوذ عليهم وظنوا استحالة بقائهم على قيد الحياة بأيَّة حالة من الأحوال . لم يستطع اعتقاد ذلك الفارس ذى السيَّف الأخضر ولا الأستاذ الطَّبيب إيليساباد وجميع الآخرين ، اللهم إلا إذا كان ذلك بفضل الرَّحمة الواسعة للعلى القدير . وفى كثير من الأحيان كانت الملابس الصُّوفية التى يرتدونها تَمتلئ بالماء ، وكانوا لا يستطيعون الراحة ولا تناول الطَّعام ولا النَّوم بلا مخاوف كبيرة ، لم يكن هناك أىُّ راحة اللَّهم إلاَّ الحظ أو الصُّدفة البحتة عندما تسمح الطَّبيعة به ويحلو لها ذلك .

هكذا ظلُّوا ثمانية أيَّام لا يعرفون ماذا يفعلون ولا فى أى اتجاه بالبحر يسيرون دون أنْ تهدأ العاصفة أو تتوقَّف ولو للحظةٍ واحدةٍ . وفى نهاية الأيام الثَّمانية وبقوة

الرِّياح وشدتها . وذات ليلةٍ قبل أنْ يطلع النَّهار كان المطر الذى هطل على الأرض غزيرًا ، ولم تكن هناك أيَّة وسيلة لتفاديه . كان ذلك بمثابة سلوى كبيرة للجميع كأنَّهم بُعثوا إلى الحياة بعد الموت ، لكن فى الصَّباح المقبل أدرك البحارة المكان الذى كانوا فيه ، وهو جزيرة الشَّيطان كما يسمونها ، حيث استطاعت دابةٌ متوحِّشةٌ القضاء على سكَّانها ، فى حزن مزدوجٍ وآلام فى أنفسهم رأوا أنفسهم فى خطرٍ داهمٍ مثل الذى كانوا يتعرَّضون له فى البحر ، وكانوا يخدشون وجوههم بأيديهم وهم يبكون بشدَّةٍ ، ثمَّ جاءهم الفارس ذو السَّيف الأخضر ليقول لهم إنَّه مذهولٌ جدا أنْ يرى سعادته فى هذا الحزن الذى خيَّم عليهم دون أنْ يعرف سبب ذلك ، كان شبه حائرٍ سائلاً إيَّاهم ما الذى حدث فجأةً لكى يحول سعادتهم إلى بكاء شديد .

- آه ، يا أيُّها الفارس ! - قالوا جميعًا - إنَّ المصائب كثيرةٌ لا حصر لها تعجز قوانا عن إعادة سردها . لكن فليقُصها عليك هذا الأستاذ الطَّبيب إيليساباد الذى يعرف جيداً لماذا تحمل هذه الجزيرة هذا الاسم اللعين.

حكى الأستاذ الطَّبيب ، وهو ليس أقل اضطرابًا منهم ، لكنه اضطر من جانب فارس القزم وجسده يرتعد وتتلعثم كلماته فى خوف ورهبةٍ ، حكى للفارس ما كان يريده قائلاً على النَّحو التَّالى :

- يا سيدى فارس القزم ، اعلموا أنَّ هذه الجزيرة التى نزلنا بها كان بها رجلٌ كبيرٌ عملاقٌ يُدعى بانداجيدو ، الذى بشجاعته وجرأته أجبر مجاوريه على الحدود من العمالقة على الفرار من المنطقة، وكان قد تزوج من عملاقةٍ وديعةٍ ذات وضع اجتماعى رفيعٍ . كان زوجها بفظاعته وشراسته وسوء خلقه وقسوته يعامل المسيحيين معاملة سيئة ويضطهدهم ويقتلهم ، وكانت هى تساعدهم فى كل مرَّة تستطيع فيها ذلك . من هذه القهرمامة أنجب بانداجيدو ابنةً ، هى التى بعد أنْ كبرت وأصبحت شابةً ، تكفَّلت الطَّبيعة بزيادة حسنها وفتنتها لدرجة أنَّه لم يوجد بالعالم كله امرأة أخرى فى عظمتها ولا نجابة دمها ونقائه .

وبما أنَّ الجمال الفتَّان اجتمع فيما بعد مع المجد والمجد مع الخطيئة ، فإن هذه الفتاة كانت ظريفة ونضرة حسنة المظهر والهندام، وكانت جديرة بحب الجميع ، لكن لم يحبها

أحدٌ بسبب وحشية والدها ، لم تجد أمامها بدا من اللجوء فيما بعد إلى الحب غير الطَّاهر ، الحب البغيض لوالدها ، ولذلك عندما كانت الأم تستيقظ وتبتعد عن زوجها كانت الابنة تأتي وتظهر لوالدها كثيراً من الحب ، كانت تمزح وتضحك معه وتعانقه وتقبله . اعتبر الوالد ذلك الحب في البداية حبَّ الوالد لكريمته ، لكن الاستمرارية بشكلٍ كبيرٍ ومتزايدٍ والجمال الفتان وافتقار الأب إلى الفضيلة والضَّمير تسبَّبا في أنَّ هذه العاطفة المتأججة لديه جعلت فكر الفتاة يشرد ، وأنْ تصبح هذه الرَّغبة القميئة والبغيضة لديها حقيقةً واقعة .

وينبغي أنْ نأخذ عبرةً بأنه لا يوجد رجل في هذه الدنيا واثقٌ من نفسه يترك العنان لنفسه لكي ينأى بعيداً بفكره ويفكِّر ويشتهي الأقارب والأخوات ، لكن إذا جاوز الماء الزُّبى بأنْ تستعر هذه العاطفة المحمومة مع كريماته فهذا أمر منافٍ للأخلاقيات ، إنَّ هذه العاطفة استعرت بطبيعتها نظراً لقصور العقل أحياناً وانعدام الضَّمير والخوف ، كلُّ هذه قيودٌ كانت كفيلةً بفرملة تلك العاطفة المجنونة ووقفها . وقد تولَّدت عن هذه الخطيئة القميئة وهذه الرَّذيلة الكبيرة خطيئة أكبر وأعظم . هكذا عندما يحدث وينسى بعض الناس رحمة الله ويتبعون خطوات العدو اللعين (الشَّيطان) فإنَّهم يستبدلون الشَّر الأعظم بآخر أشدَّ عظمةً وفظاعةً ، ويجهلون أنَّ أفضل دواء للخطيئة هو التَّوبة الحقيقية النَّصوح والكفارة لكي يعفو عنهم ويغفر لهم الرَّبُّ القدير الذي صُلِب بسبب أخطاءٍ مماثلةٍ ، حيث مات كإنسانٍ حقيقي وبعث كإلهٍ فيما بعد . وبما أنَّ ذلك الأب التَّعيس قد استعر حبه لكريمته وهي كذلك قد بادلته العاطفة نفسها، ولأنَّهما بدون خجل استطاعا الاستمتاع بهذه الرَّغبة الدَّنيئة ، فقد فكَّرا في قتل تلك القهرمانة النَّبيلة التي هي زوجته وفي الوقت نفسه والدة كريمته . وبما أنَّ العملاق كان قد تتلمذ على معلميه المزيفين الذين كان يجلهم ويقدسهم ، فقد قرَّر الزَّاوج من ابنته ، وسينجبان طفلاً سيكون أشجع وأقوى طفلٍ في العالم ، وأرادت الفتاة التَّعيسة تنفيذ خطتها ضد والدتها التي تحبها أكثر من نفسها . كانت الفتاه تسير في البستان مع والدتها يتحدَّثان ، تظاهرت الابنة بأنَّها رأت شيئا غريبًا في البئر ، نادت على الأم لكي تراه ، ثم امسكت بيديها وألقتها في أعماق البئر فغرقت على الفور . صاحت الفتاة قائلة إنَّ

والدتها وقعت فى البئر . توجَّه إلى هناك جميع الرِّجال ، وقد كان العملاق على علم بالخدعة . وعندما رأوا السَّيدة التى تحظى بحبِّهم جميعًا ميتةً بكوا بكاءً شديدًا ، لكن العملاق قال لهم :

- لا تحزنوا فإنَّ الآلهة أرادت ذلك ، وسأتزوَّج امرأةً ستُنْجبُ شخصًا سنخاف منه جميعًا وسنخضع لسلطانه ، وبفضله سنخضع لسيادتنا كلَّ هؤلاء الذين يبغضوننا .

سكت الجميع خوفًا من العملاق ولم يجرءوا على فعل شىء على الإطلاق .

وفيما بعد فى نفس ذلك اليوم أعلن على الملأ زواجه من كريمته بنداجيدا ، حيث حملت فى تلك الليلة المشئومة فى حيوانٍ بأمر الشياطين ، حيث كانت الفتاة ووالدها - وزوجها فى نفس الوقت - يتخيَّلانه ، ووصفه كما ستسمعون . كان جسده ووجهه مغطَّيان بالشَّعر الكثيف فضلاً عن الأصداف التى كانت مرصوصة بعضها فوق بعض، كانت الأصداف قويةً للغاية لا يستطيع أىُّ سلاح اختراقها ، وكانت ساقاه وقدماه قويتين وغليظين ، وكان فوق كتفيه جناحان كبيران جدا ، كانا يغطِّيان قدميه ولم يكن بهما ريش طيور ، فضلاً عن البشرة السَّوداء كالقار اللامع ، كان مشعرًا ، وكان شعره قويا لا يستطيع أىُّ سلاح اختراقه ، فكان يحتمى به كما يحتمى الرَّجل بدرعه . وكان له ذراعان قويان يخرجان من تحت جناحيه مثل ذراعى الأسد ، وكانا مغطَّيان بأصداف أكثر من الأصداف التى تغطِّى الجسد ، وكانت يداه أشبه بقدمى النَّسر أو العقاب ، بكل منها خمسة أصابع ، والأظافر قوية وكثيرة جدا لا يوجد فى العالم مثيل له فى القوة . كانت له سنتان فى كلِّ فكٍ ، وكانت عيناه كبيرتين ومستديرتين بيضاوين مشربتين بالحمرة كأنهما جذوتان ، ولذلك كان النَّاس جميعهم يفرون منهما حينما يرونهما ليلاً عن بعدٍ . كان يقفز ويجرى بسرعة وحيويةٍ ، ولم يكن هناك ظبىٌ مهما كانت قوة قدميه يستطيع الإفلات منه . كان يأكل ويشرب مرَّات قليلة ، وبعض الأحيان كان لا يأكل شيئًا ، ولم يكن يحزن لذلك على الإطلاق ، كانت جلُّ سعادته تكمن فى قتل الرِّجال والحيوانات الأخرى الحية ، وعندما كان يجد أسودًا ودببةً تستطيع الدفاع

قليلاً عن أنفسها كان يستشيط غضباً ، وكان يتطاير من أنفه دخانٌ مخيفٌ مهولٌ كان يشبه شرر النيران ولهيبها ، وكانت أحيانا تصدرُ عنه صرخاتٌ مدوِّيةٌ ومخيفةٌ لمجرَّد سماعها ، لذلك فإنَّ الكائنات الحية جميعها كانت تفرُّ منه مثلما تفرُّ من الموت. كان نتن الرَّائحة لدرجة أنَّه كان يصيب بالتلف والعفن كلَّ شيء ، كان مخيفًا للغاية عندما يهزُّ الأصداف بعضها ببعضها الآخر، وعندما كانت تصطك أسنانه ويهز جناحيه كان ذلك أشبه بهزة أرضية. هكذا كان ذلك الحيوان ، كان يُدعى إيندرياجو ، كما أقول لكم – قال الأستاذ الطَّبيب إيليساباد – وسأقول لكم المزيد ؛ إنَّ القوة العظيمة لخطيئة العملاق وكريمته تسبَّبت فى أن يغزو العدو اللدود جسده (كنايةٌ عن الشَّيطان) فازدادت قسوته وقوته .

ذُهل الفارس ذو السَّيف الأخضر ممَّا حكاه الأستاذُ الطَّبيبُ عن ذلك الشَّيطان المدعو إيندرياجو الذى ولد لرجلٍ وامرأةٍ ، وكان النَّاسُ الآخرون مذعورين ، لكن الفارس قال له :

– يا أستاذى ، كيف أن شيئًا مهولاً ومروِّعًا وُلد من جسد امرأة ؟

– إنَّنى أقول لكم – قال الأستاذ الطَّبيبُ – طبقًا لما يوجد فى الكتاب الموجود لدى إمبراطور القسطنطينية الذى يمتلك هذه الجزيرة ، وقد خسرها لأنَّ قوته لم تكن كافيةً لقتل هذا الشَّيطان . اعلمو – قال الأستاذ الطَّبيبُ – أنَّ تلك المدعوة بنداجيدا عندما أحسَّت بأنَّها حاملٌ ذكرت ذلك للعملاق ، وقد سُرَّ لهذا النَّبأ سرورًا بالغًا لأنَّه بدأ يتأكَّد من حقيقة ما قالته آلهته ، وهكذا كان يعتقد أنَّه سيكون كذلك . وقال إنَّه كان من الضَّرورى الاستعانة بثلاث أو أربع مرضعاتٍ لكى يرضعنه لأنَّه كان أقوى مولود فى العالم حينذاك . إذنْ عندما كبر هذا المخلوق الغريب فى بطن أمه ، وبما أنَّه كان من عمل الشَّيطان ، كان سببًا فى معاناتها مرَّاتٍ كثيرةٍ ، وجعل لون وجهها وعينيها شاحبا كلون السُّمِّ ، لكن ما عدا ذلك كان رائعًا بالنِّسبة لها ، كانت تعتقد – طبقًا لما أخبرتها به الآلهة – أنَّ نجلها ذلك سيكون أقوى وأشجع شخصٍ فى العالم ، وبالتَّالى لا بد من البحث عن وسيلة ما لقتل والده لكى تتزوَّج من نجلها . وهذا هو أكبر الأخطار ألا وهو

التَّعايش والتلذذ بالرَّذيلة والخطايا ، وهم بذلك لا يدركون فضل العلى القدير ونعمته ، لأنَّهم لا يحسُّونها ولا يدركونها ، وبما أنَّ تلك الرَّذيلة البشعة التى يمقتونها كان ذهنهم مشغولاً دائمًا بها وبالاعتقاد بأنَّ الخطايا والآثام أقوى منهم لذلك فإنَّها تتغلَّب عليهم وتقهرهم . حان الوقت ووضعت نجلها دون صعوبات ، لأنَّ الأشياء السَّيئة دائمًا حتى النَّهاية تبدو لطيفةً ومحبَّبةً إلى النَّفس . عندما جاءت المرضعات وجدن مخلوقًا مشوَّهًا فأصابهن الهلع كثيرًا ، لكن بما أنَّهنَّ كنَّ يخشين العملاق صمتن ، وقمن بتغطيته بالملابس التى أحضرنها له ، وقد تجرَّأت إحداهنَّ أكثر من الأخريات وأعطته ثديها فرضعه بقوة مما جعلها تصرخ ، وعندما انتزعوا ثديها منه خرَّت صريعةً من كثرة السُّمِّ الذى توغَّل داخلها ، وقد ذُكر هذا للعملاق ، وعندما رأى نجله ذُهِل من ذلك المخلوق الغريب المشوَّه وفكر أنْ يسأل آلهته لماذا أعطوه هذا الابن ، وذهب إلى المعبد حيث توجد الآلهة ، وكانت هناك ثلاثة آلهة ، أمَّا أحدها فقد كان على شكل إنسان ، والثَّانى على شكل أسد ، والثَّالث على شكل حيوان أسطورى نصفه الأعلى جسم العقاب والنِّصف السُّفلى جسد أسد ، قام بتقديم القرابين للآلهة وسألها لماذا أعطته مثل هذا الابن المشوَّه . قال له الصَّنم الذى كان على صورة رجل : "هكذا كان من الملائم أنْ يكون كذلك لأنَّ أموره ستكون غريبةً وعجيبةً ، ولهذا من الملائم أنْ يكون كذلك ، وخاصة لكى يسحق المسيحيين الذين يحاولون سحقنا والقضاء علينا ، ولذلك فقد أضفت عليه من شبهى كى يتمتَّع بإرادة الرِّجال، الأمر الذى تفتقر إليه جميع الحيوانات". أمَّا الصَّنم الآخر فقد قال له : "أردت تزويده بمزيد من الجرأة والشَّجاعة والقوة مثلما يتوافر لنا نحن الأسود." أمَّا الصَّنم الثَّالث فقال له : " لقد زوَّدته بأجنحةٍ ومخالب وسرعة وحيوية على جميع المخلوقات الموجودة فى العالم ." ولما سمع العملاق ذلك قال لهم : " كيف سأربيه فالمرضعة ماتت بعد أنْ أرضعته من ثديها ؟" قالوا له " مر المرضعتين الأخريين أن يرضعاه وسيلقيان حتفهما أيضًا ، لكن الأخرى سترضعه من ألبان ماشيتك لمدَّة عامٍ ، وخلال تلك الفترة سيكون كبيرًا وجميلاً مثلنا تمامًا نحن الذين كنَّا سببًا فى ولادته . واحذر ، فسندافع عنك ونحميك

وحذار أنْ يراه أحدٌ بأيَّة طريقة ولا أنت ولا زوجتك خلال هذا العام كله ، اللَّهم إلا تلك المرأة التى تُربيه وترعاه ."

- أمر العملاق بأنْ يتم تنفيذ ما طلبته الآلهة ، وبهذه الطَّريقة رُبِّى هذا الحيوان الغريب كما سمعتم . وفى نهاية العام علم العملاق من المربية كيف أنَّه نما وكبر وترعرع ، وسمع منها أنَّه يطلق صيحاتٍ مدويَّةً ومرعبةً ، فاتفق مع كريمته التى كانت زوجته على الذِّهاب لرؤيته ، فدخلا الغرفة التى كان يعيش فيها ، ورأياه يقفز ويجرى وعندما رأى إيندرياجو والدته جرى إليها وقفز ووضع أظافره فى وجهها ، وجرحها فى أنفها وعينيها وقبل أنْ تتخلص من يديه لقيت حتفها . عندما رآه العملاق وضع يده على السَّيف ليقتله إلا أنَّ ضربة السَّيف أصابت ساقه الجريحة بجرح كبير فسقط على الأرض ، وبعد قليل لقى حتفه . قفز إيندرياجو فوقه وخرج من باب الغرفة حيث سمَّم جميع النَّاس بالقلعة ، وذهب إلى الجبال . ولم يمض وقتٌ طويلٌ حتى مات كثيرٌ من النَّاس على يديه، وفرَّ الباقون إلى البحر، وبالتَّالى أصبحت الجزيرة خاليةً من السُّكان ، وهكذا ظلَّت طوال أربعين عامًا . هذا كان ما أعرفه عن هذا الحيوان الشَّيطانى والشِّرير - قال الأستاذ الطَّبيبُ .

قال الفارس ذو السَّيف الأخضر :

- يا أيُّها الأستاذ الطَّبيبُ ، لقد أخبرتنى بأشياء كثيرة وعظيمة ، فالله يحزن على هؤلاء الذين يرتكبون المعاصى والآثام ، لكن فى النِّهاية إذا لم يتوبوا فليعاقبهم بغم كبير مثل الشَّرِّ الذى اقترفوه ، والآن أتوسَّل إليكم يا أستاذى بأنْ تخبرونى غدًا فى القُدَّاس ، لأنَّنى أريدُ رؤية هذه الجزيرة ، وإذا ساعدنى الله فسأعيدها إلى عبادته وخدمته .

قضوا تلك الليلة فى ذعرٍ كبيرٍ خوفًا من البحر الذى كان مضطربًا للغاية ، وكذلك خوفًا من إيندرياجو وهم يفكِّرون فى إمكانية خروجه لهم من إحدى القلاع الموجودة

بالقرب من هناك حيث كانوا يبيتون مرات كثيرةٍ . وعندما أشرق الصَّباح أعلن الأستاذ الطَّبيبُ عن القدَّاس ، واستمع إليه الفارسُ ذو السَّيفِ الأخضر بإنصات وبتواضع جم متوسِّلاً إلى الله أنْ يساعدهم فى ذلك الخطر ، وأنَّ الفارس يريد أنْ يخدم فى سبيل الله ، أمَّا إذا باغته الموت هناك فإنَّه يتوسَّل إلى الله كى يكون رحيمًا بروحه. ثم تقلَّد أسلحته وأخرج جواده إلى اليابسة ومعه جندالين ، وقال للبحَّارة :

- يا أصدقائى ، إنَّنى أريد الدُّخول إلى تلك القلعة ، وإذا وجدت إيندرياجو هناك فسأحاربه ، وإذا لم أجده فسنرى ما إذا كانت فى وضع يسمح لكم بالإقامة فيها حتَّى يتحسَّن البحر، وسأبحث عن هذا الحيوان فى هذه الجبال ، وإذا استطعت الإفلات فسأعود إليكم، وإذا لم أستطع فافعلوا ما يتراءى لكم .

عندما سمعوا هذا أصبحوا مذعورين أكثر من ذى قبل ، لأنَّهم هناك بداخل البحر لم تكن كلُّ قواهم قادرة على تحمل الخوف من إيندرياجو على الرَّغم من عظم خطورة البحر باضطرابه وتلاطم أمواجه العاتية ، ويكفى أنَّ ذلك الفارس بمحض إرادته سيذهب بحثًا عن هذا الوحش لكى يحاربه . وعلى فكرة ، كل الأمور العظيمة التى سمعوها عنه - بالنِّسبة لإجادته فى استخدام الأسلحة - رأوها مقارنةً بما يفعله الوحش صفرًا على اليسار ، أمَّا الأستاذ الطَّبيب إيليساباد ، بوصفه رجلاً أديبًا وقارئًا للقدَّاس ، فقد حاول كثيرًا إثناءه عن قصده ، مذكرًا إيَّاه بأنَّ مثل هذه الأمور التى تنأى عن طبيعة بنى الإنسان - حتى لا يقعوا فى خطيئة قتل أنفسهم - ينبغى هجرها والابتعاد عنها . لكن الفارس ذا السَّيف الأخضر ردَّ عليه قائلاً لو أنَّه وضع ذلك المانع الذى يتحدَّث عنه فى ذاكرته لغُفر له الخروج من وطنه للبحث عن مغامراتٍ ، وإذا كان قد تجاوز بعضها، وهو على يقين أنه إذا ترك هذه فستصبح الأخريات لا جدوى منها ، وبالتَّالى فمن صالحه تماما قتل هذا الحيوان الشِّرير والمشوَّه أو يموت فى سبيل هذه المغامرة مثل هؤلاء الذين ينبغى عليهم أنْ يهجروا طبيعتهم وفطرتهم للآخرين بغية تحقيق المجد والعزَّة والشَّرف .

حينئذٍ نظر الفارس إلى جندالين الذى تقلد الأسلحة التى وجدها هناك لكى يساعده بينما كان هو يتحدَّث مع الأستاذ الطَّبيب والبحارة، وقد رآه يبكى بشدةٍ على صهوة جواده، فقال له :

– من الذى اقترح عليك مثل ذلك الأمر؟ اخلع أسلحتك، لأنَّك لو كنت قد فعلت ذلك لمساعدتى وخدمتى فأنت تعـرف جيـداً أنَّه لا ينبغـى التَّفريط فى الحيـاة ، بل الحفاظ عليها ، لكى تستطيع أنْ تعيد سـرد مصير موتى فى تلك الجزيرة ، فهو السَّبب الرئيسى والذكرى حيث ينبغى أنْ أتقبَّل ذلك .

واضطره إلى نزع سلاحه بالقوة ، وذهب معه إلى طريق القلعة ، وعندما دخلاها وجداها قفراً خاليةً من البشر ، اللهم إلا الطُّيور . ورأيا أنَّ بداخلها كانت هناك أشياءُ جميلة وإنْ كان بعضها قد سقط وتهاوى ، وكانت الأبواب الرئيسية قويةً جدا وحصينةً بالأقفال القوية التى كانت مغلقةً بها . وأمر جندالين بالذِّهاب لاستدعاء جميع من بالسَّفينة وإخبارهم بأنَّ القلعة مأوى حصينٌ لهم ، وهكذا فعل جندالين . خرج الجميع فيما بعد ، وإنْ كان ذلك مصحوبًا بخوفٍ كبيرٍ من إيندرياجو ، لكن البحر لم يكف عن عاصفته الشَّديدة ، ودخلوا القلعة ، فقال لهم الفارس ذو السَّيف الأخضر :

– يا أصدقائى الأعزَّاء ، إنَّنى أريد أنْ أذهب إلى هذه الجزيرة لأبحث لكم عن هذا الحيوان المشوه المدعو إيندرياجو ، وإذا وُفقْت فسينفخ جندالين فى البوق وصدِّقوا حينئذ أنَّه قُتلَ وأنا على قيد الحياة ، وإذا لم أوفَّق فلن يكون هناك داعٍ لكى أرسل لكم إشارة ، وبالتَّالى أغلقوا هذه الأبواب وأحضروا بعض المؤن والزَّاد من السَّفينة ، فبوسعكم البقاء هنا حتى يتحسَّن الطَّقس لكى تبحروا فى أمانٍ وهدوء .

حينئذ رحل عنهم الفارس ذو السَّيف الأخضر وظلَّ الجميع ، وكان أكثرهم بكاءً ومرارةً قزمه أرديان الذى كان يرافقه فى كلِّ مكان ، وهذه الأمور يصعب ذكرها ، فقد كان ينتزع شعره وكان يلطم وجهه بكفيه ويضرب رأسه فى الحوائط ويطلق على نفسه لقب الأسير ، لأنَّ حظه الرَّائع جعله فى خدمة هذا الرَّجل الذى وصل إليه ألف مرَّةٍ وهو على وشك الموت يتأمَّل البطولات الغريبة التى يقوم بها، وآخرها تلك التى لم يجرؤ عليها إمبراطور القسطنطينية ، ولم يتمكَّن بكل ما أوتى من قوةٍ وجبروت ، فضلاً عن السيادة ، أنْ يجد لها حلا . وبما أنَّه رأى أنَّ سيده ذهب إلى الحقول ، صعد إلى الجدار عن طريق سلَّمٍ حجرى بلا أىِّ حس تقريبًا لأنَّه كان حزينًا للغاية على فراق سيده . وأمر الأستاذ الطَّبيب بأنْ يُعدَّ مصلَّى، وأحضر كلَّ ما يلزم لكى يتلوا القدَّاس، وأعطى كلَّ واحدٍ منهم

شمعةً كبيرةً مضيئةً ، ثمَّ جثوا جميعا راكعين يبتهلون إلى الله بأن يحفظ ذلك الفارس الذى يجاهد فى سبيله إنقاذًا لحياتهم ، وذلك بتعريض نفسه للموت .

ذهب الفارس ذو السَّيف الأخضر - كما تسمعــون - بذلك المجهود الشَّاق وذلك المحيًا ، حيث أمدَّه قلبه الشُّجاع بالقوة ، وكان جندالين يسير خلفه يبكى بشدَّةٍ معتقداً أنَّ أيام سيده ستنتهى فى ذلك اليوم حـيث سيقضى نَحْبــه . التفت الفارس إليه ، وقال له ضاحكًا :

- يا شقيقى الطَّيِّب ، أليس لديك بادرة أمل فى رحمة الله ، ولا فى حب زوجتى أوريانا وأنت تيأس بهذا الشَّكل ؟! فليس أمامى ذكراها الطَّيِّبة فقط ، بل أيضًا شخصها العزيز ، وتراها عيناى تطلب منِّى أنْ أحميها من هذا الحيوان الشِّرير . إذنْ فى أىِّ شىءٍ تُفكرُ أنت ، يا صديقى الحقيقى ، أنه ينبغى علىَّ القيام به ؟! ألا تعرف أنَّ حياتها وموتها مرتبطان بحياتى وموتى ؟! إذن ألا تنصحنى بأنْ أقتل هذا الحيوان الشِّرير وأنْ يموت أمام عينى؟! ألا تتضرَّع إلى الله بأنْ يحدث هذا الأمر ؟! وإذا كنت لا ترى ذلك فأنا أراه أمام عينى . إنَّ مجرد ذكرى زوجتى أوريانا التى تسببت فى المساس بشرفى من جرَّاء الأمور التى تعرفها أنت ، لأمر يستحق ضرورة حضورها شخصيا .

وعندما قال ذلك زاد جهده ، وفى النِّهاية لم يجد إيندرياجو . ودخل واديًا ذا جبلٍ وعر وصخور مقوَّسة جدا ، وقال :

- نادِ يا جندالين ، فقد يأتى إلينا إيندرياجو من جرَّاء هذه الأصوات ، وأرجوك إذا متُّ هنا حاول أنْ تحمل لزوجتى أوريانا ذلك الذى هو ملْكٌ لها وحدها كاملا ، سيكون قلبى ، وأخبرها بأنى أرسله إليها حتى لا أحاسب أمام الله لماذا أخذت معى ما هو لها .

عندما سمع جندالين ذلك لم يصدر أصواتًا فقط ، لكن كان ينتزع شعره انتزاعًا وهو يبكى ، وأطلق صيحاتٍ مدويةً ، وقد تمنَّى الموت لنفسه قبل أنْ يشهد موت ذلك الرَّجل سيده الذى كان يحبُّه حباً جما ، ولم يتأخَّرا كثيراً حتى رأيا إيندرياجو يخرج من بين

الصُخور أكثر قوةً وشجاعة من ذى قبل ، وقد كان السبب فى ذلك أنَ الشَياطين رأت أنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر علَّق أملاً كبيرًا على صديقته أوريانا أكثر من الأمل فى الرَّب ، لذلك توغَّلت الشياطين فى نفسه وجعلته أكثر غضبًا ، وقالت :

– إذا نجونا من هذا فلن يوجد آخر فى العالم أكثر جرأةً ولا أكثر قوةً يجرؤ على القيام بمثل هذا العمل .

جاء إيندرياجو غاضبًا للغاية نحوهما، وكان يخرج من فيه دخانًا مختلطًا بألسنة اللهب والنَّار ، وتصطك أسنانه بعضها ببعضها الآخر ، وكان يخرج زبدًا ورغوةً وتُطقطق أصدافه وجناحاه بقوةٍ مما كان يسبِّبُ ذعرًا كبيرًا لمجرَّد رؤية ذلك . هكذا حدث للفارس ذى السَّيف الأخضر، وخاصةً عندما سمع الصَّرخات المدوية والأصوات المرعبة القوية التى كانت تصدر عن إيندرياجو ، وبما أنَّه كان قد سمع عن ذلك بالكلام فقط فإنه مقارنةً بما رأى كان لا يساوى شيئًا . وعندما رآهما إيندرياجو بدأ يقفز قفزاتٍ كبيرةً ويصدر أصواتًا قويةً بوصفه ذلك الحيوان المفترس الضَّارى الذى قضى وقتًا طويلاً دون أنْ يرى خلاله أىَّ إنسانٍ ، ثم جاء تجاههما .

عندما رأى جوادا الفارس ذى السَّيف الأخضر وجندالين ذلك الوحش الضارى إيندرياجو شرعا فى الفرار بسرعة خائفين مذعورين ، وقد عجز الفارسان عن التَّحكم فيهما ، وكانت تصدر عنهما نفخات غيظٍ وغضبٍ . وعندما رأى الفارس ذو السَّيف الأخضر أنَّه بالجواد لن يستطيع الوصول إلى إيندرياجو نزل من فوق صهوة جواده بسرعةٍ ، وقال لجندالين :

– يا شقيقى ، قف بعيدًا على هذا الجواد فلا ينبغى أنْ نفقدهما معًا ، وانظر إلى المغامرة التى أراد الله لى أنْ أخوضها ضدَّ هذا الشَّيطان المرعب ، وتضرَّع إلى الله أن أنتصر على هذا الوحش الضَّارى لكى تعود هذه الأرض إلى عبادته ، وإذا كُتِبَ علىَّ الموت هنا فليكن رحيمًا بروحى ، وبالنِّسبة للأمر الآخر فافعل ما أمرتك به .

لم يستطع جندالين الرَّدَّ عليه ، فقد كان يبكى بشدَّةٍ لأنَّه رأى موت سيده محقَّقًا إذا لم ينقذه الله بمعجزة .

أخذ الفارس ذو السَّيف الأخضر الحــربة واحتمى بدرعــه ، وبما أنَّ الرَّجل كان قد آمن بأنَّ موته محقَّقٌ لا محالة فقد تبدَّد كل فزعه وذعره، وتوجَّه إلى إيندرياجو ماشيًا كما كان .

لما رآه الشَّيطان اتجه إليه وأخرج نارًا من فيه ممتزجة بدخانٍ أسود جدا مما صعب عليهما أنْ يرى أحدهما الآخر . توغَّل الفارس ذو السَّيف الأخضر إلى الأمام عبر الدُّخان ، وعندما اقترب منه ضربه – لحسن الحظ– بالحربة فى عينه ففقأها له ، غرس إيندرياجو مخالبه فى الحربة ووضعها فى فيه ومزَّقها إربًا ، وظلَّ الحديدُ وجزءٌ منها فى لسانه ولوزتيه ، فقد كانت قوية وأراد هو التهامها، ثمَّ قفز قفزةً من أجل ذلك ، لكن نظرًا لإصابة عينه لم يستطع ، ولأنَّ الفارس انتظر بمجهودٍ شاق وسرعة نبضات قلبه، كمن يُرى وهو يواجه الموت نفسه . ووضع يده على سيفه الممتاز ، وتوجَّه إلى إيندرياجو الذى كان مضطربًا بسبب عينه، وكذلك من جراء الدَّم الغزير الذى كان يتدفَّق من فيه ، وبكل قوته غرس سيفه فى زوره بطريقة لم يكن يستطيع معها التَّنفس تقريبًا ، كما لم يستطيع إغلاق فيه ولا حتى يعضها ، ثم هوى إليه من جانبٍ وصوَّب إليه ضربةً قويةً فوق أصدافه حيث بدا للفارس ذى السَّيف الأخضر أنَّه ضرب صخرةً صلبةً ولم يصبها بأذى، وبما أنَّ إيندرياجو رآه قريبًا منه فقد فكر فى أن يُمسكه بين مخالبه، ولم يصل إليه اللهم إلا إلى الدِّرع ، ووجده قويا مما جعله يهوى بيديه على الأرض . وفى الوقت الذى كان الشَّيطان يحاول تمزيق الفارس بمخالبه القوية والصلبة استطاع الفارس ذو السَّيف الأخضر النُّهوض ، وبما أنَّه وجد نفسه بلا درع ، وأنَّ السَّيف لا جدوى منه إلا أن يفقأ العين الأخرى لإيندرياجو ، حيث لا يمكن أنْ يصيبه فى أىِّ جزءٍ آخر مهما حاول ، فإنه فى غضبٍ جامح تاركًا خلفه كلَّ خوفٍ وذعر توجَّه إلى إيندرياجو ، الذى كان قد خارت قواه ، ومنهكًا ضعيفًا نحيفًا بسبب الدَّم الغزير الذى فقده من عينه المصابة . بما أنَّ الآثام والخطايا السَّابقة قد سقطت وتلاشت ، وقد غضب الله غضبًا شديدًا على العدو الشِّرير من مرتكبى الخطايا والكبائر لكنهم كانوا يؤمنون بدينه المقدَّس بالكاثوليكية ، لذلك أراد أنْ يمد الفارس بالقوة والنِّعمة والفضل التى لولاهما لن يستطيع أحد مواجهة ولا مجرَّد التصدى للخطر الدَّاهم والقضاء على هذا الوحش الذى قتل الكثيرين ،

وكان من بينهم التَّعيسان والده ووالدته ، ففكَّر الفارس ذو السيف الأخضر فى أنْ يُصيب العين الأخرى بالسَّيف ، أراد الله أنْ يرشده ويوفِّقه حتى غرسه فى إحدى فتحتى أنفه الواسعتين جدا ، وبالقوة التى وجَّه بها السَّيف وبالقوة التى اندفع بها إيندرياجو توغل السَّيف حتى وصل إلى المخّ ، لكن إيندرياجو رآه قريبًا جدا منه فعانقه واستطاع بقوة مخالبه وصلابتها أنْ يدمِّر له كلَّ أسلحته التى كان يحملها على ظهره ولحمه وعظامه حتَّى أحشاءه ، وبما أنه كان مختنقًا من جرَّاء الدَّم الذى كان ينزفه ومن ضربة الحسام التى توغلت فى مخِّه - هذا فضلاً عن أنَّ حكم الله قد سبق عليه ولا يمكن الرُّجوع فيه - لم يستطع إيندرياجو تحمل ذلك ، وفتح ذراعيه وسقط على جنبيه كميتٍ بلا حراكٍ أو أى وعى . ولما رآه الفارس هكذا غرس السَّيف وأولجه قدر استطاعته فى فيه عدَّة مرات حتى أجهز عليه وقتله ، لكن أريد أنْ تعرفوا أنَّ إيندرياجو قبل أنْ تخرج روحه خرج منه الشَّيطان وطار فى الهواء بصوتٍ مدوٍّ كالرَّعد سمعه كلُّ من كان فى القلعة فانتابهم الذُّعر وتملَّكهم الخوف وعرفوا أنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر يخوض المعركة ، ورغم أنَّهم كانوا يحتمون فى مكان حصينٍ بكثيرٍ من المتاريس والأقفال فإنهم لم يكونوا آمنين على حياتهم ، ولولا أنَّ البحر كان لا يزال مضطربًا لما تجاسروا على البقاء هنا ولفروا هاربين إليه ، لكنهم لجأوا إلى الله بكثير من الصلَّوات والدَّعوات والتَّضرعات والابتهالات بأنْ ينجيهم من ذلك الخطر ويحفظ لهم ذلك الفارس الذى كان يقوم بمهمةٍ غريبةٍ فى سبيل الله .

بما أنَّ إيندرياجو قد قُتل، فقد ابتعد الفارس وذهب إلى جندالين، الذى كان يتوجَّه إليه ولم يستطع تحمل ذلك وخرَّ مغشيا عليه عند نهاية جدول ماءٍ يمرُّ هناك . وبمجرَّد أنْ وصل جندالين ورأى جراحه المرعبة اعتقد أنَّه تُوفى فسقط من فوق الجواد ، وبدأ يطلق صرخاته القوية وينتزع شعره ، حينئذٍ عاد الفارس إلى وعيه قليلاً ، وقال له :

- آه ، يا شقيقى الطَّيِّب وصديقى الحقيقى ! أنتم ترون أنَّنى الآن ميتٌ . إنَّنى أتوسَّل إليك بالتَّربية التى أولاها لك والدك ووالدتك ، وبالحبِّ الذى أكنُّه لك دائمًا أنْ تكون لى وفيا فى الموت كما كنت فى الحياة ، وعندما أموت تأخذ قلبى وتسلِّمه إلى زوجتى أوريانا ، وتخبرها بأنَّنى كنت دائمًا حبيبًا لها منذ تلك

الوهلة الأولى التى رأيتها فيها ، وطالما كان حبيسًا فى الجسد المكروب فإنَّه لم يغضب أو يتقاعس لحظةً واحدة عن خدمتها، فلتأخذ هذا القلب معها ذكرى من ذلك الذى قضى نحبه، فهو على الرَّغم من أنَّه ليس قلبها فإنَّها تملكه ، لأنَّه بتلك الذِّكرى ستخلد روحى إلى الرَّاحة أينما كانت .

ولم يستطع الحديث أكثر من ذلك ، ولما رآه جندالين هكذا لم يرد عليه ، وامتطى صهوة جواده وصعد على مرقبٍ ، ونفخ فى البوق بقوةٍ شديدةٍ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً إشارة بأنَّ إيندرياجو قُتل . كان القزم أرديان فى البرج ، ولمَّا سمعه نادى بصوتٍ عالٍ على الأستاذ الطَّبيب إيليساباد لكى يسرع لعلاج سيده ، وأنْ إيندرياجو قد مات ، وبما أنَّه كان على استعدادٍ فقد امتطى صهوة جواده وحمل معه كلَّ ما يلزم للعلاج ، وذهب بأقصى سرعةٍ فى الطَّريق الذى أشار عليه به القزم . ولم يسر كثيرًا حتى رأى جندالين فى المرقب ، وبمجرد أن رأى الأستاذ الطَّبيب توجَّه إليه ، وقال له :

– آه ، يا سيدى ! حبا فى الله وفضلاً منك أسعف سيدى ، فهذا أمرٌ ضرورى لأنَّ إيندرياجو قد قُتلَ .

عندما سمع الأستاذ الطَّبيبُ ذلك سُرَّ سرورًا كبيرًا بهذا النَّبأ السَّعيد الذى أخبره به جندالين دون أنْ يعرف إصابة الفارس ، فأسرع قدر استطاعته وكان جندالين يرشده ، حيث وصلا إلى مكان الفارس ذى السَّيف الأخضر ، فوجداه مغشيا عليه وفاقدًا للوعى ، وكانت تصدر عنه أنَّاتٌ كبيرة ، فتوجَّه الأستاذ الطَّبيبُ إليه ، وقال له :

– ما هذا يا فارس ؟ أين ذهب مجهودكم فى الوقت الذى كنتم فى أمسِّ الحاجة له ؟ لا تخش الموت فها فهاهنا صديقكم والخادم المخلص الأستاذ إيليساباد سيعالجكم .

عندما سمع الفارس ذو السَّيف الأخضر الأستاذ الطَّبيب إيليساباد، وبعد أن كان مغشيا عليه عاد قليلاً إلى وعيه وفتح عينيه وأراد أنْ يرفع رأسه ، لكنه لم يستطع ورفع ذراعيه كأنَّه يريد أنْ يعانقه .

خلع الأستاذ الطَّبيبُ إيليساباد عباءته فيما بعد ، ووضعها على الأرض وقام هو وجندالين بإضجاعه عليها وقد نزعا عنه أسلحته قدر استطاعتهما ، وعندما رأى إيليساباد جراحه ورأى جرحًا كبيرًا - وعلى الرَّغم من كونه أحد أفضل الأطباء في تلك المهنة - انتابه ذعرٌ كبيرٌ وخاف ألاَّ يستطيع إنقاذ حياته ، لكنه بما أنَّه كان يحبه ويعتبره أحسن فارسٍ في العالم فقد قرَّر أنْ يبذل كل ما في وسعه لكي يعالجه وينقذ حياته. ضمَّد له جراحه ورأى أنَّ مكمن الخطر كان في اللحم والعظام ، وبالنِّسبة للأحشاء فلم تُصب بأذىً . أحسَّ بالأمل في أنَّه يستطيع علاجه ، فقام بتجبير عظامه وضلوعه ، وخيَّط له جراحه ، ووضع له الدَّواء ، وربط له جسده جيداً مما أوقف نزيف الدَّم ، وتحسَّن تنفسه . ثم أفاق الفارس جيداً ، واستردَّ بعض قواه لدرجة أنَّه استطاع التَّحدُّث وفتح عينيه ، وقال :

- آه ، يا إلهي القادر على كلِّ شيءٍ ! إنَّك بفضل رحمتك وشفقتك أردت المجيء إلى العالم وكنت جنيناً في بطن السَّيدة العذراء البتول مريم ، ولكي تفتح أبواب الفردوس التي كانت مغلقةً أردت أنْ تعاني الكثير من الإهانات ، وفي النِّهاية الموت على أيدي هؤلاء النَّاس الأشرار . أتوسَّل إليك يا ربي كوني واحداً من أكثر الخطائين أنْ تُشفق عليَّ وترحم روحي ، أما الجسد فمصيره التُّراب .

وصمت ، ولم يقل شيئًا أكثر من ذلك . قال له الأستاذ الطَّبيبُ :

- يا سيدي الفارس ، إنَّه ليسعدني كثيراً أنْ أراكم قد استرددتم وعيكم ، لأنَّ الذي كنتم تطلبون منه الرَّحمة سيأتي لكم منه الشِّفاء ومنِّي لكوني عبداً لله ، فإني أضحي بحياتي من أجل حياتكم وبعون الله سأعالجكم . ولا تخش الموت هذه المرَّة ، وما عليكم إلاَّ أنْ تتجلَّدوا وتتحملوا ، وأنْ يكون لدى قلبكم الأمل في الحياة مثلما يأمل الموت أيضًا .

حينئذ أخذ إسفنجةً مضادةً للسُّمِّ ووضعها على فتحتي أنفه مما أمدَّه بكثير من القوة . كان جندالين يُقبِّلُ يدي الأستاذ الطبيب جاثيًا على ركبتيه أمامه ، راجيًا إيَّاه أنْ يكون رحيمًا بسيده . أمره الطَّبيبُ بأنْ يمتطي جواده ويذهب سريعًا إلى القلعة

ويحضر بعض الرجال لكى يحملوا الفارس قبل أنْ يجنَّ الليلُ . هكذا فعل جندالين ، وجاء الرِّجال وقد أعدُّوا نقَّالةً من أشجار ذلك الجبل على أفضل ما يكون قدر استطاعتهم ووضعوا عليها الفارس ذا السَّيف الأخضر ، وحملوه على أعناقهم حتى القلعة وقد جهَّزوا له أفضل غرفة كانت بها بالفُرش الوثيرة التى كانت جراسيندا قد أرسلتها فى السَّفينة . وضعوه فى فراشه حيث كان مغشيا عليه فلم يشعر بشىءٍ ، وهكذا ظلَّ طوال الليل دون أنْ يتكلم أبدًا ، كان يئنُّ أنينًا شديدًا كأنَّه كان يريد الكلام لكنه لم يستطع .

أمر الأستاذ الطَّبيب أنْ ينقلوا له سريره هناك . وظلَّ معه لكى يروح عنه وليعطيه الأدوية المناسبة لكى يقضى على السُّمِّ السَّيئ الذى أصابه به إيندرياجو ، وقد غشيه نومٌ هادئٌ عند فجر اليوم الجديد ، ثمَّ وضع له كلَّ ما يلزمه من أمور العلاج وأمر الجميع بالخروج من الغرفة حتى لا يوقظوه ، لأنَّه كان يعرف أنَّ ذلك النَّوم كان مريحًا كثيرًا له ، وبعد وقتٍ طويلٍ انتهى النَّوم وبدأ يصدر أصواتًا فى ضيق كبير وغم شديد قائلاً :

- يا جندالين ، يا جندالين ، حذار من ذلك الشَّيطان العنيف والشِّرير جدا من أنْ يقتلك .

سمعه الأستاذ الطَّبيبُ ، وذهب إليه ضاحكًا بمزاجٍ معتدلٍ ، أكثر ممَّا كان يشعر به فى قلبه من شدَّة خوفه على حياته ، وقال :

- لو أنَّكم حافظتم على أنفسكم مثله لما ذاع صيتكم وانتشرت شهرتكم كثيرًا فى العالم .

ورفع رأسه ورأى الأستاذ الطَّبيب ، فقال له :

- يا أستاذى ، أين نحن ؟

ظلَّ الأستاذ الطَّبيب معه يقدِّم له الرِّعاية والأدوية والعلاج لكونه واحدًا من أمهر هؤلاء الأطباء الموجودين فى العالم ، وقبل أنْ ينصرف أعاده تمامًا إلى وعيه ، لدرجة أنَّه كان

يعرف الجميع ويتحدَّث معهم . ولم يفارقه الأستاذ الطَّبيبُ قط وظلَّ يقدِّمُ له العلاج ويعطيه كل الأشياء اللازمة لذلك المرض ، والتى بها وبإرادة الله رأى أنَّه استطاع أنْ يعالج له جراحه ، ثم أخبر جميع الموجودين بذلك فسُرُّوا سروراً بالغًا ، وشكروا الله العلى القدير لأنَّه نجَّاهم من عاصفة البحر ومن خطر ذلك الشَّيطان .

وكانت سعادة جندالين تفوق سعادة الآخرين ، فهو حامل دروعه ، وكذلك القزم ، وكذلك هؤلاء الذين كانوا يحبُّونه من أعماق قلوبهم الذين عادوا من الموت إلى الحياة . ثم التفوا جميعا حول فراش الفارس ذى السيَّف الأخضر فى بهجة وسرور بالغين ، يروِّحون عنه قائلين له إنَّ ما يعانى منه لا يساوى شيئًا مقارنةً بالشَّرف والغبطة اللذين اختصه الله بهما ، فلم يمنح الله أحداً فنون القتال بالأسلحة من بنى البشر على الأرض غيره ، وتوسلُّوا إلى جندالين بحماسٍ لكى يحكى لهم الواقعة كما حدثت بالفعل لأنَّه كان شهدها بعينيه ، لأنهم أرادوا أنْ يعرفوا كلَّ تفاصيل البطولة العظيمة للفارس ذى السيَّف الأخضر ، وقد قال لهم إنه سيفعل ذلك بمحض إرادته وعن طيب خاطر شريطة أن يقبل الأستاذ الطبيبُ بأن يؤدى القسم أمامه على الإنجيل المقدَّس لكى يصدِّقوا ذلك ، وأنْ يُدَوَّن هذا مكتوبًا وبوضوح كبير ، وأن يكون ذلك حدثًا بارزًا وألا يظل منسيا فى ذاكرة النَّاس .

هكذا فعل الأستاذ الطَّبيبُ إيليساباد لكونه على يقين من تلك الواقعة، وقام جندالين بسردها عن بكرة أبيها كما روتها القصة، وعندما سمعوها انتابهم الذُّعر من ذلك الأمر، من أكبر بطولة سمعوا الحديث عنها على الإطلاق، حتى ولو لم ير أحدٌ منهم الشَّيطان إيندرياجو الذى كان مُلقى على الأرض بين الشُّجيرات والأعشاب ، وبما أنَّهم كانوا يسعفون الفارس ذا السيَّف الأخضر لم يستطيعوا الانشغال بشيءٍ آخر. حينئذ قالوا جميعًا نريد أنْ نرى إيندرياجو. قال لهم الأستاذ الطَّبيبُ اذهبوا ، وأعطاهم تركيبات دوائية لعلاج السُّمِّ . وعندما رأوا شيئًا مخيفًا للغاية ومشوهًا جدا عن جميع الكائنات الأخرى الحية التى رأوها حتى الآن ، أصبحوا أكثر دهشةً من ذى قبل ، ولم يستطيعوا الاعتقاد بأنَّ فى العالم قلبًا شجاعًا استطاع أن يحارب هذا الشَّيطان المرعب . وعلى الرَّغم من أنهم كانوا يعرفون عن يقين أنَّ الفارس ذا السيَّف الأخضر كان قد قتله ،

فإنه لم يكن يبدو لهم إلا أنَّهم يحلمون . ظلُّوا ينظرون إليه وقتًا طويلاً ثم عادوا إلى القلعة يتحدَّث بعضهم إلى بعض عن ذلك العمل العظيم الذى قام به الفارس ذو السيِّف الأخضر . ماذا أقول لكم ؟ اعلموا أنَّهم قضوا هناك عشرين يومًا لم تتحسَّن حالة الفارس بشكلٍ كبيرٍ ، حيث كان يرقد فى فراش دون أنْ يجرؤ على النهوض، لكن بما أن الله منَّ عليه بالصحة ، إلى جانب المجهود الكبير الذى قام به ذلك الأستاذ الطِّبيبُ إيليساباد ، فقد تحسَّنت حالته كثيرًا فى ذلك الوقت القصير لدرجة أنَّه كان يستطيع الإبحار دون أىِّ خطر . وبما أنَّ الأستاذ الطِّبيب رآه فى هذا الوضع الرَّائع فقد تحدَّث معه ذات يومٍ ، وقال له :

– يا سيدى ، بفضل الله الذى أراد ذلك – ولم يكن أحدٌ غيره يستطيع ذلك – قد وصلتم حضرتكم إلى وضع يجعلنى أتجرأ بفضل تعاونكم ومجهودكم الطَّيِّب وأقول إنكم تستطيعون الإبحار الآن وأن تذهبوا إلى حيث يحلو لكم ، لأنَّ كثيرًا من الأشياء الضَّرورية تنقصنا الآن سواء فيما يتعلَّق بصحتكم أو بالنِّسبة لتغذية النَّاس ، وبالتَّالى من الضَّرورى إصدار أمرٍ بذلك ، لأنَّنا إذا مكثنا هنا وقتًا أطول فستنقصنا أشياءُ كثيرةٌ .

قال له فارس القزم :

– يا سيدى وصديقى الحقيقى ، الله أشكر شكرًا جزيلاً وأحمده على نعمه لأنَّه نجَّانى من ذلك الخطر الدَّاهم بسبب رحمته الواسعة أكثر من استحقاقى وجدارتى ، الذى لا يمكن أنْ يقارن جبروته مع أىِّ شىءٍ آخر ، فكلُّ شىءٍ خاضعٌ لإرادته ومشيئته ، وإليه يُعزى الفضل فى كلِّ النِّعم والأشياء الحسنة الممتازة التى تحدث فى هذا العالم ، ولندع مالك جانبًا ، فأنتم يا سيدى أدين لكم بحياتى ، وأنا أعتقد اعتقادًا يقينيا أنَّ كلَّ الذين ولدوا فى هذا العالم حتى الآن لم يكن أحدٌ منهم يستطيع أنْ يعالجنى مثلما عالجتمونى . وبما أنَّ الله منَّ علىَّ بهذا الفضل العظيم ، فإن مغامرتى ليست شيئًا مقارنة بهذا الفضل ، كما أنَّها ليست شيئًا يذكر إزاء العلاج الذى تلقيته على أيديكم ، ولا أستطيع أنْ أجازيكم عليه لكونى فارسًا فقيرًا لا يمتلك شيئًا سوى جوادٍ وبعض الأسلحة المحطَّمة كما ترونها .

قال الأستاذ الطَّبيبُ :

– يا سيدى ، ليس لدى رضاءٌ وسرورٌ آخر أهم من فخرى واعتزازى بأننى بأنَّنى أنقذت من الموت – بعد الله سبحانه وتعالى – أفضل فارسٍ يتعامل مع الأسلحة ، وأجرؤ أنْ أقول ذلك أمامكم بما قمتم به أمامى ، والمكافأة التى أنتظرها منكم أكبر بكثير مما أنتظره من ملكٍ أو سيدٍ عظيمٍ يستطيع تقديمها لى ، ألا وهى إنقاذ ونجدة كثير من المهمومين المكروبين والمهمومات والمكروبات الذين ينبغى عليكم نجدتهم وإنقاذهم ، وسيكون هذا بالنِّسبة لى أكبر مكافأة ، لكونى بعد الله سبحانه وتعالى سببًا فى شفائك .

انتاب الفارس ذا السَّيف الأخضر الخجل أنْ يسمع مدحًا وإطراءً لذاته ، وقال :

– يا سيدى ، لنترك ما كنا نتحدَّث فيه ، أريد أنْ تعلموا ما انعقدت عليه إرادتى ، إنَّنى كنت أريد التَّجول فى كلِّ جزر رومانيا ، وبما ذكرته لى عن إرهاق البحارة غيَّرتُ قصدى وكنا سنشقُّ طريقنا إلى القسطنطينية، والذى بسبب سوء الطَّقس واضطراب البحر تركناه، أمَّا وقد تحسَّن الطَّقسُ فما زالت لدىَّ الرَّغبة فى أنْ أعود إلى هناك لأرى ذلك الإمبراطور العظيم ، لأنَّ الله إذا ردَّنى إلى حيث يتوق القلب ويهوى ، فاعلم أنَّنى سأحكى أمورًا غريبةً ، لا تُرى إلا قليلاً اللَّهم إلا فى حالات مشابهةٍ ، ويا سيدى الأستاذ الطَّبيبُ، بالحبِّ الذى تكنونه لى أتوسَّل إليكم بألا تغضبوا لأنَّك ستكافأ منِّى فى يوم من الأيَّام ، وهناك سنعود راضين إلى مالك الملكوت الله العلى القدير فى المدة التى حدَّدتها لنا السَّيدة النَّبيلة جراسيندا ، لأنَّنى مضطر للامتثال لها ، كما تعرفون جيداً ، إذا أمكن ذلك طبقًا لرغبتى كى نقدِّم لها بعضًا من الفضائل والنِّعم التى أنعمت علىَّ بها ولم أكن لها أهلاً .

الفصلُ الرَّابع والسَّبعون

كيف أنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر كتب لإمبراطور القسطنطينية الذى كانت تلك الجزيرة ملكًا له بأنَّ ذلك الوحش الضَّارى قد قُتل ، وأخبره بنفاذ المؤن والمواد الغذائية مما جعل الإمبراطور يمده بالمؤن على وجه السُّرعة ، وقد ردَّ الفارس بمزيدٍ من الشَّرف والحب بالشرف والخدمة الجليلة ، حيث قام بتحرير تلك الجزيرة التى كان قد فقدها الملك منذ وقتٍ طويلٍ .

- إنَّ هذه هى إرادتك إذنْ يا سيدى - قال الأستاذ الطَّبيبُ إيليساباد - فمن الواجب أن تكتب للإمبراطور لتحكى له ما حدث لكم لكى يُرسل إليكم بعض المؤن والأشياء التى تنقصنا ونحتاج إليها فى الطَّريق .

- يا أستاذى الطَّبيب - قال الفارس - إنَّنى لم أره ولم أعرفه ، ولذلك سأترك الأمر كلَّه لك لكى تفعلوا ما ترونه أفضل ، وبالتَّالى سأتلقَّى منكم فضلاً ممتازًا .

كتب الأستاذ الطَّبيبُ ، لكى يرضى الفارس ذا السَّيف الأخضر ، رسالةً إلى الإمبراطور ليحيطه علماً بكلِّ ما فعله الفارس ذو السَّيف الأخضر بعد أنْ رحل عن سيدته جراسيندا ، وكيف أنَّه قام ببطولاتٍ عظيمةٍ بالأسلحة فى جزر رومانيا ، لم يكن بوسع أىِّ فارس أنْ يقوم بها ، وأنَّهم كانوا فى الطَّريق إلى حيث يوجد الإمبراطور، وكيف أنَّ هياج البحر وعاصفته واضطرابه دفع بهم إلى اللجوء إلى جزيرة الشَّيطان ، حيث كان يعيش الشَّيطان إيندرياجو ، وكيف أنَّ ذلك الفارس الملقَّب بذى السَّيف الأخضر - بمحض إرادته وضد رغبة الجميع - بحث عن إيندرياجو وقاتله حتى تركه صريعًا ،

ووصف له بالتَّفصيل كيف وقعت المعركة والجراح الكثيرة التى أُصيب بها الفارس ذو السَّيف الأخضر . وبالتَّالى أحاطه علمًا بكل ما حدث ، وأنَّ تلك الجزيرة أصبحت حرَّةً من ذلك الشَّيطان ، وأنَّها الآن خاضعة لسلطانه وسيادته ويمكن أنْ يعمرها مرَّة أخرى بالسُّكان ، وأنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر يتوسَّل إليه بأن يطلق عليها اسم جزيرة القديسة ماريا .

هذه الرِّسالة - كما تسمعون - أرسلها مع حامل سلاح مع قريبٍ له كان معه ، وطلب من البحارة أنْ يمروا بالقسطنطينية لأمر ضرورى ومُلحٍّ ويُسلم حامل السلاح الرِّسالة للإمبراطور ، وأنْ يحضر من هناك المؤن التى يحتاجون إليها .

توغَّل حامل السلاح فيما بعد فى البحر مع رفقته بعد أنْ تحسَّن الطقسُ . وصل القارب فى اليوم الثَّالث إلى الميناء ، وخرج حامل السلاح منه صوب قصر الإمبراطور حيث وجده بصحبة رجال كثيرين طيبين بوصفه رجلاً عظيمًا كما ينبغى ، جثا راكعًا أمامه ، وقال له .

- إنَّ خادمكم الأستاذ الطَّبيب إيليساباد أمرنى بأنْ أُقبِّل قدميكم ، ويرسل لجلالتكم هذه الرِّسالة وستتلقون فيها سعادةً غامرةً .

أخذها الإمبراطور ، ولما قرأها وعلم ما بها انتابه الذُّعر ، وقال بصوتٍ عالٍ سمعه الجميع :

- يا أيُّها الفرسان ، لقد جاءتنى أنباءٌ سارةٌ ، أنباءٌ غريبة جدا لم يسمع الحديث عنها من قبل .

ثمَّ انضم إليه فيما بعد جاستيليس ابن شقيقته دوقة جاخستى ، وهو فارسٌ عظيمٌ شاب ، والكونت سالودير ، شقيق جراسيندا ، تلك التى شرَّفت وكرَّمت الفارس ذا السَّيف الأخضر ، هذا فضلاً عن آخرين كثيرين . قال لهم الإمبراطور :

- اعلموا أنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر الذى يجيد استخدام الأسلحة قد قام بعدَّة بطولاتٍ عظيمةٍ فى جزر رومانيا ، وقد قام - بمحض إرادته - بمحاربة

إيندرياجو وقتله . وإذا لم يندهش العالم ويتعجب من مثل هذا الأمر ، فما الذى يمكن أنْ يثير الذُّعر والرُّعب أكثر من ذلك ؟!

وأظهر لهم رسالة إيليساباد . وأمر رسول الأستاذ الطبيب بأنْ يحكى لهم كيف تمَّ ذلك ، فحكى لهم بالتَّفصيل كلَّ ما حدث ، كمَنْ يحكى عن واقعة شهدها . حينئذ قال جاستيليس :

- بالتَّأكيد يا سيدى ، إنَّ مثل هذا الأمر بمثابة معجزةٍ كبيرةٍ ، فأنا لم أسمع قط عن إنسان حارب شيطانًا ، اللَّهم إلاَّ هؤلاء القدِّيسين بأسلحتهم الرُّوحية ، لأنهم يستطيعون القيام بذلك بقداساتهم . وبما أنَّ هذا الرَّجل جاء إلى أرضكم وتحدوه الرَّغبة فى أنْ يكون فى خدمتكم فليس هناك مبررٌ من ألاَّ نكرِّمه .

- يا ابن شقيقتى ، ما أعظم ما قلته ! جهز أنت والكونت سالودير بعض القوارب ، وبما أنَّه شيءٌ لم نره من قبل ينبغى أنْ نشاهده ، وخذوا معكم أساتذة الرَّسم لكى يرسموا لنا إيندرياجو كما هو فى الطَّبيعة ، وسوف أعدُّ له تمثالاً معدنيا ، وكذلك الفارس الذى حاربه وصرعه بنفس العظمة والشَّبه لكليهما ، وسأضع تمثاليهما فى مكان وقوع المعركة ، وعلى لوح كبير من النُّحاس كيف حدث ذلك واسم الفارس الذى صرعه ، وسآمر بتشييد ديرٍ هناك كى يعيش فيه الرُّهبان الدينيون الذين سيتولون إصلاح تلك الجزيرة لتكون فى خدمة الله ، حيث أضير أناس تلك الأرض لمجرَّد رؤية هذا الشَّيطان المشوة قبيح المنظر .

سعد الجميع من ذلك الذى قاله الإمبراطور ، وكان أكثرهم فرحًا جاستيليس والكونت لأنَّه أمرهما بالقيام بمثل هذه الرِّحلة حيث يمكنهما مشاهدة إيندرياجو وذلك الفارس الذى قتله . أبحرت القواربُ فى البحر ووصلت إلى جزيرة القديسة ماريا حيث أمر الإمبراطور بأن تُسمَّى هكذا من الآن فصاعدا . ولما علم الفارس ذو السَّيف الأخضر بمجيئهما أمر بتزيين المكان الذى يعيش فيه ، وذلك بالفُرشِ الوثيرة التى كانت جراسيندا قد أرسلت بها فى قاربه ، كما كان الفارس فى وضع يسمح له بالتَّحرك فى الغرفة أحيانًا ، وصل جاستيليس والكونت إلى القلعة برفقة رجالٍ طيببين وقد خرج

الفارس ذو السَّيف الأخضر لاستقبالهم خارج الغرفة. وهناك تحدَّثوا بكثير من الوقار والتبجيل وقد جعلهما يجلسان على المنصَّات التى أمر بإعدادها . وكان قد عرف من الأستاذ الطَّبيب أنَّ الكونت هو شقيق سيدته جراسيندا ، التى تلقَّى منها كثيراً من التَّشريف والتَّكريم ، حيث إنها - بعد الله سبحانه وتعالى - منحته الحياة ، وذلك بإعطائها إيَّاه ذلك الطَّبيب الماهر الذى اعتنى به وعالجه وأنقذه من الموت . إنَّ اليونانيين الذين جاءوا إلى هناك كانوا ينظرون كثيراً إلى الفارس ذى السَّيف الأخضر ، ورأوا أنَّ الفارس على الرَّغم من هزال جسده ، على قدرٍ كبيرٍ من الجمال الفتان ، وقد كانوا سعداء للغاية ، قال جاستيليس للفارس :

- يا سيدى الطَّيِّب، إنَّ عمِّى الإمبراطور يريد أنْ يراكم ، وقد أرسلنا لكى نرجوكم الذِّهاب لكى يستطيع تكريمكم وتشريفكم ، وهو الأمر الذى يتحتَّم عليه القيام به تجاهكم ردا على خدمتكم الجليلة فى استرداد هـذه الجزيرة التى كان قد فقدها ، ذلك التَّشريف والتَّكريم الذى أنتم أهلٌ له وتستحقونه عن جدارةٍ واستحقاق .

- يا سيدى - قال فارس القزم - إنَّنى سأفعل ما يأمرنى به الإمبراطور ، إنَّ رغبتى تكمن فى رؤيته وخدمته ما استطعت أنا ذلك الفارس الأجنبى المسكين ، كما هو الحال بالنِّسبة لى .

- إذن فلنر إيندرياجو - قال جاستيليس - كما ينبغى أنْ يراه أيضًا الأساتذة الفنانون من الرَّسامين المهرة ، لكى يرسموه كاملاً شكلاً وجسداً .

- قال الأستاذ الطَّبيبُ :

- ينبغى أنْ تذهبوا محصنَّين جيداً ومطعَّمين حمايةً لكم من السُّمِّ ، وإلا عرَّضتم حياتكم لخطر كبيرٍ .

قال له :

- يا صديقى الطَّيِّبُ ستقومون أنتم بعلاج ذلك .

حينئذ وضع لهم طيبًا على أنوفهم وهم ينظرون إليه ، ثم امتطوا جيادهم ، وكان جندالين معهم لكى يريهم إيَّاه ، وحكى لهم ما حدث لسيده وله فى تلك الأماكن

التى ذهبا إليها ، وكذلك أحداث المعركة بأدقِّ تفاصيلها ، حيث كانت صيحاته المدوِّية وانتزاعه لشعره قويا لأنَّه رأى سيده مشرفًا على الموت ، وكيف خرج ذلك الشَّيطان وتوجَّه إليهما ، وكلّ ما حدث كما سمعتم من قبل .

وفي تلك الأثناء وصلوا إلى جدول الماء الذى وقع فيه سيده مخدَّرًا ، وأدخلهم هناك عبر الشُّجيرات والأعشاب والصُّخور حيث وجدوا إيندرياجو صريعًا ، مما أصابهم بهلعٍ مهولٍ لدرجة أنَّهم كانوا يعتقدون أنَّه لا يوجد فى العالم بأسره ، ولا حتى فى جهنَّم ، حيوانًا ممسوخًا ومشوَّهًا بهذا الشَّكل ، ولا مخيفًا إلى هذا الحد . وإذا كانوا هناك قد تعجبوا للمجهود الشَّاق وللبطولة العظيمة التى قام بها ذلك الفارس فإنَّ تقديرهم تزايد لديهم عندما رأوا ذلك الشَّيطان البشع ، الذى على الرَّغم من تأكدهم من موته لم يجرءوا على لمسه ولا حتى الاقتراب منه ، وكان جاستيليس يقول : إنَّ مثل ذلك المجهود الشَّاق والجرأة والإقدام على محاربة هذا الشَّيطان البشع لأمر كان لا ينبغى أنْ يحدث أصلاً ، وبما أنَّ إيندرياجو كان ضخمًا بهذا الشَّكل كان لا يمكن أنْ يعزى أمر قتله إلا لله وليس لأىِّ إنسانٍ فانٍ . قام الأساتذة الفنانون برسم إيندرياجو لأنَّهم كانوا بارعين لا يضارعون فى تلك المهنة . بعدئذ عادوا إلى القلعة ووجدوا أنَّ فارس القزم هو الذى يخدمهم عند تناولهم الطَّعام ، وقد قُدِّمت لهم أفضل الخدمات فى المكان الموجودين فيه وكانت تغمرهم السَّعادة والفرحة .

قضى الجميع ثلاثة أيَّام فى القلعة وهم يتأمَّلون تلك الأرض الجميلة الرَّائعة والبستان والبئر ، حيث قامت الابنة التَّعيسة بإلقاء والدتها فيه ، وفى اليوم الرَّابع توغَّل الجميع فى البحر، وخلال وقتٍ قصيرٍ وصلوا إلى القسطنطينية بالقرب من قصور الإمبراطور . خرج النَّاس إلى الشَّوارع لكى يروا الفارس ذا السَّيف الأخضر ، حيث كان الكثيرون يريدون رؤيته . أمرهم الإمبراطور بأنْ يمتطوا الدَّواب . وكان ذلك فى الوقت الذى تحسَّنت فيه صحة الفارس ذى السَّيف الأخضر واسترد جماله الفتان وهو يرتدى ملابس فاخرة أنيقة جميلة كان ملك بوهيميا قد أعدَّها له عندما رحل عنه . وكان ذلك السَّيف الأخضر الغريب والثَّمين معلقًا فى عنقه ، ذلك السيف الذى كان قد فاز به من جرَّاء حبِّه لزوجته ، والذى عند رؤيته له وتذكر الوقت الذى فاز فيه به ، وحبِّه الجم

لتلك السَّيدة زوجته المتيم بها - التى تحبُّه أيضًا رغم أنَّه كان بعيدًا عنها - ذرف الفارس ذو السَّيف الأخضر كثيرًا من الدَّمع . تناوبت عليه لحظات سعيدةٌ وأخرى تعيسةٌ مريرةٌ على نهج هؤلاء الذين عانوا من العاطفة نفسها وهم أفرادٌ خاضعون ومعذَّبون . إذنْ بعد أنْ خرج من البحر امتطى صهوة أحد الجياد التى أحضروها له وتوجَّهوا إلى الإمبراطور الذى كان يتقدَّم صوبهم برفقة عظماء الرِّجال الذين ارتدوا أفضل الثِّياب وتزيَّنوا بأحلى الزِّينات ، وابتعد الجميعُ ووصل الفارس ذو السَّيف الأخضر ، وأراد النزول لكى يُقَبِّل يدى الإمبراطور لكن الإمبراطور عندما رأى ذلك رفض ، وذهب إليه أولاً وظلَّ يعانقه مظهرًا حبا جما ، ثم ذهب معه وقال له :

- حبًا فى الله ! يا أيُّها الفارس ذو السَّيف الأخضر ، يا صديقى الطَّيِّب ، كيف أنَّ الله قيَّضك لى رجلاً عظيمًا ، وأنَّك سليل أسرةٍ عريقة ونجيبة الأصل حسيبة النَّسب ، لذلك فأنتم تستحقون التَّشريف الذى أستحقه ، ولقد نلتم ذلك للمجهود الخارق الذى بذلتموه وقد عرَّضتم أنفسكم لأخطار جسيمةٍ ومهولةٍ لم يتعرَّض لها من الرِّجال أحد سواك ، وقد نلت الشَّرف هذا وأنا نائم ودون استحقاقٍ .

قال فارس القزم :

- يا سيدى ، إن الأمور المعقولة يمكن أن تُسعد الإنسان لكن ليس بسبب هذه التى - نظرًا لفضيلتكم وعلوِّ منزلتكم وهامتكم - قد امتدحتونى عليها كثيرًا ، ولذلك سيظلُّ شخصى ، يا سيدى ، فى خدمتكم حتى الموت فى كلِّ المهام التى ستأمروننى بها .

وهكذا كانا يتحدَّثان، وعاد الإمبراطور معه إلى قصوره، وكان الفارس ذو السَّيف الأخضر يتأمَّل تلك المدينة العظيمة الكبيرة ، والأشياء العظيمة والعجيبة والغريبة التى رآها فيها ، والنَّاس الكثيرين الذين خرجوا لرؤيته ووصلوا إلى قلبه فى تواضعٍ جم ، وشكر الله الذى أرشده إلى هذا المكان الذى يوجد به أكبر الرجال المسيحيين قدرًا ، والذى استقبله أحسن استقبال وشرَّفه أعظم تشريفٍ وتكريمٍ لم يشهده فى أىِّ مكانٍ آخر إذا عقدنا مقارنة . لكنه كان أكثر دهشة وذهولا عندما دخل القصر العظيم حيث

بدا له أنَّ القصر يضم كلَّ ثراء العالم ، كانت هناك بالقصر غرفةٌ فسيحةٌ أمر الإمبراطور أن تكون لإقامة كبار الرِّجال وعظمائهم الذين يقومون بزيارته ، كانت أجمل غرفة يمكن أنْ يجدها الإنسان فى العالم، كما كان فى القصر كثير من المنازل الفاخرة ونوافير الماء والأشجار الغريبة . أمر الإمبراطور بأنْ يقيم هناك الفارس ذو السَّيف الأخضر والأستاذ الطَّبيبُ إيليساباد الذى أشرف على علاجه ، وأن يرافقه كل من جاستيليس والكونت ، وأنْ يستريح مع رجاله الطَّيِّبين حيث كان يقيم . كان كلُّ أهل المدينة الذين رأوا الفارس ذا السَّيف الأخضر يتحدَّثون عن جماله وعن الجهد الكبير الذى بذله حيث فاق جهد أىِّ فارسٍ آخر ، وإذا كان الفارس قد ذهل عندما رأى المدينة وكثرة أهلها فقد فاقت دهشتهم دهشته عندما رأوه هو وحده ، هكذا أُثنى عليه من الجميع وشُرِّف تشريفًا لم ينله أحدٌ قط سواءً كان ملكًا أم رجلاً عظيمًا أم فارسًا جاء من بلادٍ أجنبية .

قال الإمبراطور لزوجته الإمبراطورة :

- يا سيدتى ، إنَّ الفارس ذا السَّيف الأخضر ، ذلك الذى سمعنا عنه أشياءً جميلة موجودٌ هنا الآن . وهكذا فشجاعته الكبيرة والخدمة الجليلة التى قدَّمها لنا فى استرداد تلك الجزيرة التى ظلَّت وقتًا طويلاً تحت سيطرة ذلك العدو الشِّرير ، والبطولة العظيمة التى قام بها ، كل هذا يُعَدُّ مبررًا كبيرًا لكى نكرِّمه تكريمًا عظيمًا . لذلك ، مرن بأنْ يتم إعداد منزلكن وتزيينه بأحلى الزِّينات بحيث يُسَرُّ ويُعجبُ بكلِّ مكانٍ يذهب إليه ويراه فى قصركن ، ويتحدَّث عنه مثلما تحدَّثت إليكم عن منازل وقصور أخرى كنت قد رأيتُها فى بعض الأماكن ، وأريد أنْ يرى قهرماناتكن ووصيفاتكن بأجمل الزِّينات والملابس لكى يقمن على خدمتكن .

ونظرًا لكلِّ ما قاله الإمبراطور قالت الإمبراطورة :

- باسم الله سيُنفَّذُ كل ما أمرتم به .

وذات صباح يومٍ آخر نهض الفارس ذو السَّيف الأخضر وارتدى أحسن الثَّياب وأجملها مثلما اعتاد على ذلك ، ورافقه الكونت وجاستيليس والأستاذ الطَّبيبُ إيليساباد وذهبوا جميعًا للاستماع إلى القُدَّاس مع الإمبراطور حيث احتفى بهم ، ثم ذهبوا بعد ذلك لرؤية الإمبراطورة . ولكن قبل أنْ يصلوا إليها وجدوا كثيرًا من القهرمانات والوصيفات وقد ارتدين أحسن الثَّياب وتزيَّن بأجمل الزِّينات ، وكن في استقبالهم في كل مكان مرُّوا به . كان المنزل جميلاً ومزينًا ، ولم ير الفارس ذو السَّيف الأخضر في حياته قط غرفة فسيحة أنيقة وفاخرة مثل غرفة الجزيرة اليابسة ، وقد أصاب النَّصبُ عينيه من النَّظر إلى سيدات كثيراتٍ أنيقات وجميلات جدا ، ومن رؤية الأشياء الأخرى الكثيرة التي كان يراها ، وعندما وصل إلى الإمبراطورة التي كانت تجلس على منصَّتها جثا راكعًا أمامها في تواضع جم ، وقال :

– يا سيدتي ، أشكر الله على أنْ منحني المجيء لأرى جلالتكم وسموكم الرَّفيع ، والفضل الذي تسمون به على سيدات أخريات في مختلف أنحاء العالم ، ومنزلكم الذي تكثر به القهرمانات والوصيفات والزِّينات الرَّائعة والذَّوق الرَّفيع ، وأشكر لجلالتكم أنَّكم أردتم رؤيتي . وأتوسَّل إلى الله العلي القدير أنْ أتمكَّن من ردِّ بعض فضائلكم التي لا تُحصى وأنْ أكون في خدمتكم . ويا سيدتي ، إذا لم أوفَّق في التَّعبير عما يجيش في صدري لأنَّ اللغة لم تطاوعني لكونها لغة غريبة بالنِّسبة لي ، فأرجو أنْ تصفحوا عنِّي لأنَّني لم أتعلَّم اللغة إلا منذ وقتٍ قصيرٍ على يد الأستاذ الطَّبيبُ إيليساباد .

أمسكت الإمبراطورة بيديه وطلبت منه ألا يظلَّ هكذا جاثيًا على ركبتيه وأجلسته إلى جوارها ، وظلَّت تتحدَّث معه وقتًا طويلاً عن أمورٍ كثيرةٍ أرادت السَّيدة صاحبة المقام الرَّفيع معرفتها من الفارس الغريب . وكان الفارس يردُّ بذكاءٍ شديدٍ وظرفٍ منقطع النَّظير ، لدرجة أنَّ الإمبراطورة على الرَّغم من رجاحة عقلها كانت تنظر إلى الفارس وتقول في نفسها : إن مجهوده العظيم لا يمكن أنْ يكون أكبر من رجاحة عقله ورزانته .

كان الإمبراطور فى ذلك الوقت جالسًا على كرسيِّه يتحدَّث ويضحك مع القهرمانات والوصيفات وكـان يداعبهـن ويلاطفهن كثيراً ويقوم بتزويجهـن بزيجاتٍ عظيمـةٍ ، كان محبوبًا من جميعهن . قال لهنَّ بصوت مرتفع سمعنه جميعهن :

- أيَّتُها القهرمانات والوصيفات الشَّريفات العفيفات ، انظرن هنا إلى الفارس ذى السَّيف الأخضر ، إنَّه خادمكن الأمين المخلص شرفنه وأحببنه فإنَّه سيحبكن جميعًا ومن مثلكن فى العالم ، وسيعرِّض نفسه للأخطار الدَّاهمة والكبيرة لكى تحصلوا على حقوقكن ، أشرف على الموت فى كثيرٍ من الأحيان ، طبقًا لما سمعته منه عن البطولات العظيمة التى قام بها .

قالت الدُّوقَةُ والدة جاستيليس :

- يا سيدى ، فليبارك الله فيك وليحبَّك وليجازيك على حسن رعايتك وحمايتك لنا .

أمر الإمبراطور أميرتين بالنُّهوض - كانتا نجلتى الملك باراندیل الذى كان ملك المجر حينذاك - وقال لهما :

- اذهبا إلى كريمتى ليونورينا ولا تأتيا إلا معها .

هكذا فعلن ، وبعد قليل عادتا معها وقد أحضرتاها فيما بينهما وقد أمسكتاها من ذراعيهما، ورغم أنَّه كان يتحتَّم عليها أنْ تأتى متأنِّقةً فى أجمل زينتها، فإن ذلك لا يبدو شيئًا مقارنة مع جمالها ، ولم يكن هناك رجلٌ فى العالم يراها إلا ويدهش من جمالها ويتغنى سرورًا بجمالها . كانت طفلة لا يتجاوز عمرها تسع سنوات ، وصلت إلى حيث تجلس والدتها الإمبراطورة ، قبلَّت يديها بتواضع واحترام جم وجلست على المنصَّة التى كانت أقلَّ ارتفاعًا من التى كانت تجلس عليها والدتها . نظر إليها الفارس ذو السَّيف الأخضر معجبًا بها للغاية من جمالها الفتَّان، فقد كانت تبدو أجمل فتاة رأتها عيناه فى كلِّ مكان ذهب إليه فى مختلف أنحاء العالم ، وتذكَّر فى تلك السَّاعة زوجته أوريانا الجميلة الفاتنة التى كان يُحبُّها أكثر من نفسه ، وتذكَّر الوقت الذى بدأ يُحبها فيه حيث كانت فى العمر نفسه . وكيف أنَّ الحب الذى أحبَّه لها كان فى تزايدٍ مستمر

ولم ينقص على الإطلاق ، وقد تذكَّر الأوقات الرَّائعة التى استمتع فيها معها وكذلك أيَّام الكروب والهموم والآلام التى عانى فيها قلبه ، هكذا ظلَّ يفكِّرُ فى ذلك وقتًا طويلاً ، وبما أنَّه لم يكن يفكِّر فى رؤيتها حتى يمرَّ وقتُ طويلُ فقد اشتعل قلبه باللوعة والحنين عندما تذكرها ، وقد اغرورقت عيناه بالدُّموع . هكذا رأوه جميعهم وهو يبكى ، ونظراً لطيبة قلبه فقد كانوا جميعا يرمقونه بأعينهم . عندما آب إلى نفسه وقد انتابه الخجل قام بتجفيف عينيه وأشرق محيَّاهُ. لكن الإمبراطور الذى كان قريبًا منه ، والذى رآه يبكى هكذا، سأله ما إذا كان قد فعل شيئًا أغضبه ، لكنَّه لم ير أيَّة علامات تدل على ذلك ، لهذا تاقت نفسه إلى معرفة كيف أنَّ فارسًا شجاعًا ورزينًا يضعف أمامه وأمام الإمبراطورة وأناسٍ كثيرين آخرين ، بسبب امرأةٍ كانت موجودة فى ذلك المكان على الرَّغم من أنَّه كان سعيداً ممَّا جعل الإمبراطور يستاءُ من ذلك . لكنه اعتقد جيداً أنَّه لن يفعل ذلك إلا بسبب سر كبير غامض . كان جاستيليس على مقربةٍ منه فقال له :

- ما الذى حدث كى يبكى رجلٌ كهذا فى هذا المكان ؟

- أنا لن أسألكم عن ذلك - قال الإمبراطور- لكننى أعتقد أنَّ هذا يرجع إلى سببٍ ؛ إن قوة الحبِّ هى التى دفعته إلى ذلك .

- إذنْ ، يا سيدى ، إذا أردتم معرفة ذلك فإنه لا يعرف أحدُ ذلك سوى الأستاذ الطَّبيب إيليساباد، الذى أثق فيه كثيراً وأتحدَّث معه على انفراد .

حينئذ أرسل يستدعيه وجعله يجلس أمامه ، وأمر الجميع أنْ يخرجوا ، وقال له :

- يا أستاذى الطَّبيبُ ، أريد أنْ تخبرونى بحقيقةٍ إذا كنتم تعرفونها ، وأنا أعدكم بما أنَّنى الإمبراطور أنه لن يحدث أنْ تصابوا بأذىً ولا أى شخص آخر .

قال له الأستاذ الطَّبيبُ :

- يا سيدى ، إن لدىَّ مثل هذه الثِّقة فى جلالتكم وفضيلتكم وسأفعل ذلك ، وسيكون ذلك بالنسبة لى فضلُ منكم ومنَّةُ وإنْ كنت لا أستحق ذلك ، وإذا كنت أعرف ذلك فلن أتأخَّر وسأخبركم به بمحض إرادتى .

- لماذا بكى الآن - قال الإمبراطور - الفارس ذو السَّيف الأخضر ؟ أخبرونى بذلك ، لأنَّنى عندما رأيته هكذا انتابنى الذُّعر ، وأخبرونى إذا كان فى حاجةٍ لأىِّ شىء ، وإذا لزم الأمر وكان يحتاج لمساعدتى ، فسأقوم بذلك تمامًا إذا كان يسعده .

عندما سمع الأستاذ الطَّبيبُ ذلك قال :

- يا سيدى ، إنَّ ذلك لن أستطيع التَّحدُّث فيه لأنَّه الرَّجل المجرب الذى يجيد جيداً تغطية ما يريد أنْ يخفيه من أسرار ، ولأنَّه الفارس الأكثر رزانةً الذى رأيتموه جلالتكم ، لكننى أراه يبكى فى كثير من الأحيان ، ويحاول جاهداً ألا يظهر عليه أىُّ حزنٍ ، ويتنهَّد بلوعة وأسى كبيرين كأنَّ قلبه يتمزَّق فى جسده . وبالتَّأكيد، يا سيدى ، إنَّها قوة حب هى التى تعذِّبه ، خاصة وأنَّ تلك التى يُحبها تُعانى من الوحدة واللوعة ، وإذا كان يشتكى من أىِّ ألمٍ أو مرضٍ فأنَا متأكدٌ من أنَّه سيخبرنى بذلك .

- بالتَّأكيد - قال الإمبراطور - هكذا سأهتم به كما تقولون ، وإذا كان يُحبُّ امرأةً ما فآمل أنْ تكون فى مملكتى ، فهناك الكثيرات وإننى على استعداد لأن يستجيب لرغبته ملك أو أميرٌ ، وأنْ يكون سعيداً لمصاهرته بتزويج نجلته لهذا الفارس . وسأفعل ذلك بكلِّ سرور لكى يكون أحد رعاياى ، وإنَّنى لن أستطيع أنْ أكافئه على ما قدَّم لى من خدمةٍ جليلةٍ ولا على شجاعته وبسالته ، ولذلك أرجو وألح فى الرَّجاء ، يا أيُّها الأستاذ الطبيبُ ، بأن تفعل كل ما فى وسعك لكى يظلَّ معى وكل ما سآمر به سينفَّذُ وسيمنح إيَّاه .

وظلَّ فترةً من الوقت على حذرٍ ولم يتحدَّث ، وقال بعد ذلك :

- يا أيها الأستاذُ الطَّبيبُ ، اذهب إلى الإمبراطورة وأخبرها سرا بأنْ تتوسل للفارس كى يظلَّ معى ، وأنْ تنصحوه بأن يحبَّنى ، وسأزوِّده بشىءٍ خطر على ذاكرتى .

ذهب الأستاذ الطَّبيب إلى الإمبراطورة وفارس القزم ، وقد نادى الإمبراطور على الحسناء ليونورينا ، كريمته ، وعلى الأميرتين اللتين كانتا تنتظرانها وتحدَّث معهن فترة من الوقت بحماسٍ ، ولم يسمع أحدٌ ما كان يقوله لهنَّ . وعندما انتهى من حديثه قامت ليونورينا بتقبيل يديه وذهبت مع الأميرتين إلى غرفتها . وظلَّ هو يتحدَّث مع رجاله الطَّيِّبين . تحدَّثت الإمبراطورة إلى الفارس ذى السَّيف الأخضر لكى يظلَّ مع الإمبراطور ، كما نصحه بذلك وتوسَّل إليه الأستاذ الطَّبيبُ ، وعلى الرَّغم من أنَّ هذا كان أفضل شيءٍ بالنِّسبة للفارس طوال حياة والده الملك بيريون ، فإن هذا لم يستسغه قلبه لأنَّه لن يستريح ولن يهدأ باله طالما أنَّه يفكِّرُ فى العودة إلى تلك الأرض حيث توجد معبودته ومتيَّمته أوريانا . ولذلك فلا النُّصح ولا التَّوسُّل ولا الرَّجاء استطاعوا أنْ يشغلوه أو يبعدوه عن تلك الرَّغبة التى يتوق إليها قلبه . وقد أومأت الإمبراطورة للإمبراطور بإشارات توحى بأنَّ الفارس لم يقبل التَّوسل والرَّجاء . نهض الإمبراطور وانضم إليهم ، وقال :

– يا أيُّها الفارسُ ذو السَّيف الأخضر ، هل هناك مانعٌ من البقاء معى ؟ إنَّنى لم يُطْلَبْ منِّى شىءٌ لكى آمر به فيُلبَّى على الفور ، وخاصة إذا كان بوسعى لن أتوانى فى الاستجابة له ومنحك إياه .

– يا سيدى – قال الفارس ذو السَّيف الأخضر – يا لعظمة فضيلتكم وعظمتكم فإننى لا أجرؤ على أنْ أطلب مزيدًا من الفضل وأعلم أنكم ستمنحوننى ما أطلب ، لكن الأمر لا يتعلَّق باستطاعتى لأنَّ قلبى يعجز تمامًا عن تحمل تلك المعاناة ، ويا سيدى لا تلق بالتَّبعة واللوم علىَّ لأنَّنى لم أستجب لأمركم ، لأنَّنى لو فعلت ذلك لن يمهلنى الأجل وقتًا طويلاً فى خدمتكم .

اعتقد الإمبراطور حقيقة أنَّ عاطفة الفارس لم تكن السبب ، بل كان الدافع وراء ذلك حبٌّ كبيرٌ ، وهكذا فكرَّ الجميع . وفى تلك الآونة دخلت القصر الحسناء ليونورينا بطلعتها المشرقة الوضَّاءة التى أثارت غيرة جميع الحسناوات ، وكانت برفقتها الأميرات . وكانت تلبس على رأسها تاجًا ثمينًا وسوارين آخرين نفيسين فى يديها ، وتوجَّهت إلى الفارس ذى السَّيف الأخضر ، وقالت له :

- يا سيدى الفارس ذا السَّيف الأخضر ، إنَّنى لم أطلب قط الجلوس إلى رجلٍ اللَّهم إلاَّ مع والدى ، والآن أريد أنْ أطلب ذلك منكم ، فماذا أنتم فاعلون ؟

وقد جثا راكعًا على ركبتيه أمامها ، وقال :

- يا سيدتى الطَّيِّبةُ ، من ذلك الجاهل الذى يرفض لسموك أمرًا مُهمًّا طالما أنَّ بوسعه تلبيته ، وسأكون فى غاية الجنون إذا لم ألبِّ لكم رغبتكم وأنزل على إرادتكم ، والآن فلتأمر سيدتى بكلِّ ما يسعدها ، وسألبِّى لها ما تطلب حتى أقضى نحبى .

- كم أسعدتمونى كثيرًا - قالت الأميرة ليونورينا - وأشكركم على ذلك شكرًا جزيلاً وسأقدِّم لكم ثلاثة مطالب .

وقد ألقت بالتَّاج الجميل الذى كانت تضعه على رأسها ، وقالت :

- هذه هى الأولى ، أنْ تعطوا هذا التَّاج إلى أجمل وصيفةٍ تعرفونها وترسلوا إليها بتحياتى ، وتخبروها بأنْ ترسل لى مطلبها فى رسالةٍ أو مع رسولٍ وأنا أبعث لها بهذا التَّاج ، وهذه هى الهدايا التى تُقدَّم فى بلادنا على الرغم من أنَّنى لا أعرفها .

وبعد ذلك أمسكت بالتَّاج الآخر الذى كان مرصَّعًا بكثير من اللآلئ والأحجار الكريمة وكان ثمينًا للغاية، وخاصة ثلاثة أحجار كانت تُضىء غرفة مهما كانت مظلمةً ، وعندما أعطته للفارس قالت :

- أمَّا هذا التَّاج فتقدِّمونه إلى أجمل قهرمانة تعرفونها وتخبرونها بأنَّنى أرسله لها لكى أتعرَّف عليها وأتوسَّل إليها كثيرًا أنْ تذكر لى مطلبها ، وهذه هى الهدية الثَّانية . وقبل أنْ أرسل بالتَّاج الثَّالث لكم أودُّ أنْ أعرف ماذا ستفعلون .

قال الفارس :

- هو الاستجابة فيما بعد للهدية والتَّخلص منها .

حينئذ أخذ التَّاج الأوَّل ووضعه على رأسها ، وقال :

- إنَّنى أضع هذا التَّاج على رأس أجمل فتاةٍ أعرفها الآن ، وإذا قال أحدٌ عكس ذلك فسأجعله يعرف ذلك من خلال المبارزة بالأسلحة .

سعد الجميع بما فعله الفارسُ ، ولم تكن ليونورينا أقلَّ سعادة ، وإنْ كانت تشعر بالخجل والحياء لامتداحها والإطراء على جمالها ، وقال الحاضرون إنَّه تخلَّص بحقٍّ من الهدية ، وقالت الإمبراطورة :

– على فكرة ، يا أيُّها الفارس ذو السَّيف الأخضر ، قبل ذلك أريد أنْ تتغلَّب كريمتى بجمالها على الذين ستهزمونهم بالأسلحة ، وذلك من أجلى .

شعر الفارس بالخجل من كثرة الغناء والمدح والإطراء من جانب هذه السَّيدة صاحبة المقام الرَّفيع ، ولم يرد بشىء ثم التفت إلى ليونورينا ، وقال :

– يا سيدتى ، هل تريدين إعطائى الهدية الثَّانية ؟

– نعم – قالت ليونورينا – أطلب منكم أنْ تخبرونى لماذا بكيتم ؟ ومن هى تلك التى لها السُلطة والمكانة العظيمة لديكم وفى قلبكم ؟

تغيَّر لون الفارس على الرَّغم من المحيَّا المشرق الذى كان لديه من قبل ، وبالتَّالى عرف الجميع أنَّه كان مضطربًا من هذا المطلب ، وقال :

– يا سيدتى ، إننى أتوسَّل إليكم أنْ تتنازلوا عن هذا المطلب وتطلبوا مطلبًا آخر ، فإنى على استعداد لخدمتكم .

وقالت هى :

– هذا ما أطلبه ، ولا أريد شيئًا آخر .

خفض الفارس رأسه وظلَّ وقتًا متردِّدًا ، فقد كان فى غاية الخطورة أنْ يقول هو ذلك، ولم يتأخَّر كثيراً حتى رفع رأسه بمحيًا مشرقٍ وضَّاءٍ سعيدٍ ، ونظر إلى ليونورينا التى كانت أمامه ، وقال :

– يا سيدتى ، إنَّنى لا أستطيع التَّملص من وعودى ، وأقول إنَّه عندما دخلت سموكم أولاً ونظرت إليكم تذكرت السن والوقت الذى تعيشه الآن ، وأعدت إلى ذاكرتى وقتًا مضى كان جميلاً ولذيذاً ، وبما أنَّه أصبح ذكرى ماضية فقد جعلنى أبكى كما رأيتمونى .

- الآن أخبرونى من هى التى تملك الأمر والنَّهى فى قلبكم ؟

- عقلكم الرَّاجح - قال الفارسُ- الذى لم يخطئ فى شيء ، هذا العقل هو سلاح ضدِّى الآن . إنَّ هذا هو الذى يسبِّب لى تعاسةً كبيرةً ، وبما أنَّنى لا أستطيع أن أذكر أكثر من ذلك فهل من الملائم أنْ أقول ذلك ضِدَّ سعادتى ؟ اعلموا جلالتكم أنَّ تلك التى أحبُّها حبا جما لا يضارع هى تلك التى أرسلتم لها التَّاج، إنَّها فى رأيى أجمل سيدة من الكثيرات اللائى رأيتهن ، وأعتقد من الكثيرات الموجودات فى العالم ، لذلك لو تكرَّمتم ، يا سيدتى ، لا تحاولى أنْ تعرفى منِّى شيئًا أكثر من ذلك أستحلفك بالله ، لأنَّنى بذلك أوفيت بوعدى .

- أوفيتم بوعدكم - قال الإمبراطور- لكن بهذه الطَّريقة لم نعرف شيئًا أكثر مما عرفناه من قبل .

- إذنْ يبدو لى - قال الفارس - أنَّنى قلت أشياءً كثيرةً لم تخرج من فىَّ قبل ذلك على الإطلاق ، وقد كان ذلك استجابة لتلبية رغبة كريمتكم الجميلة .

- فلينجنى الله - قال الإمبراطور - إنَّكم متحفِّظون للغاية بشأن علاقتكم الغرامية ، إنَّ هذا الذى لديكم قد اكتشف ، وإنَّ كريمتى كانت السَّبب فى ذلك ، وبالتَّالى يتحتَّم علىَّ أنْ أطلب الصَّفح منكم والغفران .

- إن هذا الخطأ - قال الفارس ذو السَّيف الأخضر - ارتكبه كثيرون آخرون ، ولم يستطيعوا معرفة شيءٍ منِّى ، وهكذا على الرَّغم من أنَّنى شكوت منهم ، والسَّيدة التى تحظى بحبِّى وتهيمن على قلبى ، هى سيدة رفيعة المقام ذات مكانةٍ عظيمةٍ فى العالم أرادت أنْ تتعرَّف على أمور فارس متجوِّل مثلما أكون، لكن بالنِّسبة لجلالتكم ، يا سيدى ، فإنَّنى لن أصفح بهذه السهولة ، واستنادًا للمحادثة الطَّويلة التى أجريتها معها يبدو جيدًا أنَّها لم تفعل ذلك بمحض إرادتها ، لكن بناءً على طلبكم .

ضحك الملك كثيراً ، وقال :

- لقد منَّ الله عليكم بالكمال فى كل شىءٍ ، اعلموا أنَّ هذه هى الحقيقة كما تقولون ، لذلك سأصحح خطأها وخطئى .

جثا الفارس راكعًا أمامه لكى يقبِّل يديه - لكن الإمبراطور رفض - وقال :

- يا سيدى ، هذا التصحيح سأتكفل به ، لأنَّها أقبلت على أمرٍ بلا اكتراثٍ أو حذر منها فأحرجت جلالتكم .

- إنَّ ذلك لا يمكن أنْ يكون - قال الإمبراطور - إنَّ ذكراك ستظلُّ خالدةً ولن أنساها ولا التصحيح الذى سأقوم به عندما تريدون .

تم تبادل هذه الكلمات بين ذلك الإمبراطور والفارس ذى السَّيف الأخضر على سبيل المزاح ، لكنَّ الزَّمن كان كفيلاً بأنْ تكون ذات تأثيرٍ كبيرٍ ، كما سيحكى فى الكتاب الرَّابع .

قالت الحسناء ليونورينا :

- يا سيدى الفارس ذا السَّيف الأخضر ، أرجو ألاَّ يكون هناك شكوى منِّى ، لذلك لا أريد أنْ أكون سببا فى بقائكم ضدَّ رغبتكم أو رغمًا عنكم ، ولكى أُكفِّر عن ذلك أريد أنْ أهديكم هذا الخاتم .

قال لها الفارس ذو السَّيف الأخضر :

- يا سيدتى، إنَّ اليد التى أحضرته ينبغى على سموكم أنْ تدعونى أُقبِّلها بوصفى خادمكم ، وبالتَّالى لا يمكن أنْ يوضع الخاتم فى يدٍ أخرى طالما أنَّ صاحبته لم تشتك منِّى .

- ومع ذلك - قالت ليونورينا - أريد أنْ يكون الخاتم خاتمكم (أى أنْ تقبلوه) لأنَّه سيذكِّركم بتلك الخدعة التى سبَّبتها لكم ، وكيف أنَّكم بذكاءٍ خارقٍ ولطفٍ بالغٍ استطعتم الإفلات منها .

حينئذ أخرجت الخاتم وألقته أمام الفارس على المنصَّة قائلة :

- ما زال لدى خاتمُ آخر فى هذا التَّاج ، لا أدرى هل كنتم على صوابٍ عندما أعطيتمونى إيَّاه ؟!

- شهود طيِّبون وعظماء - قال الفارس ذو السَّيف الأخضر - يتمثَّلون فى هاتين العينين الجميلتين والشَّعر الجميل ، والذين منحهم الله لك من فضله .

وأخذ الخاتم فوجده أجمل وأغرب خاتم رآه فى العالم أجمع باستثناء الحجر النَّفيس الآخر الذى كان فى التَّاج . وبينما كان الفارس ذو السَّيف الأخضر يتأمَّل الخاتم قال الإمبراطور :

- أريد أنْ تعرفوا من أين أتى هذا الحجر النَّفيس . الآن ترون أنَّ نصفه من الياقوت النَّقى والخالص الذى لم يُر بعد على الإطلاق ، والنِّصف الآخر من الياقوت الأبيض لم تروه قط ، إنَّه أكثر جمالاً وقيمةً من الياقوت الأبيض المشرب بالحمرة، والخاتم المصنوع من زمردة يصعب أنْ يوجد فى مكان آخر . الآن اعلموا أنَّ أبوليدون الذى يحظى بشهرةٍ كبيرة فى العالم كان جدِّى ، لا أدرى هل سمعتم عنه هكذا .

- إنَّ هذا أعرفه جيداً - قال الفارس ذو السَّيف الأخضر - لأنَّنى قضيت وقتًا طويلاً فى بريطانيا العظمى ، ورأيت الجزيرة اليابسة - هكذا تسمَّى - حيث ترك أشياءً عجيبةً ومدهشةً ، وهو الذى وفقًا لذاكرة النَّاس اكتسب شهرةً كبيرةً باختطافه شقيقة إمبراطور روما، وقد عاش وسط ضجةٍ كبيرةٍ فى تلك الجزيرة، وطبقًا لعادتها فقد اضطر إلى محاربة عملاق كان قد استحوذ عليها ، بذل جهداً شاقًا حتى صرعه وأصبح هو سيد الجزيرة حيث سكنها هو وصديقته جريمانيسا وقتًا طويلاً . وطبقًا للأشياء التى تركها هناك ، فقد مضت مائة عام دون أنْ يطأ الجزيرة فارسٌ آخر ماهرٌ فى استخدام الأسلحة . ولقد ذهبت إلى هناك ، وأقول لكم يا سيدى : يبدو أنَّكم تنتمون إلى هذا الأصل النَّجيب استناداً إلى أسلوبكم فى المبارزة وحمل الأسلحة والصُّور التى تركها له على قوس المحبِّين ، والتى تبدو كأنها صور حية حقيقة .

- لقد أسعدتمونى كثيراً - قال الإمبراطور - لأنَّكم جعلتمونى أتذكَّر بطولات ذلك الرجل الذى لم يكن له مثيلٌ فى طيبة القلب ، وأتوسَّل إليكم أن تخبرونى باسم ذلك الفارس الذى أبرز مزيداً من الشَّجاعة وقوةً فى استخدام الأسلحة ، والذى هزمه فى الجزيرة اليابسة .

- كان اسمه أماديس دى جاولا ، نجل الملك بيريون ، الذى قام ببطولاتٍ عظيمةٍ وغريبةٍ فى جميع أنحاء العالم التى تُحكى عنه ، والذى بمجرَّد أن وُلد عثر عليه فى البحر حبيساً فى قارب ، وقد أُطلق عليه لقب فتى البحر ، وقد استطاع قتل ملك أيرلندا المدعو أبييس ، ثمَّ اعترف به والده ووالدته فيما بعد .

- إنَّنى الآن أكثر سعادةً - قال الإمبراطور - عن ذى قبل لأنَّه طبقًا لأخباره الجديدة الهائلة فأنا لا أزدرى طيبة قلب جدى لأنها تنتقل إلى جميع أفراد أسرته ، وإذا كنت أعتقد أنَّنى نجل ذلك الملك وذلك الرَّجل العظيم الذى تجرَّأ فى الخروج من وطنه صغيراً فإنَّنى أعتقد كذلك أنَّك ذلك الفارس ، وأنَّ الذى أقوله يجعلنى أشكُّ ، وإذا كنتم أنتم هو فلماذا ترتكبون هذا الجنون بألاَّ تخبرونى بذلك .

شعُر الفارس ذو السَّيف الأخضر بالإهانة بهذا التَّبرير ، ومع ذلك أراد أنْ يتكتَّم الخبر ولم يرد بشىءٍ على ذلك ، وقال :

- يا سيدى ، إذا تكرَّمتم سموكم فأخبرونا كيف تمَّ تقسيم الحجر النَّفيس .

- سأقول لكم ذلك - قال الإمبراطور - بكل سرور . إنَّ أبوليدون ذلك ، جدِّى الذى أتحدَّث إليكم عنه ، بما أنَّه كان صاحب السِّيادة على هذه الإمبراطورية فقد أرسل إليه فيلبانوس ملك يهودا باثنى عشر تاجًا ثمينا وبأسعار مرتفعةٍ للغاية ، وكان فيها ذلك الحجر الذى أعطته لكم كريمتى والذى كان حجراً واحداً . عندما رأى أبوليدون هذا التَّاج ، وبسبب ذلك الحجر النَّفيس الأكثر جمالاً ، أعطاه إلى جريمانيسا جدَّتى، ولكى تعطى أبوليدون نصيبه أرسلت به إلى خبير مجوهرات لكى يقسمه ويصنع من نصفه ذلك الخاتم ، وأعطته إلى أبوليدون ،

وبقى النِّصف الآخر فى ذلك التَّاج كما ترون ، هكذا تمَّ تقسيم ذلك الخاتم بسبب الحبِّ وقد أعطى إليه ، وأعتقد هكذا بأنَّ كريمتى عن حب نقى عفيف أعطته إيَّاك ، ويمكن أنْ يكون بسبب حب كبيرٍ سيعطى لكم .

هكذا حدث كما قال ذلك الإمبراطور ، حتى أعيد إلى يد تلك التى خرج منها إلى يد ذلك الرَّجل الذى قضى ثلاثة أعوام دون أنْ يراها ؛ قام خلالها ببطولات فذَّةٍ بالأسلحة كما مرَّ بعدَّة كروبٍ وآلامٍ عانى منها بسبب حبِّه ، وبالتَّالى يُحكى من جديد هذا الجزء من القصَّة كأنَّه فرع من القصَّة الأصلية، وقد أطلق عليه LAS SERGAS DE ESPLANDIAN (مغامرات إيسبلانديان : المترجم) .

وهكذا – كما سمعتم – قضى الفارس ذو السَّيف الأخضر ستَّة أيامٍ فى منزل الإمبراطورة، حيث تمَّ تكريمه أفضل تكريم من جانب الإمبراطور والإمبراطورة ومن تلك الحسناء ليونورينا . وبما أنَّه تذكَّر ما وعد به جراسيندا بأنْ يكون معها بعد عام وقد اقترب الموعد ، فقد تحدَّث مع الإمبراطور قائلاً له كيف أنَّه يلائمه الرَّحيل من هناك ، ثم طلب منه بعد ذلك أنْ يرسل له لكى يكون رهن إشارته وفى خدمته أينما ووقتما يشاء ، وأنَّه لن يكون فى أىِّ مكانٍ فى العالم يحظى بمثل هذا الشَّرف والسَّعادة ، وأنَّه سيترك كلَّ شىءٍ من أجل المجىء ليكون فى خدمته ، وأنْ أىَّ نبأٍ سيصل إليه من جانب جلالته سيجعله لن يتوانى فى المجىء ولن ينتظر أمراً منه لكى يكون تحت لوائه وطوع أمره وسيأتى على الفور . قال له الإمبراطور :

– إنَّ رحيلكم بعد وقتٍ قصيرٍ لا يحظى بإعجابى ، وبوسعكم الاعتذار دون أنْ تُخلفوا وعدكم .

– سيدى – قال الفارس ذو السَّيف الأخضر – لا يمكن الاعتذار دون المساس بشرفى وصدقى ، هكذا كما يعرف الأستاذ الطَّبيب إيليساباد أنَّنى على موعدٍ ألزمت نفسى به منذ عامٍ .

– إذنْ هكذا يكون – قال الإمبراطور – أرجو أنْ تبقوا هنا ثلاثة أيامٍ .

قال الفارس :

– سأفعل ذلك طالما أنَّكم تأمرون به .

فى تلك اللحظة كانت الحسناء ليونورينا أمامه وأمسكت بيده ، وقالت له :

- يا صديقى الطَّيِّب ، إذا بناءً على رجاء والدى ستمكثون ثلاثة أيَّام ، وتمكثون تلبية لرجائى يومين ، وخلال هذين اليومين ستكونون ضيفًا علىَّ وعلى وصيفاتى حيث نعيش ، لأننا نريد التَّحدث معكم دون أنْ يخجلكم أحدٌ ، اللَّهم إلا فارسين تختارونهما ليكونا فى صحبتكم عند تناول طعامكم وعند نومكم ، وهذه الهدية أعطيها إيَّاكم راجية أنْ تقبلوها بسرور ، وإذا لم تفعل فسأجعل وصيفاتى يعتقلنكم ، ولن يكون لدى ما أشكركم عليه.

حينئذ طوَّقته أكثر من عشرين وصيفة جميلات للغاية وقد ارتدين أحسن الثياب الأنيقة وتزيَّن بأجمل الزِّينات ، وكانت ليونورينا تنعم بالمتعه والسُّرور والضَّحك ، قالت الحسناء :

- اتركنه حتى نرى ماذا سيفعل .

كان الفارس فى غاية السَّعادة من ذلك الذى فعلته هذه السَّيدة الحسناء ، وقد اعتبر ذلك أعظم تشريفٍ وتكريمٍ حدث له هناك ، وقال لها :

- يا أيَّتُها السَّيدة السَّعيدة والحسناء ، من الذى يجرؤ على ألاَّ يفعل ما أمرتموه به، إنَّه إذا لم يفعل ذلك ينتظره هذا السَّجن الأشم ؟ إنَّنى أقبل ماتأمروننى به ، وكلَّ ما يخدم والدكم ووالدتكم ويخدمكم . وليشمل الله بفضله زوجتى الطَّيِّبة ، حيث أستمد من فضائلهم ومن فضائلكم وتشريفاتهم وتشريفاتكم الكثير والكثير ، وأتوسَّل إلى لله متضرِّعًا أنْ أصل إليها فى الوقت المناسب ، وأن تشعروا بأنَّنى وأسرتى النَّبيلة قد قمنا بخدمتكم .

لقد نُفِّذ ذلك تمامًا ليس على يد هذا الفارس ذى السَّيف الأخضر، ولكن من جانب نجله، ذلك المدعو إيسبلانديان الذى ساعد هذا الإمبراطور فى الوقت والظُّروف التى كان فى أمَسِّ الحاجة لذلك ، وكذلك أورجاندا المجهولة فى الكتاب الرَّابع حيث تنبَّأ بذلك ، مما سيتم سرده فيما بعد فى وقته وحينه .

قالت له الوصيفات :

- لقد أبرمتم اتفاقًا رائعًا ، وإذا لم توفوا به فلن تستطيعوا الإفلات من الخطر الأكبر الذى يفوق خطر الشَّيطان إيندرياجو .

- هكذا عقدت العزم ياسيدتى - قال الفارس ذو السَّيف الأخضر - لأنَّ هناك خطرًا كبيرًا سيداهمنى عندما أغضب الملائكة أكثر من إثارتى لغضب الشَّيطان مهما كان .

كان هناك ابتهاجٌ كبيرٌ بالمبررات التى وصلت للإمبراطور والإمبراطورة وجميع الرِّجال الطَّيِّبين الذين كانوا هناك ، وقد بدت لهم جميعًا الرُّدود الظَّريفة التى كان يردُّ بها الفارس ذو السَّيف الأخضر على كلِّ ما يقولونه له ، بدت لهم رائعةً . لذلك جعلهم هذا يعتقدون أنَّ الفارس رجلٌ رفيع المنزلة والمكانة لأنَّ الجهد والشَّجاعة كثيرًا ما يتوافقان لدى الأشخاص قليلى الحظ والعقل الكبير ، وقليلاً ما يتوافق لديهم العقل الرَّاجح والنشأة الحسنة لأنَّ هذا أمرٌ موقوفٌ فقط على هؤلاء الأشخاص ذوى الأصل النجيب الطَّاهر والسَّخى. وإنَّنى لا أؤكد أنَّهم جميعًا يتحقَّق لهم ذلك ، بل أقول ينبغى عليهم أنْ يتحقَّق لهم ذلك قهرًا أو قسرًا ، كما تحقَّق ذلك للفارس ذى السَّيف الأخضر عندما يتحلى بشجاعة قلبه القوى ، ويزينه بتاج المعاناة وعهد الغرام ، مما يجعله يدافع عنه بشكل منقطع النظير ، ويمنع المكابرة والغضب من أن يتسللا إليه ، فلا يضيرا فضيلته السامية .

لذلك مكث الفارس ذو السَّيف الأخضر ثلاثة أيَّام مع الإمبراطور حيث تجول فى تلك المدينة مع جاستيليس ابن شقيقة الإمبراطور والكونت سالودير اللذين جعلاه يشاهد أكثر الأشياء غرابةً فيها ، بوصفها أهم وأوَّل مدينة مسيحية بين جميع المدن المسيحية ، وبعد ذلك فى القصر حيث كان يقضى معظم الوقت فى ديوان الإمبراطورة يتحدَّث معها ومع سيدات أخريات عظيمات كنَّ يحطن بها ويرافقنها ، ثمَّ ذهب فيما بعد إلى حجرة الحسناء ليونورينا حيث وجد كثيرًا من كريمات الملوك والدُّوقة والكونتات وكبار الرِّجال ، حيث قضى معهنَّ أسعد وأظرف وقتٍ - وكأنَّ ذلك كان فى وجود أوريانا زوجته - لم يقضه فى أىِّ مكان آخر ، وقد سألنه لكى يحكى لهنَّ توَّاقات عن عجائب الجزيرة اليابسة التى عاش فيها ، وخاصة فيما يتعلَّق بقوس المحبين أوْ العاشقين المخلصين الأوفياء والغرفة الحصينة المنيعة ، وعن المناظر الجميلة لكل من أبوليدون وجريمانيسا ، وكذلك ليحكى لهم عن عادات القهرمانات والوصيفات فى منزل الملك ليسوارتى وأسماء أجملهنَّ . ردَّ عليهن برزانةٍ كبيرةٍ وتواضعٍ عن كلِّ ما يعرفه عن

ذلك ، معرفة ذلك الذى رآه وتعامل معه عدَّة مرَّاتٍ كما حكته القصَّة . هكذا تمَّ ذلك ، وعندما رأى الظرف والجمال الفتان لتلك الأميرة والوصيفات بدأ يفكِّرُ فى زوجته أوريانا معتقدًا أنَّها لو كانت هناك لاجتمع كلٌّ لرؤية جمالها . انتابته إغماءةٌ كبيرةٌ حتى كان على وشك أنْ يفقد الوعى، هكذا انتبهت تلك السَّيدات بأنَّ الفارس لم يكن يسمع ما كنَّ يتحدَّثن عنه ، وظلَّ هكذا فترة طويلةً من الوقت حتى أمسكت بيده الملكة مينوريسا - التى كانت سيدة جزيرة تدعى جاداباستا الكبيرة ، وكانت أجمل نساء اليونان قاطبة بعد ليونورينا - فأعادته إلى وعيه وهو يئن ويتألَّم ويتنهد كرجلٍ كان يشعر بالغمِّ والكرب العظيم . لكنه عندما آب إلى وعيه انتابه خجلٌ كبيرٌ حيث تلقَّى التَّوبيخ والانتهار من جميعهنَّ ، وقال :

- سيداتى ، لا تستغربن ولا تتعجَّبن من الذى يرى جمالكن الفتان ومفاتنكن العظيمة التى منَّ الله بها عليكنَّ - حيث استمتع بتشريفكن العظيم والملذات الرَّائعة التى ليس أهلاً لها - أنْ يغيب عنكنَّ لبعض الوقت ، وأنَّه لن يستطيع تعويض ذلك مهما كان لديه من الحماس وبذل من جهدٍ .

قال لهنَّ هذا بذلك الحزن الذى كان قلبه المعذَّب يبعث به إلى محيَّاه ، لذلك فإنَّ هؤلاء السَّيدات تأثَّرن به وأشفقن عليه بشكلٍ كبيرٍ ، لكنه حاول بجهد جهيد كبح الدُّموع التى كانت تأتى من قلبه إلى عينيه ، حتى تمكن من أنْ يعود إليهنَّ وإلى السَّعادة المفقودة . ما بين هذه الأمور وأخرى مشابهة قضى الفارس ذو السَّيف الأخضر الوقت الذى قطع به العهد على نفسه ، وأراد أنْ يودِّع هؤلاء السَّيدات اللائى أعطينه جواهر ثمينةً جدا ، لكنه لم يرد أن يأخذ أيا منها ، اللَّهم إلاَّ ستَّة سيوفٍ أعطتها إيَّاه الملكة مينوريسا ، كانت أكثر السُّيوف جمالاً وزينةً وزخرفةً لا يمكن أنْ يجد لها مثيلاً فى العالم كله ، وطلبت منه أنْ يتذكَّرها - وهؤلاء السَّيدات اللائى أحببنه كثيرًا - عندما يهديها إلى أصدقائه . قالت له الحسناء ليونورينا :

- يا فارس القزم ، أتوسَّل إليك من قبيل الوقار والاحترام أنْ تأتى سريعًا لكى ترانا ولتكون بصحبة والدى الذى يحبكم حبا جما . واعلم جيدًا أنَّكم ستسرونه كثيرًا وجميع رجال بلاطه وستسروننا أكثر وأكثر من الآخرين لأنَّنا سنكون فى كنفكم وتحت رعايتكم إذا أثار أحدٌ غضبنا أو أزعجنا ، وإذا لم تستطع ذلك

أتوسَّل إليك أنا وجميع هؤلاء السَّيدات بأنْ ترسلوا لنا فارساً من أسرتكم النَّبيلة والنَّجيبة يكون بالنِّسبة لنا راعيًا وحاميًا، وسنتذكَّرك معه وسنتحدث عنك لكى يعوِّض ذلك - بعض الشَّىء - وحدتنا التى سيسببها لنا رحيلك ، ونعتقد جيداً كما يبدو عليكم أنهم كثيرون ، ودون أدنى خجل أو حياء تستطيعون الاعتذار .

- سيدتى - قال الفارس ذو السَّيف الأخضر - إنَّ ما يمكن أنْ يقال بصدقٍ كبيرٍ أنَّه يوجد فى أسرتى هؤلاء الفرسان إزاء طيبة قلبك وقلبى ، والفارق شاسعٌ بينهما ، وأؤكِّد لك أنَّ هناك فارساً أثق به بفضل الله وأنَّه إذا جاء لخدمتكم ، فإنَّ التَّكريم والتَّشريف اللذين خصَّنى بهما والدكم وسموكم دون أنْ أكون أهلاً لهما سيكون ذلك الفارس أهلاً لهما وسيقوم بتلك الخدمات ، وحيثما أكون يُمكننى الاعتقاد بأنَّنى مدينٌ لكم على الدَّوام .

كان يقول هذا عن شقيقه السَّيد جالاؤر الذى كان يفكِّرُ فى أنْ يحضره إلى هناك حيث سينال مزيدًا من الشَّرف ، كما أنَّ طيبة قلبه وحسن خلقه سيراعيان بالقدر الذى ينبغى أنْ يلائمهما . لكن ذلك لم يتم على النَّحو الذى كان يفكِّرُ فيه الفارس ذو السَّيف الأخضر من قبل ، فبدلاً من أخيه السَّيد جالاؤر جاء إلى هناك فارسٌ آخر من أسرته النَّجيبة نفسها، جاء فى الموعد نفسه والمكان ذاته مما جعل تلك السَّيدة تُعانى من هموم وكروبٍ لا حصر لها ومن الحماس الذى يصعبُ سرده ، لأنَّه سار على اليابسة وركب البحر وتعرَّض لكثير من المغامرات الغريبة والخطيرة ، التى لم يستطع أحدٌ فى زمانه ولا بعده بوقت طويل أنْ يقوم بها مثلما تحُدِّثنا مجموعة كتب من هذا النوع ، والتى تدعى LAS SERGAS DE ESPLANDIAN (مغامرات إيسبلانديان) ، كما قلنا لكم من قبل ، وسيُحكى فيما بعد .

إذنْ توسَّلت إليه السَّيدة ليونورينا بإلحاح كى يقوم هو أو ذلك الفارس الذى سيرسله بما سيُطلب منه ، وهكذا وعدها بذلك وسمحت له بالرَّحيل . صعدن جميعهنَّ إلى أعلى القصر وظللن يرمقنه بأعينهنَّ فى البحر حتى غاب عنهنَّ .

لقد حكيت لكم قبل ذلك كيف أنَّ باتين أرسل سالوستانكيديو نجل عمه فى حملةٍ من الفرسان ، والملكة سارداميرا مع كثيرٍ من الوصيفات والقهرمانات ، إلى الملك

ليسوارتى لكى يطلب نجلته أوريانا للزَّواج منه . واعلموا الآن أنَّ هؤلاء الرُّسل ، فى كل مكانٍ وصلوا إليه، كانوا يسلِّمون رسائل من الإمبراطور إلى الأمراء وعظماء الرِّجال الذين وجدوهم فى الطَّريق بأنْ يقوموا بتشريف وخدمة الإمبراطورة أوريانا ، نجلة الملك ليسوارتى ، التى كانت زوجته . وعلى الرَّغم من أنَّهم بكلماتهم أظهروا نيةً حسنةً للقيام بذلك ، فقد كانوا فيما بينهم يتوسَّلون ويتضرعون إلى الله ألاَّ تكون هذه السَّيدة الطَّيِّبة ، كريمة ذلك الملك ، زوجةً لرجلٍ حقيرٍ ووضيع ومكروه من جميع النَّاس الذين كانوا يعرفونه ، وقد كانوا فى ذلك على صوابٍ ، لأنَّ جنونه ومكابرته كانت مفرطةً حيث لم يترك أحداً مهما كان عظيمًا من الذين تحت سلطته وسلطانه أو من الآخرين إلا ويزدريهم ما أمكن ذلك ولا يشرف بهم ، كان يحتقرهم ويمقتهم معتقداً بذلك أنَّ دولته أكثر أمنًا واتساعًا . آه ، يا لهذه الفكرة من مجنونةٍ حمقاء أنْ يعتقد أيُّ أمير مبغوض من جانب رعاياه بسبب قدراته وخصاله أنْ يكون محبوبًا من الله ! إذنْ إذا كان مكروهًا من الله فماذا ينتظر فى هذه الدُّنيا ومن عالم الآخرين ؟ فلن ينجو فى الدُّنيا وسيكون فى الآخرة مهانًا وممزَّقًا ، كما أنَّ روحه ستخلَّد فى الجحيم إلى الأبد .

وصل إذن هؤلاء السُّفراء إلى ميناءٍ مواجه لبريطانيا العظمى يسمُّونه ثماندو ، وهناك انتظروا حتى وجدوا سفنًا أو بواخر ليبحروا فيها ، وفى تلك الأثناء أبلغوا الملك ليسوارتى أنهَّم كانوا يذهبون إليه بأمر من الإمبراطور سيدهم ، فأسعده ذلك كثيراً .

الفصل الخامس والسَّبعون

رحل الفارس ذو السَّيف الأخضر عن القسطنطينية لكي يفي بوعده مع الحسناء جراسيندا ، بالتَّالي ينبغي أنْ يمر على بلاط الملك ليسوارتي لكي يتأكَّد هل من الضَّروري الذَّهاب بالأسلحة ، فهي أجمل فتاةٍ في بريطانيا العظمى على الرَّغم من أنَّ الأمير كان معذَّبًا بسبب الوفاء بهذا الوعد على حساب زوجته أوريانا. تذكَّر الفارس ذو السَّيف الأخضر في الحال أنَّ أوريانا ليست وصيفةً ، وبالتَّالي يمكن الدفاع عن جمال جراسيندا ويفي بوعده دون أنْ يخون حبيبته. وفي تلك الأثناء ، عند الخروج ذات يومٍ للصَّيد ، وجد البطلُ السَّيد برونيو دي بونامار جريحًا في الغابة حيث اعتدى عليه غدراً ، وقد ثأر له فيما بعد أنجريوتي دي إيستراباوس ، وعاونه في آخر لحظة الفارسُ ذو السَّيف الأخضر ، تماثل السَّيد برونيو للشِّفاء ، وأبحر الفرسان الثلاثة إلى جانب جراسيندا صوب بريطانيا العظمى .

الفصلُ السَّادس والسَّبعون

كيف وصلت إلى بريطانيا العظمى الملكة سارداميرا مع السُّفراء الآخرين الذين أرسلهم إمبراطور روما لكى يحملوا له أوريانا كريمة الملك ليسوارتى، وما حدث لهم فى غابةٍ حيث خرجوا للنُّزهة مع فارس متجوّلٍ حيث عامله السُّفراء معاملةً سيئةً ، وكيف أنَّه انتقم منهم ردا على الحماقات والهراءات التى وجهوها إليه .

وصل سفراء الإمبراطور باتين قادمين من لومبارديا ، وجدوا سفنًا وأبحروا إلى بريطانيا العظمى ونزلوا فى فينوسا حيث كان الملك ليسوارتى موجودًا ، وقد استقبلهم استقبالاً حافلاً وأمر بإنزالهم غرفًا فاخرةً وتوفير كل ما ينبغى من رخاءٍ ورفاهيةٍ وراحةٍ . وكان مع الملك فى تلك اللحظة كثيرٌ من الرجال الطيبين ، وكان ينتظر آخرين لكى يطلب مشورتهم فيما يتعلَّق بزواج كريمته أوريانا ، وحدَّد للسُّفراء مهلة شهرٍ لكى يردَّ عليهم ، وألمح لهم ببارقة أمل بأنهم سيكونون مسرورين . واتفق مع الملكة سارداميرا التى أرسلها إلى هناك الإمبراطور مع عشرين قهرمانة ووصيفة لكى يرافقن أوريانا فى البحر ويخدمنها ، على أنْ تذهب إلى ميرافلوريس حيث كانت توجد ، وتحكى لها روائع وعجائب روما والسُّمو والرِّفعة اللذين سيتحققان لها بهذا الزَّواج الميمون ، حيث أرسل لها كثيراً من الملوك والأمراء وآخرين من العظماء . فعل الملك ليسوارتى هذا كان سيجبر كريمته على ذلك الزَّواج ضد إرادتها ، ولأنَّ هذه الملكة التى كانت تتسم برجاحة العقل لذلك أراد أنْ تقنعها بهذا الزَّواج ، لكن أوريانا كانت فى ذلك الوقت مهمومةً مكروبةً وتعانى من استياءٍ كبير لدرجة أنهًا كانت تفتقر إلى الفهم والإدراك والنُّطق ،

وكانت على حذرٍ حتى لا يسلِّمها والدها إلى الرُّومان ، لأنَّها وصديقها أماديس سيموتان على أيديهم ، لذلك رحلت الملكة سارداميرا إلى ميرافلوريس ومعها السَّيد جروميدان بأمر الملك لكى يخدمها ، ورافقهما للحراسة فرسانٌ رومانٌ من جزيرة سردينيا حيث كانت ملكةً لها . وهكذا حدث ، فبعد أنْ وصلوا إلى ضفة خضراء بها زهورٌ جميلةٌ انتظروا حتى تنكسر حرارة الشَّمس ، وقام فرسانها المهرة فى استخدام الأسلحة بوضع دروعهم خارج الخيام ، وكانوا خمسة فرسان ، فقال لهم السَّيد جروميدان :

- سادتى ، أدخلوا الدُّروع فى الخيمة إذا لم تريدوا الالتزام بعادة أهل هذه البلاد ، التى تكمن فى أنَّ أىَّ فارس يضع الدِّرع أو الحربة خارج الخيمة أو المنزل أو الكوخ حيث يقيم فمن الملزم له أنْ يحافظ على القصاص الذى يطالب الفرسان به .

- حسنا نعلم هذه العادة ، ولذلك وضعناها فى الخارج - قالوا هم - وليأمر الله بأننا قبل أنْ نرحل عن هنا يكون قد طلب البعضُ القصاص منَّا .

- باسم الله - قال السَّيد جروميدان - إنَّ بعض الفرسان إذن قد اعتادو التجول هنا ، وإذا أتوا سنرى ماذا ستفعلون .

وهكذا ظلَّ الوضع كما تسمعون ، فلم يتأخَّر كثيراً أنْ جاء ذلك الموقَّر والشُّجاع السَّيد فلوريستان ، الذى تجوَّل فى أراضٍ كثيرةٍ بحثًا عن شقيقه أماديس الذى لم يعرف عنه أىَّ أنباءٍ جديدة ، وكان يسير فى غم وحزن كبيرين . ولأنَّه عرف أنَّه جاء إلى منزل الملك ليسوارتى أناسٌ كثيرون من روما ومن أماكن أخرى جاءوا عبر البحر ، لذلك جاء لكى يعرف منهم بعض الأخبار الجديدة عن أخيه . وعندما رأى خيامًا بالقرب من الطَّريق الذى كان يسير فيه توجَّه إلى هناك لكى يعرف من هو الذى يوجد هناك ، وعندما وصل إلى خيمة الملكة سارداميرا وجدها تجلس على المنصَّة ، وكانت إحدى أكثر النِّسوة جمالاً فى العالم ، وكانت جوانب الخيمة مرفوعة ، وبالتَّالى رأى جميع قهرماناتها ووصيفاتها . وعندما أمعن النَّظر فى الملكة التى كانت فى أحسن حال

ومتأنقةً فى ملبسها وهيئتها ، اقترب بالجواد بين حبال الخيمة لكى يرى بصورة أفضل ، وظلَّ يغنِّى بعض الوقت ، وبينما كان هناك جاءته وصيفةٌ وقالت له :

– يا سيدى الفارس ، ليس من اللائق أنْ تكونوا على صهوة جوادكم بالقرب من ملكة طيِّبة وسيدات أخريات نجيبات الأصل كنَّ هناك ، ومن الأفضل أنْ تأخذ تلك الدُّروع الموجودة هناك التى تناجيكم وتهاجم رجالهما .

– بالتَّأكيد يا أيَّتُها السَّيدة الطَّيِّبةُ – قال السَّيد فلوريستان – إنَّكم تقولون حقيقة كبيرةً ، لكنَّنى مضطرٌ لرؤيةِ الملكة الفاتنة الحسناء ممَّا جعلنى أقع فى هذا الخطأ الكبير ، وأطلب الصَّفح من السَّيدة الطَّيِّبةُ ومنكنَّ جميعًا ، وسأفعل ما تأمرنى به لكى أصحِّح خطئى .

– حسنًا ما تقولون – قالت الوصيفة – لكن من الضَّرورى قبل طلب الصَّفح أنْ يتمَّ تصحيح الخطأ .

– يا أيَّتُها الوصيفة الطَّيِّبةُ – قال السَّيد فلوريستان– سأفعل ذلك فيما بعد إذا كان بوسعى القيام به ، وبالتَّالى فلا تأمرونى بأنْ أدع ما ينبغى القيام به حيال تلك الدُّروع ، أو مريهم بأنْ يضعوها داخل الخيمة .

– سيدى الفارس – قالت الوصيفة – لا تظن أنَّ الدُّروع وضعت هناك بصورة عشوائية أو اعتباطا ، فقبل نزعها كان فرسانها قد بذلوا جهداً وتغلَّبوا على الرجال الآخرين الذين مرُّوا بهذه الدِّيار حيث أرادوا اصطحابهم إلى روما ، وقد سُجلت على نصول السُّيوف أسماء الفرسان لكى تكون علامة تبرز تفوق الرُّومان على فرسان البلاد الأخرى . وإذا أردتم الحفاظ على خجلكم وخزيكم فما عليكم سوى الرُّجوع من حيث أتيتم، ولن يُحمل درعكم ولن يشتهر اسمكم، وبالتَّالى سيتم النَّيل من شرفكم .

– يا أيَّتُها الوصيفة – قال الفارس – إذا تضرَّعت إلى الله فسوف ينجينى من ذلك الخزى الذى تتحدَّثين عنه ، كما أنَّنى لا أثق كثيراً فى حبِّكم ، وبالتَّالى فلن أكترث لأيَّة نصائح من نصائحك قبل أنْ أحمل هذه الدُّروع إلى الجزيرة اليابسة .

حينئذٍ قال للملكة :

– يا سيدتى ، فليتولاك الله برعايته ، الله الذى خلقك جميلة حسناء ، أتوسَّل إليه متضرعًا أنْ يمنحك السَّعادة والسُّرور .

وتوجَّه صوب الدُّروع . وكان السَّيد جروميدان يسمع كلَّ ما حدث مع الوصيفة فوقَّره كثيراً ، وخاصة عندما سمعه يتحدَّث عن الجزيرة اليابسة ، وأدرك أنَّه ينتمى إلى أسرة أماديس النَّجيبة ، واعتقد جيداً أنَّه سينفذُ ما قاله للوصيفة وسيحمل الدُّروع إلى الجزيرة اليابسة، وألح عليه كثيراً كى يرى مدى إجادة الرُّومان فى استخدام الأسلحة . لم يتعرف على السَّيد فلوريستان، لكنه بدا له أنَّه مدجَّجٌ بالسِّلاح وأنَّه فارس جميلٌ جدا، وبالفعل هكذا كان ، واعتقد أنَّه شجاعٌ وكفءٌ للقيام بهذه المهمة العظيمة ، وتمنى له التَّوفيق ، وكانت هذه الرَّغبة ستكون قوية إذا علم أنَّه السَّيد فلوريستان الذى كان يحبُّه حبا جما ويُكنُّ له مزيداً من الاحترام ، فالسيد فلوريستان الذى كان أمامه ، كان جروميدان يعرف أنَّه لا يوجد فارس فى البلاط الملكى يجيد التَّعامل مع الأسلحة مثله، لذلك ازداد شجاعة وحماساً، ولم تكن لدية أيَّة نقطة جبن أو صغار نفس . اقترب من الدُّروع ووضع السونكى أو المدية التى تُركَّب فى الحراب فى الدِّرع الأوَّل والثَّانى والثَّالث والرَّابع والخامس ، وهكذا فعل ذلك لأنَّه كان ينبغى أنْ يركب أحدها بعد الآخر حسب ترتيب الدُّروع . بعد أنْ فعل ذلك ابتعد قدر المسافة التى تصل إليها ضربة القوس ، ثم وضع الدِّرع على عنقه ، وأخذ حربةً غليظة وممتازة ثم وضعها على السرج . كان السَّيد فلوريستان منتظراً ، وكان يحضر معه دائمًا اثنين أو ثلاثة من حاملى الأسلحة ما أمكن ذلك، لكى يقدموا له أفضل خدمةٍ ومساعدة ، ولكى يحضروا له الحراب والمشاعل التى كان يحتاج إليها ولا يمكن أنْ يجدها فارسٌ آخر فى بلدانٍ كثيرةٍ سيقوم بمبارزته ، وبينما كان ينتظر هكذا كان الرُّومان مدجَّحين بالأسلحة فى الخيمة ، وسرعان ما امتطوا صهوات جيادهم وتوجَّهوا إليه ، فقال لهم السَّيد فلوريستان :

- ما هذا يا سادة ؟ هل تريدون جميعكم الهجوم على فارسٍ واحدٍ ؟! إنَّكم تنتهكون عادات هذه البلاد وعرفها .

وكان جرادامور فارسًا رومانيًا على رأس الفرسان الآخرين أفضل من أيِّ شخصٍ آخر . قال لهم السَّيد جروميدان :

- بما أنَّ الدَّروع أُعِدَّت واحداً تلو الآخر ، فهكذا ينبغى أنْ يذهب الفرسان للمبارزة ، إذا صدقتمونى فلن تشاركوا اعتباطا أو عشوائيا ، فالفارس الذى أمامكم لا يريد أنْ يجلب الخزى والعار لنفسه .

- يا سيد جروميدان - قال جرادامور - ليس الرُّومان مثلكم ، لأنَّكم تفتخرون وتزهون قبل الواقعة أو المعركة ، ومع ذلك فإنَّنا نتغاضى عن ذلك ، ولهذا لا يوجد فرسان يضارعوننا ، وأدعو الله أنْ تكون معركتنا من هذا المنطق مع ذلك الفارس ، وإن كان رفاقى لن يتدخلوا فيها .

قال له السَّيد جروميدان :

- يا سيدى ، اذهب الآن مع ذلك الفارس الذى يتضرَّع إلى الله، وإذا خرج سالمًا من هذه المبارزات فسأجعله من هذا المنطلق يبارزكم ، وإذا لم يستطع ذلك فسأخوض صدقةً المعركة بنفسى باسم الله ، فانصرفوا الآن إلى مبارزتكم وإذا نجوتم منها سنمثل أمام هذه الملكة النبيلة ولن نستطيع البقاء خارج الخيمة .

ضحك جرادامور احتقارًا وازدراءً ، وقال :

- فلندخل تلك المعركة التى تتحدَّثون عنها سريعًا ، مبارزةً لذلك الفارس السَّفيه ، الذى يجرؤ على منازلتنا ومبارزتنا .

قال للفارس الذى لمس درعه أولاً :

- اذهبوا كى تخلِّصونا من هذا الفارس غير الشَّهير ، ولتنتصروا عليه سريعًا .

- الآن انتظروا - قال الفارس - سأحضره لكم وفقًا لإرادتكم ، وباسمه ودرعه افعلوا ما أمركم به الإمبراطور ، أمَّا الجواد الذى يبدو لى أنه ممتازٌ فسيكون لى .

توجَّه بجواده – بعد أنْ سقاه ماءً – صوب السَّيد فلوريستان ، الذى عندما رآه متوجِّها إليه حثَّ الجواد بالمهاميز وتوجَّه نحوه ، وكذلك الفارس الرُّومانى . التقى الجوادان والدِّرع بالدِّرع ، وقد تحطَّمت الحراب نتيجة الصِّدامات المتبادلة ، وكان الرُّومانى فارسًا سيئا فهوى على الأرض سقطةً قوية كُسِرَ على أثرها ذراعه الأيمن وأُثخن بالجراح ، لدرجة أنَّ الذين كانوا يشاهدونه كان يبدو لهم أنَّه ميت . وأمر السَّيد فلوريستان أنْ ينزل أحد حاملى أسلحته من فوق جواده ليأخذ منه الدِّرع وأن يعلِّقه على شجرةٍ ، وهكذا أمره بأن يأخذ الجواد وقد عاد هو إلى المكان الذى كان يستعد فيه بإيماءاته وإشاراته ، وكان ينتهر نفسه لأنَّه أخطأ فى الهجوم ، ثم غرس سونكى أو مديه الحربة فى الأرض ، وظلَّ ينتظر . وبعد ذلك رأى مجىء فارس آخر تجاهه ، فتوجَّه إليه بكلِّ ما أوتى الجواد من قوةٍ ، لكنه أخطأ الضَّربة فى تلك المرَّة ، وقد جرحه بقوةٍ ودمَّر له درعه ودفعه بقوة كبيرةٍ فأسقطه من فوق الجواد ووقع السرج فوقه على الأرض وقد اخترقت الحربة الدِّرع وجسده حتى خرجت من النَّاحية الأخرى . مرَّ عليه السَّيد فلوريستان أنيقًا بهى الطَّلعة مبتسم المحيًا وفارسًا محنَّكًا ، ثم عاد إليه وقال له :

– يا أيُّها السَّيد الفارس الرُّومانى، إنَّ الذى سقط فوقكم هو لكم أما الجواد فهو لى، وإذا أردتم أنْ تحكوا عن هذه الشجاعة فى روما فإنَّنى أسمح لكم بذلك .

وكان يقول ذلك بصوتٍ مرتفعٍ للغاية سمعته الملكة وقهرماناتها ووصيفاتها . وأقول لكم إن السَّيد جروميدان كان سعيداً جدا عندما سمع ما قاله فارس بريطانيا العظمى وما فعله مع فارس روما ، وقال لجرادامور :

– يا سيدى ، إذا لم تثبتوا أنتم ورفاقكم المتازون فليس هناك داع من أنْ يهدموا عليكم جدران روما عندما تدخلوها عند وصولكم .

قال له جرادامور :

– إنكم تُقدِّرون جيداً ما حدث ، إذا لم ينه رفاقى مبارزاتهم فإنَّنى سأقضى على فارسكم الذى تزهون الآن وتفخرون به جيداً .

- سنرى ذلك عمّا قريب - قال السَّيد جروميدان - فإنَّ فارس الجزيرة اليابسة كما يبدو لى يدافع عن نفسه جيدًا ، وأنا أثق تمامًا فى أنَّه سيعتذر عن المعركة التى سأخوضها ضدَّك .

شرع جرادامور فى الضَّحك بلا رغبةٍ ، وقال :

- عندما يحين دورى سأمنحكم كلَّ ما تريدون .

- باسم الله ! - قال السَّيد جروميدان - وأنا سيكون لدى جوادى وأسلحتى جاهزة لكى أنفذ ما قلته ، حيث طبقًا لرأيكم لن يستغرق ذلك الفارس معكم وقتًا طويلاً فى ساحة القتال ، وإنْ كنت أعتقد أنَّ تفكيره يختلف تمامًا عمَّا تفكِّرون فيه .

وكان يحزن الملكة كثيرًا أنْ تسمع حماقات وجنون جرادامور والفرسان الرومان الآخرين . لكن السَّيد فلوريستان أخذ درع وجواد الفارس الذى كان على الأرض كالميت بلا وعى ، وعندما أخرجوا منه جزء الحربة تألَّم الفارس بصوتٍ حزينٍ وقد طالب بالاعتراف . وأخذ السَّيد فلوريستان حربةً ، وعاد إلى المكان نفسه الذى كان موجودًا به قبل ذلك ، ولم يتوان عندما رأى فارسًا قادمًا على جوادٍ عظيم وجميل ، ولكن ليس بمثل شجاعة الفارس الأوَّل ، وتوجَّه بقوةٍ إلى السَّيد فلوريستان وتفادى الاصطدام ، وجعلت الحربة ضربة السِّلاح تضلُّ طريقها وضاع الهجوم سدىً ، وقد جرحه السَّيد فلوريستان فى الخوذة، وأسقطه على رأسه فى الميدان وجعله يتأبَّط عنق الجواد، ولكنَّه لم يهو على الأرض . وقد حافظ السَّيد فلوريستان على الحربة فى وضعها الأفقى ممسكًا بها جيدًا فى يده وانقضَّ عليه فى غاية الغضب ، وعندما رآه الفارس قادمًا بهذا الشَّكل رفع درعه ممَّا جعل السَّيد فلوريستان يصوِّب له ضربةً فى درعه ألصقه فى وجهه فذهل وفقد اللجام من يده ، ولما رآه فى حالة عدم الاتزان هذه ، ترك السَّيد فلوريستان الحربة تهوى عليه وجذب الدِّرع بقوةٍ ، فانتزعه من عنقه ، وضربه به على رأسه ضربتين قويتين مما جعله يسقط من على صهوة جواده فاقدًا الوعى ، واقتصر ردُّ

فعله على التَّمرغ على الأرض ، وأمر فلوريستان بأخذ الجواد وأنْ يعطوه حربته ، وذهب إلى الرُّومانى وقال له :

– من اليوم فصاعداً تستطيعون الذَّهاب إلى روما لكى تفخروا بفرسان بريطانيا العظمى.

وقد اعتدل على سرجه ، وتوجَّه إلى الفارس الرَّابع الذى رآه قادمًا نحوه ، لكن مبارزته انتهت فى الهجمات الأولى وهوى الفارس والجواد على الأرض ، وقد كُسِرت ساق الفارس عند نهاية القدم ، نهض الجواد ، لكن الفارس ظلَّ على الأرض لا يستطيع النُّهوض وجعله يأخذ الدِّرع والجواد مثل الآخرين ، وأخذ حربةً رائعةً من حاملى أسلحته ، ورأى أنَّ جرادامور متوجِّها إليه بأسلحةٍ جميلة وقويةٍ ، وعلى جوادٍ وسيم ذى لونٍ بديعٍ ، جواد ضخم وجميل ، وهو يطوى الحربة طيا كأنه يريد أن يكسرها . كان السَّيد فلوريستان غاضبًا من هذا الفارس أشدَّ الغضب لأنَّه كان يهدِّده ، وكان جرادامور يقول بصوتٍ عالٍ :

– ياسيد جروميدان ، لا تهمل فى حمل أسلحتك لأنه قبل أن تمتطوا صهوة جوادكم سأجعل هذا الفارس الذى ينتظرنى يحتاج إلى مساعدتكم .

– الآن سنرى ذلك – قال السَّيد جروميدان – لكنَّنى لا أريد أنْ أخدع بهذا المديح والفخر والإطراء فى هذا المهمة حتى أرى كيف ستواجهون ذلك .

بعد أنْ تجاوز جرادامور الماء رأى أنَّ السَّيد فلوريستان كان متوجِّها إليه بأقصى سرعةٍ على جواده عدواً ، وقد احتمى جيداً بدرعه والحربة إلى أسفل لكى يجرحه . وقد تحرَّك نحوه بعدوٍ سريع على جواده ، كان الفارسان قويين وشجاعين وقد التقيا بالحراب ، وقد اخترق جرادامور درع السَّيد فلوريستان وأدخل مقدار شبرٍ من الحربة وهناك تحطَّمت . أمَّا السَّيد فلوريستان فقد اخترق درعه من الجانب الأيسر ، وقد كسر له شفرته نظراً لقوة الضَّربة التى كانت شديدةً وكبيرة ، وقد أطاح به خارج السرج فى حفرة كانت هناك مملوءة بالماء والوحل ، فمرَّ عليه وأمر حاملى أسلحته بأنْ ينتزعوا منه جواده . ولما رأى السَّيد جروميدان ذلك قال للملكة :

– يا سيدتى ، يمكننا الحديث بعض الوقت حتى يتسنَّى لجرادامور غسل أسلحته وتنظيفها ، وأن يبحث عن جوادٍ آخر كى يستأنف القتال .

قالت له الملكة :

– ملعونة حماقاتهم وهراءاتهم ومكابرتهم وعنادهم ، فهم يثيرون غضب كلِّ النَّاس ضدَّهم ، ثم بعد ذلك لا يجنون سوى الخزى والعار .

كان جرادامور يتمرَّغ ويتقلَّبُ فى الماء والوحل لفترةٍ من الوقت ، وعندما خرج منه كان حزينا للغاية فخلع خوذة رأسه ونظَّف عينيه ووجهه بيده من الماء والوحل اللذين أصاباهما ، وقد تخلَّص منهما بقدر الاستطاعة ، ثم ألقى بالخوذة من على رأسه ، ولمَّا رآه السَّيد فلوريستان على هذا النَّحو اقترب منه ، وقال له :

– يا أيها السَّيد الفارس كثير التَّهديد ، أقول لكم إذا أردتم الاستعانة بالسَّيف أفضل ، لأنَّ الحربة لن يجدى أنْ تحملوها مع درعى واسمى إلى روما .

قال له جرادامور :

– لقد أعجزتنى مبارزة الحراب، لكننى لم أحضر هذا السَّيف إلاَّ لكى أنتقم لنفسى ، وسأريكم ذلك فيما بعد كى أعرف هل بوسعكم أنْ تحافظوا على عادات هذه البلاد .

وكان السَّيد فلوريستان يعرف أفضل منه تلك العادات ، فقال له :

– وما هى هذه العادة التى تتحدَّثون عنها ؟

– أنْ تعطونى جوادى – قال جرادامور – أو تنزلوا من على جوادكم ، وسوف نتبارز بالسيوف راجلين ، وستكون تلك المبارزة هائلة ومن يخسرها سيفقد عقله وفضله .

قال له السَّيد فلوريستان :

– إننى أعتقد جيداً أنَّ هذه العادة أو هذا العرف لا تحافظون عليه أنتم ، فى حالة كونكم منتصرين ، لكنَّنى أريد النُّزول من فوق جوادى ، لأنَّه ليس هناك داع لأن يركب هناك فارس رومانى جميل مثلكم على جواد أسقط من فوقه .

حينئذ نزل من فوق صهوة جواده وأعطاه لحاملى أسلحته وأمسك بسيفه واحتمى جيداً بدرعه ، وتوجَّه إليه بخطىً سريعةٍ ، وفى غضبٍ كبيرٍ ، وقد اشتبكا بالسيوف بضراوة وشراسةٍ وشجاعةٍ كبيرةٍ ، هكذا كانت المعركة فى نظر الجميع شجاعة وخطيرة بسبب الغضب الذى شعر به بطلاها أحدهما تجاه الآخر . لكن لم تستغرق وقتًا طويلاً لأنَّ السَّيد فلوريستان الأكثر قوة وصلابةً فى استخدام الأسلحة عندما رأى أنَّ الملكة ونساءها كن يشاهدنه والسَّيد جروميدان الذى كان أكثر درايةً منهنَّ بهذه الأحداث ، صوب لخصمه جرادامور كلَّ أنواع الضَّربات وصنوفها وجرَّب كلَّ قواه ، وعلى الرَّغم من أنَّ خصمه كان شجاعًا للغاية فإنَّه لم يستطع مقاومته والتَّصدى له ، فهجر ميدان المثاقفة والمبارزة وتوجَّه إلى خارج خيمة الملكة واثقًا من أنَّ السَّيد فلوريستان احترامًا وتوقيراً للملكة سيتركه وشأنه . لكن السَّيد فلوريستان اعترضه ، وأجبره رغمًا عنه على العودة إلى ميدان المثاقفة وأرهقه كثيرًا حتى سقط ممداً على الأرض بلا أيَّة قوةٍ ، وسقط السَّيف من يده وقد انتزع السَّيد فلوريستان الدِّرع منه وأعطاه لحاملى أسلحته، ثم أمسك بخوذته وجذبه منها بشدَّةٍ من رأسه وجرَّه وسحله على الأرض ، ثم ألقى بالخوذة فى حفرة الوحل التى سمعتم عنها آنفًا ، ثم عاد إليه وأمسك بإحدى ساقيه وأراد أنْ يلقى به فى حفرة الوحل مثل الخوذة تمامًا . وبدأ جرادامور يطلب منه بأصوات عاليةٍ أنْ يشفق عليه حبا فى الله ، ولما رأته الملكة قالت :

لقد أساء ذلك التَّعيس التَّصرف عندما قرَّر ألاَّ تأخذ المنتصر هوادة ولا رحمة ولا فضل تجاه المهزوم المقهور .

وقال السَّيد فلوريستان لجرادامور :

– إنَّ هذا الموقف تبنَّاه فارس مثلكم ، ولا أرى مبرِّرًا كى ينتهك ، وبالتَّالى سأمتثل لقراركم كما ترون الآن .

وعندما سمع ذلك قال :

– ويحك يا أيُّها التَّعيس ، إنَّنى ميتٌ !

– هكذا سيحدث – قال السَّيد فلوريستان – إذا لم تستجيبوا لأمرين .

- اذكرهما - قال جرادامور - فسأنفذهما وأمتثل لهما .

- الأوَّل - قال السَّيد فلوريستان - أنْ تكتبواْ بيديكم وبدمكم ودم رفاقكم اسمكم وأسماءهم على حواف الدُّروع ، وعندما تنفِّذون ذلك سأخبركم بالأمر الثَّانى الذى أريدكم القيام به .

وعندما قال له ذلك كان شاهرًا سيفه فوقه ، وكان الآخر يرتعد فى ذعرٍ كبيرٍ . وأمر بأنْ يأتى إليه كاتب حيث أفرغ المحبرة من حبرها وملأها بدمه وكتب اسمه على الدِّرع لأنه لم يكن يستطيع أنْ يكتب بنفسه ، وكذلك أسماء جميع رفاقه على الدُّروع الأخرى ، وأن ينتهى من ذلك على وجه السُّرعة حتى لا تقطع رأسه . تم تنفيذ ذلك هكذا ، ونظف السَّيد فلوريستان سيفهُ ووضعه فى غمده وذهب ليمتطى جواده ، وقد امتطاه فى خفةٍ وحيويةٍ فائقتين، وهكذا كان كمن لم يفعل شيئًا فى ذلك اليوم وأعطى درعه لحامل سلاحه ، لكنَّه لم يخلع خوذته لكى لا يعرفه السَّيد جروميدان ، كما أنَّ الجواد الذى يمتطيه كان ضخمًا وجميلاً وذا لون غريبٍ ، وكان الفارس ذا عظمةٍ لا تضارع وذا هيئةٍ أنيقةٍ رشيقةٍ ، وكان أمثاله فى مهارة استخدام السِّلاح قليلين ، وأخذ حربة فى يده برايةٍ جميلة ورشيقة ثمَّ وقف عند جرادامور الذى كان ينهض ، وبدأ يلوى فى الحربة وقال له :

- إنَّ حياتك باقيةٌ لا لشىءٍ سوى أن يطلب السَّيد جروميدان منِّى ألا أقتلك أمامه .

بدأ يصرخ مناديًا على السَّيد جروميدان ويتوسَّل إليه حبا فى الله كى يسعفه ، لأنَّ من أجله ستكون حياته أو موته . وبعد ذلك جاء السَّيد جروميدان ماشيًا إلى حيث كان موجودًا ، وقال :

- حقيقة يا جرادامور ، لم يكن يجدى معكم فضلٌ ولا رحمةٌ ، أقول هذا وأنا على صواب تمامًا ، لأنكم طلبتم هكذا بمكابرتكم وعنادكم من هذا الرَّجل . مع ذلك فإنَّنى أتوسَّل إليه أنْ يتركك تعيش ، وسأشكره شكرًا جزيلاً على ذلك وسأكون فى خدمته .

– سأفعل ذلك عن طيب خاطرٍ – قال السَّيد فلوريستان – من أجلكم ، وكل ما يشرفكم ويسعدكم .

وقال بعد ذلك :

– أنتم يا أيُّها الفارس الرُّوماني ، اعتبارًا من اليوم بوسعكم أنْ تحضروا مجلس روما ، وإذا وجدتم هناك مكابراتكم وتهديداتكم لفرسان بريطانيا العظمى التي وجهتموها لهم ، وكيف أنَّكم أصررتم عليها ، والمجد التَّليد والشَّرف الرَّفيع اللذين نلتموهما منهم خلال وقتٍ قصيرٍ ذات يومٍ ، فعليكم أن تبلغوا به إمبراطوركم وسلطاتكم كذلك ، لأنَّهم سيسعدون لذلك ، وسوف أعلن في الجزيرة اليابسة كيف أنَّ فرسان روما ليبراليون جدا وصرحاء يسلِّمون جيادهم وأسلحتهم في خفةٍ ولطفٍ إلى من لا يعرفونهم . لكن فيما يتعلق بالهدية أو العطية التي قدمتموها لي فلن أشكركم عليها ، وسأشكر الذي منحني إيَّاها رغمًا عنكم .

كان جرادامور مثخنًا بالجراح، وكان على وشك أنْ تزهق روحه عندما سمع ذلك ، كانت هذه الكلمات التي قالها السَّيد فلوريستان تؤلمه أشدَّ إيلام أكثر من الجراح نفسها ، وقال له السَّيد فلوريستان :

– يا سيدي الفارس ، ستحملون إلى روما كلَّ المكابرة التي أحضرتموها من هناك ، لأنَّكم تحبُّونها وتُجلُّونها وتوقِّرونها ، وفي هذه البلاد لا يعرفها فرسانهم ولا يرغبون فيها ، بل إنَّ كلَّ ما يزعجكم ما هو إلا عقلٌ وذكاء خارقٌ ، وإذا كنتم يا سيدي عاشقين وشجعان في استخدام الأسلحة وتريدون أنْ أصطحبكم إلى الجزيرة اليابسة لكي تتأكدوا من القوس المسحور للمحبين الأوفياء الذين يذهبون إلى هناك بوفاء وإخلاص لصديقاتهنَّ ، بهذا الشَّرف والمجد والشُّهرة الذي ستحصلون عليه من بريطانيا العظمى قدِّروا أن صديقتكم ذات قيمة عظيمةٍ ، ولا يمكن استبدالها بأخرى مهما كان السَّبب .

- أقول لكم ، يا سيد جروميدان ، لقد كان معروفًا كبيرًا الاستماع إلى تلك الكلمات .

وقد كان يضحك كثيراً من أعماق قلبه عندما رأى ذلك العناد وتلك المكابرة للرُّومان قد انهارت وتدهورت .

لكن جرادامور لن يفعل ذلك هكذا ، فقد كان يستمع إلى ذلك من قبل وقلبه يتمزَّق ، وقال للسَّيد جروميدان :

- يا سيدى الطَّيِّبُ ، مُرْ بأنْ يحملونى إلى الخيام فأنا مثخنٌ بالجراح جدا .

- حسنًا يبدو أنَّ التَّبعة عليكم وعلى أسلحتكم - قال السَّيد جروميدان - إنَّ التَّبعة عليكم .

حينئذٍ أمر حاملى أسلحته أنْ يحملوه ، وقال للسَّيد فلوريستان :

- يا سيدى ، هلا قرَّرتم السَّماح بالإفصاح عن اسمكم ، لأنَّ رجلاً عظيمًا مثلكم لا ينبغى أنْ يخفى اسمه .

وقال السَّيد فلوريستان :

- يا سيدى جروميدان ، أرجو ألا تحزنوا من ألاَّ أذكر اسمى ، لأننى بعد أنْ ارتكبت عدم اللياقة مع تلك الملكة الحسناء جدا لا أريد بأيَّة طريقة أنْ تعرف اسمى مهما شعرت بأنَّنى مخطئٌ ، وإنْ كانت هى ووصيفاتها أكثر خطأً منِّى ، لأنَّ جمالها الفتان كان سببًا فى خطئى مما أخرجنى عن شعورى ففقدت صوابى . وأتوسَّل إليكم يا سيد جروميدان أنْ تعتذر لهنَّ نيابة عنِّى ، وأنْ تبعث لى بالرَّدِّ عن ذلك على الصَّومعة المستديرة القريبة من هنا ، حيث سأقيم اليوم هناك .

قال له السَّيد جروميدان :

- سأفعل ذلك قدر استطاعتى كما تريدون ، والنتيجة التى سأحصل عليها سأرسلها لكم مع أحد حاملى أسلحتى ، وعن طيب خاطرٍ آمل أنْ يحمل إليكم ردا رائعًا مثلما أنتم جديرون به .

قال له فارس الجزيرة اليابسة :

- أتوسَّل إليكم يا سيدى جروميدان ، إذا علمتم أنباء جديدة عن أماديس أرجو إبلاغى بها.

وبما أنَّ السَّيد جروميدان كان يُحبُّ ذلك الرَّجل الذى كان يسأله عن اسمه ، اغرورقت عيناه بالدُّموع لكونه سيكون وحيداً وسيشتاق إليه ، وقال له :

- فلينجنى الله، يا أيُّها الفارس الطَّيبُ ، فمنذ ذلك الزَّمن الذى غادر فيها جاولا ، من منزل والده الملك بيريون ، لم أسمع شيئًا عن أخباره ، وسأكون فى غاية السَّعادة إذا سمعتها ، وسأبلغها لكم على الفور ولجميع الأصدقاء .

- أعتقد أنَّ ذلك أمرٌ حسنٌ - قال السَّيد فلوريستان - طبقًا لذكائكم الهائل والإخلاص الذى تتحلَّون به وأعهده فيكم يا سيدى ، لو أنَّ الجميع كانوا كذلك فلن يجد الجنون والخيانة والغدر مكانًا ليسكنوا فيه وسيهجرون العالم اضطراريا ، أستودعكم وأترككم فى رعايته ، فإنِّى ذاهبٌ إلى الصَّومعة التى ذكرتها لكم من قبل ، وسأنتظر حامل أسلحتكم .

- فلتصحبكم عناية الله - قال السَّيد جروميدان .

وذهب إلى الخيام ، أمَّا السَّيد فلوريستان فقد توجَّه إلى حيث يوجد حاملو أسلحته ، وأمر بأنْ يأخذوا الجياد التى ربحها إلى الخيام ، وأنْ يعطوا من طرفه جواداً غريب الشَّكل للسَّيد جروميدان لأنَّه كان يبدو له جواداً ممتازًا ، والجياد الأربعة الأخرى يهدونها للفتاة الحسناء التى كان يتحدَّث معها لتفعل بها ما تشاء ويخبرونها بأنْ الذى أرسلها هو السَّيد فلوريستان .

سُرَّ السَّيد جروميدان كثيراً بالجواد لأنَّه كان لفرسان الرَّومان ، وسُرَّ أكثر لأنَّه كان جواد السَّيد فلوريستان الذى كان يحبُّه حبا جما ويقدره كثيراً ، وقد سلَّم حاملو الأسلحة الجياد الأخرى للفتاة ، وقالوا لها :

- يا سيدتنا الفتاة ، ذلك الفارس الذى احتقرتموه بكلماتكم اليوم بالثَّناء على فرسانكم الرُّومان يبعث لكم بهذه الجياد كى تعطوها لمن تشاءون ، ويسألكم أن تعتبروا هذه الجياد مؤشِّرًا على صدق الكلمات التى قالها لكم .

- أشكره شكرًا جزيلاً - قالت الفتاة - حقيقة لقد فاز بها بنبلٍ وشرفٍ ، لكن كان سيسعدنى أكثر أنْ يترك لى جواده بدلاً من هذه الجياد الأربعة .

- حسنًا ، من الممكن - قال أحد حاملى الأسلحة - لكن فاز بجواده عن استحقاق فارس أفضل من هؤلاء الفرسان الذين طالبوا بمبارزته .

قالت الفتاة :

- لن تندهشوا من أنَّنى أريد التَّشرف بهؤلاء أكثر من ذلك الفارس الذى لا أعرفه ولا أدرى من هو ، لكن - وليكن ما يكون - لقد أرسل لى بهدية جميلةٍ ويؤسفنى ويؤلمنى أنَّنى قلت لذلك الرَّجل الطَّيِّب جدا شيئًا أثار حفيظته ، لكننى سأُصحِّح هذا الخطأ بما يأمرنى به .

عادوا بهذا الرَّدِّ إلى سيدهم الذى كان ينتظرهم ، وحكوا له ما حدث من السَّعادة الغامرة لدى الفتاة . أمر بأخذ دروع الرُّومان من حاملى أسلحته وذهب إلى الصَّومعة المستديرة لكى ينتظر هناك أمر السَّيد جروميدان مضطرًّا لدخول بلاط الملك ليسوارتى ، حيث يريد التَّحدُّث مع السَّيد جنداليس الذى كان يشرف على الجزيرة ويسأله عمَّا إذا كان يعرف أخبارًا جديدة عن شقيقه وليضع هناك الدُّروع التى كان يحملها .

لكن أقول لكم عن السَّيد جروميدان الذى توجَّه إلى الملكة سارداميرا فى تواضع جم ، وقال لها ما أوصاه به السَّيد فلوريستان ، وأخبرها باسمه . سمعت الملكة ذلك جيدًا وقالت :

- هل هذا السَّيد فلوريستان هو نجل الملك بيريون والكونتيسة سيلانديا ؟

- إنَّه هو نفس ما تقولينه جلالتكم ، وصدِّقوا أنَّه أحد الشُّجعان والعقلاء فى العالم .

- هناك لا أدرى كيف كان حاله - قالت الملكة - لكنَّنى أقول لكم ، يا سيد جروميدان ، إنَّ أنجال الماركيس أنكونا يتحدَّثون عنه بشكلٍ رائعٍ ، عن مهارته الهائلة فى استخدام الأسلحة ، وعن نجابة أصله ، وعن ذكائه وعقله ، وينبغى تصديق ذلك لأنَّ هؤلاء كانوا رفاقه فى الحروب الكبيرة فى روما حيث أقام هناك ثلاثة أعوام منذ أنْ كان فارسا شابا ، لكنَّهم لا يجرءون على التَّحدث عن مهارته أمام الإمبراطور ، الذى يبغضه ولا يريد أنْ يسمعهم يقولون عنه شيئًا حسنًا .

- هل تعرفون جلالتكم - قال السَّيد جروميدان - لماذا لا يحبُّه الإمبراطور ؟

- نعم - قالت الملكة - بسبب شقيقه أماديس الذى يشكو منه الإمبراطور مر الشَّكوى ، لأنَّه غزا أو فتح الجزيرة اليابسة التى كان الإمبراطور سيفوز فى حربها ، حيث ذهب إليها قبل أماديس ، ولذلك يبغضه ويمقته أشد البغض لأنَّه حرمه من الشَّرف والمجد اللذين كان قد أوشك على تحقيقهما .

عندئذ ابتسم السَّيد جروميدان ، وقال :

- بالتَّأكيد، يا سيدتى، إنَّ شكواه لا مبرِّر لها ، فأنا أفهم أنَّه لهذا فقط كان ينبغى عليه أنْ يحبُّه ، لأنَّه جعله يتفادى ويتجنَّب هناك أكبر وصمة عارٍ وخزيٍ لم يحدث له فى مغامرةٍ من قبل مثلما حدث لكثير من الفرسان الآخرين الذين تأكَّدوا من مهارته الفائقة فى استخدام الأسلحة ، وما كان بوسعه أنْ يفوز فى تلك المعركة إلا بفضل ذلك الذى منَّ الله عليه بأن جعله أشجع فرسان العالم ، فضلاً عن الخصال الأخرى النَّبيلة التى ينبغى أنْ يتسمَ بها الفارس الممتاز ، وصدِّقوا ، يا سيدتى ، أنَّ الإمبراطور يبغضه بسبب مغامرةٍ أخرى .

قالت الملكة :

- استحلفكم، يا سيِّد جروميدان، بالإيمان الذى تدينون به لله أنْ تخبرونى بها .

- سيدتى - قال السَّيد جروميدان - سأقولها لكم ولا تنزعجوا منها .

وضحكت الملكة ، وقالت له :

- باسم الله - قال السَّيد جروميدان .

حينئذٍ حكى لها كلَّ ما حدث للإمبراطور مع أماديس فى الغابة ليلاً ، عندما كان يفخر بالحبِّ بينما أماديس يشكو مرَّ الشكوى ، وكلَّ العبارات التى دارت بينهما والطَّريقة التى تمَّت بها المعركة كما سمعتموها فى الكتاب الثَّانى . سرَّت الملكة كثيرًا مما سمعته وجعلته يحكيه لها ثلاث مرَّات ، وقالت :

- هكذا فلينجنى الله يا سيد جروميدان ، فكما تقولون لى ، حسنًا يُفهم جيدًا أنَّ ذلك الفارس يمكن أنْ يخدم الحبَّ والعشق وهو سعيدٌ بذلك ، وأنْ يفعل العكس عندما يقوم الحب بذلك . لكن على ما يبدو لى لم يكن هذا السَّبب البسيط هو الذى غرس الكراهية بين الإمبراطور وأماديس .

الفصلُ السَّابع والسَّبعون

أرسلت الملكة سارداميرا رسالة إلى السَّيد فلوريستان تقول له فيها : بما أنَّه قهر فرسانها وتركهم مثخنين بالجراح ، تريد أنْ يرافقها إلى قلعة ميرافلوريس ، حيث ستتوجَّه إلى هناك لكى تتحدث مع أوريانا . قبل السَّيد فلوريستان الاقتراح ، وبعد بضعة أيَّام وصلوا إلى ميرافلوريس . بينما كان جالاؤر ينصح الملك بالعدول عن زفاف أوريانا على إمبراطور روما رفضت البطلة اقتراح الزَّواج الذى جاء من جانب الملكة سارداميرا . توسلَّت أوريانا حينئذٍ إلى السَّيد فلوريستان بأن يتوجَّه إلى الجزيرة اليابسة ويتحدَّث مع أصدقائه عن أنَّ والدها سيجبرها على الزَّواج بالقوة من إمبراطور روما ، وليأتوا لكى ينقذوها .

الفصلُ الثّامن والسَّبعون

عند وصول الفارس ذى السَّيف الأخضر إلى بريطانيا العظمى أطلق عليه لقب الفارس الإغريقى ، والسًّيد برونيو دى بونامار وأنجريوتى دى إيستراباوس كانا يرافقان الحسناء جراسيندا حتى مدينة تجاديس حيث يوجد بلاط الملك ليسوارتى . فى الطَّريق علم الفارس الإغريقى بنوايا إمبراطور روما ورفض ومعارضة أوريانا لهذه النَّوايا ، فأرسل جندالين وأرديان القزم إلى الجزيرة اليابسة كى يبلغا جميع الفرسان بأنْ يستعدوا لمجىء البطل . عندما وصل الفارس الإغريقى إلى مدينة تجاديس أرسل للملك ليسوارتى فتاةً كى تبلغه تحديه بأنه سيحاربُ كلَّ فارسٍ يقول إنه توجد فتاةٌ حسناء فى بريطانيا العظمى أجمل من جراسيندا . قبل سالوستانكيديو ، نجل عم إمبراطور روما التَّحدى .

الفصلُ التَّاسع والسَّبعون

رافق الفارس الإغريقى والسَّيد برونيو دى بونامار وأنجريوتى دى إيستراباوس جراسيندا وموكبها إلى الميدان ، حيث ميدان المعركة ضد الفرسان الرُّومان بقيادة سالوستانكيديو . هُزم هذا على يد الفارس الإغريقى فى مبارزة فريدة ، وقد تحدى جرادامور ولاسانور – وهما شقيقان من روما – البطل لكى ينتقما لسالوستانكيديو إلاَّ أنَّ البطل قهرهما ، لكن إيسبلانديان تدخل لكى يتفادى قتله . رحل الفارس الإغريقى إلى الجزيرة اليابسة بينما ظلَّ السَّيد برونيو وأنجريوتى بصفة غير رسمية فى إحدى السُّفن بميناء تجاديس بنية مساعدة السَّيد جروميدان فى تحديه مع الفرسان الرُّومان .

الفصلُ الثَّمانون

أرسل الملك ليسوارتي يبحث عن أوريانا في قلعة ميرافلوريس كي يسلمها للرُّومان . عند وصول أوريانا إلى البلاط توسَّلت لوالدها أنْ يُجنِّبها هذا الزَّواج الذي أعدُّوه لها، لكن ليسوارتي، على الرَّغم من توسلات جميع المحيطين به ، أثْبت أنَّه عنيدٌ . بعد ذلك بقليلٍ واجه السَّيد جروميدان إلى جانب السَّيد برونيو دي بونامار وأنجريوتي اللذين أخفيا هويتهما وقدما نفسيهما على أنَّهما رفيقا الفارس الإغريقي ، الذي تركهما في البلاط لمساعدة السَّيد جروميدان ، واجهوا الفرسان الرُّومان الثلاثة في معركة وهزموهم . اجتمع السَّيد برونيو وأنجريوتي فيما بعد بالفارس الإغريقي ، ثم رحلوا إلى الجزيرة اليابسة حيث سيكون في استقبالهم أجراخيس والسَّيد فلوريستان وكل الفرسان الآخرين والسَّيدات في سعادةٍ بالغةٍ . وبقيادة أماديس استعد فرسان الجزيرة اليابسة لإنقاذ أوريانا من أيدي الرُّومان .

الفصل الحادى والثَّمانون

كيف أنَّ الملك ليسوارتى سلَّم كريمته ضد رغبتها ، وكيف أنَّ أماديس أنقذها مع كلِّ الفرسان الآخرين بالجزيرة اليابسة ، وما فعله هؤلاء لإنقاذ الحسناء أوريانا ، وكيف حملوها إلى الجزيرة اليابسة .

بما أنَّ الملك ليسوارتى كان عازمًا على تسليم كريمته أوريانا إلى الرُّومان ، ولإصراره الأكيد والرَّاسخ فى ألاَّ يؤثر فى ذلك أىُّ أمرٍ من الأمور التى سمعتموها ، فعندما جاء الموعد الذى وعد به تحدَّث معها ، وحاول بسبلٍ شتَّى أنْ تُسلِّم نفسها طواعيةً وتسير فى هذا الطريق الذى كان يسرُّه كثيرًا ، ولم يجد بكاؤها ونحيبها وآلامها فى ترقيق قلبه . ونظرًا لكونه غاضبًا للغاية فقد ابتعد عنها وذهب إلى الملكة وطلب منها بأن تُهدِّئ نجلتها ، فلن يجدى ما تفعله على الإطلاق لأنه لا يمكنه الاعتذار عمَّا وعد به . فالملكة التى تحدَّثت معه مرارًا وتكرارًا فى هذا الشَّأن كانت تفكِّر فى إيجاد عائق ، وكلما وجدته لم يكن بوسع أىِّ شىء تغيير رأيه أو تبديله ، لم ترد أنْ تقول له شيئًا سوى الانصياع لتلبية أمره، وإنْ كان قلبها سيشعر بالحزن والأسى لأنَّها لم تستطع أنْ تفعل أكثر من ذلك ، وأمرت جميع الأميرات والوصيفات الأخريات اللائى ينبغى عليهن الذَّهاب مع أوريانا بالتَّجمع فيما بعد عند السُّفن ، ولم تترك معها سوى مابيليا وأوليندا ، والوصيفة الدَّانماركية وأمرت بإرسال جميع ملابسها وزينتها الرَّائعة فى السُّفن . لكن أوريانا عندما رأت والدتها وشقيقتها قد توجَّهتا إليها وهما حزينتان للغاية أمسكت بيد والدتها وبدأت فى تقبيلها ، وقالت لها والدتها :

- يا ابنتى الطَّيِّبة ، أتوسَّل إليكم الآن أنْ تكونى سعيدةً فيما أمركم به الملك ، فإنَّنى أثق فى فضل الله أنَّ ذلك سيكون فى صالحكم لأنَّ الله لا يريد أنْ يحرمكم من رعايته ولا يحرمنى أيضًا منها .

قالت أوريانا :

- سيدتى ، إنَّنى أعتقد أنَّ بعدى هذا عنكم وبعدكم عنِّى سيكون إلى الأبد ، لأنَّ موتى وشيكٌ جدًا .

وبينما كانت تقول ذلك سقطت مغشيا عليها ، وكذلك الملكة . هكذا كانتا قد فقدتا وعيهما . لكن الملك جاء بعد ذلك وأخذ أوريانا على حالتها كما كانت ، لكى يحملوها إلى السُّفن وأوليندا معها ، التى جثت أمامه وطلبت منه بدموع غزيرة أن يتكرَّم بتركها تذهب إلى منزل والدها وألا يرسلها إلى روما . لكنَّه كان غاضبًا للغاية ولم يرد الاستماع إليها وأمر بعد ذلك أن يأخذوا أوريانا ، أمر مابيليا والفتاة الدَّنماركية بأنْ يذهبا كذلك فى وقتٍ لاحقٍ .

ذهب الجميع إلى البحر والرُّومان كما سمعتم ، وقد امتطى الملك ليسوارتى صهوة جواده وذهب إلى الميناء حيث كان يوجد الأسطول . وهناك أخذ يسرى عن كريمته بشفقة وحنان والد ، لكنَّه بأيَّة وسيلة لن يُغيِّر رأيه . وبما أنَّه لم تكن لديه القوة الكافية كما لم تكن لديه الشَّفقة الكاملة فى أيَّة لحظة ، فقد اغرورقت عيناه بالدُّموع ، ثم رحل عنها وتكلَّم مع سالوستانكيديو وبروندا خيل دى روكا وأسقف تالانثيا ، هناك كما وعد بذلك ، ثم عاد إلى قصره تاركًا فى السُّفن كثيرًا من النَّحيب والبكاء والهموم لدى الوصيفات والقهرمانات عندما رأينه راحلاً . إنه أمرٌ يستحيل الكتابة بشأنه أو وصفه .

بعد أنْ رحل الملك ليسوارتى اتفق سالوستانكيديو وبروندا خيل دى روكا ، عقب بقاء أوريانا فى حوزتهما ، وكذلك جميع قهرماناتها ووصيفاتها فى السُّفن ، اتفقا على أن يسكناها غرفة تزينت بأحلى الزِّينات ، وبعد أنْ دخلتها ومعها مابيليا ، التى يعرفان أنَّها أكثر وصيفة فى العالم تُحبُّ أوريانا حبا جما ، قاما بإغلاق الباب بأقفالٍ كبيرةٍ وتركا

الملكة سارداميرا فى السَّفينة مع رفقتها وصحبتها وكثير من وصيفات أوريانا وقهرماناتها . وكان سالوستانكيديو المتيَّم بحبِّ أوليندا قد أمر بأنْ تذهب إلى سفينته مع مجموعة أخرى من الوصيفات، لكن فى حزنٍ وبكاءٍ كبيرٍ لابتعادها عن سيدتها أوريانا ، وكانت تسمع ما تفعله الوصيفات والقهرمانات فى غرفة أوريانا، وبما أنَّها اقتربت من باب الغرفة عانقتها وطلبت منها أن تنقذها مرارًا وتكرارًا، ومرارًا وتكرارًا أغمى عليها بين ذراعى مابيليا .

إذن لقد أُعدَّ كلُّ شىءٍ ، فَرد الأفراد أشرعة السُّفن فى اتجاه الرِّياح وتحرَّكوا فى ارتياحٍ كبير، لأنَّهم استطاعوا أنْ ينفِّذوا ما طلبه سيدهم الإمبراطور وتاقت نفسه إليه، وقد وضعوا شعارًا مميزًا للإمبراطور على صارى السَّفينة التى تُقلُّ أوريانا ، وأبحرت السُّفن الأخرى حولها لحمايتها وحراستها . أبحروا هكذا سعداء ومسرورين ، نظروا عن يمينهم فوجدوا أسطول أماديس الذى اقترب كثيرًا من مقدِّمتهم حيث وقف حائلاً بينهم وبين الأرض اليابسة التى يريدون النُّزول فيها ، وبالتَّالى بدأ كلٌّ من أجراخيس وكوادراجانتى ودراجونيس وليستوران دى لا تورِّى بلانكا المبارزة مع الرُّومان قبل أنْ ينقذ أماديس أوريانا ، ولذلك دخلوا بين أسطولها والأرض اليابسة التى سينزلون بها . لكن السَّيد فلوريستان والطَّبيب السَّيد جابارتى ديل بال تيمروسو وأورلاندين وإيموسيل دى بورجونيا استعدوا لكى يكونوا أوَّل من يُسهم فى عملية الإنقاذ ، وانطلقوا بسرعة بين سفن أسطول الرُّومان وسفينة أجراخيس . بينما كان أماديس ، بسفنه وبرفقة كثيرٍ من النَّاس من أصدقائه فضلاً عن أهالى الجزيرة اليابسة ، جاء وبسرعةٍ كبيرةٍ لأنَّه كان أوَّل من يقوم بعملية الإنقاذ . أقول لكم إنَّ الرَّومان عندما رأوا الأسطول من بعيد اعتقدوا أنَّ أناسًا مسالمين يمرُّون بالبحر من مكان إلى آخر ، لكن عندما رأوهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، وأنَّ قسمين منهما كانا فى المقدِّمة إلى جوار السَّاحل ، والقسم الثَّالث كان يتبعهما ، انتابهم ذعرٌ شديدٌ ، ثم حدث بينهم ضجيجٌ شديدٌ بصوتٍ عالٍ يقول :

– أسلحة ، أسلحة ، يا لهم من أناسٍ غرباء قادمين !

ثم تسلَّحوا بأقصى سرعةٍ ونصبوا المجانيق التى جلبوها معهم فى الأماكن التى ينبغى أنْ توجد فيها ، وقام أناسٌ آخرون وبروونداخيل دى روكا على رأس فرسان كثيرين وممتازين من البلاط الإمبراطورى فى السَّفينة حيث كانت توجد أوريانا وكذلك الشِّعار المميز للإمبراطور الذى سمعتم عنه من قبل . فى تلك اللحظة اقترب بعضهم من بعضهم الآخر ، واقترب أجراخيس والسَّيد كوادراجانتى من سفينة سالوستانكيديو حيث كانوا يُقلون الحسناء أوريانا ، وبدأوا فى القتال بشجاعةٍ منقطعة النَّظير . والسَّيد فلوريستان وجابارتى توغَّلا بين الأسطولين ، واشتبكا مع السُّفن التى كانت تُقلُّ دوق أنكونا وأسقف تالانثيا اللذين كان معهما عددٌ كبير من تابعيهما ورعاياهما الأقوياء جدا والمدجَّحين بالأسلحة . هكذا كانت المعركة قوية بينهم واستطاع أماديس توجيه أسطوله تجاه السَّفينة التى كانت تحمل شعار الإمبراطور ، وأمر رجاله بأنْ ينتظروه ، ووضع يده على كتف أنجريوتى وقال له مايلى :

- يا سيد أنجريوتى ، يا صديقى الطيب ، أظهروا لى الولاء والوفاء العظيم الذى تتَّسمون به دائمًا وتكنونه دائمًا لأصدقائكم ، قاتلوا من أجلى وساعدونى فى إنجاز هذه المهمة . وإذا أراد الله أنْ تنتهى المهمة على خيرٍ ، فسأنهى هاهنا بكلِّ شرفى مغامراتى الممتازة ، وبالتَّالى لن تفارقونى طالما أنَّكم تستطيعون البقاء معى .

قال له أنجريوتى :

- إنَّنى لا أستطيع أن أفعل سوى التَّضحية بحياتى من أجل مساعدتكم لكى تنقذوا شرفكم ، وليكن الله فى عونكم ، ثم سارت السُّفن جنبًا إلى جنبٍ ، وكان التَّراشق بالأحجار والسِّهام والحراب قويا بين الجانبين ، كان التَّراشق شبيها بالمطر ، وكان شغل أماديس الشَّاغل هو تجميع قواته لتكون فى مواجهة خصومة ، لكنهم لم يستطيعوا الصمود ، على الرَّغم من كونهم كثيرين ، ولم يجرءوا على المواجهة عندما رأوا أنهم هوجموا بلا هوادة ، فكانوا يدافعون عن أنفسهم قدر استطاعتهم بخطافاتٍ حديديةٍ وبأسلحةٍ أخرى كثيرة متنوِّعة . حينئذ عندما رأى تانتاليس

دى سوبراديسا كبير خدم الملكة بريولانخا الذى كان فى الجزء العلوى بمقدمة السَّفينة ، عندما رأى أنَّ إرادة أماديس لم تكن ذات جدوى أمر بإحضار هلبٍ سميك وثقيل كان مربوطًا فى سلسلة قوية وقام بقذفه على سفن الأعداء من الجزء العلوى فى مقدمة السَّفينة ، وهكذا بالتَّعاون مع آخرين كثيرين كانوا يشدُّون به بقوة هائلة السفن المعادية حتى اقتربت سفن الجانبين بعضها من بعض ، هكذا لم يكن بوسع السفن المعادية الابتعاد بأيَّة وسيلة مهما كانت ، اللَّهم إلاَّ إذا تحطَّمت السلسلةُ . عندما رأى أماديس ذلك مرَّ على جميع النَّاس الذين كانوا مكروبين وفى مأزقٍ شديدٍ بحماس كبير ، وقد جاء خلفه من حيث دخل كلٌّ من أنجريوتى والسَّيد برونيو ، وبمجرد أن وصل إلى المهاجمين المتقدمين وضع قدمه على حافة سفينته وقفز إلى السَّفينة الأخرى ، ولم يستطع الخصوم إعاقته أو منعه على الإطلاق . وبما أنَّ القفزة كانت كبيرةً وكان قد قفز غاضبًا للغاية فقد وقع على ركبتيه وهناك تلقَّى ضربات كثيرةٍ ، لكنه نهض رغمًا عنه على الرَّغم من أنَّه كان مثخنًا بالجراح ومسك سيفه البتَّار بيده ، ورأى كيف أنَّ أنجريوتى والسَّيد برونيو قد دخلا معه وأصابا الأعداء بضربات قويةٍ وشديدةٍ ، فقال بصوتٍ عالٍ :

– جاولا ، جاولا ، إنَّ هاهنا أماديس . هكذا أتوسَّل إليهم لكى يقولوا ذلك عما إذا كان بالإمكان الاستيلاء على السَّفينة .

كانت مابيليا حبيسة فى الغرفة مع أوريانا فسمعت الضَّجيج والأصوات العالية وفيما بعد ذلك اللقب ، أخذت أوريانا التى كانت ميتةً أكثر منها حيَّة من ذراعيها، وقالت لها:

– تجلَّدى يا سيدتى، فسينقذك ذلك الفارس السَّعيد، مواطنكم وصديقكم المخلص.

نهضت أوريانا واقفةً وسألت ما ذلك ؟ فقد كانت مغشيا عليها من كثرة البكاء والنَّحيب ولم تسمع أىَّ شىءٍ وكان نظرها شبه مفقودٍ .

وبعد ذلك نهض أماديس وأمسك سيفه بيده ورأى ما فعله أنجريوتى والسَّيد برونيو من أمورٍ عجيبةٍ مدهشةٍ ، وكيف أنَّ الآخرين بسفينته اشتركوا بقوةٍ معهم ، توجَّه أماديس وسيفه فى يده إلى بروندا خيل دى روكا الذى وجده أمامه وصوَّب له ضربةً قويةً فوق الخوذة فأسقطه على الأرض ، ولولا أنَّ الخوذة كانت قويةً لشجت الضربة رأسه نصفين . ولم يتقدَّم إلى الأمام لأنَّه رأى أن الخصوم مستسلمين ويطلبون الرَّأفة والشَّفقة . وبما أنَّه رأى أنَّ الأسلحة التى كانت بحوزة برونداخيل قيِّمةً وثمينةً فقد طلب من الآخرين الاحتفاظ بها والحفاظ عليها جيداً ، وعندما انتزع الخوذة من رأسه ضربه برمَّانة السَّيف فى وجهه وسأله أين توجد أوريانا ، فأشار له إلى الغرفة المغلقة جيداً بالأقفال قائلاً له : إنهَّا توجد هناك . توجَّه أماديس سريعًا إلى هناك ونادى على أنجريوتى والسَّيد برونيو ، وبقوتهم جميعًا استطاعوا إسقاط الباب وخلعه ودخلوا الغرفة ورأوا أوريانا ومابيليا ، وجثا أمامها أماديس راكعًا لكى يُقبل يديها ، لكنَّها عانقته وأمسكت بيد الدِّرع التى كانت مخضَّبةً بدماء الأعداء .

– آه ، يا أماديس – قالت أوريانا – يا نور كل المهمومات المكروبات ، الآن تبدو طيبتكم العظيمة وقد أنقذتمونى وهؤلاء الأميرات حيث كنَّا نعانى من المصيبة والمرارة ، وسيثنى عليك فى جميع أنحاء العالم وستكونُ شهيراً وذا مجدٍ تليدٍ .

كانت مابيليا جاثيةً أمامه وكانت تمسك بمؤخرة الدِّرع ، وكان هو يحملق بعينيه فى سيدته ، حيث لم يكن قد رآها ، لكنه عندما رآها ساعدها على النُّهوض وعانقها ، وقال لها فى حبٍ جمٍ :

– يا سيدتى ونجلة عمِّى ، كم كنتُ أتوق إليكم .

وأراد أنْ يبتعد عنها ليرى ماذا سيفعله ، لكن أوريانا أمسكت بيده وقالت :

– يا سيدى ، حبا فى الله لا تبتعد عنى ولا تترك حمايتى .

– يا سيدتى – قال أماديس – لا تخافى ، فداخل هذه السَّفينة يوجد أنجريوتى دى إيستراباوس والسَّيد برونيو وجنداليس ومعهم ثلاثون فارسًا سيحرسونكم ، وسأذهب لنصرة رجالنا وفرساننا الذين يخوضون معركةً كبيرةً شرسةً .

حينئذ خرج أماديس من الغرفة ورأى لاندين دى فاخاركى الذى كان قد حارب من بالقلعة وسلَّموا أنفسهم له ، وأمر بأنْ يودعوا السِّجن وألا يُقْتل منهم أحدٌ . وانتقل بعد ذلك إلى سفينةٍ جميلةٍ جدا كان بها إينيل وجندالين مع أربعين فارسًا من الجزيرة اليابسة ، وأمرها بالتَّوجه صوب النَّاحية التى كان يسمع فيها لقب أجراخيس الذى كان يحارب مع السَّفينة الكبيرة لسالوستانكيديو، وعندما وصل إليها رأى أنَّهم دخلوها واقترب بسفينته إلى حافة السَّفينة الأخرى تمهيداً لدخولها ، وقد ساعده فى ذلك كوادراجانتى الذى كان موجوداً بالدَّاخل ، وكانت السُّرعة مذهلةً والضَّجيج شديداً ، وكان أجراخيس وفرقته يصيبون ويقتلون بقوةٍ وعنفٍ ، لكن منذ أنْ رأى الرُّومان أماديس قفز بعضهم فى القوارب وآخرون فى الماء ، ولقى بعضهم حتفه، وانتقل بعضهم الآخر إلى السفن الأخرى التى لم تكن قد فُقِدت حتى الآن . لكن أماديس كان لا يزال يتقدَّم بين النَّاس يسأل عن أجراخيس ، نجل عمه ، فرآه ووجد أنَّه يستحوذ على سالوستانكيديو بين قدميه ، حيث أصابه بجرح فى ذراعه وكان يطلب منه الشَّفقة والرَّحمة به ، لكن أجراخيس ، بما أنَّه كان يحب أوليندا من قبل ، لم يترك فرصة له لكى يجرحه ، لم يرد أجراخيس قتل من كان يبغضه بغضًا كبيراً . وكان السَّيد كوادراجانتى يطلب منه ألا يقتله لأنَّ هذا كان سيحزنه كثيراً . لكن أماديس قال له ضاحكًا :

- سيدى السَّيد كوادراجانتى ، اتركوا أجراخيس يفعل ما تمليه عليه إرادته ، لأنَّنا إذا أثنيناه عن عزمه سنموت جميعًا حيثما يجدنا ولن يترك منا رجلاً على قيد الحياة .

لكن فى تلك اللحظات قُطعتْ رأس سالوستانكيديو ، وخلت السَّفينة من الجميع ورفعت رايات أجراخيس والسَّيد كوادراجانتى فوق القلعة ، وكان كلاهما فى حراسةٍ آمنة للغاية من جانب فرسان ممتازين وشجعان جدا .

بعد أن تمَّ ذلك ذهب أجراخيس إلى الغرفة حيث أخبروه بأنَّ سيدته أوليندا التى أرسلت له لكى يأتى موجودةٌ بها . أمَّا أماديس والسَّيد كوادراجانتى ولاندين وليستوران دى لا تورِّى بلانكا (La Torre Blanca : البرج الأبيض) ، فقد ذهبوا جميعًا

ليروا كيف تسير الأمور بالنِّسبة للسيِّد فلوريستان، حيث جاء فارسٌ قريب له من جانب والدته ، كان يُسمَّى إيسانيس ، وقال لهم :

- يا سادتى ، إنَّ السيِّد فلوريستان وجابارتى ديل بال تيمروسو يبلغانكم كيف قتلوا وأسروا كلَّ أفراد تلك القوارب ولديهم دوق أنكونا وأسقف تالانثيا .

سُرَّ أماديس من ذلك سرورًا كبيرًا ، فأرسل إليهم يطلب منهم الاقتراب بسفنهم من تلك التى توجد بها أوريانا ، وهناك سيعقد مجلسٌ لكى يحكوا ما قاموا به .

حينئذٍ تفقدوا جميع الأماكن ورأوا أنَّ سفن الرُّومان قد دُمرت تمامًا ولم تستطع أن تنجو منها سفينةٌ واحدةٌ على الرَّغم من أنَّهم حاولوا ذلك ببعض القوارب . لكن بعد ذلك تمَّ الوصول إليها والاستحواذ عليها لدرجة أنَّه لم يبق من الرُّومان أحدٌ يستطيع إبلاغ النَّبأ ، ثمَّ توجَّهوا مباشرة إلى سفينة أوريانا ، وقد أُسِرَ هناك بروندا خيل دى روكا . دخلوا السَّفينة وقد انتزعوا أسلحتهم وعدَّتهم عن رءوسهم وأيديهم وغسلوها من الدَّم والعرق ، وسأل أماديس عن السيِّد فلوريستان الذى لم يره هناك . قال له لاندين دى فاخاركى :

- إنَّه مع الملكة سارداميرا فى غرفتها ، فقد طلبت مجيئه بصوتٍ عالٍ قائلةً فليستدعوه بسرعةٍ لأنَّه سيكون مستشارها ومساعدها ، وكانت تجلس عند قدمى أوريانا تتوسَّل إليها ألا يقتلها أو يدنِّس شرفها .

ذهب أماديس إلى هناك وسأل عن الملكة سارداميرا ، فأشارت عليه مابيليا بمكانها حيث كانت تعانقها ، وقد أمسك السيِّد فلوريستان بيدها ، وذهب أماديس أمامها متواضعًا للغاية وأراد تقبيل يديها ولكنَّها جذبتها منه ، فقال لها :

- يا أيَّتُها السيِّدة الطَّيِّبة، لا تخافى شيئًا ، فبما أنَّ السيِّد فلوريستان فى خدمتك ويعمل تحت أمرك وهو الذى نُكنُّ له جميعًا احترامنا وتقديرنا ونعمل تحت قيادته فكلُّ شىءٍ سيكون طوع إرادتكم ، وسنتغاضى تمامًا عن رغباتنا التى تكمن فى خدمة وتشريف جميع السيِّدات كلٍّ واحدة طبقًا لما تستحقه ،

وبما أنَّكم سيدةٌ طيبةٌ ومتميزةٌ بين الجميع ومفضَّلةٌ ، فإنه ينبغي أنْ نراعي سروركم وارتياحكم .

قالت الملكة للسَّيد فلوريستان :

- أخبروني من هذا الفارس العاقل جدا وصديقكم الحميم ؟

- يا سيدتي - قال السَّيد فلوريستان- إنَّه أماديس سيدى وشقيقى ونحن جميعًا معه هنا لإنقاذ أوريانا .

عندما سمعت الملكة ذلك نهضت وتوجَّهت إليه ، وقالت له :

- يا سيدى أماديس الطَّيب، إذا لم أكن قد استقبلتكم كما ينبغي فاصفحوا عنِّى، فقد كان عدم معرفتي هو السَّبب . وأشكر الله شكرًا جزيلاً أنَّه فى هذه المحنة جعلني فى حماية السَّيد فلوريستان وكنفه ورعايته ، وجعلني أشرفُ برجاحة عقلكم .

أمسك أماديس بيدها الأخرى واصطحباها إلى منصَّة أوريانا ، وأجلساها هناك ، وجلس هو مع مابيليا نجلة عمه التى كان تواقًا للحديث معها ، لكن الملكة سارداميرا فى كل هذا لم تكن تعرف أنَّ الأسطول الرُّومانى هزِمَ ودُمِّرَ وقُتِلَ كثير من الناس وأسِرَ آخرون ، ولم تكن تعرف حتى الآن شيئًا عن نبأ مقتل الأمير سالوستانكيديو الذى كانت تحبُّه حبا جما عفيفًا وصادقًا ووفيا ، وكانت تعده أهم سادة روما قاطبةً ، لم تكن تعرف ذلك حتى هذه اللحظة . كانوا يجلسون هكذا كما تسمعون ، فقالت أوريانا للملكة سارداميرا :

- يا سيدتي الملكة ، إلى هنا كنت غاضبةً من كلماتكم التى أخبرتموني بها فى البداية لأنها كانت عن شيءٍ أبغضه تمامًا ، لكن بمجرد علمي بأنكم تراجعتم عنها ونظرًا لعقلكم الرَّاجح ولطفكم الكبير فيما يتعلَّق بالأمر الآخر ، فإنِّى أقول لكم إنَّنى سأحبكم دائمًا وسأشرِّفكم دائمًا وسأحترمكم من أعماق قلبى ، لأنَّ ما حدث لى كان قهرًا عنِّى ولم يكن بوسعى أنْ أفعل شيئًا ، وكل ما كان يسعدنى

كان ينبعث ويحدث من قبيل لطفكم ومركزكم الاجتماعى النَّبيل وفضيلتكم الذَّاتية .

- يا سيدتى - قالت الملكة سارداميرا - بما أنَّ معرفتكم لهذا الأمر تزعجكم ، هكذا سأحاول تفادى الأمر من جانبى .

بينما كانوا يتحدَّثون عن ذلك جاء أجراخيس مع أوليندا والوصيفات وكان يعانقها وكأنَّه لم يرها منذ وقتٍ طويلٍ ، وكانت أوليندا تُقبِّل يديه ، ثم التفتت أويانا إلى أجراخيس وعانقته بحب جم ، وهكذا استقبلت جميع الفرسان الذى جاءوا معه وقالت لجابارتى ديل بال تيميروسو :

- يا صديقى جابارتى ، لقد أوفيتم جيداً بوعدكم الذى وعدتمونى إيَّاه وأشكركم عليه شكرًا جزيلاً ولدى رغبةٌ فى أن أكافئكم عليه ، والله مالك الكون يعلم ذلك .

- يا سيدتى - قال هو - لقد فعلت ما كان ينبغى علىَّ القيام به بما أنَّنى أحد رعاياكم، وأنتم يا سيدتى ، بما أنَّكم سيدتى الطَّبيعية ، عندما يمُر الوقت تذكرينى فسأظلُّ دائمًا فى خدمتكم .

فى تلك اللحظة كان هناك جميع الفرسان الشُّرفاء معًا من تلك المجموعة ، والذين ابتعدوا عن السَّفينة لكى يتحدَّثوا عن القرار الذى سيتخذونه . ونادت أوريانا على أماديس عند طرف المنصَّة ، وبسرعةٍ قالت له :

- يا صديقى الحقيقى ، أتوسَّل إليكم وأطلب باسم ذلك الحبِّ الحقيقى الذى تحبونه لى ، أنْ تحتفظ بالسِّرِّ الآن أكثر من أىِّ وقتٍ مضى ، وألاَّ نتحدث عن غرامياتنا وألاَّ تتحدثوا معى على انفراد ، بل أمام الجميع ، وكلُّ ما يعنُّ لكم يمكنكم أنْ تخبرونى به سرا ، بالتحدَّث مع مابيليا ، وتشبَّثوا باصطحابى إلى الجزيرة اليابسة لأنَّنى عندما أكون فى مكانٍ آمنٍ سيتكفَّل الله بأمورى وشئونى بما أنَّه يعلم أنَّنى على حق وصواب.

– يا سيدتى – قال أماديس – إنَّنى لا أعيش إلا بالأمل فى خدمتكم ، وإذا فقدت ذلك الأمل فسأفقد حياتى ، وما تأمروننى به سيُلبَّى . وأما هذا الذَّهاب إلى الجزيرة فسيكون برفقة مابيليا ، وستخبرين به هؤلاء الفرسان ، لأنَّ ذلك يبدو أنَّه نابع من إرادتكم المحضة ورغبتكم الأكيدة أكثر من كونها رغبتى وإرادتى .

– هكذا سأفعل – قالت أوريانا – ويبدو لى حسنًا . اذهبوا الآن لهؤلاء الفرسان.

هكذا فعل أماديس ، وقد تحدَّثا عمَّا سينبغى عليهما القيام به فى المستقبل ، لكن بما أنهم كانوا كثيرين فقد كانت الآراء متنوِّعة ، فبينما كان بعضهم يرى أنَّه ينبغى عليهم اصطحاب أوريانا إلى الجزيرة اليابسة كان بعضهم الآخر يرى اصطحابها إلى جاولا ، وآخرون إلى اسكتلندا ، إلى وطن أجراخيس ، ولهذا لم يتفقوا . استقبلوها جميعهم أحسن استقبالٍ ووضعوها بينهم ، وقالت لهم :

– يا سادتى ، إنَّ أوريانا تتوسَّل إليكم بسبب طيبة قلوبكم والحبِّ الذى أظهرتموه لها فى هذا الإنقاذ أنْ تصطحبوها إلى الجزيرة اليابسة، حيث تريد البقاء هناك حتى تسترد حبَّ والدها ووالدتها ، وتناشدكم أنْ تضعوا فى حسبانكم ثراءها الكبير وعلو منزلتكم وحسن الصَّنيع الذى ستقدِّمونه لها ، وأن تفعلوا من أجلها ما اعتدتم القيام به مع وصيفاتٍ أخرياتٍ لسن فى سموِّ منزلتها .

– يا سيدتى الطَّيِّبة – قال السَّيد كوادراجانتى – إنَّ أماديس الطَّيِّب والشُّجاع وجميع الفرسان الذين شاركوا فى إنقاذكم لديهم الرَّغبة فى خدمتكم حتى الموت ، بأنفسهم وبأقاربهم وأصدقائهم الذين يتمتَّعون بقدرةٍ هائلةٍ وسيكونون كثيرين ، وسنكون جميعًا جنبًا إلى جنبٍ دفاعًا عنكم ضد والدكم وضد إمبراطور روما ، إذا لم يقفا إلى جانب العقل والعدل . ونقول لكم إذا أراد الله فسيتم ذلك دون نقصانٍ ولتكونوا على يقين راسخٍ من ذلك ، وليساعدنا الله ، فلن يكون هناك تقصير من جانبنا ، وإذا تمت هذه الخدمة بالتَّشاور والشَّجاعة فإنَّها ستتم باتفاقٍ كبيرٍ وموسَّع حتى يتحقق لكم الأمن والأمان ولنا الشَّرف والمجد .

استحسن هؤلاء الفرسان جميعهم ردَّ السَّيد كوادراجانتى وقد بذلوا جهداً جهيداً وتحلَّوا بشجاعةٍ منقطعة النَّظير لكى تستعيد أوريانا حريتها ومجدها وعزها ، وإنَّهم لن يرحلوا عنها حتى يتحقق لهم ما أرادوا وأن تكون فى أمنٍ وأمانٍ أكثر من كونها فى كنف ورعاية والدها ووالدتها . ودَّعتهم الأميرة مابيليا وتوجَّهت إلى أوريانا التى علمت منها الردَّ على رسالتها التى جاءت بها مابيليا سعيدةً معتقدةً بأنَّ القاضى العادل سيرشدها ويهديها ، وستتحقق لها غايتُها التى تنشدها وتتوق إليها .

بهذا الاتفاق توجَّه هؤلاء الفرسان إلى سفنهم لكى يتولَّوا الإشراف على الأسرى الكثيرين والغنائم الكثيرة ، وتركوا مع أوريانا كلَّ وصيفاتها والملكة سارداميرا مع جميع وصيفاتها ، والسَّيد برونيو دى بونامار ، ولاندين دى فاخاركى والسَّيد جوردان ، شقيق أنجريوتى دى إيستراباوس ، وساركيليس نجل شقيقه ، وأورلاندين ، نجل كونت أيرلندا ، وإينيل الذى كان يسير مصاباً بثلاثة جروح ، والتى كان يغطيها مثل ذلك الشجاع الذى يتمتع بكلِّ سمات وفضائل الحماس . لقد عُهد إلى هؤلاء الفرسان بمهمة حراسة أوريانا ، وإلى هؤلاء السَّيدات ذوات المكانة السَّامية اللائى كن يرافقنها ألاَّ يتركنها حتى يصلن إلى الجزيرة اليابسة ، حيث تمَّ الاتفاق على اصطحابهن إلى هناك .

انتهى الكتاب الثَّالث من أماديس دى جاولا

الفارس النَّبيل والطَّاهر الفاضل

هنا يبدأ
الكتابُ الرَّابع

للفارس النَّبيل والطَّاهر الفاضل
أماديس دى جاولا نجل الملك بيريون
والملكة إيليسينا الذى يتناول
بطولاته ومآثره العظيمة ومهاراته
القتالية الرَّائعة التى قام بها
وفرسانٌ آخرون من أصله النَّجيب.

مقــدمة

هكذا فإنَّ طول الزَّمن وقِدم الزَّمن المـاضى جعل كثيرًا من الأمور العظيمة تستقر فى الذَّاكرة ، هكذا يمكن الاعتقاد بأنَّ أمورًا أخرى لا نهائيةً قد حُجِبتْ ولم يبق منها شىء ، لهذا أعتقد أنَّ ذلك الدُّكتور الشَّهير والظريف خوان بوكاثيو لم يذكر فى كتابه "سقطات الأمير" أىَّ شىءٍ عن العمر الأول (المرحلة الأولى) من الأمير الأب حتى نيمبورت، وهو حدثٌ كان يمكن سرده ، ولا منذ ظهور نيمبورت حتى الملك لادينو حيث حلَّق سريعًا على فترات متباعدةٍ من الزَّمن ، ولذلك فإنَّ كثيرًا من الأمور قد حدثت ولكن الذَّاكرة فقدتها تمامًا ، فلم تعرف ولم تستطع أن تدرك ما حدث . وإضافة إلى هذا السَّبب توجد فى العالم أمورٌ غريبةٌ جدا وكثيرٌ من المبانى الكبيرة دون أنْ يُعرف شىءٌ عن مؤسِّسيها الأوائل ولا من هم بُناتها ، وليس فقط من تلك الأزمنة السَّحيقة جدا ، بل أيضًا من أزمنتنا أمورٌ مشابهة نستطيع أنْ نحكيها .

لذلك لا ينبغى أنْ نستغرب ، فيما بعد ، أنْ يكون هناك تشابه بعد مرور سنواتٍ طويلةٍ ظلَّ خلالها هذا الكتاب مختفيًا وحبيسًا ، حيث وُجِدَ فى مقبرةٍ قديمةٍ للغاية . كما طالعنا فى المقدِّمة الأولى للكتب الثَّلاثة لأماديس دى جاولا ما يحكى عن الإشارة إلى ذلك الكاثوليكى والأمير الفاضل إيسبلانديان ، نجله ، الذى استخدم هذين الاسمين جيدًا ، وخاصة فى الحفلات الرَّسمية واللذين أراد أنْ يستمر استخدامهما وأن تُستبعد جميع الأسماء والألقاب الأخرى وإنْ كانا يبدوان أكثر سموا فإنهما أقرب إلى ما هو وقتى ودنيوى ويتوافقان أكثر مع ما هو إلهى ، وعندما تفنى الحياة تفنى معها هذه الأسماء والألقاب ، هكذا مثل الدُّخان الكثيف والعالى عندما تنتهى الحياةُ النَّاجم عنها فإنَّه يذوب فى الجو ، ويتلاشى دون أنْ يبقى منه شىءٌ أو مؤشرٌ ولا حتى ذكرى ، وبما أنَّه

كاثوليكي فسيكون صديقًا وخليلاً لله ، وسيكون فى ملكوت السَّموات الشَّاسعة وسلطان الله عبدَه الذى ينوب عنه ، نائبه فى الملك ، يخشاه ويعبده ، ويتصرف فى دولته ليس كمن يملكها بل كمن يستعيرها ، وينتظر أنْ يُقدِّم حسابًا دقيقًا لله عزَّ وجلَّ وهو يتذكَّر الموت وجهنَّم المخيفة الرَّهيبة والجنَّة الخالدة ؛ حيث يتخلَّى عن كل زائل وضار ويقترب من كلِّ ما هو راسخ وآمن ، مما سيكون سببًا فى فوز روحه بالسَّعادة والنَّعيم الأبدى السَّرمدى ، وبما أنَّه سيكون إنسانًا ظريفًا ، ليبراليا فى الصَّراحة والإخلاص ، وليس كما يهوى العقل ، ورحيمًا ترافقه تلك الوسائل والسبل التى يحظى فيها الأمراء وكبار السَّادة والعظماء بحبٍّ رعاياهم ويتمتَّعون بحبٍّ هؤلاء ، هذا فضلاً عن التَّقرب إلى الله العلى القدير بالصَّلوات والدَّعوات والابتهالات ، وكذلك برجاله المدجَّجين بالأسلحة الذين يكرِّسهم للجهاد فى سبيل الله ، ويصبحون ألف مرَّة على حافة الموت ، وبتلك الثَّروات التى، على الرَّغم من حبِّهم لها حبا جما، يضحون بها بلا ضيقٍ ولا ألمٍ فى الأعمال الصَّالحة والفاضلة على أكمل وجهٍ ، إذن هل نتجرأ على القول بأنَّ رغبة هذا الأمير هكذا تمَّت بالفعل، ولقد قام بها بمحض إرادته ومن أجل العمل الصَّالح جرَّبها واختبرها؟ بالتَّأكيد نعم ، إذا كان هناك إيمانٌ ليس متكلَّفًا أو مصطنعًا ، ينبغى أنْ ينعكس على ذلك الذى يُسجِّل ويُكتب فى عمر الزُّهور على ما يبدو ، ومع ذلك كان يخشى الله ويحافظ على عذريته ، فى حياةٍ صالحةٍ فى العمل على نشر الدِّيانة السَّمحة والعمل على استغلال طاقته وقدراته فى أعمالٍ نافعةٍ ، وتكريس شجاعة قلبه ضد قوانين الشَّرِّ ، يعرض نفسه فى كثير من الأحيان للموت فى نضاله ضدَّ الكفار أعداء السَّيد المسيح منقذ العالم. وبعد أنْ بلغ مزيداً من العمر وفى دولة كبيرة - لكونه إمبراطوراً للقسطنطينية ، وملكًا لبريطانيا العظمى وجاولا - كان لا يزال يواصل الطَّريق الفاضل الطَّاهر المستقيم ، وقد أصبح أكثر إنسانية وليبرالية ، وأكثر شهرةً لدى رعاياه يقدم لهم الأفضال والنِّعم ، ويتقرَّب إليهم ويشرِّفهم بوصفهم أصدقاء ، ويعاقبهم على أخطائهم بيدٍ حانيةٍ رحيمةٍ ، وقلبٍ حنونٍ دون أيَّة قسوةٍ من المكابرة ولا الانتقام ، ويريد أنْ تُنفذ العدالة بالعقل لا بالغضب ، وعلاوة على ذلك استخدم سبل طيبة أخرى كثيرة كانت تتَّسم بها نفسه ، سيطول سردها ، تشهد أنَّه بالعدل والإنصاف والعقل الرَّاجح كان جديراً

بهذين الاسمين المتازين بصفته كاثوليكى وفاضل وطاهر، وبما منَّ به مالك الكون على روحه بنعيم الجنَّة فى أيَّامه الأخيرة . بالاطلاع على كثيرٍ من الزَّمن الماضى يتم تذكُّر أعماله العظيمة التى كانت مختفية وحبيسة - كما أسلفنا من قبل - والتى تثبت للجميع ليس فقط كونها ضرورية بالنِّسبة له ، بل كون تلك أمثلة تحتذى فى الدُّول الكبيرة والسَّلطنات العظيمة للذين يريدون الاطلاع على قصته هذه كى يتخلَّوا عن المكابرات ونوبات الغضب والغيظ غير الملائمة ، التى تجعل من هؤلاء أعداءً بدلاً من أنْ يكونوا أصدقاء وخادمين كما ينبغى ، والتى تحكم بالهلاك والإعدام على أعداء ديننا الحنيف ، حيث إنَّ أعماله الصَّالحة ونفقاته ، والموت فى النِّهاية عندما يواتيه الأجل سيكون كلُّ ذلك قد استخدم أفضل استخدام لأنَّه بذلك سيفوز بالجنَّة الأبدية وبالحياة الطَّيبة .

الفصل الثّانى والثّمانون

عن الحزن الشّديد الذى ألمّ بالملكة سارداميرا لمقتل الأمير سالوستانكيديو .

لقد حكى لكم الجزء الثّالث من هذه القصة العظيمة من البداية إلى النّهاية كيف أنّ الملك ليسوارتى - ضد إرادة الجميع فى ممالكه الكبيرة والصّغيرة وضدّ إرادة ممالك أخرى كثيرة كانت ترغب فى خدمته وأنْ تكون تحت سلطانه - قام بتسليم كريمته أوريانا للرُّومان لكى يتزوجها باتين إمبراطور روما . وكيف أنّ أماديس ورفاقه التقوا معًا فى الجزيرة اليابسة بعد أن أنقذوها فى البحر ، وبعد أنْ قُتل الأمير سالوستانكيديو وأُسرَ بروندادخيل دى روكا كبير خدم الإمبراطور ودوق أركونا أسقف تالانثيا ، وآخرون كثيرون من رجاله قُتلوا وأُسروا وتمّ تدمير كلّ الأسطول الذى كانوا يصطحبونها فيه . والآن سنخبركم بما نجم عن ذلك .

اعلموا أنّه بعد الفوز فى هذه المعركة الكبيرة ترك أماديس وفرسانٌ آخرون من طرف أوريانا الملكة ساردميرا وجميع القهرمانات والوصيفات اللائى كنّ فى سفينتها وبعض الفرسان لحراستهن ، دخل أماديس ورفاقه سفينةً أخرى وأمروا بإصلاح أسطول الرُّومان حيث كان عدد القتلى كبيرًا ، وأما الأسرى ففضلاً عن كونهم كثيرين كانوا شجعانًا جدا ، وبالتّالى كان من الملائم تكليفهم بهذه المهمة . وصلوا إلى القارب الذى كان به جثمان الأمير سالوستانكيديو وسمعوا بكاءً وعويلاً شديدًا ، وعندما علموا سبب ذلك - وهو أنّ كثيرًا من رعاياه وفرسانًا وأناسًا آخرين كانوا يحيطون به ، وهم يشاركون فى أكبر حزنٍ بالعالم ويعدّدون مناقبه ومآثره - لم يستطع رجال

أجراخيس الذين كانوا بالسَّفينة إبعادهم عن المكان أو إخلاءه منهم . أمر أماديس بنقلهم إلى سفينة أخرى وأنْ يكفوا عن العويل والبكاء ، وأمر بوضع جثمان سالوستانكيديو فى سفينةٍ وتشييع جثمانه ودفنه بما يليق به (يعنى إمبراطور روما) ، وكان هذا هو السبب فى رحمته وشفقته به وبمن بقى حيا من رجاله ، وقد أمر صراحةً بالحفاظ على حياتهم استناداً إلى ما ينبغى على الفرسان الفاضلين الطَّاهرين القيام به وأنْ يتخلَّوا عن الغضب والغيظ ، وبذلك سيكون عقلهم حرا فى التعامل مع الأمور وأنْ يتمسكوا بدرب الفضيلة.

كان ضجيج ذلك البكاء كبيراً لدرجة أنَّ النَّبأ وصل إلى سفينة أوريانا ، حيث كان هؤلاء النَّاس يبكون مصرع ذلك الأمير ، وبهذه الطَّريقة علمت به الملكة سارداميرا ، فإنها وإنْ كانت حتى ذلك الحين قد عرفت ورأت أنَّ معظم الأسطول الرُّومانى قد تمَّ تدميره ورأت كثيراً من القتلى والأسرى ، فإنَّها لم يكن قد وصل إلى سمعها نبأ مصرع ذلك الأمير ، وعندما سمعت به خرجت فى حزنٍ شديد فى أعماق نفسها ، ونسيت الخوف والرَّهبة التى كانت تستحوذ عليها حتى ذلك الحين ، وفضَّلت الموت على الحياة بكثيرٍ من الألم والغضب الشَّديد ، وقد لوت يديها ووضعت إحداهما فى مواجهة الأخرى وبكت بكاءً شديداً ، وهوت على الأرض وهى تنطق بهذه الكلمات :

– يا أيُّها الأمير الكريم ، يا ذا الأصل النَّجيب ، يا نور ومرآة الإمبراطورية الرُّومانية ، يا للألم العظيم والحزن الشديد الذى سيسبِّبه موتك لكثيرين وكثيرات كانوا يحبُّونك ويخدمونك وكانوا ينتظرون منك الخير العظيم والنِّعم الكثيرة ! يا للخبر المؤلم بالنِّسبة لهم عندما يعرفون نهايتك التَّعيسة والمأساوية ! يا إمبراطور روما العظيم ، يا للألم الكبير والحزن الشَّديد اللذين سينتابان النَّاس عند معرفتهم بوفاة هذا الأمير ، نجل عمك الذى كنت تحبه حبا جما ، وكنت تعتبره درعا قويا لإمبراطوريتك ، وتحطيم أسطولك فضلاً عن كثيرٍ من القتلى بشىءٍ من الخزى والعار بين فرسانك النُّبلاء ! وخاصةً أنَّك اشتركت بقوة السِّلاح فى خزىٍ كبيرٍ بالنِّسبة لك ، الأمر الذى كان محببا إلى نفسك وكنت تتوق إليه كثيراً . حسنًا يمكنك القول بأنَّ مصير الفارس الرَّحال الذى كان

يواصل المغامرات ، والذى ينتمى إلى دولة صغيرةٍ امتدحك حتى وضعك فى أعلى مكانةٍ سامية مثل الجلوس على كرسى العرش ولبس الصُّولجان والتَّاج الإمبراطورى ، أراد أنْ يمتهن شرفك حتى يضعه فى الهاوية وباطن الأرض ، وبهذه الضَّربة الموجعة لا يمكنك إلا اختيار أحد خيارين : إمَّا إخفاء ذلك وتظلَّ أكثر أمير أُهين فى العالم ولحق به العار ، أو أنْ تنتقم وتعرِّض شخصك ودولةً كبيرة للحزن الشديد وروحك للإزهاق وتكون النَّتيجة مشكوكًا فيها للغاية . وعلى فكرة فيما يتعلَّق بما رأيته فى مغامرتى التَّعيسة فى بريطانيا العظمى لا يوجد فى العالم إمبراطور سام ولا ملك رفيع المقام يستحق أنْ يقوم هؤلاء الفرسان النُّبلاء وذووهم الكثيرون من الأقوياء بالحرب لصالحه، وإننى على يقين بأنَّهم سبَّبوا لى كثيرًا من الألم ، ومع ذلك فأنا أراهم زهرة فروسية العالم أجمع . ويبكى قلبى الحزين أكثر على الأحياء والمعاناة والمرارة والمصائب التى ينتظرونها من هذه المغامرة التَّعيسة لأنَّ الأموات الآن سدَّدوا ديْنهم .

هكذا رأتها أوريانا ، وقد أشفقت عليها لأنَّها كانت تعدها راجحة العقل جدا وذات ذكاء كبيرٍ باستثناء المرَّة الأولى التى كلَّمتها فيها عن عملية الزَّواج من الإمبراطور ، وهو الأمر الذى سبَّب لها غضبًا كبيرًا منها وتوسَّلت إليها بألاَّ تتحدَّث إليها مرَّة أخرى عن ذلك ، كانت تراها دائمًا ذات عقلٍ راجحٍ ، وأنَّها شخصٌ رزينٌ كتومٌ ، وبالتَّالى لن تغضبها أبدًا، كانت تقول لها أشياءً تسعدها وتبهجها، ونادت على مابيليا، وقالت لها :

– يا صديقتى ، عالجى ذلك الحزن للملكة وروِّحى عنها كما تعرفين جيدًا ، ولا تكترثى بما تقوله أو تفعله ، لأنها كما ترين شبه فاقدة للوعى ، وهى محقَّةٌ فى هذه الشَّكوى ، لكنَّنى مضطرةٌ إلى القيام بما ينبغى أنْ يفعله المنتصر مع المهزوم الذى هو فى حوزته .

كانت مابيليا ذات لطفٍ مهذَّبٍ للغاية ، اقتربت من الملكة وجثت أمامها على ركبتيها وأمسكت بيديها ، وقالت لها :

– يا أيَّتُها السَّيدة الملكة النَّبيلة ، لا يليق بشخصٍ رفيع المقام مثلكم أنْ يندب وينعى حظه، فلئن كُنَّا نحن جميع النِّساء ضعاف البنية والقلب بالطبع فإنَّ

معظم هؤلاء النِّسوة فى الأمثلة القديمة يبدون وروحهم قوية يردن سداد دين أسلافهن أو أجدادهن وهنَّ يظهرن نبل ونجابة الأصل وشجاعة عند الشَّدائد أيا كان مصدرها . وبما أنَّكم الآن تشعرون بالأسى تجاه هذا الكرب العظيم الذى أنعم عليكم بالشَّرف والسُّمو وعلو المنزلة حتى لا تسمتعوا بذلك وقتًا طويلاً إلاَّ بقدر ما تسمح لكم به إرادتكم المتغيِّرة ، وأنَّ التَّبعة عليكم لأنَّ الاضطراب والقلق يسعدكم ويبهجكم فضلاً عن تجريب مثل هذه الألعاب ، وبذلك ينبغى أنْ تراعى أنَّك فى حوزة هذه الأميرة النَّبيلة التى تحبُكم حبًا جما وتتألم لحزنكم وألمكم واضعةً فى الحسبان أنْ تقدِّم لكم تلك الصُّحبة والمجاملة اللذين تتطلبهما فضيلتكم ووضعكم الملكى .

قالت الملكة :

- آه يا أيَّتُها الأميرة النَّبيلة اللطيفة ، على الرَّغم من أنَّ رزانة كلماتكم تنُم عن فضيلة كبيرةٍ وتستطيع تخفيف الحزن عن كلِّ مكروبٍ مهما كان كبيرًا ، فإنَّ حظى العاثر التَّعيس كبيرٌ لدرجة أنَّ روحى الضَّعيفة والحزينة لا تستطيع تحمل ذلك . وإذا كانت هناك بارقة أملٍ لمواجهة هذا الإحباط الكبير تعنُّ لخاطرى فلن تكون أكثر من أنْ أرى نفسى - كما تقولون - فى رفقه السَّيدة النبيلة رفيعة المقام ، التى لفضيلتها العظيمة لن توافق على انتقاص قدرى ومجدى وشهرتى ، لأنَّ هذا هو أكبر كنزٍ تتوق إلى الحفاظ عليه كلُّ امرأةٍ وتخشى فقدانه .

حينئذ قدَّمت لها الأميرة مابيليا وعودًا عظيمةً جعلتها آمنةً ومطمئنةً مثلما كانت تريد ، وستأمر أوريانا بأنْ يتم الاستجابة لذلك . ساعدتها بيديها على النُّهوض وأجلستها على منصَّةٍ حيث أتت كثيرات من هؤلاء السَّيدات اللائى كنَّ هناك كى يرافقنها .

الفصلُ الثَّالث والثَّمانون

كيف أنَّه بموافقة الأميرة أوريانا وأمرها قام هؤلاء الفرسان باصطحابها إلى الجزيرة اليابسة .

بعد أنْ خرج أماديس وهؤلاء الفرسان من سفينة سالوستانكيديو ، ورأوا كيف أنَّ أسطول الرُّومان قد استولى رجاهم عليه دون أيَّة صعوبةٍ ، تجمَّع الجميع فى سفينة السَّيد فلوريستان واتفقوا على أنَّه بناءً على رغبة أوريانا واستناداً إلى رأيهم ينبغى عليهم التَّوجه إلى الجزيرة اليابسة ، فمن الأفضل الامتثال له والقيام به . وأمروا بأنْ يوضع جميع الأسرى فى سفينةٍ وأنْ يقوم جابارتى ديل بال تيميروسو ولاندين ، نجل شقيق السَّيد كوادراجانتى ، إلى جانب كثيرٍ من الفرسان بحراستهم ويودعوهم مكاناً آمناً وملائماً . وفى سفينة أخرى أمروا بوضع الجثث التى كانت كثيرةً ، وكلف السيد أماديس السَّيد جنداليس وكذلك ساردامون بحراستها ، وهما فارسان عاقلان جدا ومخلصان . وقاموا بتوزيعِ أنُاسٍ آخرين مسلَّحين وبحَّارة على السُّفن الأخرى لكى يقوموا بإرشادهم ، وظلَّ كلٌ منهم فى سفينته كما خرجوا من الجزيرة اليابسة .

بعد أنْ تمَّ ذلك توسلَّوا إلى السَّيد برونيو دى بونامار وأنجريوتى دى إيسترابأوس بأنْ يبلغا ذلك لأوريانا ، وأنَّهما سيأخذان منها رسالتها الغرامية التى سترسلها إلى أماديس ، وأنْ يُلبَّى ذلك على هذا النَّحو . دخل هذان الفارسان سفينةً ومرُّوا على السَّفينة التى كانت توجد بها أوريانا ، ودخلا غرفتها وجثوا أمامها وقالا لها :

– يا أيَّتُها السَّيدة الطَّيِّبة ، إنَّ جميع الفرسان المجتمعين هنا لإنقاذك وللاستمرار فى خدمتكم يريدون إبلاغكم بأنَّ الأسطول قد تجَّمع وعلى استعداد للرَّحيل من هنا ، ويريدون أنْ يعرفوا رأيكم لأنَّهم سيلُبُّون ذلك بارتياحٍ وسرورٍ .

قالت لهم أوريانا :

- يا أصدقائى الكبار ، إذا كان هذا الحب الذى أظهرتموه جميعًا والذى أبديتموه لى، وأنا لم تسنح لى الفرصة لمكافأة ذلك ، فإننى من الآن سأيئس من حياتى ، لكنَّنى لدى ثقةٌ ويقين فى الله بأنَّه سيحقِّق لى ما تصبو إليه إرادتى ، وأنَّنى بالعمل الدَّءوب أستطيع القيام بذلك. وأخبروا هؤلاء الفرسان النُّبلاء بأنَّ الاتفاق الذى تمَّ فى هذا الشَّأن ينبغى أنْ يدخل حيز التَّنفيذ، ألا وهو الذِّهاب إلى الجزيرة اليابسة ، وعند الوصول إلى هناك سنقرِّر ما يجب القيام به ، فلدىَّ الأمل فى الله فهو القاضى العادل العليم بكلِّ الأمور الدَّقيقة ، وأنَّ هذه السُّفن التى تعانى من الدَّمار الكبير سيجعلها الله فى أحسن حالٍ ، وستبحر فى شرف كبير ومتعةٍ لا تضارع لأنَّ الأمور العادله ، مثل هذا الأمر ، تبدو فى البداية شاقة وفظَّة مثلما يبدو الأمر الحالى، لكنَّه فى النِّهاية لا ينبغى أنْ ننتظر منها إلاَّ الثَّمرة الطَّيِّبة ، أمَّا الأمور المجحفة الجائرة فلا ينتج عنها سوى الزَّيف والخيانة .

عاد هذان الفارسان بهذه الإجابة ، ولمَّا علم بها الذين كانوا ينتظرونها أمروا بدقِّ الطبول التى كانت تزدان بها سفن الأسطول ، وفى سعادةٍ غامرةٍ وبضجيج وجلبة شديدين من جْانب الرِّعاع أو الغوغاء تحرَّكت سفن الأسطول ، كان جميع هؤلاء السَّادة العظماء والفرسان سعداء جدا وبشجاعة منقطعة النَّظير ، وأخذوا العهد على أنفسهم ألاَّ يكون بينهم خلافُ وألاَّ يغادروا تلك الأميرة حتى يتحقَّق لها ما أرادت وأنْ ينجزوا المهمة التى كانوا قد بدأوها ، وبما أنهم جميعا كانوا من أصلٍ نجيبٍ ويجيدون استخدام الأسلحة فقد ازدادت شجاعتهم وتاقت قلوبهم لمعرفة حقِّهم الكبير ، وكذلك ليروا الخلاف النَّاشب بين أميرين مرموقين حيث كانوا لا ينتظرون سوى تحقيق مزيدٍ من الشَّرف والمجد ، وأيًّا كانت الظُّروف مواتيةً أو غير مواتية فإذا وقعت معركةٌ فإنَّهم سيقومون بأعمال بطوليةٍ عظيمةٍ ، حيث سيظلُّون ينالون الثَّناء والمدح وستظلُّ ذكراهم خالدةً مخلَّدةً فى العالم من جرَّاء ذلك . وقد ذهب الجميع مدجَّجين بالأسلحة الرَّائعة

وكانوا ذا عددٍ غفيرٍ ، كان يبدو لهم أنَّهم فرسان فرقة إمبراطورٍ عظيمٍ ، وبالتَّأكيد لم يكن أيُّ منزلٍ لأمير ، مهما كان فسيحًا كبيرا ، يسع هؤلاء الفرسان الكثيرين جميعًا ، هؤلاء الفرسان الشُّجعان ذوى الأصل النَّجيب .

إذنْ ما الذى يمكن أنْ يقال هنا سوى أنَّك ، أيها الملك ليسوارتى ، ينبغى عليك أنْ تُفكِّر أنَّك أمير محروم من العرش والميراث ؟! قدَّم لك القدر الكثير من الممالك والسِّيادة والسُّلطة ، وقد تحلَّيت بالعقل والشَّجاعة والفضيلة والاعتدال والصَّراحة القيِّمة وتفوَّقت بهذه الصِّفات والخصال على جميع أقرانك من البشر فى زمانك ، ولكى تضع التَّاج الثَّمين والزِّينات الرَّائعة لتكون سيداً لهذه الفروسية التى كنت بسببها محلَّ تقديرٍ واحترامٍ فى جميع أنحاء العالم . ولا تعرف بأنَّ هذا الحظ العظيم قد ينقلب إلى تعاسةٍ أو بؤسٍ ، أو لسوء معرفتك ستفقد ذلك حيث ستتلقى صفعةً كبيرةً تمسُّ قدرك وشهرتك الشَّريفة ، ويرجع الفضل فى ذلك إلى الله العلى القدير الذى منحك بيده كلَّ هذا وانتزعه منك ، وأنا فى عقيدتى وإيمانى أدرك أنَّك إذا لم تعتبر فستعيش بائسًا وسيتضاءل سموك الذى كنت تنعم به وستشعر بهذا عندما تمرُّ أيَّام الرَّخاء دون أى عائقٍ مما سيصيبك بالألم الشَّديد ، وإذا اشتكيت أو تظلَّمت من ذلك فاشتك وتظلَّم من نفسك لأنَّك أعرت أذنيك لرجالٍ قليلى الفضيلة والصِّدق ، مصدِّقا إيَّاهم فى كل ما تسمعه منهم وتؤثره على ماكنت تراه بعينيك ، وعلاوة على ذلك لم تبد أيَّة شفقةٍ أو وعيٍ بالنِّسبة لمصيرك وقدرك، ولم تؤثر فى قلبك التَّحذيرات الكثيرة من جانب أناس كثيرين ، ولا البكاء والنَّحيب المؤلمان لكريمتك التى أردت أنْ تنفيها وأنْ تحيطها بالبؤس والحزن والكرب على الرَّغم من أنَّ الله منحها جمالاً كبيرًا ومنَّ عليها بنبْلٍ عظيم وفضيلة تفوَّقت بها على جميع طيبتها وتفكيرها السَّليم ، إنَّ هذا فى النِّهاية يُعزى إلى أرادة الله الذى أراد ذلك ، وكانت إرادته هى التى يُعزى إليها ذلك وليس إلى خطأٍ أو خطيئةٍ ، ولذلك إذا دارت عجلة الحظ فى الاتجاه المعاكس فإنَّك أنت الذى أطلقت لها العنان .

بالعودة إذنْ إلى المقصد الذى تسمعونه ، عاد الأسطول إلى الإبحار فى البحر ، وبعد سبعة أيام وصلوا فى الصَّباح إلى ميناء الجزيرة اليابسة حيث أطلقت المدفعية كثيرًا من الطلقات تعبيرًا عن السَّعادة .

عندما رأى أهل الجزيرة أنَّ سفنًا كثيرةً قد وصلت إلى الميناء أصيبوا بالذُّهول وتوجَّهوا إلى البحر بأسلحتهم ، لكنَّهم بمجرَّد أنْ وصلوا عرفوا أنَّ هذه السُّفن لسيدهم أماديس، وذلك من الرَّايات والأعلام والشِّعارات التى كانت على أشرعة السُّفن، والتى كانت الشِّعارات والرَّايات نفسها التى أحضروها قبل ذلك من هناك . قاموا فيما بعد بإنزال القوارب ، وخرج أناسٌ ومعهم السَّيد جنداليس لإعداد وتجهيز الإقامة ولإعداد جسر يصل بين السَّفينة والبر أو من السَّاحل حتى السُّفن ، حيث تستطيع أوريانا وهؤلاء الرِّجال الخروج .

الفصلُ الرَّابع والثَّمانون

عرفت الأميرة جراسيندا النَّصر الذى حقَّقه أماديس فتزيَّنت وذهبت برفقة كثيرٍ من الفرسان والسَّيدات لاستقبال أوريانا .

أقول لكم عن هؤلاء إنَّ جراسيندا الجميلة جدا التى ظلَّت هناك علمت بالوصول وبجميع الأمور كيف حدثت، وبعد ذلك أسرعت لاستقبال أوريانا بسبب الأخبار الجديدة التى قيلت عنها فى جميع الأنحاء والأرجاء ، لذلك كانت توَّاقة لرؤيتها أكثر من أىِّ شخص آخر موجود بالعالم. ولكونها ثريةً أكثر من أوريانا وعلى جمالٍ فاتنٍ أرادت إظهار ذلك فارتدت بلوزة مجسَّمةً وعليها ورود مطرَّزةُ من ذهبٍ ، طُرِّزت جيداً وقد أحيطت باللآلئ والأحجار الكريمة الثَّمينة لم تكن قد ارتدتها من قبل ولم يرها أىُّ شخص، لأنَّها كانت تُجرِّبُها فى غرفة حصينةٍ محكمةٍ كما فعلت ذلك فيما بعد ، ولم ترد أنْ تضع فوق شعرها الجميل سوى التَّاج الثَّمين للغايةِ ، الذى – لحسن جمالها وللطِّيبة الكبيرة لقلب الفارس الإغريقي – فازت به من بين جميع الوصيفات اللائى وُجدن أخيراً فى بلاط الملك ليسوارتى احتفالاً بانتصار كلٍّ منهما (الملك ليسوارتى وأماديس دى جاولا) ، وامتطت صهوة جوادٍ أبيض عليه سرجٌ جميلٌ ولجامٌ رائع وكان مختلف الزِّينات الأخرى مطلى بالذَّهب قد أعد بفنٍ راقٍ ومهارةٍ فائقةٍ . وقد أعدت ذلك أملاً فى أنْ يسعدها قدرها ومصيرها فى أنْ تُنهى هذه المغامرة المتعلقة بالغرفة المحكمة الحصينة وتعود إلى بلاط الملك ليسوارتى بهذه الزِّينات الثَّمينة والعظيمة وتتعرَّف على الملكة بريسينا ، وعلى كريمتها أوريانا وعلى الأميرات الأخريات والوصيفات والقهرمانات ، وتعود إلى وطنها بمجدٍ تليدٍ ، لكن هذا الذى كانت تتوق إليه ظل بعيداً عنها صعب

المنال ، لأنَّها وإنْ كانت جميلةً للغاية وقد تزينت بأجمل حليِّها وزينتها فإنَّ جمال الملكة بريسينا وزينتها فى نظر الكثيرين كانا أكبر بكثير ، وبالتَّالى لم يكن يماثل فى معظمه هذه الملكة، لذلك فإنَّ تلك المغامرة كان قد ثبت أنَّه يصعب تحقيقها . إذن تحركت السَّيدة جراسيندا بتلك الزِّينة من غرفتها ومعها وصيفاتها وقهرماناتها وقد ارتدين أجمل الثِّياب ، وعشرة فرسان يقفون ويمسكون باللجام لكى يرافقوها ويحموها حتى لا يصل إليها أحدٌ بسوءٍ ، وهكذا ذهبت إلى ساحل البحر حيث كان قد تمَّ إعداد الجسر ، الذى سمعتم عنه آنفًا ، حتى السَّفينة التى كانت أوريانا قادمةً فيها . وصلت إلى هناك وظلَّت عند مدخل الجسر فى انتظار خروج أوريانا التى كانت على وشك النُّزول ، وقد ذهب جميع الفرسان إلى سفينتها لمرافقتها . كانت أوريانا قد ارتدت ما يتلاءم مع ثروتها وعفتها وشرفها ويتمشَّى مع جمالها الفتَّان. رأت هذه القهرمانة وسألت السَّيد برونيو عما إذا كانت تلك السيدة التى أتت إلى بلاط الملك والدها لتفوز بتاج الوصيفات .

قال لها السَّيد برونيو إنَّها تلك ، وطلب منها تكريمها والتَّقرب إليها ، فهى إحدى الوصيفات الطَّيِّبات الممتازات فى العالم على نهجها ، وحكى لها كثيرًا عمَّا فعلته ، وعن التَّشريفات والتَّكريم الذى حظى به كلٌّ من أماديس وأنجريوتى وهو شخصيا من جانبها . قالت له أوريانا هذا خير مبرر لكى تقوموا أنتم وأصدقاؤكم بتكريمها على أكمل وجه ، وسأقوم أنا بذلك أيضًا .

وحينئذ أمسكها من ذراعها السَّيد كوادراجانتى وأجراخيس ، وكذلك الملكة سارداميرا من جانب السَّيد فلوريستان وأنجريوتى. وأمَّا مابيليا فكان أماديس يمسك بذراعها منفردًا ، وأمَّا أوليندا فقد كان يصطحبها السَّيد برونيو ودراجونيس ، وأمَّا الأميرات والقهرمانات والأخريات فكان يرافقهن الفرسان الآخرون ، وجاء الجميع مدجَّجين بالأسلحة وسعداء للغاية لتشجيع النسوة ولإدخال السُّرور عليهن .

هكذا عندما اقتربت أوريانا من البر نزلت جراسيندا من فوق الجواد وجثت على ركبتيها عند طرف الجسر ، وأخذت يديها كى تقبِّلهما ، لكن أوريانا جذبتهما منها ولم

ترد تركهما لها ، وقبل ذلك قبَّلتها بحب فيَّاضٍ ، بما أنَّ تلك كانت معتادةً على أنْ تكون متواضعةً للغاية ولطيفةً مع منْ ينبغى أنْ تكون معه كذلك . وبمجرَّد أنْ رأتها جراسيندا عن كثبٍ وشاهدت جمالها العظيم أصابها ذعرٌ كبيرٌ جدا على الرَّغم من أنَّها امتدحتها كثيرًا ، وطبقًا لما رأتها عليه فإنَّها لم تستطع أنْ تصدِّق أنَّ إنسانةً فانيةً يمكن أنْ تبلغ هذا الجمال العظيم ، وهكذا بما أنَّها كانت جاثيةً على ركبتيها ولم تستطع أوريانا إقناعها بالوقوف ، قالت لها :

- الآن ، يا سيدتى الطَّيِّبة ، ينبغى أنْ أقدم الشُّكر لربنا على النعمة الكبيرة التى أنعم علىَّ بها فى ألاَّ أكون فى بلاط الملك والدكم الذى أتيت إليه أخيرًا ، لأنَّنى بالتَّأكيد وإنْ كان فى حمايتى وحراستى أفضل فارسٍ فى العالم ، طبقًا لما أمرت به بسبب الجمال ، فإنَّنى أقولُ : إنَّه من الممكن أنْ يكون عرضةً لخطرٍ كبيرٍ إذا كان الله يقف إلى جانب المنتصر ، وقد كنت فى مغامرةٍ لنيل الشَّرف الذى نلته ، فإنَّ تفوق جمالك الفتَّان إلى حدٍ كبيرٍ مقارنة بجمالى ، وحتى لو كان الفارس الذى يناضل من أجلكم نحيفًا للغاية فإنَّ مطلبى لم يكن ليتحقَّق .

حينئذ نظرت إلى أماديس ، وقالت له :

- سيدى ، لو رأيتم ما قلته إهانةً لكم فاصفحوا عنِّى ، لأنَّ عينىَّ لم تريا قط مثل الجمال الذى أمامهما الآن .

كان أماديس فى غاية السَّعادة لأنَّهم كانوا يمتدحون ويثنون على زوجته هكذا ، قال :

- سيدتى ، إنَّه لظلمٌ كبيرٌ أنْ أعُدَّ من قبيل السُّوء ما قلتموه عن هذه السَّيدة النَّبيلة ، وإذا ما شكوت من هذا فسيكون ذلك ضدَّ أكبر حقيقة لم تذكر من قبل .

كانت أوريانا قد ألمَّ بها حياءٌ كبيرٌ عند استماعها لهذا المدح والثَّناء ، وقد ازداد ذلك بسبب التَّفكير فى حسن الحَّظ الذى حالفها مؤخرًا أكثر من الثَّناء على جمالها ، ردَّت قائلة :

– ياسـيـدتى ، لا أريد أنْ أردَّ على مـا قلتـمـوه لى ، لأنَّنى إذا عـارضت ذلك فسأخطئ ، وإذا أكدته فسيكون خجلاً عظيمًا ومهينًا بالنِّسبة لى ، أريد أنْ تعرفوا فقط أنَّنى سأكون سعيدةً جدا إذا أسهمت فى زيادة شرفك وعلو منزلتك كما تستطيع أنْ تفعل فتاةٌ فقيرةٌ حرمتْ مثلى من الميراث .

حينئذ توسَّلت إلى أجراخيس كى يأخذها ويجلسها حيث توجد أوليندا ، وظلَّت هى مع السَّيد كوادراجانتى ، وقد نُفِّذ ذلك هكذا .

وخرج الجميع من الجسر ، وساعدوا أوريانا على امتطاء جوادٍ لم يكن يُر جوادٌ مثله فى زينته ، والذى كانت والدتها الملكة بريسينا قد أهدته إيَّاها لكى تدخل به روما ، وامتطت الملكة سارداميرا جوادًا آخر وكذلك كل النِّساء الأخريات ، وكانت جراسيندا على ظهر جوادها . وعلى الرَّغم من أنَّ أوريانا ألحَّت كثيرًا فإنها لم تستطع أنْ تُثنى هؤلاء الرِّجال والفرسان الذين كانوا يترجلُّون عن الذَّهاب معها ، ممَّا أخجلها كثيرًا ، لكنَّهم كان يرون أنَّ كلَّ الشَّرف والخدمة التى يقدِّمونها لها يعود عليهم تكريمًا وتعظيمًا . هكذا – كما تسمعون – دخلوا الجزيرة عبر القلعة واصطحبوا هؤلاء السَّيدات اللائى كنَّ مع أوريانا إلى برج البستان ، حيث جهز لهم السَّيد جنداليس أماكن إقامتهن ، والذى كان المبنى الرَّئيسى بالجزيرة كلها على الرَّغم من وجود منازل فاخرة وقصور فخمة فى كثير من أنحاء الجزيرة ، حيث كان ذلك البرج الذى ترك به أبوليدون أروع أعماله الفنية التى حُكى عنها فى الجزء الثَّانى بمزيدٍ من التَّفصيل ، والذى كان مقر إقامته الرَّئيسى ، ولذلك جهَّزه على أكمل وجهٍ وملأه بكثيرٍ من الأثاث والتُّحف الثمينة ، وهو الأمر الذى لم يجرؤ عليه أكبر إمبراطور فى العالم ، ولا حتى على مجرَّد البدء فى تشييد برجٍ مثله .

شيِّد تسعة مبانٍ للإقامة ، كلُّ ثلاثة مبانٍ على حدة ، وكان بعضها فوق بعضها الآخر، وكان كلُّ مبنى له طرازه الخاص ، وعلى الرَّغم من أنَّ بعضها فقط كان قد أُعِدَّ بعبقرية وقريحة الرِّجال ذوى الخبرة الهائلة فقد كان الباقى من إعداد المعرفة الكبيرة والفن الرَّاقى اللذين كان يتسم بهما أبوليدون ، حيث شُيدت وجُهِّزت بشكلٍ يصعب على أىِّ شخصٍ فى العالم تقديره حق قدره ولا حتى إدراك مدى عظمته . وبما أنَّ سرد كلِّ

شيء سيكون عملاً شاقًا فسنقتصر فقط على تشييد القصر وسط البستان ، فقد كان محاطًا بسورٍ عالٍ ذى طلاء وحافة علوية جميلةٍ جدا ، وبأجمل الأشجار والأعشاب من كل الأنواع والأصناف ، ونوافير مياه عذبة جدا لم ير مثلها قط . وكان كثيرٌ من الأشجار مثمرا طوال العام وأخرى ذات زهورٍ جميلةٍ ، كانت بالبستان أبوابٌ قيِّمةٌ من الدَّاخل مجاورة للسُّور وقد أغلقت جميعًا بشباكٍ ذهبيةٍ ، حيث كانت تبدو منها تلك الخضرة الأنيقة التى كانت تملأ جميع أرجائه ، ولم يكن أحدٌ يستطيع الخروج منها ، اللَّهم إلاَّ من خلال بعض الأبواب . كانت الأرض قد زينت وازدانت بالأحجار البيضاء كالبلور وبأخرى ملونة وشفَّافة مثل الياقوت وبأخرى متنوِّعةٍ ، والتى أمر أبوليدون بإحضارها من بعض الجزر الموجودة فى الشَّرق ، حيث كانت تنتشر الأحجار الكريمة ويكثر بها الذَّهب الكثير وأشياء أخرى غريبة نادرة موجودة فى أراضٍ أخرى ، والتى كانت تشتد بها حرارة الشَّمس ، لكن لم يكن يسكنها سوى الوحوش الضَّارية والحيوانات حتى ذلك الوقت الذى عاش فيه أبوليدون ، هذا العالم الجليل الذى أعد بعبقريته مثل هذه الأعمال الرَّائعة، والتى استطاع رجاله دون خوف إنجازها حيث انتبه إليها جيرانه ، لكن لم يصل إليها أحدٌ قبل رجال أبوليدون . منذ ذلك الحين زوَّد العالم بكثير من الأشياء لم يرها حتى الآن ، وقد جلب أبوليدون من هناك ثروات عظيمة . وفى الجهات الأربع لهذا البرج تم جلب أربع نافورات من سلسلة جبالٍ مرتفعةٍ كانت تحيط بالبرج جُلبت مياهها بواسطة مواسير من المعدن ، وكانت المياه تتدفق منها عاليةً من خلال أعمدة من النُّحاس المذهب ، ومن أفواه تماثيل حيوانات كانت تحصل على المياه من تلك النَّوافذ الأولى ، حيث كانت تتجمَّع فى أحواض ذهبيةٍ مستديرة كانت ملتصقة بالأعمدة النُّحاسية . وكان يتمُّ رى البستان كله بواسطة هذه النَّوافير .

إذنْ أقامت الأميرة أوريانا فى البرج الذى سمعتم عنه إلى جانب هؤلاء السَّيدات اللائى سمعتم عنهنَّ كلُّ واحدةٍ فى غرفتها وفقًا لما هى جديرةٌ به ، وأمرت الأميرة مابيليا بتوزيعهن. هكذا قُدِّمت كافة الخدمات للقهرمانات والوصيفات بسخاءٍ كبيرٍ استجابة لأمر أماديس ، ولم يدخل أىُّ فارسٍ البستان أو حيث يقمن كما أمرت بذلك أوريانا . هكذا أرسلت تتوسَّل إلى جميع هؤلاء السَّادة كى يراعوا ذلك طوال الفترة التى تريد أنْ تُقيم خلالها هناك حتى يتم التَّوصل إلى اتفاق صُلح مع والدها الملك .

امتدح الجميع فضيلتها وأثنوا على اقتراحها الرّائع ، وقد أرسلوا إليها يبلغونها بأنّهم سيستجيبون لذلك ولكلٍّ ما يوفر لها الرّاحة من خدماتٍ ، وأنّهم لن يفعلوا شيئًا اللّهم إلا ما تمليه عليهم إرادتها .

وبما أنَّ أماديس كان لا يجد راحة ولا هدوءًا لقلبه المكروب والمهموم إلاَّ إذا كان موجودًا فى حضرة زوجته لأنَّ ذلك كان غاية راحته ، فإنه فيما عدا ذلك كانت الهموم والرَّغبات الفانية تُعذِّبه كما تحدَّثنا عن ذلك مرَّات كثيرةً فى القصَّة الكبيرة ، فهو لا يريد سوى إسعادها ويخشى كثيرًا أن يُمس شرفها بأدنى سوءٍ ، حيث دافع عنه ألف مرَّةٍ معرِّضًا نفسه للموت ، وقد كان أسعد النَّاس بذلك وأنْ ترى تلك السَّيدة ذلك الفارس ذا قلبٍ طيِّب وشريفٍ ، ويهمه أيضا أنْ يعالج عواطفه واهتمامه بها بأن تكون فى حوزته فى مكانٍ لا يخشى عليها أحدًا من باقى العالم ، وقبل أنْ يفقدها يضحى بحياته حتى تتوقف وتفتر تلك المعاناة وذلك اللهيب اللذين كانا يحرقان قلبه دائمًا .

ثم سكن كلُّ هؤلاء الرِّجال والفرسان فضلا عن العامة فى تلك الأماكن، كلٌّ حسب قدره ، بالجزيرة التى كانت تناسبهم سواء من حيث وضعهم الاجتماعى أو منزلتهم ، وكانت تقدم لهم كل الخدمات اللازمة لحياةٍ رغدةٍ ومريحةٍ بسخاءٍ كبيرٍ . وعلى الرَّغم من أنَّ أماديس كان يتحرك كفارس فقير فقد وجد فى تلك الجزيرة كنوزًا كبيرة من عائداتها ، وجواهر أخرى كثيرة ذات قيمة كبيرةٍ كانت والدته الملكة وسيدات أخريات عظيمات أعطينها إيَّاه وأرسلنها له ، فضلاً عن ذلك كله قام كلُّ الأهالى وسكَّان الجزيرة الذين كانوا أثرياء وشرفاء للغاية ، وتفانوا فى تقديم كل الإمدادات من الخبز و اللحوم والخمور والأشياء الأخرى التى استطاعوا تقديمها إليه .

إذن – كما سمعتم – جيء بالأميرة أوريانا إلى الجزيرة اليابسة وأقامت مع هؤلاء السَّيدات وجميع الفرسان الذين كانوا فى خدمتها وشاركوا فى إنقاذها .

الفصلُ الخامسُ والثّمانون

كيف أنَّ أماديس جمَّع هؤلاء الرِّجال ، والإقناع الذى أقنعهم به ، وما اتفقوا عليه فى هذا الشّأن .

أظهر أماديس شجاعة كبيرةً كما كان يتَّسم بذلك ، فكان يفكِّر كثيرًا فى مخرجٍ لهذه التِّجارة العظيمة كما لو كان المسئول عن الموضوع ذاته ، وإن كان هناك كثيرٌ من الأمراء وكبار القوم من الرِّجال والفرسان من أصلٍ نجيبٍ . وكانت حياته إمَّا أن تكون عرضة للموت وإمَّا أن ينجح فى تلك المهمة العظيمة التى كانت تهدِّدُ شرفه وتجعله على حذرٍ كبيرٍ ، وبهذا الحذر وبمشاورة ونصح السَّيد كوادراجانتى ونجل عمه أجراخيس أمر بإحضار جميع الرِّجال الذين تجمَّعوا فى مقر إقامة السَّيد كوادراجانتى فى صالةٍ كبيرةٍ كانت أعظم صالةٍ فى الجزيرة كلِّها . وقد حضر الجميع هناك ولم يتخلَّف أحدٌ ، أمرهم أماديس بالوقوف، وكان بين يديه الأستاذ الطَّبيب إيليساباد الذى كان يشرف به دائمًا ، وتحدَّث إليهم على النَّحو التَّالى :

– أيُّها الأمراء النُّبلاء والفرسان ، لقد جمعتكم هنا لكى أذكركم كيف أنَّ شهرتكم تجوبُ جميع أنحاء العالم ، وتُعرف أيضًا نجابة أصلكم ، وأنَّ كلَّ واحدٍ منكم بوسعه أنْ يعيش فى أرضه ووطنه بكثيرٍ من الملذَّات والرَّذائل ، حيث تتوافر لديكم كثيرٌ من الخدمات فضلاً عن تجهيزاتٍ أخرى لحياة الرَّذيلة والرَّخاء التى اعتدتم عليها ، فتجمعون الثروات فوق الثَّروات . لكنَّكم عليكم أنَّ تضعوا فى الحسبان أنَّ هناك فارقًا كبيرًا فيما يتعلَّق باستمرار استخدام الأسلحة ، والرَّذائل واكتساب الخيرات الدنيوية الزائلة الفانية ، هذا يشبه الفارق بين عقل

الرِّجال والحيوانات الفظَّة، لقد هجرتم الملذات والمتع التى يتوق إليها الكثيرون ، وهناك كثيرون يهلكون ويتهالكون لكى يجمعوا ثرواتٍ كبيرةً ويخلفون مجداً وشهرةً يُثنى عليهما. وبالاستمرار فى هذه المهنة العسكرية للأسلحة حيث لا توجد، منذ بداية العالم حتى عصرنا هذا، أيَّةُ ثروةٍ دنيوية يمكن أنْ تضارع مجد الفرسان ، فأنتم الآن لم تحصلوا على مصالح أخرى ولا سيادة أو سلطات ، اللَّهم إلاَّ تعريض أشخاصكم لمزيدٍ من الجراح وقيامكم بأعمال كبيرةٍ خطيرةٍ ، وكنتم ألف مرَّةٍ على شفا حفرةٍ من الموت وأنتم تنظرون وتتوقون إلى المجد والشُّهرة أكثر من أىِّ مكسبٍ أو ربحٍ يمكن أنْ يتأتَّى منهما مكافأةً على ذلك ، إذا أردتم معرفته ، إنَّه قدركم المزدهر والنَّافع الذى أراد أن يجلب إلى أيديكم نصراً كبيراً مؤزَّراً مثل الذى حقَّقتموه الآن . ولا أقول هذا بسبب هزيمة الرُّومان التى - طبقًا للفارق بين فضيلتكم وفضيلتهم - لا ينبغى أنْ نلقى لها مزيداً من الاهتمام ، بل لأنَّ هذه الأميرة السَّامية المنزلة قد أُنقذَت بفضلكم ، فهى ذات القلب الطَّيِّب وقد تعرضت للأذى والضَّرر الذى لم يحدث لشخصٍ فى منزلتها منذ زمنٍ طويلٍ ، لذلك فإلى جانب ازدياد شهرتكم ومجدكم فإنكم قدَّمتم خدمةً جليلةً لله بتكريسكم جهدكم ذلك لما وُلدتم من أجله ، ألا وهو إنقاذ المقهورين والضعفاء ، وتخليصهم مما لحق بهم من إهانات وأذى ، وما ينبغى أنْ يؤخذ فى الحسبان كثيراً وما يزيد سعادتنا هو أنَّنا أزعجنا وأغضبنا أميرين عظيمين ذوى نفوذٍ ، ألا وهما إمبراطور روما والملك ليسوارتى اللذان إذا لم يريدا التَّحلى بالعقل والإنصاف فإنَّ هذا سيجعلنا نخوض نزاعاتٍ وحروبٍ ضروسة .
من هنا إذنْ ، يا أيُّها السَّادة النُّبلاء ، ما الذى يمكن انتظاره ؟ بالتَّأكيد لا ينتظر شيءٌ آخر، اللَّهم إلا إذا استمرا يحتقران ويزدريان العقل والحقَّ، فإنَّنا ينبغى علينا أنْ نحقِّق انتصاراتٍ عظيمةً تدوِّى أصداؤها فى جميع أنحاء العالم ، وإذا كنَّا نخشى عظمتهما بعض الشَّيء فنحن لدينا كثيرٌ من السَّادة الأقارب والأصدقاء ، لكنَّنا لا نستطيع أنْ نغطِّى أراضى الجزيرة اليابسة كلَّها فى يومٍ واحدٍ فى مواجهة أعدادٍ غفيرةٍ من الفرسان والنَّاس . لذلك ، يا أيُّها السَّادة

الطَّيِّبون ، فليدل كلُّ واحدٍ منكم برأيه فى هذا الشَّأن ، وليس ما يريده ، فأنتم تعرفون أحسن منِّى وتنشدون الفضيلة التى أنتم مضطرون إليها، لكن لتأكيد ذلك والمضى به قُدُما ينبغى أنْ يتمَّ ذلك فى شجاعة كتمانٍ .

وبإرادة قوية كانت تلك الكلمة اللطيفة والشُّجاعة التى ألقاها أماديس فى هؤلاء الرِّجال قد سُمِعت جيداً؛ هؤلاء الرجال الذين كانوا يعتبرون أنَّ من بينهم كثيرين، طبقًا لرجاحة عقلهم ورصانتهم وكتمانهم وشجاعتهم ، يعرفون الرَّد جيداً . لقد ظلَّ هؤلاء برهة صامتين يطلب بعضهم من بعضهم الآخر التَّحدث . حينئذٍ قال السَّيد كوادراجانتى :

- سادتى، إذا كنتم قد تدبَّرتم ذلك جيداً لأنَّكم صامتون (السُّكوت علامة الرِّضا) فسأقول ما عنَّ لعقلى من معرفةٍ وإجابةٍ .

قال أجراخيس :

- يا أيُّها الفارس السَّيد كوادراجانتى ، نتوسَّل إليكم جميعًا القيام بذلك لأنكم ، استناداً إلى مكانتكم وخبرتكم الطَّويلة فى أمور كثيرةٍ ، قد حققتم مجداً تليداً وشرفًا كبيراً من جرَّائها أكثر من أىِّ فردٍ منَّا ، لذلك فالرَّد منوطٌ بكم .

شكر له السَّيد كوادراجانتى تشريفه إيَّاه ، وقال لأماديس :

- أيُّها الفارسُ النَّبيلُ ، إنَّ رصانتكم ورجحان عقلكم أدخل السُّرور على إرادتنا ، وهكذا قلتم إسهابًا كبيراً وسيغضب منْ يسمعه وسأقتصر فى القول على ما يتعلَّق بالحاضر ، لذلك فإنَّ إرادتكم فى الماضى لم ترتبط بالحبِّ ولا بالعداوة، بل كانت موجهة فقط لخدمة الرَّبِّ والحفاظ والتَّشبُّث بما أقسمتم عليه بوصفك فارسا ، ألا وهو انتزاع الشَّجاعة من الوصيفات والقهرمانات اللائى كرَّسن أنفسهن لخدمة الرَّبِّ وخدمتكم، وليكن ذلك واضحاً مع رسلكم إلى الملك ليسوارتى، ومن جانبكم ينبغى أنْ تطلبوا منه الاعتراف بالخطأ السَّابق، وأنْ يتحلَّى بالإنصاف والعقل مع هذه الأميرة التى هى كريمته ، وإبراز الشَّجاعة العظيمة إزاءه ، وتقديم هذه الضَّمانات بالحجة الدَّامغة والتَّأكيد ، دون أن يُمَسَّ شرفنا بسوءٍ

إلاَّ وقد تمكنَّا من ضرورة إصلاحه وتعويضه ، وفيما يتعلَّق به بالنِّسبة لنا فلن نذكر ذلك على الإطلاق لأنَّ هذا الأمر نهائى لا رجعة فيه إذا كان من الممكن إنهاؤه، إنَّنى أثق كثيراً لفضيلتكم وشجاعتكم الكبيرة فى أنه (أى الملك ليسوارتى) سيطلب منا السَّلام حتى الآن ، وسيكون فى غاية السَّعادة إذا منحتموه ذلك ، وبينما يذهب الوفد، وبما أنَّنا لن نعرف كيف ستسير الأمور - ومنْ يقودنا يريد أنْ يخذلنا ليس لكوننا فرساناً جائلين بل بوصفنا أمراء وكبار السَّادة وعلية القوم - فمن اللائق جدا أنْ نستدعى أصدقاءنا وأقاربنا - وهم كثيرون - حينما يتطلَّب الأمر استدعاءهم كى يستطيعوا المجىء فى الوقت المناسب ، وأنْ يكون لعملهم تلك النَّتيجة التى ينبغى أنْ تكون .

الفصلُ السَّادسُ والثَّمانون

كيف أنَّ جميع الفرسان كانوا سعــداء جدا بكلِّ ما اقترحه السَّيد كوادراجانتى .

كان هؤلاء الفرسان جميعهم سعداء جدا بردِّ السَّيد كوادراجانتى ، لأنَّه حسب رأيهم لم يبق شىء لم يذكر . وتمَّ الاتفاق فيما بعد على أنْ يقوم أماديس بإبلاغ ذلك للملك بيريون والده، ويطلب منه كلَّ المساعدة والمعروف وكذلك من رجاله ومن الآخرين من أصدقائه وأتباعه عندما يتم استدعاؤهم . وأن يرسل كذلك إلى جميع الآخرين الذين يعلم أنَّهم يستطيعون ويريدون مساعدته ونصرته وهم كثيرون ، أولئك الذين قدَّم لهم كثيراً من الأعمال البطولية العظيمة حفاظًا على شرفهم ومصلحتهم معرِّضًا نفسه لخطرٍ داهمٍ . وأنْ يقوم أجراخيس بالإرسال أو بالذَّهاب إلى والده ملك اسكتلندا بالشَّىء نفسه أو بشىء من هذا القبيل ، ويرسل السَّيد برونيو إلى والده الماركيس وبرانفيل شقيقه، حيث يتم إبلاغ أكبر قدرٍ من النَّاس فى أسرع وقتٍ ممكنٍ ، وألاَّ يغادر أحد المكان الذى أُرْسِلَ إليه حتى يعرف ردَّ ذويه ، وهكذا فعل جميع الفرسان الآخرين الذين كانوا موجودين هناك لدى الدُّول وأصدقائهم .

قال السَّيد كوادراجانتى إنَّه سيرسل لاندين نجل شقيقه إلى ملكة أيرلندا ، وكان يعتقد أنَّه إذا أقدم زوجها الملك ثيلداذان على مساعدة الملك ليسوارتى بعددٍ من النَّاس اضطراريا فإنها - أى الملكة - ستسمح لجميع رجال مملكتها الذين يريدون أداء الخدمة فى هذا الشَّأن. ومن هؤلاء من رعاياها وآخرين من أصدقائها سيصل عددٌ غفيرٌ من النَّاس الطَّيِّبين . وبعد أنْ اتفقوا على ذلك توسَّلوا إلى أجراخيس والسَّيد فلوريستان

بأن يبلغا ذلك للأميرة أوريانا لكى تأمر بما تراه مناسباً لخدمتها ورعايتها . هكذا خرج الجميع معًا من البلدة ، وخاصة الذين كانوا ينتمون إلى الطبقة الدُنيا حيث يرون هذا العمل خطيراً للغاية ، فهم يخشون الخروج للمشاركة فى هذه المهمة أكثر مما كانوا يظهرونه ، وبما أنَّهم الآن كانوا يرون الحذر الشَّديد والاحتياط من جانب كبار القوم ، وعلى أساس ذلك كانوا ينتظرون مزيداً من العون والمساعدة ، فقد ازدادت شجاعتهم وتبدَّد خوفهم تمامًا . وعندما وصلوا إلى باب القلعة من أجل تلك السَّيدة التى تهيمن على الجزيرة رأوا فارساً مسلَّحًا يصعد ممتطيًا صهوة جواده ومعه خمسة من حاملى أسلحته كانوا يحملون له الأسلحة فضلاً عن احتياجاته وزيناته الشَّخصية ، ظلوا جميعًا فى أماكنهم حتى يعرفوا من هو ، وبمجرَّد أنْ رأوه عن كثبٍ عرفوا أنَّه السَّيد بريان دى مونجاستى الذى تبعهم فى غبطةٍ كبيرةٍ غامرةٍ للغاية لأنَّه كان مسلحًا بكلِّ شيءٍ وكان يُعد فارسًا هائلاً ، وعلى فكرة كان ذا أصلٍ رفيعٍ فقد كان نجلا للاداسان ملك إسبانيا ، فهو شخصية غاية فى الرَّصانة والرَّزانة ورجاحة العقل والشَّجاعة ، فقد كان مشهوراً فى جميع الأنحاء وكان طيِّب السُّمعة وكان فارس العالم الذى يحبُّ أصدقاءه حبا جما ، ولم يكن أبداً معهم إلا ساخراً ومستهجنًا للملذَّات لكونه ذلك الرَّجل الكتوم ذا النشأة الرائعة ، وهكذا كانوا يحبُّونه ويتحدَّثون معه كثيراً ، ولم يستطع التَّفكير فى القدر الذى جمعهم جميعًا ، وإنْ كانوا قد أخبروه بشيءٍ فيما بعد . خرج من البحر إلى تلك الأرض ونزل عن جواده ، وتوجَّه إليهم وقد بسط ذراعيه ، وقال :

– أريد أنْ أعانقكم جميعًا ، فأنتم بالنِّسبة لى شخص واحد .

حينئذ وصل جميع من كانوا فى المقدِّمة وخلفهم أماديس .

وعندما رآه السَّيد بريان سُرَّ سروراً بالغًا ، لا يمكن وصفه وسرده ، فبالإضافة إلى القرابة التى كانت تجمعهما – لكونهما نجلى شقيقين فإنَّ والدة السَّيد بريان ، زوجة ملك إسبانيا كانت شقيقة الملك بيريون الذى كان فارس – فإنه قد أحبه حبا جما وقال له ضاحكًا :

– ها أنتم هنا؟ كنت قادمًا لأبحث عنكم، فعلى الرَّغم من أنَّ جميع الأقدار كانت تنقصنا فإنَّنا كنا مضطرين للقيام بعمل شاق كى نبحث عنكم فى أىِّ مكان تختبئون فيه .

عانقه أماديس ، وقال له :

- قولوا ما شئتم ، لقد أتيتم إلى هذا المكان حيث سأتخذ قرار التَّغيير على وجه السُّرعة ، وهؤلاء السَّادة يأمرونكم باعتلاء صهوة جوادكم وأن تدخلوا هذه الجزيرة حيث يوجد سجنٌ لأمثالكم .

حينئذ جاء الآخرون لكى يعانقوه ، ورغمًا عنه اضطروه إلى امتطاء صهوة جواده وساروا خلفه على أقدامهم يصعدون المنحدر حتى وصلوا إلى مسكن أماديس ، حيث نزل من فوق جواده وقام بنو عمومته أجراخيس والسَّيد فلوريستان بخلع ملابسه وأمرا بأن يحضروا له عباءةً أو معطفًا قرمزى اللون لكى يتدثَّر ، وبينما كان منزوع السِّلاح رأى حوله الكثير والكثير من الرِّجال والفرسان النبلاء الذين كانوا على علم بأعماله الطَّيِّبة وبطولاته ، قال لهم :

- يا أيَّتُها الرفقة العظيمة من الكثيرين الطَّيِّبين ، والتى لا يمكن أن تجتمع هنا إلا لسر كبير ولسبب عظيمٍ ، أخبرونى به يا سادتى فأنا توَّاقٌ لمعرفته لأنَّنى سمعت شيئًا عندما دخلت هذه الأرض .

توسَّل الجميع إلى أجراخيس كى يبلغه بالأمر ، مثلما فعل ذلك فى الماضى ، وهكذا قام بإبلاغه بكلِّ شيءٍ حيث تزايدت لدى أجراخيس الرَّغبة لتلبية ذلك ، هكذا حكى له القصة وقد ألقى بالتَّبعة على الملك ليسوارتى ، وقد أثنى ووافق على ما كان قد فعله هؤلاء الفرسان وما كانوا يريدون القيام به فى المستقبل ، وكانت تحدوه فى ذلك رغبةٌ كبيرةٌ .

عندما سمع ذلك بريان دى مونجاستى ، اهتم به كثيرًا لكونه شخصًا عظيم الكتمان يتوخَّى الحذر جيدًا قبل الخروج أكثر منه عند الدُّخول ، ولكى ينجز المهمة دون أنْ يعرف سرَّ غراميات أماديس فمن الممكن أنْ تكون مشورته معاكسةً تمامًا ، وبطرق ووسائل أخرى على الأقل أكثر شرفًا إذا فكَّر مليا فى الصَّفقة قبل المجيء بهذا الحزم كما هو الحال الآن ، فالملك ليسوارتى ، طبقًا لمعرفته ، شخصٌ شكاكٌ مرتابٌ ويحافظ جيدًا على شرفه، والإهانة كانت كبيرةً جدا ، لذلك فكَّر فى أنْ يكون الانتقام كبيرًا جدا ،

لكنه بمجرَّد أن رأى أنَّ الأمر بلغ هذا الحد ، كان فى حاجة إلى العون أكثر منه للنَّصيحة، خاصة أنَّ من يتزعم الأمر هو أماديس الذى واثق على القيام به ، وقد امتدح الفضيلة المثلى والعظيمة التى استخدمها مع أوريانا بعد أن أكد لكلِّ النَّاس الذين قدموا من طرف والده لنصرته أنَّه أماديس ، وقال لهم إنَّه يريد رؤية الأميرة أوريانا لأنَّه كان يريد أنْ يعرف منها كيف ينبغى عليه أنْ يواصل خدمته تماماً .

قال له أماديس :

– سيدى نجل عمِّى ، لقد جئتم مسافرين وهؤلاء الرِّجال لم يتناولوا طعامهم ، وبينما نرسل للأميرة أوريانا لنخبرها بمجيئكم استريحوا الآن وتناولوا طعامكم ، وفى المساء سنستطيع القيام بذلك على أكمل وجه .

رأى السَّيد بريان هذا الاقتراح حسناً ، وبهذا ودَّع هؤلاء الرِّجال الذين انصرفوا إلى أماكن استراحتهم ، وسيأتون عندما يحلُّ المساء ، أمَّا أجراخيس و السَّيد فلوريستان اللذان أشار إليهم هؤلاء الرِّجال بالتَّحدُّث مع أوريانا – كما ذُكر آنفًا – فقد اصطحبا معهما السَّيد بريان وذهب الثَّلاثة يرتدون أحلى الثِّياب الفاخرة إلى حيث كانت توجد أوريانا، فوجدوها تنتظر إيَّاهم فى غرفة الملكة سارداميرا فى صحبة جميع هؤلاء السَّيدات اللائى سمعتم عنهنَّ من قبل واللائى سردنا لكم قصتهنَّ . بعد وصولهم إلى هناك توجَّه السَّيد بريان إلى أوريانا وجثا أمامها على ركبتيه كى يقبل يديها ، لكنَّها جذبتهما وعانقته أولاً واستقبلته بكل لطفٍ ، هكذا مثلما يحدث بين جميع النُّبلاء فى العالم عندما يلتقون ، وقالت له :

– يا سيدى السَّيد بريان ، مرحبا بكم ، وعلى الرَّغم من أنَّ نبلكم وفضيلتكم يستوجبان استقبالاً حسناً فى أىِّ مكانٍ وزمانٍ ، فإنكم تستحقون هنا أحسن استقبالٍ ، ولأننى أعتقد أنَّ هؤلاء الفرسان النُّبلاء من أصدقائكم قصُّوا عليكم كلَّ ما حدث ، فإن توجهى إليهم لا داعى له ولست فى حاجةٍ إلى أن أُذكركم : بما ينبغى عليكم القيام به، لأنَّه كما اعتدتم وتعودتم من الأفضل إسداء النُّصح عن طلبه ، ويكفى كتمانكم ورصانتكم .

قال السيِّد بريان :

– سيدتى ، إنَّ سبب مجيئى كان يكمن فى أننى منذ زمنٍ طويلٍ رحلت عن المعركة التى كان يخوضها والدكم مع الملوك السبعة ، وذهبت إلى إسبانيا إلى والدى الذى كان يُصفى أمرًا مع الأفارقة ، وقد علمت بأنَّ نجل عمى وسيدى أماديس ذهب إلى بلدان أجنبية حيث لم يعرف عنه أىُّ خبرٍ ، وبما أنَّه هو زهرة ومرآة كل أصلى النَّجيب ، ذلك الفارس الذى أجلُّه كثيرًا وأحبُّه حبا جما ، فقد سبَّب غيابه لى ألمًا شديدًا فى قلبى، واجتهدت كثيرًا ، كما فى تلك المناظرة ، أملاً فى أنْ يتم التَّوصل إلى اتفاق ولكى أكرِّس نفسى لأكون رهن إشارة الجميع للذَّهاب كى أبحث عنه واعتبرت أنَّه فى جزيرته قادنى قدرى السَّعيد وحظى السَّار ، هكذا وجدته وقد جئت فى الوقت المناسب ولدى الرَّغبة دائمًا كى أكون فى خدمتكم كما يبدو من استعدادى . ويا سيدتى ، كما قلتم ، لقد عرفت الآن ما حدث ، ولا زلت أفكِّر إلى حد ما فى ذلك وما سيسفر عنه ، بسبب الوضع الصَّعب لوالدكم ، وإذا جاء وقاده قدره فإنَّ شخصى بكلِّ إرادتى التى أعرضها وأكرِّسها حلا لذلك .

قدمت أوريانا له جزيل الشُّكر على ذلك .

الفصلُ السَّابع والثَّمانون

كيف كان لدى جميع الفرسان رغبةٌ قويةٌ لخدمة الأميرة أوريانا وتشريفها

إنَّه لسببٌ عظيمٌ ينبغى أنْ يُعرف ولا يُنسى ، وهو السبب فى أنَّ هؤلاء الفرسان وآخرين سيُذكرون فيما بعد ، بكثير من الحبِّ ومحض الإدارة ، يريدون أنْ يكونوا فى خدمة هذه السَّيدة، وكونهم على أهبه الاستعداد لخوض المعركة مع هؤلاء الأمراء النُّبلاء ذوى المكانة الرَّفيعة . هل كان ذلك من قبيل القدر والفضائل والنِّعم التى منَّت بها عليهم ؟ أو لأنَّهم كانوا يعرفون السِّرَّ وقصة حبِّها لأماديس أو لسببٍ يتعلَّق بهم ؟ بالتَّأكيد لم يكن هذا ولا ذاك السَّبب الذى ألهب إراداتهم ، لأنَّها لكونها ذات مكانةٍ ساميةٍ فإنَّ الوقت لم يسمح لها بأنْ تقدِّم صنائع معروفها لأىٍّ منهم ، إنَّها لا تملك شيئًا آخر سوى وصيفةٍ مسكينةٍ . فيما يتعلَّق بعلاقاتها الغرامية مع أماديس ، القصَّة العظيمة ، إذا كنتم قد قرأتموها فإنَّها تفصح لكم عن سرِّ ذلك ، إذنْ لابد أنْ يكون لذلك سببٌ . هل تعرفون ما هو ؟ هو أن هذه الأميرة كانت دائمًا وديعةً جدا وذات تنشئة مثلى واحترام جلى ، وخاصة تواضعها الجم الذى اتسمت به فى زمنها ، فهى ذات ذاكرةٍ هائلةٍ وتعامل كل شخص بما هو جديرٌ به ، كان هذا هو السِّرُّ والرِّباط ، وكانت هذه هى الشبكة التى يضعها العظماء لكى يمسكوا بها الفقراء وصغار القوم الذين يقومون على خدمتهم ، وكما نرى ذلك كلَّ يوم دون أيَّة مصلحة يقوم هؤلاء بالثَّناء عليهم ، ويحبُّونهم بمحض إراداتهم ويضطرون لخدمتهم كما يفعل الرِّجال مع تلك الأميرة النبيلة .

إذنْ ماذا سيقال عن العظماء وكبار القوم الذين يتَّسمون بالغطرسة والكبرياء والاستعلاء مع هؤلاء الفقراء ؟ إنَّنى سأقول لكم ذلك :

إنَّ الذين يتصرَّفون مع الصغار بإجابات وردود سخيفة وإيماءات تنمُّ عن الغضب فضلاً عن انتقاصهم لاحترامهم وخدماتهم لا يحظون باحترام هؤلاء الفقراء ويكونون أقل قدرا فى نظرهم ، ويتناولونهم بألسنتهم فى غاية السُّوء ويتمنوَّن لهم أيَّة مصيبة كى يتركوا خدمتهم ويشمتوا فيهم . آه ، يا له من خطأ عظيم ! يا لقلة المعرفة بفضل إحسان صغير مثل الحديث بظرف، الإيماءة الغرامية التى تكلف القليل! هل يفقد شيئًا الذين يُحبون وكونهم محبوسين ومحبوبين من جانب هؤلاء الذين لم يُقدَّم لهم أىُّ فضل ؟! هل تريدون أنْ تعرفوا ما يحدث كثيراً لهؤلاء الذين يحتقرون ويزدرون الآخرين ؟ سأقول لكم ذلك : بما أنَّ ما لديهم يُبدِّدونه ويبذِّرون فى إنفاقه دون أنْ يكترثوا بالأماكن ولا بالأوقات ، ينفقونه فيما لا طائل تحته ولا جدوى منه ، لذلك يعتبرهم النَّاس أغبياء بلهاء وغير كتومين وغير عقلاء بدلاً من أنْ يكونوا ليبراليين وصرحاء ، هكذا يفعل هؤلاء شيئًا مماثلاً ، فهم لا يُشَرِّفون هؤلاء الذين بفضلهم سترتبط شهرتهم وسمعتهم ، إنَّهم يُذَلُّون ويظنُّون أنَّ آخرين كبارٌ عظماءٌ أو من قبيل المغامرة مماثلون وذلك بسبب الخدمة وقلة الشَّجاعة أكثر من اتسامهم بالفضيلة .

وبالعودة إلى المقصد ، بعد انتهاء خطاب أو كلمة بريان دى مونجاستى وعقب تكريم وتوقير وتبجيل الملكة ساردراميرا وهؤلاء الأميرات مع جراسيندا ، وصل أجراخيس والسَّيد فلوريستان إلى أوريانا ، وباحترام جَم أثنى به هذان الفارسان عليهما وقالا لهما : نظراً للاتفاق الرَّائع ، نقلت إليهما نصيحتها تاركةً لهما عبء ومسئولية ما ينبغى عليهما القيام به ، فالأمر يتعلَّق بالفرسان أكثر من كونه يتعلَّق بالوصيفات فأرسلت لهم تتوسَّل إليهما بأن يضعا فى الحسبان دائمًا ضرورة الامتثال لواجباتهم فى الرَّغبة فى التَّوصل إلى سلام مع والدها الملك ، الأمر الذى يتعلَّق بها ويمسُّ شهرتها وعزَّها . بعد أنْ تمَّ ذلك تركت أوريانا السَّيد فلوريستان وبريان دى مونجاستى مع الملكة ساردراميرا وهؤلاء السَّيدات ، وأخذت أجراخيس من يده وذهبت معه إلى ركن بالصَّالة ، حيث جلست وقالت له :

- يا سيدى الطَّيِّب وشقيقى الحقيقى أجراخيس ، على الرَّغم من الثِّقة والأمل الكبيرين جدا لدىَّ بأماديس نجل عمكم وبهؤلاء الفرسان النُّبلاء الذين ينظرون بعين الاعتبار وبحذرٍ شديدٍ إلى شرفهم ومجدهم وأنهم سيمتثلون تمامًا لكلِّ ما يتعلَّق بى ، فإنَّ ثقتى بكم أكبر بكثيرٍ ، وبما أنَّه صحيح أنَّنى نشأت وقتًا طويلاً فى منزل الملك والدكم ، الذى تلقيت منه ومن الملكة والدتكم كثيراً من التَّكريم والملذَّات ، وخاصةً أنَّه منحنى الأميرة مابيليا شقيقتكم ، التى يمكننى أنْ أقول عنها جيداً : إذا كان الله قد أعطانى الحياة الأولى فإنَّ مابيليا منحتنى إيَّاها مرَّات كثيرة ، فلولا رزانتها ورجحان عقلها وترويحها وتسريتها عن نفسى كثيرًا بما يتلاءم مع آلامى، وخاصة لسوء حظى بعد أنْ جاء الرُّومان إلى منزل والدى، لأصابنى الإرهاق واليأس. ولولا سلواها وترويحاتها عنِّى لصعب علىَّ البقاء على قيد الحياة، هذا إلى جانب قضايا أخرى ، وهى كثيرةٌ ، أستطيع أنْ أذكرها ، ولو مكننى الله من أردَّ لها جزاء هذا الصَّنيع فإنَّنى سأكون مضطرَّةً لذلك ، فهذا دينٌ فى عنقى ، إنَّنى أعتقد هكذا فى أعماق نفسى . تعرفون جيدًا عندما يحين الوقت المناسب سأنفذ ما يدور بخلدى ، ممَّا يجعلنى أبوح بأسرار قلبى المعذَّب لكم قبل أىِّ شخص آخر وهذا ما سأقوم به ، وما أخفيه عن الجميع سأفصح عنه لكم ، وما أطلبه منكم الآن هو فقط أنْ تدعوا الغضب والحنق الذى تشعرون به تجاه والدى جانبًا ، وأنْ يعمَّ السلام والوئام على أيديكم والنُّصح والإرشاد بينكم وبين أماديس نجل عمكم ، لأنَّه طبقا لقلبه الشَّديد والعداء الكبير الذى استقر فى قلبه منذ وقت طويل حتى الآن ، فإنَّنى أشكُّ فى أنَّ أىَّ عقل يجرؤ على الحبِّ المحمود يستطيع إنهاء ذلك وإرضاءه . وإذا كان هناك حلٌّ من جانبكم ، يا شقيقى الحقيقى وصديقى ، فبوسعكم اقتراحه ، فإنَّ هذا لن يجنبنا فقط كثيرًا من القتلى ، بل أيضًا سينقذ شرفى ومجدى الذى هو محل جدل فى كثيرٍ من الأرجاء والبلدان ، وستتضح الحقيقةُ جليةً ناصعةً بذلك الحل الذى يتلاءم ويناسب شرفى وعفتى .

سمع أجراخيس هذا ، وبمزيد من التَّواضع والاحترام الجمِّ ردَّ :

- بمزيد من الصَّواب يمكن وينبغي أنْ يُمنح كلُّ ما قلتموه ياسيدتىْ ، وفيما يتعلَّق بما عرفته من والدى الملك ومن والدتى فإنَّ رغبتهما تكمن فى مساعدتك إلى أقصى ما يستطيعان لكى يزداد شرفك وسمو مكانتك كما سيبدو ذلك جليا من العمل ، إذنْ من جانبى وشقيقتى مابيليا سيكون من الواجب الإفصاح عنه وذكره، إنَّ الأعمال تقدِّم شهادةً وبرهانًا كاملاً على الحبِّ والرَّغبة فى خدمتكم ، وفيما يتعلَّق بى أقول إنَّها عين الحقيقة يا سيدتى ، فأنا أكثر النَّاس استياءً من الملك والدكم ، وهكذا فكما أنَّنى شاهدٌ على الخدمات الجليلة والمهمة التى قام بها أماديس ، نجل عمِّى ، وكلُّ سلالتى النَّجيبة ، والتى قمنا بها من أجله ، كما هو جلىٌّ بيِّنٌ للعالم بأسره ، فإنَّنى شاهدٌ أيضا على الجحود العظيم والنُّكران من جانبه ، فإنَّنا لم نطلب منه أى فضلٍ أبداً ، اللَّهم إلاَّ جزيرة مونجاثا لعمِّى السَّيد جالبانيس ، التى فزنا بها تشريفًا لبلاطه ، وقد عرَّض الذى فاز بها حياته للخطر الجسيم ، الأمر الذى يصعب التفكِّير فيه أو الحديث عنه ، هكذا مثلكم ياسيدتى الطيِّبة، فقد رأيتم بأعينكم . ولم يكفنا جميعًا ذلك ولا حتى طيبة قلب عمِّى واستحقاقه العظيم كانا كفيلين بأنْ يحصل على هذا الشَّىء الصَّغير جدا ، وظلَّت الجزيرة ورعاياها تحت سلطان الملك والدكم وسيادته ، ولم يبال بنا ولم يكترث بتوسلاتنا بصلف وتبجح كأنَّنا خدمٌ له وأصبحنا أعداءه . لهذا فليس فى استطاعتى الرَّفض ، لن تكون متعةً وسروراً ألاَّ نساعده فى هذا الضِّيق والمأزق الذى يعانى منه ، وما عليه إلاَّ أن يندم على ما فعله بالجميع ويعترف بالضَّرر العظيم الذى سبَّبه لنا ، ويعترف بالشَّرف والمجد الذى نالهما من جرَّاء خدماتنا التى قدمناها له ، لكن بهذه الطَّريقة بإنكار إرداته وتضييق الخناق عليها سيربح أمام الله مزيداً من المنزلة والسُّمو ، وليجعل ذلك فى سبيل الله. بهذا أكون ، ياسيدتى ، قد أوفيت بمطلبكم ، أريد أنْ أكظم غيظى وحنقى وألاَّ أستجيب لهما ، وفى ذلك الأمر الخطير جدا سيتحقَّق له معرفتى جيداً ، وبالتَّالى سآخذ فى اعتبارى الأمور الأخرى الكثيرة التى أرى نفسى مضطرا

للقيام بها من أجل خدمتكم ، لكن هؤلاء الرِّجال يعتبرونني المدافع الأوَّل الرَّئيسي عن شرفكم ، وسيكون سببًا كبيرًا لإدخال الضَّعف في نفوس الكثيرين منهم أن يشعروا فيَّ بالضَّعف .

- هكذا أطلب منكم يا صديقي الطيِّب - قالت أوريانا - الذي أعرفه جيدًا استنادًا إلى كنه ما حدث ، والذي بهذا النِّقاش الهائل فليس من الواجب أنْ نجعل من القوي الشُّجاع ضعيفًا بل نجعل من الضَّعيف جدا بمزيدٍ من الاهتمام والحذر قويًا شجاعًا من يعرف المطالبة بذلك وأنتم تعرفون ما يناسب ويتلائم وفي أيِّ أوقات يمكن أنْ ينفع أو يضرُّ إنَّني أنقل هذا لكم بذلك الحبِّ الحقيقي الذي يجمع بيننا .

هكذا أنهيا حديثهما وعادا إلى حيث كان هؤلاء الفرسان والسَّيدات يجلسون . لم يتمكَّن أجراخيس من أنْ يرفع عينيه عن سيدته أوليندا مثل تلك التي كانت متيَّمةً به، مما ينبغي أنْ يُصدِّق هكذا ، فبسبب قضيته اضطر للمرور من القوس المسحور للمحبِّين والعاشقين الأوفياء، هكذا وبما أنَّ الكتاب الثَّاني حكى هذه القصة ، لكن بما أنَّه كان من دمٍ نجيبٍ أصيل وذا تربيةٍ راقيةٍ ونشأةٍ وقورة لم تكن مثل هذه الأمور ملحَّةً فقد كانا مضطرين لترك العاطفة والحب والمشاعر جانبًا والاستمرار في التَّشبث بالفضيلة، وبما أنَّه كان على علمٍ بالحياة الشَّريفة العفيفة لأوريانا كان يسعده التَّمسك بها ، وكان عازمًا على قهر إرادته وكبحها ، وعلى الرُّغم من إحساسه بالصُّعوبة الكبيرة حتى رأى أنَّ الصَّفقات التي بدأت كانت قد توقَّفت . هكذا ظلاَّ قليلاً من الوقت يتحدَّثان عن أمورٍ شتَّى يشجعانهم ويلهبان حماسهم وينتزعان الخوف من قلوبهم مثل النِّساء في هذه الحالات الغريبة اعتدن على ذلك ، إذنْ ودعتهم أوريانا وأخبرتهم بردِّها على هؤلاء الذين كانوا قد أرسلوا إليها ، وعلى وجه السُّرعة بدأوا تنفيذ ما كانوا قد اتفقوا عليه وإرسال السُّفراء إلى الملك ليسوارتي ، الأمر الذي عهد به الجميع إلى السَّيد كوادراجانتي والسَّيد بريان دي مونجاستي اللذين كانا جديرين تماما بهذه المهمة .

الفصل الثَّامن والثَّمانون

كيف تحدَّث أماديس مع جراسيندا ، وبماذا ردَّت عليه .

ذهب أماديس إلى استراحة جراسيندا التى كان يحبُّها حبا جما ويقدِّرها ويجلُّها كثيراً ، كما أنَّها تلقت منه كثيراً من التَّشريفات ، وكانت تُفكِّرُ فى أنَّها ردَّت عليها ، وعلى الرَّغم من أنَّه كان قد فعل من أجلها ما حكته القصة فإنَّه كان يعتبر أنَّ هناك فارقًا كبيراً بين ما تفعله البطولات بسبب الفضيلة دون أنْ يعرف عن الذين يتلقوْن ذلك شيئًا كثيراً ، وهؤلاء الذين بعد أنْ يتلقوها يردون عليها ويُسدِّدونها ، لأنَّ الأمر الأوَّل سمة للقلب السَّخى ، والأمر الثَّانى يكون بمثابة المعرفة الحقَّة والشُّكر الجزيل ، لكنَّه دينٌ معروفٌ سيتم سداده، جلس معها على أريكة، وقال لها ما يلى :

- سيدتى ، إذا لم أقم هكذا – كما أريد وأحبُّ – بخدمتكم وإسعادكم وفقًا لما تستحقه فضيلتكم فإنَّنى أطلب صفحكم ، لأنَّ الزَّمن الذى ترونه عليه التَّبعة فى ذلك ، ولأنَّ وضعكم وموقفكم النَّبيل يحكم عليه هكذا . لندع ذلك جانبًا ، لقد تذكرتكم لكى أحدِّثكم وأطلب من فضلكم أنْ تخبرونى نهاية حبِّكم وإرادتكم ، لأنكم خرجتم من أرضكم منذ وقتٍ طويلٍ ولا أدرى هل تشعرون فى أعماق أنفسكم بحزنٍ من جرَّاء ذلك ، لأنَّنى إذا عرفت رغبتكم سأنفِّذها على الفور .

- يا سيدى ، لو أنَّنى اعتقدت أنَّ رفقتكم وصداقتكم لم تُسبِّب لى الشَّرف العظيم لما أتيت بأىِّ حالٍ من الأحوال ، وإنَّ كلَّ الخدمات التى قد تم سدادها فضلاً عن السَّعادة التى قدموها لكم فى منزلى ، إذا كان أحدٌ قد سبَّب لكم سروراً ، سيكون أمراً يحكم عليه الشَّخص الذى أريد، يا سيدى، أنَّ تكون إرادتى كاملةً

كما هى برمتها طوع أمركم ورهن إشارتكم . وإنَّنى أرى أنَّه على الرَّغم من وجود كثيرٍ من الأمراء والفرسان ذوى شجاعة كبيرةٍ شاركوا فى إنقاذ هذه الأميرة ، فأنتم يا سيدى الطَّيِّب أنتم ذلك الرَّجل الذى يُقدِّره الجميع ويجلونه ويطيعونه . لدرجة أنَّ فى رجحان عقلكم وشجاعتكم يكمن كلُّ الأمل والقدر السَّعيد الذى ينتظره الجميع ، وطبقًا لقلبكم الكبير ووضعكم المرموق فأنتم لا تستطيعون الاعتذار عن قبول المهمة بأكملها ، لأنَّه لا يمكن لأىِّ شخص آخر غيركم القيام بها من باب الإنصاف حيث سيحضرُ أصدقاؤكم وأنصاركم وسيحاولون جاهدين الحفاظ على شرفكم ووضعكم المرموق ، ولأنَّنى باسم الإرادة فى البداية أتشبَّث بذلك من أجل أحدهم، وأودُّ أنْ تكون إرادتى واضحةً جليَّةً فى هذا العمل ، ولقد اتفقت على أنْ يذهب الأستاذ الطبيب إيليساباد إلى وطنى ، لكى يبلغ جميع رعاياى وأصدقائى بحذرٍ شديدٍ ، الذين لديهم أسطولٌ كبيرٌ ، لكى يتجمَّعوا عندما يستدعى الأمر لكى يأتوا إلى هنا، ياسيدى، ليخدموكم فيما تأمرونهم به ، بينما سأظلُّ هنا فى صحبة وخدمة هذه السَّيدة مع الأخريات اللائى معها ، ولن أفارقها ولن أفارقكم حتى تنتهى هذه المهمة وأشارك فيها بما ينبغى علىَّ القيام به .

عندما سمع أماديس ذلك منها عانقها ضاحكًا ، وقال :

– أعتقد لو أنَّ كلَّ الفضيلة والنُّبل الموجودين فى العالم فُقدا ، فإنَّنا سنجدهما فيكم أيَّتُها السَّيدة الطيِّبة ، وإذا كان هذا يسعدكم فلكم ما أردتم . فمن الضَّرورى من أجل خدمتكم ولأجل توسلى ورجائى أنْ يذهب الأستاذ الطبيب إيليساباد ، وإنْ كان ذلك سيرهقه ، إلى إمبراطور القسطنطينية برسالتى ، وذلك طبقًا للعرض الذى كان قد قدَّمه لى ، وعدم الرِّضا من جانب الكثيرين بأنَّ تلك الأجزاء خاضعةٌ لسيطرة إمبراطور روما ، وبما أنَّهم يعلمون جيداً أنَّ القضية الرَّئيسية فى المقام الأوَّل معه ، لذلك فإنَّنى سأتشبَّثُ بأنْ أستفيد من شهرته الطيِّبة والفضيلة التى اعتاد عليها فى أنْ يرسل لى من يساعدنى ، وكأنَّ هذا ردٌّ على خدماتى الجليلة له .

قالت جراسيندا إنَّها توافق على ذلك عن طيب خاطرٍ ، وأنَّ الأستاذ الطَّبيب نظرًا للحبِّ الذى يكنُّه لها ، سيعفى من مهمته الأولى وفقًا للمصلحة العامة ، وسيذهب فى ذلك الطريق بالرِّسالة إلى هذا الشَّخص ، وسيكون ذلك بمثابة تشريفٍ وسعادة أكثر من مهمة عملٍ . قال لها أماديس :

- سيدتى ، إنَّ إرادتكم أنْ تظلوا مع هذه السَّيدة سيكون سببًا هكذا فى أنَّ الأميرات الأخريات والسَّيدات المرموقات مثلكم سيرون البقاء فى صحبتها وفى جناح استراحتها، وهكذا ستكونين أيضًا ، وبالتَّالى ستحصلن على الشَّرف والتَّبجيل منها وفقًا لما تستحقه فضيلتكم .

وبعد ذلك نادى على سيده جنداليس وتوسَّل إليه كى يذهب إلى أوريانا ويخبرها برغبة تلك السَّيدة العظيمة التى ستظلُّ فى خدمتها، وأنَّها ستضع ذلك موضع التَّنفيذ ، وأنْ يتوسَّل إليها من جانبها أنْ تأخذها فى صحبتها وأنْ تقوم بتشريفها كما يتمُّ مع هؤلاء السَّيدات المرموقات . وقد تم ذلك بالفعل ، حيث استقبلتها أوريانا بذلك الحبِّ والإرادة كما تستقبل مثل هؤلاء الأشخاص ، لكن لم يكن ذلك من أجل الخدمة الحالية ، بل بما فعلته فى الماضى مع أماديس حيث قدمت له الزَّاد والمؤن والسُّفن لكى يذهب إلى اليونان ، وعلى وجه الخصوص الأستاذ الطبيب إيليساباد الذى كان بعد الله سببًا فى شفائه كما حكت ذلك القصة فى الجزء الثَّالث ، حيث منحه ومنحها الحياة لأنَّها ما كانت تستطيع أنْ تحيا بعد وفاته ، وذلك عندما عالجه من جراحه الكبيرة عندما قتل الشيطان إيندرياجو .

هكذا تمَّ ذلك بعد أنْ تحدَّثت جراسيندا مع الأستاذ الطَّبيب إيليساباد عن كلِّ ما هو ضرورى لكى يقوم بالمذكور أعلاه ، ثم توسَّلت إليه وأرسلته ، وبعد أنْ علم بما كان يريده أماديس أنْ يقوم به وضع الأمر موضع التَّنفيذ ، كما هو الحال فى مثل هذا الأمر حيث أعدَّ له عدَّته . أجابها الأستاذ الطبيب بأنَّه سيقوم بالمهمة التى أمروه بها خير قيامٍ طالما أنَّه لن يُعرِّض شخصًا للخطر . شكره أماديس شكرًا جزيلاً ، وبعد ذلك تذكَّر أنْ يكتب رسالة للإمبراطور ، قال فيها مايلى :

رسالةٌ من أماديس إلى إمبراطور القسطنطينية

" أيُّها الإمبراطور السَّامى ، ذلك الفارس ذو السَّيف الأخضر ، والذى اسمه أماديس دى جاولا ، يقبِّل أيديكم ويذكركم بذلك العرض الذى قدمتموه بسبب عظيم فضيلتكم ونبلكم ، لا من جراء خدماتى لكم ، فقد حان الوقت الآن لكى ترسل لى - بتفضلٍ من فخامتكم فى المقام الأوَّل - جميع أصدقائى وأنصارى الذين يناصرون العدل والإنصاف . كما سيشرح لكم الأستاذ الطبيب إيليساباد وبإسهابٍ ما ينبغى القيام به ، وأتوسَّل إليكم أنْ تصدِّقوا على ذلك . وتفضلوا جلالتكم بقبول أطيب تحياتى شخصيا وجميع من هم فى حراستك ويتبعونك سيكونون فى خدمتكم " .

انتهت الرِّسالة وازداد الاعتقاد فى الثِّقة بالأستاذ الطبيب إيليساباد كما سيبدو ذلك فيما بعد، حينئذٍ استأذن أماديس وسيدته جراسيندا وأبحر لكى يقوم بالرِّحلة التى تمَّت على أكمل وجه كما سيتم الإخبار عن ذلك فى حينه .

الفصلُ التَّاسعُ والثَّمانون

كيف أنْ أماديس أرسل رسولاً آخر إلى الملكة بريولانخا

تحكى القصة أنَّه بعد أنْ ودَّع أماديس الأستاذ الطبيب إيليساباد ، وبعد أنْ سكَّن جراسيندا مع الأميرة أوريانا أمر باستدعاء تانتيليس كبير خدم الملكة الحسناء بريولانخا ، وقال له :

– صديقى الطيِّب ، إنَّنى أريد أنْ تقوم بهذه المهمة من أجلى ، وحذار من الأمور التى ستقومون باتخاذها، وذلك بأنْ تضعوا فى الحسبان مكانتى ووضع شرفى، والقدر الذى يمكن أن يتزايد به هذا الشَّرف ما أمكن ذلك ، وإذا حدث عكس ذلك فإنَّه سينال من هذا الشَّرف . ستذهبون إلى سيدتكم ، وبما أنَّكم رأيتم كلَّ شىء ، ستقولون لها ما يلائم الموقف ، وأنْ تعمل جاهدةً مثل جميع رجالها وأصدقائها لكى تجمع أكبر عددٍ منهم لإرسالهم عندما يستدعى الأمر ، وأنْ تخبرها بأنَّها تعلم تماماً أنَّ أمرى يهمها كما لو كان أمرها ، إذنْ هل أستطيع أنا أنْ أتخلَّف عن مساعدتها ؟!

ردَّ عليه تانتيليس :

– هكذا كما أمرتم ، سيدى ، سينفَّذ فيما بعد من جانبى ، ويمكنكم التَّأكد جيداً من أنه لن يكون هناك أمرٌ ستسعد به أكثر من أنَّ الوقت قد حان لكى تعرفوا الحبَّ الكبير والإرادة والعزم من جانبها ومن جانب مملكتها حسبما تأمرون ، فلا تكترثوا فى هذا الشَّأن فإنَّنى سأجىء حينما يستدعى الأمر بجمعٍ غفيرٍ ، والذى ستُعِدُّه تلك السيِّدة العظيمة التى هى لله ولكم ، فأنتم السَّبب فى منحها كل مملكتها .

شكرهُ أماديس شكرًا جزيلاً وأعطاه رسالة ثقةٍ معه بصفته شخصا كان يحكم كلَّ دولته ، وهــذا كان كافيًا . أبحر فيما بعــد فى سفينةٍ كانت قــد وصلت إلى هنــاك وفعل ما سيُحكى فى وقتٍ لاحقٍ .

بعد ذلك انتحى أماديس جانبًا مع جندالين ، وقال له :

– صـديقى جندالين ، إذا كنت أحتـاج بالضَّرورة إلى أصـدقـاء وأقـارب فى هذه الضَّائقة ولم أستطع تفادى ذلك – وأنت ترى – فإنه على الرَّغم من الحزن الشَّديد الذى سيصيبنى لبعدك عنى فإنَّ العقل يفرض علىَّ أنْ أفعل ذلك ، فأنت ترى كيف أنَّه تمَّ الاتفاق مع جميع هؤلاء الفرسان أن جميع أصدقائنا مطلوبون ومدركون لأنهم يستطيعون المجيء بوقتٍ كافٍ لكى يدافعوا عن شرفنا وعزِّنا ، ولأننى قدمت الكثير من أجل الكثيرين منهم ، كما تعلم ، فلدىَّ الأمل فى أنَّهم يريدون سداد الدَّين وردَّ الجميل المدينين به لى ، وأملى كبيرٌ جدا فى الملك بيريون والدى ، والذى بسببٍ أو من غير سببٍ ينبغى أنْ يجيء لنصرتى ، وأنت أفضل من يقنعه دون خجل بأنَّنى فى حاجةٍ ماسةٍ له، ولإرادة الجميع وأفكارهم . على الرَّغم من وجود كثير من الفرسان المشهورين ونجيبى الأصل هنا ، فإنَّهم يُنسبون إلى الأمر فى المقام الأوَّل ، لذلك من الأفضل أنْ تذهب إليه فى وقتٍ لاحق وتخبره بما رأيت ، وأنت تعرف جيدًا أنَّك ستتركنى وأنا فى حاجة ماسةٍ إليك . وبالنِّسبة للأمور الأخرى ستقول له كيف أنَّنى لا أخشى أيَّة قوةٍ من باقى العالم بأسرة ، مهما كانت تلك القوة ، لكن ستكون قوةً عظيمةً له لأنَّنى نجله الأكبر، ألا أتمكَّن من الرَّد على هؤلاء الأمراء الذين جاءوا رغمًا عنى لدرجة أنَّهم استفزونى ، وأعلم جيدًا أنَّك على يقينٍ من ذلك ، فلست فى حاجةٍ إلى أنْ أقول لك المزيد فى هذا الشَّأن ، اللَّهم إلاَّ أنْ تذهب قبل الرَّحيل إلى مخلصتى مابيليا وتسألها عمَّا إذا كانت تريد أنْ ترسل شيئًا لخالتها وميليثيا شقيقتى ، ولترى سيدتى أوريانا كيف حالها، لأنَّها وإنْ كانت تخفى همومها عن الآخرين ، فإنَّها ستخبرك وستفصح لك عن حبِّها وإرادتها ، وبعد القيام بذلك تذهب برسالة الثِّقة هذه ، التى أعطيتها إيَّاك مكتوبةً ، والتى تقول ما يلى :

ستقول للملك سيدى الذى يُعرف فضله وكيف أنَّه بعد الله أراد أنْ أكون فارسًا على يديه، لم يخطر بخلدى أبدًا أنْ أشقَّ طريقًا آخر سوى طريق الفارس الرَّحال ، وقدر استطاعتى سأقوم بردِّ المظالم والجور والتَّعسف لمن كانوا عُرضةً لها ، وعلى وجه الخصوص الوصيفات والقهرمانات فهنَّ قبل الآخرين ينبغى إنقاذهنَّ ونجدتهنَّ ، ولذلك عرَّضت شخصى لكثيرٍ من الصُّعوبات والأخطار ، ولم أكن أنتظر من جرَّاء ذلك أىَّ نفع أو مصلحةٍ ، اللَّهم إلاَّ العمل فى سبيل الله ، وأن أنال المجد والشُّهرة بين النَّاس . وبهذه الرَّغبة عندما رحلت عن مملكته أردت أن أسير فى الأراضى الأجنبية بحثًا عن الذين يحتاجون لنجدتى ونصرتى ، ولما رأيت ما رأيت فإنه لم يكن هناك - نظرًا لكثرة الأقدار التى مررت بها أو عانيت منها - أفضل منك لكى تقول له جيدًا ما إذا كان يعرف ما يريد . وبعد وقتٍ طويلٍ، وعندما جئت إلى هذه الجزيرة علمت أنَّ الملك ليسوارتى لم يخش الله ، ولم يكترث بنصح رجاله ومواطنيه ، ولا نصح آخرين من غير رعاياه الذين يريدون أنْ يتحقَّق له الشَّرف وأنْ يتفرَّغوا لخدمته ، فأراد قبل ذلك بكلِّ القسوة وبازدراء كبيرٍ لشهرته أنْ يحرم نجلته الأميرة أوريانا من الميراث ، التى بعد أنْ يقضى نحبه ينبغى أنْ تكون سيدة ممالكه ، وذلك لكى يُورِّث كريمته الأخرى الصُّغرى دون أىِّ وجه حق ، ويقدِّم أوريانا زوجة لإمبراطور روما . وبما أنَّ هذه الأميرة اشتكت وتظلَّمت لكلِّ من رأته ، وللآخرين من خلال رسلها ، بكثيرٍ من البكاء والنحيب والضيق الذى عانت منه ، كى يُشفقوا عليها . سمعها ذلك الحاكم العادل الذى يحمى جميع المخلوقات ويرحمها ، وبإرادته ومشيئته تجمع فى هذه الجزيرة كثيرٌ من الأمراء والفرسان العظماء كى ينقذوها ، والذين وجدتهم عندما جئت . وقد علمت منهم تلك الشِّدة وذلك الكرب الذى كانت تعانى منه ، وبالاتفاق معها وبمشورتها تقرَّر أنَّه فى هذا النَّوع من الأمور ليس هناك سوى الفرسان الأكثر اضطرارًا لتخليصها من هذا الكرب العظيم ، لأنَّ ما كسبناه بأنفسنا حتى الآن بالتَّعرض للخطر والمشقَّة لا يمكن أنْ يضيع فى لمح البصر، إذن ليس من الملائم الرُّجوع إلى العقل، لأنَّه طبقًا لجسامة هذا الأمر ، فإنَّ ذلك سيرجع إلى الجبن وقلة المجهود أكثر منه لسبب آخر ينبغى أنْ يحكم به أو يعزى إليه . وهكذا تمَّ ذلك ، فبعد أنْ دمر أسطول الرومان وقُتِلَ وأُسر الكثيرون منهم

تمَّ الاستيلاء عليه من جانبنا وأنقذت تلك الأميرة مع جميع الوصيفات والقهرمانات ، وقد اتفقنا على إرسال السَّيد كوادراجانتى إلى أيرلندا ، والسَّيد بريان دى مونجاستى نجل عمِّى إلى الملك ليسوارتى كى يطالبه من جانبنا أن يتحلَّى بالعقل تمامًا ، وفى حالة إذا ما رفض ذلك ، ستكون مساعدته ضروريةٌ فى المقام الأوَّل وكذلك مساعدة جميع هؤلاء من أصدقائنا ، وأرجو أنْ يكون أكبر عددٍ من النَّاس على أهبة الاستعداد عندما يتم استدعاؤهم ، وأنْ تُقَبِّل يدى الملكة سيدتى نيابة عنِّى ، وتطلب منها أن ترسل إلى هنا شقيقتى ميليثيا كى تكون فى رفقة أوريانا ، ولكى يرى الكثيرون نبلها وجمالها الفتَّان ، وكذلك من أجل المجد والشُّهرة .

بعد أنْ تمَّ ذلك قال له :

– أعد العُدَّة لكى تبحر سفينة من أفضل السُّفن مجهَّزة بأعظم التَّجهيزات ، واصطحب معك من يرشدك ، وتحدَّث مع عزيزتى مابيليا أوَّلاً كما قلت لك .

قال له جندالين إنَّه هكذا سيفعل .

تحدَّث أجراخيس مع السَّيد جنداليس ، سيد أماديس كى يذهب إلى اسكتلندا إلى الملك والد أماديس ، الذى اعتذر له عن عدم الكتابة إليه لأنَّه كان مشغولاً جدا ، ونظراً لطول الوقت وأنَّه موثوقٌ به فى جميع الأمور لا لكونه قريبًا ومستشاراً فقط بل لكونه مواطنًا ، فالاعتقاد إذنْ بأنَّ هذا الفارس بهذا الحب والوفاء وتلك المهارة كان يحاول التَّأثير فى هذه الرِّحلة كى تُؤتى ثمارها ، طالما أنَّ الأمر يتعلَّق بخادمه أماديس الذى كان بمثابة أغلى شىءٍ أحبَّه فى الوجود ، وكيف فعل ذلك سيذكر فى وقت لاحق .

الفصلُ التِّسعون

[أرسل السَّيد كوادراجانتى نجل شقيقه لاندين إلى أيرلندا كى يتحدَّث مع الملكة ، نجلة شقيقه ، وتقوم هذه بإرسال كلِّ رعاياها الذين يمكنهم مساعدته إلى الجزيرة اليابسة، أمَّا السَّيد برونيو دى بونامار ، من جانبه ، فقد أرسل لاسيندور حامل سلاحه إلى والده وشقيقه لكى يطالبهما بالمطلب نفسه] .

الفصلُ الحادى والتِّسعون

[كلَّف أماديس الفارس إيسانخو بالسفر إلى بوهيميا كى يطلب مساعدة الملك طافينور] .

الفصلُ الثَّانى والتِّسعون

[كانت أوريانا توَّاقةً لرؤية أماديس ، وكلَّفت جندالين بأنْ ينقل إلى سيده هذه الرَّغبة دون أنْ يكشف أمام العالم سرَّ علاقتهما الغرامية] .

الفصل الثَّالث والتِّسعون

[حضر أماديس وأجراخيس وجميع الفرسان لكى يروا أوريانا والسَّيدات اللائى كنَّ معها . ومن لسان مابيليا عرف أماديس أنَّ إيسبلانديان هو نجله] .

الفصل الرَّابع والتِّسعون

[علم الملك ليسوارتى بهزيمة الرُّومان وإطلاق سراح كريمته أوريانا . بعد أنْ تلقت الملكة بريسينا النَّبأ التقت مع دُورين الذى كان يحضر معه رسالة من أوريانا] .

الفصلُ الخامسُ والتِّسعون

[توسلت أوريانا إلى والدتها عبر هذه الرِّسالة كي تتحدَّث مع الملك وتُقنعه بأنْ يغير موقفه تجاهها ، لكن ليسوارتى أثبت أنَّه لن يلين . وفى تلك الأثناء وصل السَّيد كوادراجانتى وبريان دى مونجاستى إلى البلاط الملكى سفيرين لأماديس وفرسان الجزيرة اليابسة ، وقد دعا هذان الملك إلى أن يترك جانبًا إجبار أوريانا على الزَّواج من شخصٍ لا تحبُّه ، لكن الملك ليسوارتى رفض اقتراحهما . بعد أنْ أفصحا لإيسبلانديان عنْ أنَّ الفارس الإغريقى هو أماديس دى جاولا ، أبحر السَّفيران من جديد إلى الجزيرة اليابسة] .

الفصلُ السَّادسُ والتِّسعون

[استعداداً للمعركة أمر الملك ليسوارتى السَّيد جيلان كى يذهب إلى بلاط إمبراطور روما بحثًا عن مساعدةٍ ، كما أرسل أيضًا رسلاً إلى السَّيد جالبانيس وإلى الملك جيلدادان ، إلى جاسكيلان عاهل سويسا ، وإلى باقى حلفائه ورعاياه . علم أركالاوس بكل ذلك ونظراً للخلاف بين أماديس وليسوارتى فقد استطاع إقناع الملك أرابيجو باستغلال الظُّروف بالبحث عن أكبر عددٍ من الحلفاء ، لكى يقضى على عدوَّيه اللدودين ويعتلى عرش بريطانيا العظمى] .

الفصلُ السَّابعُ والتِّسعون

[أبحر السَّيد كوادراجانتى وبريان دى مونجاستى صوب الجزيرة اليابسة ، ونزلا بمملكة سوبراديسا حيث استقبلتهما الملكة بريولانخا . ذهبت هذه إلى جانب الفارسين إلى الجزيرة اليابسة . وبعد هذه الرحلة التى هزما فيها تريون – نجل شقيق بريولانجا الذى كان يريد أنْ ينتزع مملكتها – وصلوا إلى الجزيرة اليابسة ، حيث استُقبلوا بسعادةٍ غامرةٍ من جانب أماديس ورجاله] .

الفصلُ الثَّامنُ والتِّسعون

[بعد أنْ استمع إلى ردِّ الملك على الوفد المكوَّن من السَّيد كوادراجانتى وبريان دى مونجاستى قرَّر أماديس وفرسانه محاربة قوات الملك ليسوارتى] .

الفصلُ التَّاسع والتِّسعون

[أُرسِلَ الأستاذُ الطَّبيبُ إيليساباد من قبل أماديس إلى أرض جراسيندا ، حيث حصل على فرسان منها ، كما حصل من إمبراطور القسطنطينية على وعدٍ بأنَّه ورجاله سيأتون لنصرته عندما تبدأ المعارك ضدَّ الملك ليسوارتى] .

الفصلُ المائة

[طلب جندالين المعونة لسيده من الملك بيريون - الذى كان جالاؤر فى مملكته خلال فترة نقاهته - وقد وافق هذا على تقديم المعونة له] .

الفصلُ الأوَّل بعد المائة

[حصل لاسيندور حامل سلاح السَّيد برونيو دى بونامار من شقيق هذا على وعدٍ بنصرة أماديس ورجاله] .

الفصلُ الثَّانى بعد المــائة

[حصل إيسانخو على الوعد نفسه من عاهل بوهيميا] .

الفصلُ الثَّالثُ بعد المــائة

[وعدت ملكة أيرلندا لاندين شقيق السَّيد كوادراجانتى بمساعدة أماديس وفرسانه] .

الفصلُ الرَّابعُ بعد المــائة

[وصل السَّيد جيلان الكويدادور إلى روما لكى يحصل ، من جانب الملك ليسوارتى ، على مساعدة الإمبراطور باتين الذى وافق على ذلك ، وهو على أهبة الاستعداد لكى ينتقم بهذه الطَّريقة لمقتل سالوستانكيديو ولهزيمة وذل الرُّومان ، كما أنَّ الملك جيلدادان وجاسكيلان ملك سويسا قبلا مطلب الملك ليسوارتى ، لكنَّه رُفِض من جانب السَّيد جالبانيس الذى توسَّل للملك ألاَّ يجبره على القتال ضدَّ أماديس] .

الفصلُ الخامسُ بعد المائة

[وصل جراساندور نجل ملك بوهيميا إلى الجزيرة اليابسة ، وحكى كيف أنَّ نجل شقيق الملك ليسوارتى ويدعى خيونتيس – الذى التقى به أثناء رحلته من بوهيميا – ذهب إلى روما بحثًا عن قوات الإمبراطور . وفى تلك الأثناء كان حلفاء أماديس ينزلون فى الجزيرة اليابسة] .

الفصلُ السَّادس بعد المــائة

تحكى القصة أنَّ خيونتيس نجل شقيق الملك ليسوارتى ، بعد أنْ رحل عن جراساندور كما سمعتم ، ذهب مباشرةً إلى روما ، وبسرعته وسرعة الإمبراطور تمَّ تجهيز أسطولٍ كبيرٍ بالأسلحة وعلى متنه عشرة آلاف من الفرسان الذين سنحكى لكم عنهم الآن ، ثم أبحر الإمبرطور ، وبلا أيَّة مشكلةٍ فى الطَّريق وصل إلى بريطانيا العظمى إلى ميناء مقاطعة بنديليسورا ، حيث كان يعرف أنَّ الملك ليسوارتى موجود هناك ، وعندما عرف ذلك امتطى جواده إلى جانب كثيرٍ من رجاله الطَّيبين ، ومع هؤلاء ملكان ، الملك جيلدادان والملك جاسكيلان ، وذهب ليستقبله ، وعندما وصل خرج جمعٌ غفيرٌ من النَّاس من البحر، وكان الإمبراطور معهم ، وبمجَّرد أنْ التقوا تعانقوا واستقبلوا ببهجةٍ وسرورٍ كبيرين . قال له الإمبراطور :

– إذا أصابكم نقصٌ أو إهانةٌ أو غضبٌ بسببى ، يا أيُّها الملك ، فإنَّنى هنا لنحقِّق انتصارًا مزدوجًا لشرفكم ، وبما أنَّنى كنت وحدى السَّبب فى ذلك ، هكذا فإنَّنى أريد ، ورجالى فقط ، أن تمنحنى الفرصة كى أنتقم ، فسيلحق بالجميع العبرة والعقاب ، فأنا بصفتى رجلا مرموق المكانة لن يجرؤ أحدٌ على أنْ يُغْضبنى .

– سيدى وصديقى الطَّيب ، أنتم ورجالكم جئتم عبر البحر مرهقين من جرَّاء الرِّحلة الطَّويلة ، مرهم بالخروج لكى يستريحوا وينتعشوا ويستنشقوا النَّسيم العليل بعد المشَقَّة السابقة ، وفى تلك الأثناء نبلغ أعداءنا ، وأنتم تعلمون أنَّكم بوسعكم اختيار المكان وإسداء النصح الذى يحلو لكم .

أراد الإمبراطور أنْ يكون التَّحرك فيما بعد ، لكن الملك الذى كان يعرف أفضل من غيره ما هو المطلوب ، وأنَّ الأمر يتعلَّق به ، أجَّله حتى يكون الوقت مناسبًا حيث كان يرى أنَّ كلَّ شيء فى تلك المعركة محسومٌ . هكذا ظلُّوا فى الاستضافة الملكية ثمانية أيَّامٍ يجمَّعون النَّاس الذين كانوا يأتون كلَّ يومٍ لنصرة الملك . وهكذا حدث أنَّه ذات يوم والإمبراطور والملوك وكثيرٌ من الفرسان يمتطون صهوات جيادهم يتجوَّلون فى تلك المروج والسُّهول الخضراء المحيطة بالقصر الملكى رأوا قدوم فارسٍ مدجَّجٍ بالسلاح يمتطى جواده وحامل أسلحة كان يحمل له الأسلحة . ولو أنَّ أحدًا سألنى من كان هذا الفارس فسأقول له إنَّه إينيل، الفارس الطَّيب نجل شقيق السَّيد جنداليس ، وعندما وصل إلى القصر الملكى سأل عما إذا كان أركيسيل موجودًا ، وهو قريب الإمبراطور باتين ، وقد قيل له نعم إنَّه موجودٌ ، وإنَّه على متن جواده فى صحبة الإمبراطور، وعندما سمع ذلك سُرَّ سرورًا كبيرًا، وذهب إلى حيث رأى النَّاس يسيرون، فقد فكَّر جيدًا أنَّه هناك ، وعندما وصل إليهم وجد الإمبراطور والملوك يتحدَّثون فى مرجٍ قريبٍ من السَّاحل عن أمور المعركة التى سيخوضونها ، وعرف إينيل أنَّ أركيسيل كان معهم ، فذهب إليهم وحيَّاهم بتواضع جم ، وقد رحَّبوا به ، وبما يأمر . عندما سمع إينيل ذلك قال :

- يا أيُّها السَّادة ، جئت من الجزيرة اليابسة برسالةٍ من ذلك الفارس النَّبيل أماديس دى جاولا ، سيدى ونجل الملك بيريون ، لفارسٍ يُدْعى أركيسيل .

- إنَّنى أنا الذى تطلبونه ، فأخبرونى بما تريدون فكلى لكم أذنٌ صاغيةٌ .

قال له إينيل :

- يا أركيسيل ، إنَّ أماديس دى جاولا يحيطكم علمًا كيف كانوا يلقِّبونه بالفارس ذى السَّيف الأخضر ، وهو فى بلاط الملك طافينور دى بوهيميا ، وقد صل إلى هناك فارسٌ يدعى السَّيد جارادان مع أحد عشر فارسًا آخرين كانوا يرافقونه، وكنتم أحد هؤلاء الفرسان ، ونشبت معركة مع المذكور السَّيد جارادان هزم فيها وقتل كما رأيتم . وفيما بعد ، وفى يومٍ آخر نشبت معركة بينكم ورفاقكم

وبينه هو وفرسانٍ آخرين كما تمَّ الاتفاق بشأنه ، وعندما لحقت بكم الهزيمة وبهم أخذكم أسيرًا . وبناءً على توسلكم أطلق سراحكم ، وقد وعدتموه بصفتكم فارسًا وفيًّا أنَّه فى كل مرَّةٍ يستدعيكم فيها ستعودون إلى سلطانه . والآن هو يستدعيكم من خلالى للوفاء بوعدكم كونكم رجلاً ذا مكانةٍ مرموقةٍ ، وفارسًا طيبًا كما أن تكونوا حقًا كما ينبغى .

قال له أركيسيل :

– حقيقة كل ما قلتموه ، لقد قلتم الحقيقة ، وقد حدث ذلك كما تقولون ، ولم يبق سوى التَّحقق والتَّأكد مما إذا كان ذلك الفارس الذى كان يُلقَّب بالفارس ذى السَّيف الأخضر هو أماديس دى جاولا .

قال له بعض الفرسان الحاضرين هناك إن بوسعه – بلا شك – تصديق ذلك . حينئذ قال أركيسيل للإمبراطور :

– لقد سمعتم ، يا سيدى ، ما يطلبه منِّى هذا الفارس ، الأمر الذى لا يمكننى الاعتذار عنه ، اللَّهم إلاَّ الامتثال لما أنا مضطرٌ إليه ، لأنَّكم بوسعكم أنْ تعتقدوا أنَّه هو الذى وهبنى الحياة ومنع عنِّى هؤلاء الفرسان الذين كانت لديهم إرادة كبيرة للفتك بى ، ولهذا يا سيدى أتوسَّل إليكم ألا يحزنكم رحيلى ، لأنَّنى لو تركت الرَّحيل ففى هذه الحالة لن يكون هذا مدعاة لأن يتخذنى رجلٌ قوىٌ جدا ومن أصلٍ نجيبٍ مثلكم قريبًا له ولا حتى فى رفقته .

وبما أن الإمبراطور كان متسرعًا للغاية، وكان فى أغلب الأحيان ينظر إلى إشباع رغبته وطموحه أكثر من شرف وسمو وضعه ومنزلته ودولته ، قال :

– أنتم أيُّها الفارسُ القادم من طرف أماديس ، أخبره بأنَّنى طفح بى الكيل من كثرة الغضب الذى اعتاد الصِّغار عليه تجاه الكبار العظماء ، إنَّه الآن بعيدٌ عنِّى ولقد حان الوقت لكى يعرف من أنا ، وما أستطيع القيام به ، وأنَّه لن يفلت منِّى فى أىِّ مكانٍ ، ولا فى كهف اللصوص الذى يعيش فيه وأنَّه سيدفع الثَّمن

غالًيا جرَّاء ما اقترفه فى حقِّى حتى أرضى إرادتى ، وأنتم يا أركيسيل امتثل لما يطلبونه منك ، فلن يتأخَّر كثيراً استلامكم ذلك الذى اتخذكم أسيراً كى تفعلوا به ما يحلو لكم .

عندما سمع إينيل ذلك ألمَّ به الغضبُ ، فترك الخوف جانبًا وقال :

– أعتقد جيداً ، يا سيدى ، أن أماديس يعرفكم ، وقد رآكم مرَّةً أخرى فارسا جوَّالا أكثر من كونكم رجلاً عظيماً ، وقد رأيتموه أيضًا ، وأنكم لم تبعدوا عن ذاكرته بسهولةٍ . إذنْ فيما يتعلَّق بالحاضر ، وبما أنكم أتيتم بشكلٍ آخر ، فإنَّه سيأتى بحثًا عنكم، فالماضى يحكم عليه من يعرفه ، أمَّا المستقبل ففى علم الله، فقد اختص به لنفسه ولم يعطه أحداً غيره .

بما أنَّ الملك ليسوارتى رأى ذلك ، فقد ارتاب فى أنْ يتسبَّب أمر الإمبراطور فى إلحاق الأذى بذلك الفارس ممَّا كان سيحزنه كثيراً ، وهذا ما استطاع أنْ يسمعه من كلِّ ما دار بينهما لأنَّه كان بعيداً عنهما جدا ، لكن بصفته ملكا كان أميناً فى كلمته وصارماً للغاية فى العمل . وقبل أنْ يقول الإمبراطور شيئًا أخذه من يده ، وقال له :

– هيًّا بنا إلى خيامنا ، فقد حان وقت العشاء ، وهذا الفارس يتمتَّع بالحرية التى اعتاد عليها وينبغى أن يتمتَّع بها الرُسل .

هكذا ذهب الإمبراطور غاضبًا جدا ، وكأنَّ الغضب كان مع رجلٍ عظيم آخر فى منزلته. اصطحب أركيسيل إينيل إلى خيمته وقام بتكريمه كثيراً وأكرم وفادته، ثم تسلَّح بأسلحته وامتطى صهوة جواده وذهب معه . لم يحدث له شئٌ هنا ، بل وصلا إلى الجزيرة اليابسة فى أمانٍ ووئام ، وبما أنَّهما ذهبا بالقرب من القصر الملكى ، فقد رأى أركيسيل كثيراً من النَّاس ، كانوا رجال إمبراطور القسطنطينية الذين وصلوا ، وقد ذُهل عندما رآهم . وصمت فلم يقل شيئًا ، وكان قد تظاهر بأنَّه لم ينظر إليهم . وأخذه إينيل إلى خيمة أماديس ، حيث استقبل من جانبه ، مثلما حدث أيضًا من قبل فرسان نبلاء آخرين كثيرين ، أحسن استقبالٍ . إذنْ ظلَّ أركيسيل هكذا أربعة أيَّام كان يصطحبه أماديس معه ، وقد أطلعه على جميع النَّاس والفرسان البارزين أيضًا ،

وأنباه بأسمائهم ، والذين لخصالهم الحسنة ومهارتهم البارعة فى استخدام السِّلاح والبطولات التى حقَّقوها كانوا معروفين فى جميع أنحاء العالم . لقد اندهش كثيراً لرؤية مثل هذه الفروسية ، وخاصة هؤلاء الفرسان المشهورين . وكان يعتقد أنَّه إذا حدثت مصيبةٌ للإمبراطور فستكون على أيدى هؤلاء الفرسان ، لأنَّه لم يكن يخشى النَّاس الآخرين ولم يكترث لهم . وإذا لم يكن لديهم هؤلاء القادة فإنَّ شجاعة هؤلاء كانت كافيةً لكى تجعل كلَّ الذين معهم شجعانًا . ورأى جيدًا أنَّ سيدهُ الإمبراطور سينبغى عليه أنْ يكون لديه مزيدٌ من العتاد لكى يخوض المعركة معهم ، وسيكون تعيس الحظِّ إذا وقع أسيرًا فى هذا الوقت ، وأنَّه سمع من على بعدٍ كبيرٍ أمرًا عظيمًا وخطيرًا مثل ذلك، فإذا وقع فى الأسر، سيكون أتعس فارسٍ فى العالم . وعندما عنَّت لخاطره تلك الفكرة ، ودون أن يدرى أو يريد انهمرت دموعه على خدَّيه . وبهذا الحزن الكبير تذكَّر فضيلة أماديس ونبله كما حدث ، فوجود الشُّجاع أماديس وكثيرٍ من الرجال العظماء فى خيمة الملك بيريون وأركيسيل معهم ، لم يكن قد أُخبر حتى تلك اللحظة أين ينبغى أنْ يكون سجنه ، نهض حيث كان وقال للملك :

- يا سيدى ، أتوسَّل إلى فضيلتكم التَّكرُّم بالاستماع إلىَّ أمام هؤلاء الفرسان مع أماديس دى جاولا .

قال له الملك إنَّه سيستمع باهتمامٍ لكل ما سيقوله .

حينئذٍ حكى أركيسيل كلَّ ما حدث فى المعركة التى خاضها هو والسَّيد جارادان ورفاقٌ آخرون مع أماديس وفرسان ملك بوهيميا ، وكيف أنَّهم هُزِموا وأُثخنوا بالجراح ، وكيف لقى السَّيد جارادان مصرعه ، وكيف أنَّ أماديس برجاحة عقله انتزعه من أيدى هؤلاء الفرسان الذين كانوا يريدون الفتك به ، وكيف أنَّه لتوسله وطلبه أطلق سراحه وخلَّى سبيله لأنه بوسعه أنْ يُقدِّم بعض العون لأصدقائه الذين وصلوا ، وقد أخلى سبيله آخذا العهد منه على أنْ يلبى نداء المجىء كلَّما طلب منه أماديس ذلك ، وبما أنَّ القصَّة طويلة فإنَّ الجزء الثَّالث منها قد سردها بإسهابٍ ، وقد استدعى الآن من جانب أماديس ، وقد جاء - كما رأى الجميع ذلك - كى يفى بكلمته وليكون فى ذلك المكان

الذى أمر بأنْ يكون فيه وأشير عليه به ، لكن إذا استخدم أماديس معه ذلك التَّحرر ، نظراً لرجحان عقله وعظيم فضيلته مع الجميع ، فإن لطفه ومساعدته أمرٌ ضرورى ومألوفٌ لديه فى أنْ يسمح له ، فى تلك المعركة الشَّهيرة فى العالم أجمع التى سيخوضها ، بأن يتمكَّن من خدمة سيده الإمبراطور كما كان ينبغى فقد أوفى وعده بذلك ، بوصفه فارسا وفيا وطيبا ، أمامه وأمام جميع الحاضرين هناك إنَّه إنْ بقى على قيد الحياة فسيأتى لكى يقضى مدَّة سجنه حيث يأمر به أماديس الذى كان واقفا معه فى النِّهاية، لكى يشرِّفه . ردَّ عليه قائلاً :

– أركيسيل ، سيدى الطَّيِّب ، لو أنَّنى وضعت فى اعتبارى المكابرة والعناد والكلمات المبالغ فيها للإمبراطور سيدك ، لأقدمت على تنفيذ جميع أموره بصرامةٍ وعنفٍ دون أن أخشى ارتكاب أى عملٍ جنونى ، لكن بما أنَّكم الآن بلا عقوبة ، وأنَّ الزَّمن جمعنا فى هذا الوضع فإنَّ فضيلة كلٍّ منا ستظهر جليةً ، لقد استحسنت مجيئكم ، وفيما يتعلَّق بمطلبكم فإنَّنى أسمح لكم بالمشاركة فى هذه المعركة ، وإذا نجوتم منها فلتعودوا إلى هذه الجزيرة فى غضون عشرة أيَّامٍ لكى تمتثلوا لما آمركم به والذين من طرفى . شكره أركيسيل شكراً جزيلاً ووعده بذلك .

يمكن للبعض أنْ يقول ما سبب ذكره كثيراً لفارس مثل هذا الذى ذُكر قليلاً فى هذه القصة الكبيرة ؟ أقول إنَّ السَّبب فى ذلك هو أنَّ هذا فى الماضى بكثيرٍ من الشَّجاعة حاول التخلص من جميع الإهانات التى لحقت قبل ذلك ، كما ستسمعون فيما بعد ، ونظراً لنجابة أصله ووضعه النَّبيل أصبح إمبراطوراً لروما ، وقد كان أماديس السَّبب الرَّئيسى فى بلوغ هذه السيادة العظيمة ، بصفته شقيقا حقيقيا له ، وعندما سيحين الوقت والفرصة سيحكى ذلك بإسهابٍ حينئذٍ .

خرج هؤلاء الرِّجال من هناك ، وتجمعوا فى خيامهم وأماكن إيوائهم . تسلَّح أركيسيل ، وامتطى جواده وودع أماديس وجميع من كانوا معه وعاد من الطَّريق الذى جاء منه ، ولم تحك القصة أنَّ شيئًا حدث له سوى أنَّه وصل إلى قوات الإمبراطور ،

حيث سعد الجميع بمجيئه ، وعلى الرَّغم من أنَّهم سألوه عن أمورٍ كثيرةٍ ، فإنه لم يذكر شيئًا سوى الوقار العظيم لذلك الفارس النَّبيل أماديس الذى استقبله به ، وبوسعكم الاعتقاد بأنَّ وقاره ومجاملاته كانت كثيرةً وكثيرةً ، والتى لا يمكن أنْ نجدها فى أىِّ فارسٍ فى ذلك الوقت . وأودُّ أنْ تعرفوا أنَّ سبب قيام هؤلاء الفرسان بقطع المسافات الطَّويلة دون أن يجدوا مغامرةً ، كما فى العصور الماضية ، أنهم لم يكونوا يدركون جميعًا ما ينبغى أنْ يجمعوه من لوازم المعركة للفوز بها ، الأمر الذى كان بالنسبة لهم على حد سواء طبقًا لعظم وحجم تلك الإهانة ، وبالتَّالى كانوا يتورطون فى المطالب الأخرى ويبتعدون عن هذه لكونها أمرًا قليل الشَّان .

وصل أركيسيل إلى القصر الملكى ، وتحدَّث مع الإمبراطور على حدةٍ ، وقال له حقيقة كلِّ شيءٍ ، وكذلك أخبره عن العدد الغفير لخصومهم فضلاً عن الفرسان المشهورين البارزين الموجودين هناك ، حيث ذكر له أسماء معظمهم ، وكيف أنَّ أماديس دى جاولا منحه الإذن لكى يشارك فى تلك المعركة ، وأنَّ هذا لن يحزنه كثيرًا ، وأنَّه عندما يتحرَّك بقواته هناك ينبغى علىَّ أنْ أتحرَّك تجاهه دون خوفٍ وأنَّه سيتم إبلاغه بكلِّ شيءٍ لكى أعمل فى خدمته . عندما سمع الإمبراطور ذلك ، وعلى الرَّغم من كونه مكابرًا للغاية وسيئ الخلق ، كما سمعتم فقد كان هكذا فى كل الأمور التى يقوم بها ، على الرَّغم من معرفته لطيبة قلب ذلك الفارس الذى كان يحبُّه بسببها حبا جما وأنَّه لن يقول له إلاَّ الحقيقة ، فإنَّه عندما سمع ذلك وقع مغشيا عليه مثل هؤلاء الذين شجاعتهم تعتمد على أقوالهم أكثر من أعمالهم، ولم يكن يريد المشاركة فى هذا الأمر ، فقد عرف الفارق الكبير بين هؤلاء النَّاس وأولئك ولم يفكِّر فى ذلك قط ، فطبقًا لقوته العظمى ، إلى جانب قوة الملك ليسوارتى ، لم تكن لدى أماديس القدرة ولا العتاد لكى يخرج من الجزيرة اليابسة ، وأنَّهم سيحاصرونه هناك ، هكذا من البر والبحر ، بالشَّكل الذى يستطيع فيه استعادة أوريانا إما بتجويع أماديس ورجاله أو بأيَّة وسيلةٍ أخرى أيًا كانت والانتقام لشرفه المهان . ومن هنا يتقدَّم إلى الأمام وهو يبدى مزيدًا من الأمل والشَّجاعة أكثر ممَّا كانت عليه نفسه ، حاول أن يكون تحت إمرة وإرادة الملك ليسوارتى وهؤلاء الرِّجال الطَّيِّبين .

هكذا ظلُّوا فى ذلك الفسطاط أو المخيَّم الملكى خمسة عشر يومًا يتشجَّعون ويعدُّون العدَّة ويستقبلون الفرسان القادمين إليهم كلَّ يومٍ ، هكذا وجدوا أنَّهم سيتبعون كلَّ هؤلاء : أحضر الامبراطور عشرة آلاف فارسٍ ، والملك ليسوارتى ستَّة آلاف ، وجاسكيلان ملك سويسا ثمانمائة . أمَّا الملك جيلدادان فقد أحضر مائتين .

إذنْ تمَّ إعداد العدَّة وقد أمر الإمبراطور والملوك القوات بالتَّحرك ، ووقف النَّاس فى ذلك المرج الكبير حيث سيبدأون تحركهم ، وهكذا تمَّ توزيع الجنود لخوض المعارك المنوطة بهم ، وقد قسَّم الإمبراطور قواته إلى ثلاث مجموعات . وقد أسند قيادة المجموعة الأولى إلى فلويان شقيق الأمير سالوستانكيديو ، وقوامها ألفان وخمسمائة فارسٍ . أمَّا الثَّانية فقد عَهِدَ بها إلى أركيسيل بنفس العدد . وظلَّ هو على رأس خمسة آلاف لحمايتهم من الخلف ، وتوسَّل إلى الملك ليسوارتى أنْ يكون فى مقدمة الجيش . وهكذا تمَّ ذلك ، فعلى الرَّغم من أنَّه كان يودُّ تولى القيادة بنفسه فإنه لم يكن يثق جيدًا فى هؤلاء النَّاس ، وكان يخشى أنْ يُسبِّب تخبطهم كارثةً كبيرةً لا تحمد عقباها ، لكنه منح القيادة للملك ليسوارتى تكريمًا وتشريفًا له . الأمر الذى لا يحظى – فى مثل هذه الأحوال – بتقدير النَّاس ، حيث ينبغى تجنُّب جميع العواطف والاسترشاد بما يمليه العقل .

قسَّم الملك ليسوارتى قواته إلى مجموعتين : وضع على رأس إحداهما الملك أربان دى نورجاليس ، وقوامها ثلاثة آلاف فارسٍ ، وأمر أنْ يذهب معه نجله نورانديل والسَّيد جيلان الكويدادور والسَّيد ثينديل دى جانوتا وبراندو إيباس ، وأعطى من رجاله ألف فارسٍ للملك كانوا يمثلون المجموعة الثَّانية وأخذ الآخرين معه وأعطى رايته للطَّيب السَّيد جروميدان الذى كان ينظر إلى هذا التَّبديل بقلبٍ مستاءٍ وحزنٍ كبيرٍ لأنَّه اتخذ من الأعداء حلفاء وترك الأوفياء من أتباعه .

بعد أنْ تمَّ ذلك الاتفاق بشأن توزيع المجموعات تحرَّكوا بين الحقول خلف بالات الخيام حيث كان المكلَّفون بإيواء القوات سيُقيمون الفسطاط أو المخيَّم الملكى .

منْ الذى يستطيع أنْ يصف لكم الجياد والأسلحة الرَّائعة والمزخرفة بعدَّة طرق فضلاً عن كونها برَّاقةً ؟ على فكرة ، يحتاج الأمر إلى جهدٍ ومشقةٍ كبيرةٍ لسرد ذلك ، وسيذُكر منه فقط ما يحمله الإمبراطور والملوك وبعض الفرسان البارزين ، لكن ذلك سيكون فى يوم المعركة عندما يتسلحون بها لخوض المعركة . لكنَّنا لن نتكلَّم الآن عنها حتَّى يحين وقتها ، وسيُحكى ما فعله الملك بيريون وهؤلاء الرجال الذين كانوا معه فى الفسطاط أو المخيم الملكى بالقرب من الجزيرة اليابسة .

الفصلُ السَّابعُ بعد المــائة

كيف حرَّك الملك بيريون النَّـاس من المخيَّم أو المعسكر الملكى ضد الأعداء ، وكيف وزَّع المجموعات من أجل المعركة .

تقول القصَّة إنَّ الملك بيريون كان فارسًا عاقلاً جدا وذا شجاعةٍ كبيرةٍ ، وحتى هذه الدَّرجة كان القدر يمتدحه فيما يتعلَّق بالحفاظ والدفاع عن شرفه ، وإنَّه وجد نفسه مضطرًا أمام إهانةٍ كبيرةٍ ، حيث كان ينبغى عليه ، هو وأنجاله وجميع الأفراد الذين ينتمون إلى أسرته نجيبة الأصل أن يتعرَّف على الملك ليسوارتى ذلك الشُّجاع جدا والمنتقم لإهاناته ، وإنَّ الإمبراطور ورجاله لم يكونوا يقدرونه حقَّ قدره ، نظرًا لمعرفتهم وضعه ، كان دائمًا يفكر فيما ينبغى أن يفعله لأنَّه كان يقول لو أنَّ القدر المعاكس حالفه وأنَّ ذلك الملك بصفته كلبا مسعورا لم يرض رغبته بالانتصار الأوَّل وفى صرامةٍ وحزمٍ، فلن أعبأ بأى مجهودٍ ، وسأبحث عنهم أينما يكونون . بما أنَّه يُفكر فى أنَّه منتصر فيما سيقوم به ، وعودة إلى الأمور الأخرى الضَّرورية التى ينبغى أنْ يتزوَّد بها ، لذلك كان للملك بيريون دائمًا أشخاصٌ مندسون بين صفوف الأعداء فى تلك الأماكن يعرف منهم ما يفعله هؤلاء ، كان يتلقَّى التَّحذيرات منهم والأنباء عن كيفية مجىء هؤلاء الأعداء صوبهم وعن كنه تنظيمهم . عُلم ذلك إذنْ ، وبعد ذلك فى يوم آخر فى الصَّباح نهض وأمر باستدعاء جميع القادة والفرسان ذوى الأصل النَّجيب وأخبرهم برأيه عن ضرورة تحرك القوات لتتجه عبر المروج الخضراء ويتم توزيع المجموعات ، ولتعرف كل مجموعة قائدها والإشارة التى ستتحرك على إثرها ، وبعد أنْ يتم ذلك يندفعون صوب الأعداء بشجاعةٍ عظيمةٍ وأملٍ كبيرٍ فى تحقيق النَّصر عليهم بسبب القضية العادلة

التى يدافعون عنها . استحسن الجميع هذا الرَّأى ، وبحب كبير توسَّلوا إليه ، نظراً لكرامته وهيبته الملكيه وشجاعته العظيمة ورجحان عقله ، أن يتولَّى قيادتهم فى ذلك فاستجاب لهم ، لقد كان يعرف أنَّ ما يطلبونه هو العدل بعينه ولم يكن بوسعه من قبيل العقل أنْ يتملَّص منه .

إذن تمَّ وضع ذلك موضع التَّنفيذ ، أقيم المعسكر أو المخيَّم وتسلَّح جميع النَّاس وامتطوا جيادهم فى ذلك المرج الفسيح . وقف الملك الطَّيبُ وسط الجميع ، على جوادٍ جميلٍ جدا وضخمٍ للغاية ، وقد تسلَّح بأسلحةٍ فى قمة الرَّوعة والبهاء ومعه ثلاثةٌ من حاملى الأسلحة وعشرة وصفاء أو فتيان كانوا يحملون رايات المعركة يتحرَّكون بين الصُّفوف ويساعدون الفرسان فيما يحتاجون إليه . وبما أنَّه كان متقدمًا فى السِّنِّ وكانت رأسه ولحيته بيضاء الشَّعر ووجهه متَّقداً من حرارة الأسلحة ومن حماس القلب ، وبما أنَّ الجميع كانوا يعرفون شجاعته العظيمة فقد كان يبدو حسن الهيئة بهى الطَّلعة، وقد أمدَّ النَّاس الذين كانوا ينظرون إليه بشجاعة كبيرةٍ مما جعلهم يفقدون ما لديهم من خوفٍ وذعرٍ ، كانوا يراعون ذلك القائد بعد الله وأنَّه هو الذى سيمنحهم الشُّهرة والمجد فى المعركة ، وهكذ نظر إلى السَّيد كوادراجانتى ، وقال له :

– يا أيُّها الفارس الشجاع ، أعهد إليكم أنْ تكونوا فى المقدمة ، وأنت يا نجلى أماديس وأنجريوتى دى إيستراباوس والسَّيد جابارتى دى بال تيمروسو وإينيل وبالايس دى كارسانتى ولاندين رافقوه مع خمسمائة الفارس الأيرلنديين وألفٍ وخمسمائة من هؤلاء الذين أحضرتهم . وأنت يا أجراخيس يا نجل شقيقى الطَّيِّب خذ المجموعة الثانية وليذهب معكم السَّيد برونيو دى بونامار وبرانفيل شقيقه مع رجاله ورجالكم حيث ستكونون ألفًا وستمائة فارس . وأنتم أيُّها الفارس الشريف جراسياندور تأخذ المجموعة الثَّالثة. وأنت يا نجلى السَّيد فلوريستان ودراجونيس ولاندين دى فاخاركى وإيليان دى لوثانو مع رجال والدكم الملك ومع تريون ورجال الملكة بريولانخا ستكونون ألفين وستمائة فارس سترافقونهم .

وقال للسَّيد بريان دى مونجاستى :

- وأنت أيُّها الفارس الشَّريف ، يا نجل شقيقى تولَّ قيادة المجموعة الرَّابعة مع رجالكم وثلاثة آلاف فارسٍ من فرسان أمير القسطنطينية ، هكذا ستكونون خمسة آلاف فارس وليذهب معكم السَّيد مانداسيل دى لابوينتى دى لابلاتا وسادامون وأورلاندين ، نجل كونت أورلاندا

وأمر السَّيد جنداليس بأنْ يأخذ ألف فارسٍ من فرسانه وأنْ يسرع بأقصى سرعة . وأخذ الملك معه جاستيليس مع رجال الإمبراطور الباقين وجعلهم تحت لوائه ، وتوسَّل إلى الجميع أنْ يعتبروا كأنَّ الإمبراطور شخصيا موجودٌ بينهم .

تمَّ توزيع المجموعات كما سمعتم، وسار الجميع بتنظيماتهم بين مروج ذلك الرِّيف، ينفخون فى كثير من الأبواق وآلات الحرب الأخرى ، كانت أوريانا والملكات والأميرات والوصيفات والقهرمانات ينظرن إليهم ويتضرَّعن إلى الله من أعماق قلوبهن أنْ يساعدهم وأنْ يسود السَّلام بإرادته ومشيئته .

لكنَّ القصة توقَّفت الآن عن الحديث عنهم حيث كانوا سيتجمَّعون فى مواجهة أعدائهم ، كما سمعتم ، وستعود للحديث عن أركالاوس الإنكنتادور .

الفصلُ الثَّامنُ بعد المائة

بمجرَّد أن عرف أركالاوس الإنكَنتادور أنَّ هؤلاء النَّاس قد توجَّهوا للحرب ، أرسل على وجه السُّرعة لاستدعاء الملك أرابيجو وقواته .

كان أركالاوس الإنكنتادور ، كما سمعتم ، قد أبلغ الملك أرابيجو وبارسينان ، ملك سانسوينيا وملك LA PROFU NDA ÍNSOLA (الجزيرة العميقة) الذى كان قد فرَّ من معركة الملوك السَّبعة ، وجميع أقارب داردان المكابر ، ولما علِمَ أنَّ النَّاس قد ذهبت للملك ليسوارتى وأماديس أرسل على وجه السُّرعة فارسًا من أقربائه يُدعى جارين نجل جرومين الذى قتله أماديس وثلاثة فرسان آخرين كانوا مع أركالاوس وأخذ منهم أوريانا - هكذا كما يحكى الكتاب الأوَّل من هذه القصَّة - وأمره بألاَّ يقرَّ له قرار ليلاً أو نهارًا حتى يُبلغ كل هؤلاء الملوك والفرسان وأنْ يطلب منهم المجيء بأقصى سرعةٍ ، وظلَّ هو فى قلاعه يستدعى أصدقاءه ومن هم من أسرة داردان وجمَّع أناسًا كثيرين ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وصل جارين هذا إلى الملك أرابيجو الذى وجده فى مدينته الكبرى التى تُدعى أرابيجا وهى المدينة الرَّئيسية فى مملكته بأسرها ، ومن اسمها فإنَّ ملوكًا هناك كانوا يُسمَّون أرابيجوس ، ولأنَّ سيادته كانت تمتد إلى معظم الأرض الغربية ، وتحدَّث معه بشأنْ ما كان يريد أركالاوس أن يخبره به ومع الآخرين وأنَّ رجاله على علمٍ بذلك ، وبعد أنْ علم الجميع بهذا النَّبأ استدعى الجميع على وجه السُّرعة دون تأخيرٍ أو تسويف ، وذهبوا جميعا ، واجتمعوا بالقرب من مدينة رائعة تخضع لسيادة سانسوينيا كانت تُسمَّى جاليفان ، وأقاموا خيامهم فى هذه الحقول ، وقد بلغ عددهم جميعًا اثنى عشر ألفًا من الفرسان ، وجمَّعوا هناك كلَّ أسطولهم الذى

كان كبيرًا وأبحر فيه جمعٌ غفيرٌ من النَّاس الطَّيِّبين وقد تزوَّدوا بأحسن المؤن والزَّاد بقدر استطاعهم ، وبما أنَّ هؤلاء كانوا سيذهبون إلى مملكةٍ أجنبيةٍ ، فقد ذهبوا بحرًا فى سعادةٍ ودون تأخير . وبعد ثمانية أيَّامٍ وصلوا إلى بريطانيا العظمى إلى الجزء الذى كان لأركالاوس به قلعةٌ حصينةٌ فى ميناءٍ بحرى . كان لدى أركالاوس ستمائة فارسٍ ممتازٍ ، كان معظمهم يكرهون الملك ليسوارتى وأماديس لأنَّهما شرِّيران وقد قتلا كثيرين من أقربائهم ، وكان هؤلاء يفرون منهما خوفًا من بطشهما .

عندما وصل الأسطول هناك لم أستطع أن أُعبر لكم عن مدى سعادة بعضهم مع بعضهم الآخر عندما التقوا ، وقد عُلم من خلال جواسيس أركالاوس كيف أنَّ رجال الملك ليسوارتى وأماديس كانوا يتحرَّكون لمواجهة بعضهم بعضا والطُّرق التى سلكوها ، ثم تحرَّكوا هم بكل فرقهم ومجموعاتهم . وقد كان فى مقدِّمة القوات بارسينان ، وهو فارس شاب وعنيد وتوَّاق للغاية للانتقام لمقتل والده وشقيقه جاندلاور ولإثبات الشَّجاعة وحماس القلب، فتقدم على رأس ألفى فارسٍ وبعض رماة السِّهام والقوَّاسين. وكان أركالاوس على رأس المجموعة الثَّانية ، وبوسعكم أن تُصدِّقوا أنَّه لم يكن من حيث الجهد والشَّجاعة المنقطعة النَّظير أقل من بارسينان، فقبل كل شىء ، وعلى الرَّغم من أنَّ نصف يده اليمنى كان مبتورًا ، لم يكن هناك فى منطقة رحبةٍ شاسعةٍ مترامية الأطراف فارسٌ يجيد فن استخدام الأسلحة يضارعه فى ذلك ولا شجاعٌ أكثر منه ، لكن أعماله السَّيئة وأموره الزَّائفة قلَّصت كثيرًا من المجد والشهرة اللذين نالهما بشجاعته الفائقة. كان أركالاوس يقود ستمائة فارس ، لقد أعطاه الملك أرابيجو من رجاله ألفين وأربعمائة مقاتل أمَّا المجموعة الثَّالثة فقد كانت بقيادة الملك أرابيجو والملك الآخر عاهل الجزيرة مع النَّاس الباقين وقد اصطحب معه ستة فرسان من أقرباء برونتاخار دانفانيا الذى قتله أماديس فى حرب الملوك السَّبعة ، عندما كان يرتدى القبَّعة الذَّهبية كما حكى ذلك الكتاب الثَّالث من هذه القصَّة ، وقد كان برونتاخار دانفانيا هذا شجاعًا جدا فضلاً عمَّا يتمتَّع به من ضخامة الجسد والقوة الهائلة ، وكانوا يأملون أن يحقق النَّصر مع قواته ، وكان ذلك على وشك الحدوث لولا أنَّ أماديس رأى مدى الخسائر التى كبدَّها لقوات الملك ليسوارتى ، وأنه إذا استمرت المعركة وقتًا طويلاً لكان

ذلك كافيا لكى يكون النَّصر والشَّرف حليفين له ، فتوجَّه نحوه وبضربةٍ واحدة أعجزه تمامًا ، لدرجة أنَّه سقط فى الميدان حيث قضى نحبه . إنَّ هؤلاء الفرسان السِّتَّة الذين أحكى لكم عنهم جاءوا من جزيرة القَّواس أو رامى السهام حيث يقال إنَّه فى البداية كان القوَّاسون يشيدون مساكنهم ، وكانوا من العماليق وذوى قوةٍ هائلةٍ مثل هؤلاء الذين ينحدرون من العماليق الكبار ولم يكن هناك عماليق شجعان مثلهم فى العالم . علم هؤلاء بهذه المعركة وقرَّروا المشاركة فيها لكى ينتقموا لمصرع برونتاخار ، ذلك الذى كان أهم رجلٍ فى أسرته كما يؤكد ويبرهن على ذلك هؤلاء الفرسان الذين سمعوا كثيرًا عن شهرته ومجده ، ولهذا السَّبب جاءوا إلى الملك أرابيجو الذى تحدَّث معهم كثيرًا وتوسَّل إليهم لكى يخوضوا معه معركته ، وقد قبلوا ذلك ضد إرادتهم لأنَّهم كانوا يريدون أنْ يرسلهم إلى المقدِّمة . وفى تلك الأثناء وصل إلى هناك دوق بريستويا ، حيث استدعاه أركالاوس، ولم يجرؤ على الرَّفض ، فلم يكن لديه مبرِّرٌ ولو تافهٌ لكى يتعلَّل به ، لكنَّه عندما رأى العتاد العظيم والعدَّة الهائلة من النَّاس الذين تجمعوا، قرَّر الذِّهاب معهم لكى ينتقم إذا استطاع لمقتل والده الذى قتله السَّيد جالبانيس وأجراخيس مع أوليباس كما حكاه هكذا الكتاب الأوَّل من هذه القصَّة، وليسترد أرضه التى انتزعها منه الملك ليسوارتى قائلاً له إنَّ والده قُتِلَ خيانةً وغدرًا ، وفكَّر فى أنَّه إذا لحقت الهزيمة بالملك ليسوارتى سيعود إلى مملكته وعرشه ، وإذا هُزِمَ أماديس فسينتقم من هؤلاء الذين ألحقوا به ضررًا كبيرًا. ولما وصل ورآه الملك أرابيجو وهؤلاء الرِّجال وتمَّ إخبارهم بمن هو ذلك الفارس ، سعدوا به كثيرًا وتشجَّعوا كثيرًا بمجيئه لأنَّهم كانوا يقدرون ويجلُّون ذلك الرَّجل كثيرًا ، لأنَّه من أبناء هذه الدِّيار وكان لديه بها بعض المنازل الفسيحة والقلاع ، وبالتَّالى فهو أفضل بكثير من الغرباء معرفة بدروبها ومسالكها . كان هذا الدَّوق ممتازًا مع رجاله ومع ستمائة فارس أعطاهم إيَّاه الملك أرابيجو . بمثل تلك الرفقة ، كما تسمعون ، وبهذا التَّنظيم تحركَّت تلك الجماعات فى طريقٍ فسيحٍ وتوخَّت الحذر جيدًا واتفقت على أنْ تُعسكر فى مكان آمن يأمن فيه أفرادها على أنفسهم جيدًا ، وحينما تحين اللحظة المواتية ينقضُّون على أعدائهم .

الفصلُ التَّاسع بعد المـائة

كيف أنَّ إمبراطور رومـا والملك ليســوارتى كانا يتوجَّهان بجميع فرقهما صوب الجزيرة اليابسة بحثًا عن أعدائهم .

تحكى القصَّة أنَّ إمبراطور روما والملك ليسوارتى رحلا عن المخيَّم أو المعسكر الملكى القريب من بينديليسورا مع تلك الفرق العسكرية التى ذكرناها لكم من قبل ، واتفقا على السَّير ببطءٍ شديدٍ لأنَّ النَّاس والجياد كانوا مرهقين ، وفى ذلك اليوم لم يسيروا سوى ثلاثة فراسخ وأقاموا معسكرهم بالقرب من غابةٍ فى وادٍ فسيح ، وقضوا تلك الليلة هناك . وفى اليوم التَّالى رحلا بتنظيماتهما التى سردناها لكم آنفًا ، هكذا واصلا طريقهما حتى علما من بعض الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الأراضى أو البلدان بأنَّ الملك بيريون وقــواته كانوا قـادمين صوبهم وأنَّ ما يفصل بينهما لا يتعدَّى مسيرة يومين . وقد أمر الملك ليسوارتى الفارس LADASIN EL ESGRIMADOR (لاداسين المبارز) نجل عم السَّيد جيلان بأن يتحرَّك مع خمسين فارسًا على بعد ثلاثة فراسخ من مقدمة قواته لكى يتعرَّفوا على طبيعة الأرض التى ستسير فيها القوات ، وفى اليوم الثَّالث التقوا بحرس الملك بيريون الذى كان قد أرسل ، فى مهمة مماثلةٍ ، إينيل وأربعين فارسًا آخرين ، وهناك مرَّ فرسان الجانبين وقد أبلغ كلٌّ منهم قيادته بنتيجة المهمة الموكلة إليه . ولم يجرؤ أىٌّ من فريقى الاستطلاع على الاشتباك مع الفريق الآخر اتباعًا للأوامر الصَّادرة إليهما من قيادتيهما . وقد اقتربت القوات من الجانبين ، وأصبحت على مسافة نصف فرسخ فقط فى أرض فسيحةٍ سهليةٍ ومستويةٍ جدًا . وكان فى هذه القوات فرسان كثيرون خبراء عظام فى الحرب ، وبالتَّالى كان

الفارق ضئيلاً بين الجانبين فى هذا الأمر ، ولم يكن هناك من اتفاق بين الجانبين ، اللّهم إلا قيام كل منهما بتحصين معسكره بحفر خنادق كثيرة ودفاعات أخرى بغية اللجوء إليها إذا نزلت بهم الهزيمة .

هكذا كانت هذه القوات – كما تسمعون – إلى أنْ وصل جندالين حامل سلاح أماديس الذى جاء إلى الجزيرة اليابسة برفقة ميليثيا دى جاولا ، وكانا قد أسرعا قدر استطاعتها لكى يصلا قبل أنْ تبدأ المعركة ، وكان سببُ ذلك يكمن فى أنَّ جندالين هو نجل ذلك الفارس الطيِّب السيِّد جنداليس الذى ربَّى أماديس ، وكان شقيق أماديس فى الرَّضاعة ، ومنذ ذلك اليوم الذى أصبح فيه أماديس فارسًا وسمِّى فتى البحر عرف أنَّه ليس شقيقه ، وحتى تلك اللحظة ظلاً كشقيقين ، ومنذ ذلك الوقت كان جندالين حاملاً لأسلحته . ورغم أنَّ جندالين قد أزعج أماديس لكى يصبح فارسًا ، فإن أماديس لم يجرؤ على أنْ يجعل من جندالين فارسًا ، لأنَّ ذلك كان أكبر علاج لحبه وغرامياته . إنَّ جندالين كان سببًا فى كثير من المرَّات فى دفع الموت عنه، وذلك طبقًا للضِّيق والهموم والأحزان التى كان يعانى منها أماديس من جراَّء حبِّه لزوجته أوريانا ممَّا كان يُعذِّبه كثيراً ويحزن قلبه ، ولولا أنه كان يجد فى جندالين السَّلوى دائما فى تلك الظُّروف لقضى أماديس نحبه حزنا وكمداً ، كما أنَّ جندالين كان يعرف كلَّ أسرار أماديس التى لم يكن يستطيع التَّحدُّث عنها مع أىِّ شخص غيره ، ولو أنَّه لظرفٍ ما ابتعد جندالين عنه لكان ذلك بمثابة سلب الحياة من أماديس ، وبما أنه كان يعلم جيداً أنه لو جعل من جندالين فارسًا فلن يتمكنا من أنْ يكونا معًا ، لأنَّه سيكون من صالحه السَّير بحثًا عن المغامرات كى يكتسب مجداً وشرفًا ، وإن كان ينبغى على أماديس أنْ يفعل ذلك ردا على الجميل الذى قدمه له جنداليس والد جندالين، حيث انتشله من البحر وربَّاه فى كنفه كما حكت هذه القصَّة العظيمة ذلك، كما أنَّ جندالين قدَّم خدمات جليلة لم يقدمها حاملُ أسلحة لفارسه. لم يكن أماديس يجرؤ على أنْ يبعد جندالين عنه، وبما أنَّ جندالين كان يعرف ذلك وكان راجح العقل للغاية ، فضلا عن حبِّه لأماديس حبا جما، فهو على الرَّغم من رغبته الجامحة فى أنْ يكون فارسًا كى يثبت أنَّه نجل الفارس الطيِّب جنداليس ونشأ على يدى ذلك الرَّجل ، فإنه لم يجرؤ على الإصرار كثيراً على هذا

الأمر لأنَّه رأى أنَّ أماديس فى حاجةٍ كبيرةٍ إليه . لكن الآن ، وبما أنَّه يرى أنَّ أوريانا سيدة أماديس توجد الآن فى حوزته ، وبالتَّالى لن ينتزع حياته منه لا عن طبيب خاطر ولا رغمًا عنه ، فقد اتفق معه على أنْ يمكنه من أنْ يكون فارسًا الآن ، وخاصة فى أمرٍ مهيبٍ وعظيمٍ وبارزٍ جدا مثلما ستكون تلك المعركة . وبهذا التَّفكير ، وبعد أنْ توجَّه بالتَّحيات إلى الملكة والدته ، وبعد أنْ رحَّب بشقيقته ميليثيا والسُّرور البالغ لأوريانا ومابيليا وجميع هؤلاء السَّيدات اللائى شعرن به لوجود ميليثيا معهنَّ ، وبما أنَّ أجمل شيءٍ فى العالم أنْ ترى أوريانا والملكة بريولانخا وميليثيا اللائى استحوذن على جمال العالم كله ، وكذلك شقيقه جالاؤر الذى تحسَّن كثيرًا وتلقيه للتَّحيات التى كان يرسل بها إليه . أخذ جندالين أماديس على حدةٍ ذات يوم حتى لا يسمعه أحدٌ ، وقال له :

- سيدى ، إننى تركت بإرادتى ورغبتى مطالبتكم بأنْ أكون فارسًا هو الأمر الذى كان سيناسبنى تمامًا وبالتَّالى كنت أستطيع تحقيق الشَّرف والمجد وأسدِّد الدَّين لوالدى وأسرتى النَّجيبة الأصل ، وأنتم تعرفونه جيدًا أنَّ هذه رغبتى دائمًا فى أنْ أخدمكم وأعلم جيدًا مدى احتياجكم لخدماتى دائمًا ، وقد تأثر شرفى إلى حد ما حتى هذه اللحظة ، فلقد آثرت خدمتكم على رغبتى ، أمَّا الآن فبوسعكم أنْ تعذرونى لأنَّنى أرى فى حوزتكم تلك السَّيدة التى كانت سببًا فى حزنكم وبثكم وهمكم ، وبالتَّالى فليس معى ولا مع آخرين أستطيع أنْ أجد عذرًا أو مبرِّرًا لكى أترك سلاح الفروسية . فإننى أتوسَّل إليكم ، ياسيدى ، بأنْ تتكرموا بالسَّماح لى بذلك لكى تدخلو السُّرور والبهجة على قلبى ، فأنتم تعرفون مدى الخزن الذى سيلحق بى إذا لم أحقق ذلك من الآن فصاعدًا ، وسأظلُّ فى أىِّ مكانٍ وبأيَّة وسيلة رجلكم لكى أخدمكم بالحبِّ والإرادة اللذين تعرفونهما عنِّى دائمًا .

عندما سمع ذلك أماديس ظلَّ مضطربًا لبرهةٍ من الوقت لم يستطع الكلام ، وقال له :

- آه يا صديقى الحقيقى وشقيقى ، إنَّه لأمرٌ فى غاية الخطورة الاستجابة لما تطلبه منِّى ، وإنَّنى لأشعر بالحزن العميق وكأنَّ قلبى يفارق جسدى ، ولو كان باستطاعتى تفادى ذلك بأيَّة وسيلةٍ لفعلت . لكنَّنى أرى أنَّ مطلبك عادلٌ جدا ،

ولا يمكن رفضه بأيِّ حالٍ من الأحوال ، واستناداً إلى اضطراري للرضوخ لرغبتك وإرادتك فإنَّنى أقرِّر أنَّ ما طلبته منى سيتم ، وإنْ كان ذلك سيحزننى فقط لأنَّنى لم أعرف به قبل ذلك ، لأنَّه بتلك الأسلحة والجواد الذى يستحقه شرفك سيتحقَّق لك الشَّرف الذى تتوق إليه .

جثا جندالين راكعًا أمامة لكى يقبِّل يديه . لكن أماديس جذبه وعانقه وقد اغرورقت عيناه بالدُّموع من جراَّء الحبِّ الجمِّ الذى كان يُكنُّه له ، وقد أحسَّ بالوحدة والحزن الكبيرين اللذين سينتابانه لعدم وجود جندالين معه ، وقال له :

- سيدى ، لا تكترث بذلك ، فإنَّ السَّيد جالاوُر بطيبة قلبه ورجحان عقله ، عندما قلت له إنَّنى أريد أنْ أكون فارسًا ، أرسل لى كى أحصل على جواده وجميع الأسلحة ، لأنَّه بمرضه لن يستفيد منها ، وقد اعتبرت ذلك تفضُّلاً منه وقلت له إنَّنى سآخذ الجواد لأنَّه ممتازٌ جدا وكذلك الدِّرع والخوذة ، لكن الأسلحة ينبغى أنْ تكون أسلحةً بيضاء ، لأنَّها هى التى تناسب الفارس الجديد المبتدئ ، لقد أعطانى سيفه ، وأنا ، ياسيدى ، قلت له : إنكم ستعطوننى أحد السيوف التى كانت قد أعطتها لكم الملكة مينوريسا عاهلة اليونان . وبينما كنت هناك أعددت كلَّ الأسلحة الأخرى الملائمة بجميع سماتها وخصائصهما . ولدىَّ كلُّ شىءٍ هنا .

- إذن ليكن الأمر كذلك - قال أماديس - سيكون ذلك ليلاً قبل اليوم الذى ستبدأ فيه المعركة سيتم تسليحك فى مصلَّى الملك والدى ، وستمتطى ظهر جوادك مسلَّحًا . وعندما نريد الهجوم على أعدائنا ، سيجعل الملك منك فارسًا ، فأنت لا تعرف أنَّه لا يمكن أنْ تجد فى العالم بأسره رجلاً أفضل منه كى تتعلَّم على يديه هذه المهنة .

قال له جندالين :

- سيدى ، إنَّ كلَّ ما تقوله حقيقه وصدقا ، ولن أجد رجلاً آخر فارسًا مثل الملك ، لكنَّنى لن أكون فارسًا إلاَّ على أيديكم .

– إذنْ بما أنك تريد ذلك – قال أماديس – فلك ما أردت ، وافعل ما أقوله لك .

– سيتمُّ كلُّ ذلك كما تأمرون – قال جندالين – إنَّ لاسيندور حامل أسلحة السَّيد برونيو أخبرني الآن عندما وصلت بأنَّه حصل على إذنٍ من سيده لكي يصبح فارسًا ، وبالتَّالي سنتدرب معًا على الأسلحة ، وليرشدني ويهديني الله برحمته كي أستطيع الوفاء بخدمته والجهاد في سبيله ولكي أقدِّم الخدمات لشرفي ، كما تنصُّ على ذلك تقاليد سلاح الفروسية وأعرافه ، وأنْ تظهر عليَّ جليةً التَّربية التي تلقيتها منكم .

لم يقل له أماديس شيئًا أكثر من ذلك ، لأنَّه كان يشعر بحزن كبير عندما سمع ذلك منه، وكان ذلك الحزن يزداد عندما فكَّر في أنَّ ذلك سيتم ويدخل حيز التَّنفيذ .

هكذا ذهب أماديس إلى حيث يوجد الملك والده الذي كان يعزِّز تحصينات المعسكر ويعدُّ كلَّ الأمور المتعلِّقة بالمعركة مثلما كان أعداؤه يفعلون أيضًا . هكذا ظلَّت القوات يومين لا همَّ لها سوى تبصير وتنبيه كلِّ الأفراد على المهام الموكلة إليهم لكي يكونوا على أهبة الاستعداد لخوض المعركة . وفي اليوم التَّالي في المساء وصل جواسيس الملك أرابيجو إلى الجبل الذي كان على مقربة من هناك ، ولم يريدوا إظهار أنفسهم ، لأنَّهم هكذا أُمروا ، وقد رأوا المعسكرين قريبين بعضهما من بعض كما قلنا لكم . ثم أخبروا بذلك الملك أرابيجو . الذي اتفق مع كلِّ هؤلاء الفرسان على أنْ يعود الجواسيس بحيث يستطيعون رؤية كلِّ ما كان يتمُّ ، وليظل الملك وقواته مختبئين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا في ذلك المكان، وحتى لو جاء هؤلاء النَّاس ليناوشوهم طلبًا لنزالهم فلا يخشوهم، وأنَّهم بوسعهم التَّسلل من سلسلة الجبال والإبحار في سفنهم إذا رأوا أنفسهم في مأزقٍ لا مناص منه ، وإذا خاضوا غمار المعركة فسيخرجون من هناك دون أدنى شك أو ريبةٍ وسينقضُّون على الذين يهاجمونهم . وهكذا فعلوا ، حيث تمركزوا في مكانٍ وعرٍ وحصينٍ واتخذوا كل الإجراءات واحتلوا كلَّ المداخل والمنحدرات المؤدِّية إلى الجبل وقد تمَّ تحصينها وتعزيزها فأصبحت آمنه كقلعةٍ حصينةٍ ، وانتظروا إشارات من جواسيسهم ، لكنَّهم لم يستطيعوا الاختفاء كثيرًا لأنَّهم قبل الوصول إلى هناك لم يتم

إخبار الملك ليسوارتى عن كيفية نزولهم أرضه ولا عن الأعداد الغفيرة من النَّاس التى جاءت هناك ، ولهذا السَّبب أمر بالاستيلاء على كلِّ الأطعمة والماشية وكلِّ شىءٍ فى هذا الجزء من تلك المقاطعة ، وفرَّ أهالى القرى والنُّجوع الضَّعيفة إلى المدن الكبيرة والصَّغيرة والتفوا حولها ودافعوا عنها ولم يبرحوها حتى انتهت المعركة ، وترك فيها بعض فرسانه الذين كان فى حاجة ماسةٍ إليهم تحسبًا لكلِّ الأمور . لكنَّه لم يعرف شيئًا آخر عمَّا فعلوه ولا أين مكانهم .

علم الملك بيريون أيضًا عن هؤلاء النَّاس وارتاب فيهم ، لكنَّه لم يكن يعرف أين يوجدون . هكذا سبَّب هؤلاء الأعداء الخوف للجانبين ، وظلَّ الوضع على ما هو عليه كما تسمعون . وبعد مرور ثلاثة أيَّام تمَّ إقامة المعسكرات ، ولقد أصاب الجزع الشَّديد الإمبراطور باتين لأنَّه كان يريد أنْ تبدأ المعركة ، أيًا كان منتصرًا أو مهزومًا ، لم يكن يرى الوقت الذى سيعود فيه إلى وطنه ، لأنَّ هذا يحدث كثيرًا للرِّجال المتسرِّعين ، الذين اعتادوا القيام بمهامهم على عجلٍ ودون تريثٍ لأنَّهم ، يملُّون مثل هذا الإمبراطور الذى يدير شئونه بطريقة طائشةٍ غير متأنية .

كما طلب كلٌّ من أماديس وأجراخيس والسَّيد كوادراجانتى وجميع الفرسان الآخرين من الملك بيريون بإلحاحٍ بدء المعركة ، وليكن الله الحكم العدل فيها ، ولم يكن الملك يريد أنْ تبدأ المعركة ، مخالفًا بذلك رأى الجميع ، حتَّى تتهيَّأ كل الظُّروف تمامًا ، ثم أمروا فيما بعد بأنْ يذهبوا جميعا للاستماع للقدَّاس عند الفجر وأنْ يتسلحوا جيداً، وليتوجَّه أفراد كلِّ فرقةٍ أو جماعةٍ إلى قائدهم لأنَّ المعركة ستبدأ بعد ذلك ، وهذا ما تمَّ أيضًا من جانب الأعداء الذين علموا بالأمر فى وقتٍ لاحقٍ .

رنت الأبواق عند قدوم الفجر ، وكانت تُسمع أبواق الجانبين وكأنَّهما كانا متجاورين . بدأ النَّاس فى التَّسلح ووضع سروجهم على جيادهم ، وسُمع القُدَّاس فى الخيام وقد امتطى الجميع صهوات جيادهم وانضم كلُّ فردٍ إلى فرقته . ومن ذا الذى كان يستطيع مهما كانت فصاحته وذاكرته ، ومهما رأى ذلك وركز فيه بجميع قواه الذهنية، أنْ يحكى أو يكتب عن الأسلحة والجياد بزخارفها والفرسان المجتمعين هناك ؟ وعلى فكرة كان

ضربًا من الجنون أنْ يستطيع شخصٌ مهما كانت فطنته التَّعرف على ما كان يدور بخلد كلِّ رجلٍ في الميدان ، لذلك سنترك العموميات وسنركز هنا على ذكر بعض الخصوصيات ، وسنبدأ بإمبراطور روما الذى كان شجاعًا جسدًا وقوةً وكذلك فارسًا ممتازًا إذا لم يكن مسرفًا فى عناده ومكابرته وتحلِّى بقليل من الرَّصانه والرَّزانة . فقد تسلَّح هذا الإمبراطور بأسلحةٍ سوداء ، هكذا كان درعه وكذلك خوذته وشعاراته باستثناء رسم لوصيفةٍ على درعه عند خصره تشبه أوريانا أُعدَّ من الذَّهب ، وقد صنُع بشكلٍ هائلٍ وقد زين بكثيرٍ من الأحجار واللآلئ الثَّمينة ، وقد رُصعت فى الدِّرع بمسامير من الذَّهب ، وفوق الأرضية السَّوداء لحافة الخوذة كانت هناك بعض السَّلاسل المنسوجة والمطرَّزة بمهارة فائقة ، وقد اتَّخذها شعارًا ، وقد أقسم على ألاَّ يتركها حتى يأسر أماديس وجميع الذين ساعدوه فى انتزاع أوريانا منه . امتطى جوادًا جميلاً وضخمًا وكان يمسك بحربته فى يده . هكذا خرج من المعسكر وذهب إلى حيث تمَّ الاتفاق على تجميع رجاله ، ثمَّ خرج بعده فلويان ، شقيق الأمير سالوستانكيديو وقد تسلَّح بأسلحةٍ صفراء وسوداء تنقسم إلى أربعة أجزاء متساوية ، ولم يكن بها سوى ذلك ، اللَّهم إلاَّ كونه بارزًا ومميزا بين رجاله . ثم خرج عقبه أركيسيل . كان يحمل أسلحةً زرقاء وبيضاء وفى وسطها فضةٌ ، وكانت جميع أسلحته مرصَّعةً بورودٍ من الذَّهب ، هكذا كان متميزًا . كان الملك ليسوارتى يحمل أسلحة سوداء ونسورًا بيضاء عليها ونسرٌ أبيض على الدِّرع ، بلا أىِّ ثراءٍ آخر . لكن فى النهاية خرجوا فى شجاعةٍ منقطعة النَّظير طبقًا للحماس الذى ألهبه فيهم صاحب المعركة (الملك ليسوارتى) . حمل الملك جيلدادان أسلحةً كلها سوداء ، بعد أنْ هُزِمَ فى معركة المائة فى المائة مع الملك ليسوارتى حيث أصبح ملتزمًا بدفع الجزية له ، ولم يحضر أسلحةً غيرها على الإطلاق ، أمَّا عن جاسكيلان ، ملك سويسا ، فلن نتحدَّث عن أسلحته إلاَّ فى حينه ، كما ستسمعون فيما بعد . بالنِّسبة للملك أربان دى نورجاليس والسَّيد جيلان الكويدادور والسَّيد جروميدان فلم يريدوا إلا التَّسلح بالأسلحة المفيدة أكثر من كونها أسلحةً جميلة المظهر ، وقد أظهروا حزنًا كبيرًا لأنَّهم كانوا يرون سيدهم الملك فى ضيق وإهانةٍ من جراَّء هؤلاء الذين تجمَّعوا فى منزله وكانوا فى خدمته وقد شرَّفوه كثيرًا .

سنذكر لكم الآن الأسلحة التى كان يحملها الملك بيريون وأماديس وبعض هؤلاء السَّادة العظماء الذين كانوا فى جيشه . تسلَّح الملك بيريون ببعض الأسلحة ، كانت الخوذة والدِّرع نظيفين لامعين برَّاقين جدا ، كانا من الفولاذ الجيد ، وكانت شعاراته من الحرير الملون ذى اللون الزَّاهى ، وكان يمتطى جواداً أعطاه إيَّاه السَّيد بريان دى مونجاستى نجل شقيقه والذى كان والده ملك إسبانيا قد أرسل له عشرين جواداً جميلاً للغاية وزعها على هؤلاء الفرسان ، هكذا خرج تحت شعار إمبراطور القسطنطينية . أمَّا أماديس فقد تسلَّح بأسلحةٍ خضراء، وهى الأسلحة نفسها التى كان يحملها عندما صرع فامونجومادان ونجله باساجانتى اللذين كانا أكبر وأقوى عملاقين موجودين فى العالم ، وقد رصِّعت جميعا بأسودٍ من الذَّهب ، وكان يُحبُّ هذه الأسلحة حبا كثيرا ، لأنَّه حصل عليها عندما خرج من LA PENA POBRE (الصَّخرة الفقيرة) ، وبهذه الأسلحة ذهب ليرى سيدته فى قلعة ميرافلوريس ، كما حكى لنا الكتاب الثَّانى من هذه القصَّة . أمَّا السَّيد كوادراجانتى فقد أخرج أسلحةً بنية اللون وزهوراً من الفضَّة وامتطى أحد جياد إسبانيا. وفيما يتعلَّق بالسَّيد برونيو دى بونامار لم يرد تغيير أسلحته، فقد كان هناك صورة وصيفةٍ على الدِّرع وفارس قد جثا راكعًا أمامها ، كان يبدو أنَّه يطلب منها معروفًا وفضلاً . أمَّا السَّيد فلوريستان الطيِّب والعادل العظيم فقد كان يحمل أسلحةً ملوَّنةً ومزخرفة بزهورٍ من الذَّهب عليها ، وكان له جوادٌ ضخم من جياد إسبانيا . أمَّا أجراخيس فقد كانت أسلحته ذات لون وردى رقيق ، وعلى الدِّرع يد وصيفةٍ لديها قلبٌ وقد ضمَّته إلى صدرها . ولم يرد أنجريوتى الطَّيِّب أنْ يغيِّر أسلحته ، ذات الزَّخارف الزَّرقاء والفضِّية ، أمَّا جميع الآخرين فلن نذكر ما كانوا يحملونه من أسلحةٍ حتى لا نغضب القرَّاء ، كانوا يحملون أسلحةً ثمينةً جدًّا ، وكانت ألوانها جميلةً كما يروق لهم . وهكذا خرج الجميع إلى الميدان ، فى تنظيمٍ رائعٍ .

تجمَّع النَّاس كل مجموعة مع قائدها ، كما سمعتم ، وقد تحرَّكوا ببطءٍ شديدٍ بين الحقول عند شروق الشَّمس التى كانت تشعُّ على أسلحتهم. وبما أنَّها كانت كلها أسلحةً جديدةً وبراقةً ، كانت تلمع لدرجة أنَّ رؤيتها كانت تَسرُّ الأعين. إذنْ فى تلك الأثناء وصل جندالين ولاسيندور حامل أسلحة السَّيد برونيو ، وهما مسلَّحان بأسلحةٍ بيضاء

كما يقتضى الحال بالنِّسبة للفرسان الجدد . ذهب جندالين إلى حيث كان يوجد سيده أماديس، ولاسيندور إلى السَّيد برونيو. عندما رآه أماديس قادمًا هكذا خرج من المعركة متَّجهًا إليه ، وتوسَّل إلى السَّيد كوادراجانتى كى يوقف النَّاس حتى يلتقى بالفارس حامل أسلحته . أخذه معه وذهب إلى مكان الملك بيريون والده . وقال فى الطريق :

– ياصديقى الحقيقى ، أتوسَّل إليك كثيراً أنْ تبقى معى اليوم فى هذه المعركة ، وأنْ تكون حذراً جدا وألاَّ تبتعد عنِّى كى أستطيع مساعدتك عندما يستدعى الأمر ذلك، فأنت على الرَّغم من أنَّك شهدت كثيراً من المعارك ومواجهات كبيرة، وفى اعتقادك أنَّك تعرف القيام بمهام القتال على أكمل وجهٍ وأنَّه لا تنقصك فى ذلك سوى الشَّجاعة ، لا ينبغى أن تعتقد ذلك فهناك فارقٌ كبيرٌ بين الرُّؤية والقتال ، لأنَّ كلَّ واحدٍ يعتقد أنَّ الإنسان بالمشاهدة يستطيع أنْ يقوم بكلِّ شيءٍ ، أمَّا إذا دخل المعركة وشارك فيها، فإنه يجد كثيراً من الصُّعوبات والعراقيل الكبيرة، التى لم يكن قد فكَّر فيها من قبل. وهذا لأنَّ كلَّ شيءٍ يكمن فى مباشرة القتال، وإن كان الإنسان يستطيع أنْ يتعلَّم شيئًا بالرُّؤْيَة . وبما أنَّ بدايتك ستكون فى مواجهة كبيرةٍ بالأسلحة مثل المعركة الحالية وكذلك على شرفك ، وهو شرفٌ رفيعٌ ، فإنه يجب الحفاظ عليه بمزيد من الرَّصانة والمعرفة الحقَّه ، وألاَّ تصيب الشجاعة عقلك بالاضطراب عندما نهاجم أعداءنا ، وسأحميك ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وهذا ماستفعله أيضًا من أجلى عندما ترى ذلك ضروريًا .

عندما استمع جندالين إليه قال :

– سيدى ، سينفَّذُ كلُّ شيءٍ كما تأمرون قدر استطاعتى ومعرفتى ، وأتضرَّع إلى الله أنْ يكون كذلك ، سأكون فى الأماكن التى تستدعى نجدتكم ومعونتكم .

هكذا وصلا إلى حيث يوجد الملك بيريون ، وقال له أماديس :

– سيدى ، إنْ جندالين يريد أنْ يُصبح فارسًا ، ويسعدنى كثيرًا أنْ يكون على أيديكم ، لكنَّه يسعده أنْ يكون ذلك على يدىَّ ، جئت أتوسَّل إليكم كى يكون التَّدريب بالسَّيف على أيديكم ، لأنَّه حينما يقتضى الأمر سيذكر هذا الشَّرف العظيم لمن علَّمه ذلك . نظر الملك بيريون إلى جندالين وعرف جواد السَّيد جالاؤر، نجله ، فاغرورقت عيناه بالدُّموع ، وقال :

– صديقى جندالين ، كيف كان حال السَّيد جالاؤر عندما رحلت عنه ؟

قال له جندالين :

– سيدى ، إنَّه تحسَّن كثيرًا من مرضه ، لكنَّ الألم والحزن يعتصران قلبه ، فعلى الرَّغم من إخفاء رحيلنا عنه فإنَّه علم بذلك جيدًا ، وإنْ كان لم يعرف سببه ، وقد استحلفنى لكى أقول له الحقيقة إذا كنت أعرفها ، فقلت له : سيدى ، إنَّ مافهمته من ذلك أنَّنا سنذهب لنصرة ملك اسكتلندا ، والد أجراخيس، حيث كانت لديه مشكلة مع بعض جيرانه، ولم أرد إخباره بالحقيقة .

– تنهَّد الملك من أعماق قلبه لأنَّ جالاؤر هو فلذة كبده وكان يحبُّه حبا جما ، وكان يُفكِّر فى أنَّه لا يوجد فارس فى العالم سواه ، وبالتَّالى فبالشَّجاعة والسُّبل الأخرى ينبغى أنْ يكون جندالين فارسًا ممتازًا ، وقال :

– آه يا ابنى الطيِّب ! تَضرَّع إلى الله ألاَّ أشهد مصرعك، وبالشَّرف العظيم أتمنَّى أنْ ينتهى نزاعك مع الملك ليسوارتى ، لأنَّه عندما تتحرَّر من ذلك ستكون حرا فى نصرة إخوتك وأسرتك النجيبة .

حينئذ أمسك أماديس بسيف كان أحضره له دورين ، شقيق الوصيفة الدَّانماركية الذى أمره بأن ينتظره، وأعطاه للملك ، وقد درَّب أماديس جندالين لكى يصبح فارسًا ، فقَبَّله ووضع له المهماز الأيمن ، وعلَّمه الملك استخدام السَّيف . وهكذا أتمَّ تدريبه على فنون الفروسية على أيدى أفضل فارسين مهارةً فى استخدام الأسلحة على الإطلاق ،

وأخذه معه وعاد إلى السَّيد كوادرادجانتى ، ليعانق جندالين تكريماً وتعظيماً وتشريفًا ، وعندما وصلا إليه قال له :

– ياصديقى ، أتضرَّع إلى الله أنْ تستخدم فروسيتك استخدامًا حسنًا مثلما فعلت حتى الآن بفضيلتك وسلوكياتك الحميدة بوصفك حاملا ممتازا للأسلحة ، وأعتقد أنَّك ستكون هكذا ، لأنَّ البداية الطيبه دائمًا تكون لها نهايةٌ حسنةٌ .

شعر جندالين بالخجل وقد أحسَّ بالتَّكريم والتَّشريف من جانب السَّيد كوادراجانتى .

أمَّا لاسيندور فقد أصبح فارسًا على يدى سيده ، وقد درَّبه أجراخيس على فن استخدام السَّيف . وبوسعكم أنْ تصدِّقوا أنَّ هذين الفارسين الجديدين قاما بأعمال قتالية كثيرةٍ فى هذه المعركة وقد تعرَّضا كثيراً للمخاطر ونالا الشَّرف والمجد العظيم طوال أيَّام حياتهما ، هكذا ستحكى لكم القصة بإسهاب فيما بعد . وذهبا إلى المعركة كما أقول لكم ، ولم يسيرا كثيراً حتى وجدا أنفسهما فى مواجهة أعدائهما الذين جاءوا فى تنظيماتهم التى سمعتم عنها من قبل ، وعندما اقترب بعضهم من بعض عرف أماديس أنَّ شعار إمبراطور روما فى مقدِّمة الجيش ، فسُرَّ سروراً كبيراً لأنَّ مع هؤلاء ستكون الضَّربات الأولى ، فهو على الرَّغم من أنَّه يكره الملك ليسوارتى يتذكَّر دائمًا أنَّه نزل ضيفًا فى بلاطه الملكى ، وأنَّه نال تكريمًا وتشريفًا عظيمين من جانبه ، وكان يخشى على وجه الخصوص كونه والد سيدته أوريانا التى كان يخشى أنْ يغضبها ، وكان يُكن لها حبا حقا فى قلبه ، ولذلك كان سيفعل ما فى وسعه دون أنْ يلحق به كثيراً من الأذى ، وبالتَّالى سيبتعد عن مكان الملك ليسوارتى لكيلا يلتقى معه فى مواجهةٍ وحتى لا يغضبه ، على الرَّغم من أنَّه كان يعرف جيداً ، استناداً إلى الأمور السَّابقة ، أنَّ هذا الوقار لم يكن سيحظى به من جانب الملك ليسوارتى، بل كان يتمنَّى مصرعه بوصفه عدوا لدودا . لكن أقول لكم عن أجراخيس إنَّ فكره كان بعيداً تمامًا ومختلفًا عن فكر أماديس لأنَّه لم يكن يتضرَّع إلى الله ، اللَّهم إلاَّ لكى يتمكَّن من الوصول إلى الملك ليسوارتى ليقتله ويقضى على كلِّ رجاله ، فقد كانت دائمًا فى ذهنه الإهانة التى

حدثت له فيما يتعلَّق بجزيرة مونجاثا وما حدث لعمِّه أيضًا ، السَّيد جالبانيس ، وما فعله رجال ليسوارتى معه ، فعلى الرَّغم من أنَّه كان قد أعطاه الجزيرة نفسها فإنَّ ذلك كان من قبيل الازدراء والعار أكثر من كونه تشريفًا وتكريمًا . ولو أنَّه قد التقى بعمِّه فى ذلك الوقت لأقنعه برفض أخذ هذه الجزيرة كى يعطيه جزيرةً أخرى من مملكة والده ، وبهذا الغضب الجامح الذى كان يعانى منه مرأتٍ كثيرة أوشك أنْ يخسر تلك المعركة لأنَّه كان يعرِّض نفسه للأخطار أملاً فى أنْ يقتل الملك ليسوارتى أو يأسره ، لكن بما أنَّ هذا كان شجاعًا ومتمرِّسًا فى مثل هذه الأمور لم يكترث به كثيراً ولم يترك القتال فى جميع الأماكن الأخرى بالمعركة مثلما سيروى فيما بعد .

أوشكت المعارك على التَّداخل بعضها فى بعض ، ولم يبق سوى رنين صوت الأبواق والنَّفير . كان أماديس فى المقدِّمة، فرأى مجىء حامل أسلحةٍ على جوادٍ يركض سريعًا من جانب الأعداء ، وكان يسأل بصوت عالٍ عما إذا كان هناك أماديس دى جاولا. رفع أماديس يده لكى يصل إليه، وهكذا فعل حامل الأسلحة ، وعندما وصل إليه قال له :

- يا حامل الأسلحة ، ماذا تريدون ؟ إنَّنى أنا الذى تنادون عليه . نظر إليه حامل الأسلحة - وفى رأيه أنه لم ير فارسا فى حياته قط مسلَّحًا بهذا الشَّكل ممتطيًا صهوة جواده - وقال له :

- يا سيدى الطَّيِّب ، إنَّنى أعتقد جيدًا فيما تقولونه لى ، إنَّ مظهركم يشهد على شهرتكم العظيمة .

- إذن أخبرونى بما تريدون - قال أماديس .

قال له حامل الأسلحة :

- سيدى ، إنَّ سيدى جاسكيلان ، ملك سويسا ، يذكِّركم بأنَّه فى الزَّمن الماضى عندما خاض الملك ليسوارتى حربًا ضدَّكم وضدَّ السَّيد جالبانيس وفرسان آخرين كثيرين من جانبكم ومن جانبه كانوا فى جزيرة مونجاثا ، إلى جانب

الملك ليسوارتى فإنه كان يفكِّر وتتوق رغبته فى أنْ يقاتلكم، ليس لعداوته لكم ولكن بسبب الشُهرة العظيمة التى تحظون بها من جرَّاء أعمال فروسيتكم العظيمة ، التى قمتم بها فى تلك الحرب . ولقد عاد إلى وطنه مثخنًا بالجراح لما علم بأنَّكم لن تكونوا فى المكان الذى يرغب فى أن تكونوا فيه ، والآن أخبره الملك ليسوارتى بهذه الحرب التى تشاركون فيها حيث أنَّ سببها لا يمكن أن يكون مبررًّا لحربٍ كبيرةٍ أو معركةٍ شرسةٍ ، لذلك جاء إليها بتلك الرَّغبة نفسها . ويقول لكم يا سيدى ، قبل المعركة تقومان معًا بتبادل رمى حربتين أو ثلاث حراب ، وإنَّه سيكون سعيدًا بهذه المواجهة ، لأنَّ المعارك إذا تداخلت لن يستطيع العثور عليكم استجابةً لإرادته لأنَّه سيكون هناك عائق من جانب فرسان كثيرين آخرين .

قال له أماديس :

- يا حامل الأسلحة الطَّيب ، قل لسيدكم الملك إن كان الذى أرسلكم لإخبارى به قد علمت به فى حينه ولم يكن ممكنًا فى تلك الحرب . وأنَّ هذا الذى يريده ، يتطلَّب شجاعة كبيرة أكثر من العداوة أو البغض والكراهية . وعلى الرَّغم من أنَّ بطولاتى لم تتحقَّق مثلما تحقَّق لى المجد والشُهرة بسببها فإنَّنى سعيدُ للغاية بأنَّ رجلاً ذا مكانة مرموقةٍ ومشهورًا قد وضعنى فى هذه المنزلة السَّامية، وهذا المطلب مرغوبٌ فيه أكثر من كونه ضروريا ، فإننى أرغب ، إذا كان هو يفضل أن أثبت كفاءتى أو فشلى فى أمرٍ كبيرٍ يتعلَّق بشرفه ومصلحته ، لكن إذا كان هو الذى يرسل لى بذلك وهذا يسعده ، فإنَّنى سأنفِّذ ذلك تلبيةً لطلبه .

قال حامل الأسلحة :

- سيدى، إنَّ الملك يعلم جيدًا ما حدث لكم مع ماداركى، عملاق LA ÍNSOLA TRISTE (الجزيرة الحزينة) ، ووالده ، وكيف هزمتهما لكى تُنقذ الملك جيلدادان والسَّيد جالاؤر شقيقكم ، وقد حدث هذا من جانبكم كأب لأنَّكم تصلون إليه بدرجة قرابةٍ ،

وقد علم أيضًا أنَّه بالوقار والتَّبجيل الذى تعاملتم به معه ، فأنتم جديرون بالفضل أكثر من الحزن والألم ، وإذا كانت لديه الرَّغبة لإثبات ذلك معكم ، فإنَّ هذا لا يستثنى الحقد الكبير الذى يكنُّه لطيبتكم ، فهو يحكى أنَّه إذا حقَّق النَّصر عليكم سيكون مجده وشهرته على جميع فرسان العالم ، وإذا هُزِم فلن يكون ذلك تقليلاً لشأنه أو عارًا عليه لأنَّ هذا يأتى على أيدى من هزم كثيراً من الفرسان والعماليق وأشياء أخرى متوحشه بعيدةً عن طبيعة البشر .

- إذنْ فليكن الأمر كذلك - قال أماديس - أخبره بموافقتى ، كما قلت ، فإنَّ ما يطلب يسعده كثيراً ، ولذلك فإنَّنى على استعداد لتلبيته إيَّاه .

الفصلُ العاشرُ بعد المـــائة

كيف وضع فى حسبانه أنَّ جاسكيلان هذا، عاهل Suesa سويسا، أرسل حامل أسلحته بالمطلب الذى سمعتموه إلى أماديس .

تروى القصَّة لماذا جاء هذا الفارس مرَّتين بحثًا عن أماديس لكى ينازله ، سيكون من الظُّلم إذنْ أنْ يكون أميرًا عظيمًا مثل هذا قد أتى لهذه المهمة من بلادٍ بعيدةٍ مثل مملكته ، ثمَّ نتجاهل هذا الأمر فلا تُعرف ولا تُنشر على الملأ رغبته . لقد حكى لكم الكتاب الثَّالث من هذه القصَّة كيف أنَّ جاسكيلان هو نجل مادارکی عملاق LA ÍNSOLA TRISTE (الجزيرة الحزينة) وشقيق لانثينو، ملك Suesa سويسا، الذى تولى الملك هناك خلفًا له، لأنَّه قضى نحبه دون وريثٍ ، وبما أنَّ هذا كان قـويا جسـديا بصفته نجـلاً لعملاق ، وذا قوةٍ كبيرة فيما يتعلق بكـثير من الأسلحـة ، فقد أثـبت ذلك فى إجـادته الفائقة فى استخدام الأسلحة مما زاد شرفه لدرجة أنَّه لا يدور الحديث فى كلِّ تلك الأماكن إلاَّ عنْ طيبة قلب هذا الفـارس على الرَّغم من كونه لا يزال فـتًى ، لقد أحبَّ هذا الفـارس أميـرةً جميلةً للغاية ، تُسمَّى الحسناء بينيلا التى بعد وفـاة الملك ، والدها ، ولكونها سيدة LA ÍNSOLA FUERTE (الجزيرة القوية) ظلَّت فى مملكة سويسا منفيةً ومبعدةً ، ومن أجل حبهًا قام ببطولات عظيمة وتعرَّض لأخطارٍ ومخاطر كثيرة لكى يلفت نظرها لتحبَّه ، لكن بما أنَّها كانت تعرف أنَّه متغطرسٌ وجبانٌ وصغير النفس ومكابر فإنها لم تسمح لنفسها بأنْ تعطيه بادرة أمل لأمنياته ، لكن أحد كبار رجال مملكته خشى من عظمة جاسكيلان هذا ومكابرته، وقد رأى أنَّه لا علاج ولا حل لحبِّه الجارف ، ورغبة منه فى ألاَّ يتحوَّل الحبُّ الكبير إلى كراهيةٍ وعداوةٍ ، مثلما يحدث فى بعض الأحيان ،

وبما أنَّ السَّلام كان سائدًا ، فليس هناك مبررٌ لأن يشارك فى هذه الحرب الشَّرسة ، لذلك فضَّلوا أنَّ يسدوا له النصح بألاَّ يخذل وفوده ، وبأملٍ مخادعٍ أو ظاهرى يحاولون إيقافه قدر استطاعتهم . وبهذا الاتفاق إذنْ ، عندما رأت تلك السَّيدة مطاردة من جانبه تظلَّمت منه ، فأرسل يقول لها إنَّ الرَّب جعلها ملكةً على هذه الأرض العظيمة وفقًا لإرادته ، هكذا وعد والدها بذلك عند وفاته بألا يزوِّجها إلاَّ من أفضل فارس يوجد فى العالم حتى لو لم يكن من دولةٍ كبيرةٍ وذا مكانةٍ مرموقةٍ ، وأنَّها حاولت جاهدة أنْ تعرف من هو ، فأرسلت رسلها إلى بلدان أجنبيةٍ كثيرةٍ ، الذين أخبروها بأنباءٍ عن فارسٍ يُدْعى أماديس دى جاولا ، الذى كان مشهورًا للغاية بين جميع فرسان العالم بأنَّه أقوى وأشجع فارس، فارس كامل يستطيع القيام بالمهام الخطيرة التى لا يجرؤ عليها الآخرون. وبالتَّالى إذا كان شجاعًا وقويا فما عليه إلاَّ أن يبارز أو ينازل أماديس هذا وينتصر عليه ، وبالتَّالى تكون أوفت بالرغبة والوعد اللذين قطعتهما على نفسها مع والدها ، حينئذٍ ستمنحه حبَّها وستجعله سيدها وسيد مملكتها ، وكانت تعتقد أنَّه بعد هذا لن يكون لديها مبرِّرٌ للرَّفض. هذا ما ردَّت به هذه الأميرة لكى تتخلص من مضايقاته ومطارداته لها ، ولأنَّها أيضًا سمعت من رجاله أنَّهم رأوا أماديس وسمعوا عن بطولاته العظيمة فعلمت جيدًا أنَّه لا وجه للمقارنة بين طيبة قلب جاسكيلان وأماديس .

وبما أنَّ ذلك قد قيل لجاسكيلان هكذا ، ونظرًا لحبه الجم لهذه الأميرة وللزهو والمكابرة اللذين كان يتَّسم بهما ، فقد عكف على البحث عن وسيلةٍ مثل الرَّسول الذى بعث به إلى أماديس لكى يضع الأمر موضع التنَّفيذ ، ولهذا السَّبب جاء من مملكته مرَّتين ، كما تسمعون ، بحثًا عن أماديس . الأولى فى حرب جزيرة مونجاسا ، حيث عاد جريحًا من جرَّاء ضربة صوَّبها له السَّيد فلوريستان فى المعركة التى خاضها ضدَّ الملك أربان دى نورجاليس ، والثَّانية الآن فى نزاع الملك ليسوارتى ، لأنَّه حتى هناك لم يستطع أبدًا معرفة أنباء أماديس ، لأنَّه كان يسير متخفيًا ومجهولاً وملقبًا بالفارس ذى السَّيف الأخضر فى جزر رومانيا وألمانيا والقسطنطينية ، حيث حقَّق مهاراته الغريبة فى فن استخدام الأسلحة التى يرويها الجزء الثَّالث من هذه القصَّة . عاد حامل

أسلحة جاسكيلان هذا إليه بردٍّ أماديس - كما سمعتموه تمامًا - فلمَّا أخبره به ردَّ عليه قائلاً :

- صديقى ، أحضر ذلك الذى أتوق إليه كثيرًا وكلَّ شىءٍ يناسب إرادتى ، وأنا أريد الفوز بحبِّ سيدتى إذا كنت أنا جاسكيلان الذى تعرفه .

حينئذ طلب أسلحته التى كانت على النحو التَّالى : الشعارات وحافة الخوذة كانت بنيَّة اللون والصَّنابير من الذَّهب ، أمَّا الخوذة والدِّرع فكانا لامعين صافيين كالمرآة ، وقد ثُبِّت عليها بمسامير من الذَّهب صنبورٌ مرصَّعٌ بالأحجار الكريمة واللآلئ الثَّمينة فى وسط الدِّرع ، وقد رصَّع أظافره بقلبٍ شرسٍ ، وكان يخترق بأظافره كلَّ شىءٍ ، ويفهم من الصِّنبور ووحشيته ، تَهرُّب سيدته المحبوبة وحبها ، وهكذا كان ذلك القلب قد اخترقه بأظافره ، هكذا كان قلبها محصنًّا ضدَّ الاهتمامات والرَّغبات الفانية التى كانت تتوق إليها باستمرارٍ ، وأنَّ تلك الأسلحة كان يفكِّر فى إحضارها إلى حيث توجد سيدته ، وأيضًا كان يفكِّر فى إحضارها تذكارًا لها مما سيمنحه الشَّجاعة والرَّاحة الكبيرة من همومه وكروبه . تسلَّح إذنْ كما تسمعون ، وأخذ حربةً سميكةً من الحديد الصَّافى والكبير ، وذهب إلى حيث كان يوجد الإمبراطور وطلب منه التَّكرم بأنْ يأمر رجاله بألاَّ يهجموا حتى ينتهى من مبارزة تمَّ الاتفاق عليها مع أماديس ، وألا يعُده فارسًا إذا لم يخلصه فى أوَّل مواجهة من هذا العائق الكبير . كان الإمبراطور يعرف خصمه أفضل منه لأنَّه عانى من ذلك بنفسه ، وإنْ كان لم يفصح عن ذلك فإنَّه كان على يقينٍ من أنَّه سيجد مقاومة صلبةً أكثر مما كان يعتقده . هكذا رحل عنه ومرَّ من بين القوات، وظلَّ الجميع يشاهدون المعركة بين هذين الفارسين الشَّهيرين والبارزين جدا . هكذا وصل جاسكيلان إلى المكان الذى كان أماديس موجودًا فيه ومستعدًا لاستقباله ، وعلى الرَّغم من أنَّه كان يعرف أنَّ هذا فارسٌ شجاعٌ فإنَّه كان يراه متغطرسًا جدا ومكابرا فلم يخش شجاعته ، لأنَّ مثل هؤلاء فى الوقت الذى يفكِّرون فيما ينبغى عليهم القيام به ، فإنَّه موجود ليقضى على مكابرتهم وعنادهم لكى يتعظ ويعتبر أمثالهم ، وعندما رآه قادمًا وجَّه جواده نحوه واحتمى بدرعه على أفضل ما يكون ونخس جواده بالمهاميز لكى يتوجَّه إليه بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ ، وكذلك فعل جاسكيلان قدر استطاعه

بالجواد وواجه أحدهما الآخر بالدُّروع، فقد تحطمت الحراب فى الهواء . وعندما التقيا معًا كانت الضَّربة قويةً ففكَّر الجميع أنَّ كليهما قد تمزق إربًا ، وأطيح بجاسكيلان خارج السرج وبما أنَّه كان قويا بدنيًا ، وكانت الضَّربة قويةً وقع وقعةً شديدةً على الأرض الصُّلبة فاقدًا الوعى ولم يستطع النُّهوض وقد كُسر ذراعه الأيمن الذى سقط عليه ، ظل هناك فى الميدان ممدَّدًا كالميت ، وقد كُسر ظهر جواد أماديس ولم يستطع الوقوف ، وذهب أماديس فاقدًا الوعى قليلاً ، لكنه أفاق ، وقبل أنْ يسقط مع جاسكيلان على الأرض توجَّه إلى حيث يرقد لكى يرى ما إذا كان ميتًا مثلما فكَّر الآخرون . وأماديس واقف نادى على فلويان الذى كان يقود المقدِّمة كى يخوض المعركة ، وهكذا فعل . وعندما رأى السَّيد كوادراجانتى ذلك وضع المهاميز لجواده ، وقال لرجاله :

- أثخنوهم بالجراح يا رجال ولا تتركوا أحدًا منهم حيًا .

حينئذ التقى الجمعان بعضهم ببعض ، لكن عندما رأى جندالين سيده أماديس واقفًا وقد اشتبكت القوات ارتباك ارتيابًا كبيرًا فى أمره ، وانطلق أمام الجميع كالسَّهم لكى يساعده ، ورأى فلويان قادمًا أمام كلِّ قواته متوجها نحوه فالتقى كلاهما بضرباتٍ قويةٍ فسقط فلويان على الأرض وفقد جندالين كلا الرِّكابين، لكنَّه لم يسقط على الأرض. حينئذ جاء كثيرٌ من الرُّومان لإنقاذ فلويان ، والسَّيد كوادراجانتى لمساعدة أماديس، وقد وضع كل جانب فارسه على الجواد حيث لم يكترثا بشىءٍ آخر فى ذلك الحين، ولكن بما أنَّ الرُّومان جاءوا كثيرى العدد وعلى وجه السُّرعة فقد أخذوا جاسكيلان الذى كان قد استرد وعيه قليلاً وأخرجوه من المأزق بمشقةٍ بالغةٍ . أمَّا السَّيد كوادراجانتى عند وصوله وقبل أنْ تتحطَّم حربته كان قد أطاح بأربعة فرسانٍ على الأرض ، وقد استولى على جواد الذى أسقطه أوَّلاً على الأرض أنجريوتى دى إيستراباوس وأحضره على وجه السُّرعة لأماديس ، أمَّا جابارتى ديل بال تيمروسو ولاندين فقد سارا على نهج السَّيد كوادراجانتى وألحقوا ضررًا كبيرًا بفرسان الأعداء ، مثل هؤلاء الذين كانوا منوطين بمثل هذا الواجب . وصل هؤلاء أمام فرقتهم ، ولكن عندما اقتربت الفرقتان كانت الضَّوضاء شديدةً للغاية والأصوات عاليةً جدا ولم يكن بعضهم يسمع بعضهم الآخر ،

وكنتم ترون هناك جياداً بلا فرسانٍ وفرساناً قتلى وصرعى وجرحى من الجانبين ، وكانوا يمرُّون فوقهم قدر استطاعتهم ، وبما أنَّ فلويان كان شجاعًا ويريد أنْ يحقِّق شرفًا كبيرًا وأن ينتقم لسالوستانكيديو شقيقه ، وبما أنَّه كان ممتطيًا جوادًا توجَّه نحو أنجريوتي الذي رآه يقوم بأعمالٍ غريبةٍ بالأسلحة واصطدم به من الجانب بقوةٍ شديدةٍ وكان على وشك أنْ يسقطه من فوق الجواد وحطَّم الحربة ووضع يده على سيفه وذهب ليخرج إينيل الذي وجده أمامه ، وضربه في أعلى الخوذة ضربةً قويةً فأخرجت شررًا ولهيبًا منها ، ومرَّ من كليهما إلى المعارك ولم يستطع أحدٌ منهم أنْ يخرجه ، وقد ذهلوا كثيرًا من حماسه وبسالته ، وقبل أنْ يصل إلى رجاله التقى بفارسٍ أيرلندي ، خادم السَّيد كوادراجانتي ، فصوَّب إليه ضربةً فوق الكتف مزَّق لحمه وكسَّر عظامه وأثخنه بالجراح فاضطر للخروج من المعركة . أمَّا أماديس فقد أخذ معه ، في هذا الوقت ، بالايس وجندالين ، وبغضبٍ جامح لأنَّه رأى أنَّ الرُّومان يدافعون بشراسةٍ اندفع بكلِّ قوةٍ صوب جانبٍ من الفرقة وكذلك هؤلاء الذين كانوا يتبعونه ، وصوَّب ضرباتٍ قويةً بالسَّيف ولم يره أحدٌ من الرجال إلاَّ وأصابه الذُّعر ، وكذلك الذين كانوا ينتظرونه ألمَّ بهم ذعرٌ كبيرٌ ، ولم يجرؤ أحدٌ منهم على مواجهته ، بل كانوا يفرون داخل القوات كما تفعل الماشية عندما تهاجمها الذِّئاب . وقد ظلَّ هكذا دون أنْ يجد مقاومةً حتى خرج له شقيق غير شرعي للملكة سارداميرا ، كان اسمه فلامينيو ، فارسٌ متمرِّسٌ بالأسلحة ، وبمجرَّد أنْ رأى أماديس يفعل هذه المعجزات ولم يجرؤ أحدٌ على انتظاره ومواجهته ، توجَّه إليه فصوب إليه حربةً في درعه فتفادها أماديس وتحطَّمت الحربة إربًا ، وعند مرور أماديس حاول أن يصيبه في الخوذة لكنَّه لم يستطع لأنَّه مرَّ بقوةٍ ، وجرح الجواد في صهوته وكذلك قرابيس مؤخرته وجرح كلَّ جسده وأسقطه على الأرض سقطةً كبيرةً لدرجة اعتقد معها أنَّه شُجَّ ظهره من سقطته القوية. أمَّا السَّيد كوادراجانتي والفرسان الآخرون الذين كانوا يحاربون في النَّاحية الأخرى فقد ضيقوا الخناق على الأعداء ، ولولا مجيء أركيسيل بالفرقة الثَّانية لنصرتهم لهزموا ومزقوا شرَّ ممزَّقٍ ، لكن بما أنَّ هذا قد جاء فقد تنفَّس هؤلاء الصعداء واستعادوا قدرًا كبيرًا من قواهم وشجاعتهم ، وبمجيئه سقط أكثر من ألف فارس على الأرض من فوق جيادهم من الجانبين . التقى أركيسيل

هذا مع لاندين ، نجل شقيق السَّيد كوادراجانتى ، وقد تبادلا الضَّربات القوية بالحراب واصطدم الجوادان أحدهما بالأخر حتى سقطا على الأرض . كان فلويان يتحرَّك فى كلِّ مكان حيث ساعد فلامينيو - الذى كان واقفًا - بخمسين فارسًا، ثم أعطاه جوادًا ، وقام أماديس بعد ذلك بإسقاطه على الأرض ، ولم يكترث به ، لأنَّه رأى قدوم الفرقة الثَّانية ، وبما أنَّه كان يتحتَّم عليه استقبالها أوَّلا فقد تركه فى حوزة جندالين وبالايس ، اللذين فكَّرا فى أنَّه قضى نحبه ، وذهبا لإثخان فرقة أركيسيل بالجراح لأنَّ رجاله عند قدومهم لم يلحق بهم ضررُ كبيرٌ وجاءوا مستريحين . وبمجرَّد أنْ رأى فلويان أركيسيل واقفًا على قدميه ، وكان يحارب لاندين صاح بأصوات عاليةٍ قائلاً :

- آه ، يا فرسان روما أنقذوا قائدكم !

حينئذ هجم فلويان فى غاية الشَّجاعة وكان معه أكثر من خمسمائة فارس ، ولولا وجود أنجريوتى وإينيل وجابارتى ديل بال تيمروسو الذين رأوه ونادوا على السَّيد كوادراجانتى حيث قدَّموا له العون على وجه السُّرعة وذهب كثيرٌ من فرسانهم معهم ، كان لاندين فى ذلك الوقت صريعًا أو أسيرًا ، لكن عندما جاء هؤلاء خاضوا معركةً شرسةً وقاموا ببطولات عجيبة تسرُ النَّاظرين. كان فلامينيو - كما قلت - على صهوة جوادٍ واصطحب ما استطاع من الجياد ، وساعد رجاله بصفته فارسًا ممتازًا . ماذا أقول لكم ؟! كانت السُّرعة هناك كبيرةً للغاية وكان هناك كثيرٌ من القتلى، وكان ميدان القتال مليئًا بالموتى والجرحى، لكن الرُّومان ، بما أنَّهم كانوا كثيرين عددًا ، أخذوا أركيسيل رغمًا عن أعدائهم ، أمَّا السَّيد كوادراجانتى فقد أخذ لاندين ، هكذا أنقذ كلُّ طرف فارسه ، وقد جعلاهما يمتطيان صهوة جوادين ، فقد كانت هناك جيادٌ كثيرةٌ بلا رجال أو فرسان .

كان أماديس يتحرَّك فى النَّاحية الأخرى ويقوم بمعجزات بالأسلحة ، وبما أنَّ الجميع كانوا يعرفونه ، فقد كان معظمهم يفسحون له الطريق إلى حيث يريد الذَّهاب ، ولكن كان كل شيءٍ إجباريا ، فقد كان الرُّومان أكثر عددًا ، ولولا الفرسان البارزون فى الجانب الآخر لهزموهم بسهولةٍ . لكن أنقذ فيما بعد أجراخيس والسَّيد برونيو دى بونامار بفرقته ،

ثمَّ وصلوا معًا وهم أكثر قوةٍ . وبما أنَّ الرُّومان كانوا يتحرَّكون جميعًا وهم على أهبة الاستعداد ، فعلى وجه السُّرعة انقسموا إلى مجموعتين ، لأنَّهم لم يكن أمامهم بدٌّ إذا لم يقم الإمبراطور الذى أحضر خمسة آلاف فارس بمساعدتهم بقواته ، كان هؤلاء كثيرى العدد وقد شجَّع ذلك رجاله الذين استردُّوا بسرعة ما كانوا قد فقدوه .

وصل الإمبراطور على جواده العظيم ومسلَّحا كما ذُكر من قبل ، وبما أنَّه كان ضخم الجثَّة وكان يتقدَّم رجاله ، فقد بدا هائلاً فى نظر جميع الذين كانوا يرونه ، وكان يحظى باحترام وتقدير الجميع ، وكان أوَّل من واجهه هو بالايس دى كارسانتى ، وقد اشتبكا بالدِّرع بقوةٍ فكسَّر له حربته ، واصطدم معه بالجواد الذى جاء بكلِّ قوةٍ . وبما أنَّ جواد بالايس كان مرهقًا ، لم يستطيع التَّصدِّى للضَّربة القوية وهوى على الأرض بفارسه ، وبهذا الشَّكل عانى من كسورٍ عديدةٍ . وعندما فعل الإمبراطور ذلك شعر بالكبرياء الكبير ، وأمسك بسيفه وبدأ يقول بأصواتٍ عاليةٍ :

– روما ! روما ! انقضوا عليهم يا فرسانى ولا يفلت منهم أحدٌ !

ثم توغَّل بعد فى المعركة وسدَّد ضربات كبيرةً وقوية لكلِّ من وجدهم أمامه ، لكونه فارسًا ممتازًا ، وظلَّ هكذا يلحق ضررًا كبيرًا فى صفوف الأعداء حتى التقى بالسَّيد كوادراجانتى ، الذى كان يتحرَّك والسَّيف فى يده يصيب ويسقط كلَّ من طالته يده . وعندما رأى كلٌّ منها الآخر توجَّه أحدهما صوب الآخر بقوةٍ ضاريةٍ . كان السَّيفان مرفوعين فى اليدين ، وقد تبادلا ضربةً قويةً أفقدت الإمبراطور الرِّكابين ، واضطر إلى معانقة عنق الجواد وظلَّ شبه فاقدٍ للوعى .

حدث فى ذلك الوقت أنْ كان هناك كونستانتيو ، شقيق برونداخيل دى روكا الذى كان فارسًا ممتازًا وشابًا ، وبما أنَّه رأى سيده الإمبراطور فى هذا الوضع ، فقد حثَّ الجواد بالمهاميز وتوجَّه صوب السَّيد كوادراجانتى بالحربة فى يده وصوَّبها إلى درعه بقوةٍ إلى المكان الذى يوجد به فرسانه . عندما رآه كونستانتيو سليمًا لم يتوقَّف ، لكنه قبل ذلك كان قد وصل مستريحًا هو وجواده ، فتوجَّه على وجه السُّرعة إلى المكان الذى كان أماديس يتحرَّك فيه عندما رأى الأمور العجيبة التى يقوم بها أماديس والفرسان

الذين أسقطهم على الأرض فى كلِّ مكان ذهب إليه . أصيب بذعر كبيرٍ للغاية ولم يكن بوسعه أنْ يُصدِّق أنَّ يكون أماديس إلاَّ شيطانًا جاء ليدمِّرهم . وبينما كان ينظر إليه رأى كيف أنَّ فارسًا كان حاكمًا لإمارة كالابريا انتقامًا لسالوستانكيديو أصاب بالسَّيف عنق الجواد ، وضربه أماديس فوق الخوذة فقصم الخوذة والرَّأس نصفين ثم سقط صريعًا على الأرض ، مما أصاب كونستانتيو بالحزن الشَّديد لأنَّه كان فارسًا ممتازًا ، ثمَّ نادى على فلويان بصوتٍ عالٍ ، وقال :

- هيًّا إلى هذا الفارس اجرحوه أو اقتلوه لأنَّ هذا هو الذى يدمِّرنا بلا هوادةٍ أو رحمةٍ !

حينئذ جاء كلاهما معًا إليه وصوَّبا إليه ضربات بالسَّيف . لكن أماديس سدَّد ضربة قويةً إلى كونستانتيو الذى وجده أمامه فى حافة الدِّرع فقصمه قطعتين ، ولم يتوقَّف السَّيف هناك، فقد بلغ الخوذة، وكانت الضَّربة قوية فأذهلت كونستانتيو وأسقطته من فوق الجواد على الأرض . وبما أنَّ الرُّومان كانوا يحرصون على فلويان فقد رأوه مع أماديس وكونستانتيو طريحًا على الأرض ، فتجمَّع أكثر من عشرين فارسا وواجهوه ، لكنَّهم لم يستطيعوا إسقاطه من فوق الجواد ، ولم يجرءوا على مواجهته ، لأنَّ من كان يلحق به لا مناص من أنْ يتلقَّى ضربةً منه .

هكذا كانت المعركة بهذه الصُّورة . وبما أنَّ عدد الرُّومان كان كثيرًا للغاية ، وكانت هذه ميزة لهم، فقد جاء للمساعدة جراساندور والشُّجاع السَّيد فلوريستان، جاءا فى الوقت المناسب، فقد كان الرُّومان يحاصرون أجراخيس والسَّيد برونيو وأنجريوتى، وقتلوا جيادهم ، وكان لاسيندور وجندالين وجابارتى ديل بال تيمروسو وبرانفيل جاءوا لنصرتهم ، والذين وُجدوا معًا بالصُّدفة . لكن أناسًا كثيرين كانوا يلتفون حولهم ، فهم على الرَّغم من كونهم فرسانًا ممتازين وقد أسقطوا وقتلوا كثيرًا من الأعداء وتعرَّضوا لأخطارٍ كثيرةٍ لم يستطيعوا الوصول إليهم (يقصد إلى أجراخيس والسَّيد برونيو وأنجريوتى) ، وعندما وصل السَّيد فلوريستان ورأى هذا الزِّحام الشَّديد أخذ حذره

جيداً بأنَّ هذا لم يكن ليحدث لولا أنَّ الأمر جللٌ . عندما وصل إذن تعرف على هؤلاء الفرسان الذين كانوا ينقذون أجراخيس ورفاقه ، وعندما رآه لاسيندور قال :

- آه ، يا سيدى السَّيد فلوريستان ساعد هنا ، وإلاَّ سنفقد أصدقاءكم !

عندما سمع ذلك قال :

- هيَّا إذنْ ، اتبعونى ولنُصِب من لم يجرءوا على مواجهتنا .

حينئذٍ توغَّل بين النَّاس فأسقط وقتل الكثيرين الذين طالتهم يده حتى انكسرت حربته وأمسك بسيفه وسدَّد ضربات قويةً فأصاب جميع الموجودين بالذُّعر ، وظلَّ هؤلاء الفرسان الذين ذكرتهم لكم معه حتى وصلوا إلى حيث كان أجراخيس ورفاقه واقفين كما سمعتم . من الذى يستطيع أنْ يقول لكم ماذا حدث هناك فى هذه المساعدة وما فعله الذين كانوا محاصرين؟! على فكرةٍ ، هذا أمر لا يمكن سرده ، فقد كانوا قليلين ومع ذلك استطاعوا الدِّفاع والذَّود عن أنفسهم ضدَّ الكثيرين الذين كانوا يريدون قتلهم ، لكن على الرَّغم من ذلك كله ، كانوا جميعًا فى خطرٍ كبير جدا يهدد حياتهم إذا لم يأت القدر بأماديس إلى هناك بعد أنْ تركه فلويان ورجاله ، لأنَّه أسقط وقتل ستة من الفرسان العشرين الذين كانوا يساعدون كونستانتيو كما قلت لكم ، وبما أنَّ أماديس رأى أنَّهم تركوه وابتعدوا عنه وسمع الأصوات العالية التى كانت تنطلق فى ذلك الزِّحام ، فقد توجَّه إلى هناك . وعندما وصل تعرَّف عليهم من خلال الأسلحة ، وبدأ ينادى على رجاله فتجمَّع معه أكثر من أربعمائة فارسٍ ، ودارت هناك أكبر معركة فى ذلك اليوم ، فقد حضر أيضًا من جانب الرُّومان فلويان وأركيسيل وفلامينيو ، بأكبر عددٍ من الفرسان ، وبدأت أكثر المعارك شراسةً وخطورةً التى رآها إنسانٌ . هناك قام أماديس بأعمال بطوليةٍ رائعةٍ التى لم يُر ولم يسمع عن مثلها قط ولا يستطيع فارسٌ القيام بها ، وقد أذهل الجميع سواء من الأعداء أم من رجاله من كثرة الذين أسقطهم وقتلهم .

بما أنَّ الأصوات كانت كثيرةً والضَّوضاء شديدةً للغاية ، فقد حضر الإمبراطور إلى هناك مثل الذين كانوا يشاركون فى المعركة . أمَّا السَّيد كوادراجانتى فكان يتحرَّك

فى مكانٍ آخر ، فقد أخبره رامى المنجنيق الذى كان ممتطيًا جواده بكلِّ شىءٍ ، وتجمَّع أكثر من ألف فارسٍ بأقصى سرعةٍ من فرقته الذين كانوا فى انتظاره ، وقال لهم :

– الآن يا رجالى أظهروا طيبتكم واتبعونى فمساعدتنا ضروريةٌ وملحَّةٌ .

ذهب الجميع معه ، وكان السَّيد كوادراجانتى فى المقدِّمة ، وعندما وصلوا إلى ميدان المعركة كانت هناك جموعٌ غفيرةٌ من النَّاس من الفريقين وقد وصلوا إلى الأعداء بمشقَّةٍ بالغةٍ ، وبمجرَّد أنْ رأى ذلك ، هو ورجاله الذين أحضرهم معه وكانوا فرسانًا ممتازين وطيِّبى القلب، هاجم ميمنة الأعداء بقوةٍ شديدةٍ فأسقط ورجاله أكثر من مائتى فارس وأذكِّركم جيدًا أنَّ ما فعله أمر يعجز أنْ يقوم به فارسٌ محترفٌ غيره .

عندما رأى أماديس السَّيد كوادراجانتى ، وما فعله هو ورجاله ، ذهل جدا وتوغَّل بقوةٍ وحماسٍ بين صفوف الأعداء مسدِّدًا ضربات قويةً وسديدةً صائبةً لم يترك بها فارسًا على سرجه ، لكن فى ذلك الوقت كان فلويان وأركيسيل وفلامينيو وآخرون كثيرون يقاتلون بشجاعةٍ منقطعة النَّظير ، وكانوا يبذلون قصارى جهدهم لكى يقتلوا أجراخيس ورفاقه الذين كانوا معه بلا جيادٍ ، والسَّيد فلوريستان والآخرين الذين قلنا لكم إنَّهم كانوا قد ذهبوا لنصرتهم والدِّفاع عنهم . وقد استطاعوا الوصول إليهم بعد أنْ تجاوزوا الجموع الغفيرة من النَّاس ، فقد كان من الصَّعب اختراقهم مهما كان عدد الأفراد والفرسان ، ولا بالضَّربات التى سددوها لهم استطاعوا إبعاد النَّاس عن طريقهم. ولما رأى هؤلاء ما يفعله فرسانهم ورجالهم والضَّرر الكبير الذى أنزلوه بالأعداء ضيَّقوا الخناق على الرُّومان بكلِّ قوةٍ ، سواء فى الجانب الذى كان به السَّيد كوادراجانتى أو الذى كان به أماديس والسَّيد جندالين الذى جاء بثمانمائة فارسٍ بقيادته وإنْ لم يكونوا على قدرٍ كبيرٍ من الكفاءة ، وعلى الرَّغم من أنَّ الإمبراطور كان يصيح بصوتٍ عالٍ فإنَّه بعد أن سدَّد إليه السَّيد كوادراجانتى تلك الضَّربة القوية بالسَّيف قد اقتصر دوره على قيادة الأفراد أكثر من المشاركة فى الحرب مما جعلهم يفقدون المعركة ، لدرجة أنَّ أجراخيس وأنجريوتى والسَّيد برونيو الذين اتَّسموا بالحماس الشَّديد وتعرَّضوا لكثير من المخاطر ، استطاعوا استعادة جيادٍ لكى يمتطوا صهواتها ،

ثمَّ شاركوا فى المعركة ضدَّ الرُّومان الذين كانوا يعانون من الهزيمة . وهكذا اصطحبوهم حتى شاركوا فى معركة الملك أربان دى نورجاليس فى ذلك الوقت بعد غروب الشَّمس ، لذلك أخذهم الملك أربان معه ولم يرد وقف المعركة ، إلا أنَّ الملك ليسوارتى أرسل له أمرًا بذلك نظرًا لتأخُّر الوقت ولكثرة ما تبقَّى من جنود الأعداء وهم على أتمِّ الاستعداد للمشاركة فى القتال ، وقد ارتابوا فى أنْ يتلقوا منهم أيَّة هزيمةٍ ، ولذلك فقد رأوا أنه يكفى للأوَّلين الإمبراطور مع رجاله . ولذلك فبسبب هذا وبحلول الليل ، الذى كان السَّبب الرَّئيسى ، أخذوا الرُّومان . أمَّا الأعداء فقد توقفوا ولم يتبعوهم أو يطاردوهم أكثر من ذلك ، بالشَّكل الذى توقَّفت فيه المعركةٍ بعد أنْ أصاب الضَّرر ولحقت الخسائر الكثيرة بالجانبين وإنْ كان الرُّومان تلقوا الجانب الأكبر .

بما أنَّ ميدان المعركة بقى فى حوزة أماديس ورجاله فقد قاموا بحمل جميع جرحاهم ، وقد خلَّصوا أفرادهم من الآخرين ، وظلَّ بميدان المعركة الجرحى والقتلى الرُّومان ، الذين لم يريدوا الإجهاز عليهم حيث مات معظمهم لأنَّه لم يتم إسعافهم .

إذنْ عاد النَّاس من الجانبين إلى مخيماتهم ، كان هناك بعض رجال الدين قد جاءوا إلى المعارك وكان من واجبهم بث الرُّوح المعنوية فى الأفراد ، ولما رأوا حجم الخسائر وآهات الجرحى وأنينهم طالبوا بأنْ يكون هناك شفقةٌ ورحمةٌ ، وطالبوا الجانبين بأن يكون جهادهم فى سبيل الله وضرورة أنْ تكون هناك هدنةٌ لعلاج الجرحى ، ولكى يتمَّ دفن القتلى . هكذا فعل الجانبان ، فقد تحدَّث هؤلاء مع الملك ليسوارتى والإمبراطور ، وكذلك تحدَّث الآخرون الذين كانوا مع الملك بيريون ، واتفق الجميع على أنْ يبدأ سريان الهدنة من اليوم التَّالى .

قضوا تلك الليلة فى علاج الجرحى بينما استراح الآخرون من العمل الشَّاق الذى قاموا به أثناء المعركة . وعندما أقبل الصَّباح ذهب الكثيرون بحثًا عن أقاربهم وآخرون عن سادتهم ، وهناك ترون البكاء المرَّ من الجانبين ، الذى لمجرَّد الاستماع إليه يُسبِّبُ للشَّخص ألمًا وحزنًا شديدًا ، وسيكون ذلك أشد إذا رأى بعينه . تمَّ نقل الأحياء إلى مخيَّم الإمبراطور ، أمَّا القتلى فقد تمَّ دفنهم ، وأصبح ميدان القتال خاليًا .

هكذا قضوا ذلك اليوم فى إعداد أسلحتهم وتجهيزها وعلاج جيادهم ، وقد عالجوا السَّيد كوادراجانتى من جرح ذراعه ورأوا أنَّه جرحٌ طفيفٌ ، لكن هناك فارسًا آخر كان جرحه غائرًا ، ولذلك فقد أعفى من العمل ولم يحمل السِّلاح . ومع ذلك لم يترك ، لهذا السبب ، مساعدة رفاقه فى المعركة التَّالية . جنَّ الليل ، وعادوا جميعا إلى أماكن إيوائهم ، وعند فجر اليوم نهضوا جميعًا على أصوات الأبواق واستمعوا للقدَّاسات ، ثم تسلَّح جميع النَّاس وامتطوا صهوات جيادهم ، وأخذ كلُّ قائدٍ رجاله . هكذا حدث فى الجانبين ، وقد تمَّ الاتفاق على أنْ تخوض المعارك المقدِّماتُ التى لم تكن قد شاركت من قبل ، وهكذا تمَّ ذلك .

الفصل الحادى عشر بعد المائة

ما حدث فى المعركة الثانية لكلِّ طرفٍ من الطَّرفين ، ولماذا انقسمت المعركة .

وضع الملك ليسوارتى فى المقدِّمة الملك أربان دى نورجاليس ونوراندیل والسَّيد جيلان الكويدادور ، والفرسان الآخرين الذين سمعتم عنهم من قبل ، أمَّا هو فقد كان على رأس قواته وكذلك الملك ثيلدادان ، فقد كانا يؤمِّنان ظهورهم ، وخلفهم الإمبراطور وكل رجاله ، كل على رأس فرقته ومع قادته طبقًا للتَّعليمات والأوامر الصَّادرة إليهم .

أعطى الملك بيريون المقدِّمة للسَّيد بريان دى مونجاستى ابن شقيقه ، أمَّا هو وجاستيليس فقد كانا مع إمبراطور القسطنطينية يؤمنون ظهره ، وكانت كلُّ فرقة ملتزمة بالأوامر الصَّادرة إليها بالشَّكل الذى أصبحت فيه الفرق التى كانت بعيدة عن ميدان القتال فى اليوم الأوَّل قريبةً منه الآن . بدأ رنين الأبواق يدوِّى فى كلِّ مكانٍ ، وقد اقتربت فرقتا بريان دى مونجاستى والملك أربان دى نورجاليس بشجاعةٍ نادرةٍ جدا . وكان أوَّلُ اصطدام قد أدَّى إلى الإطاحة بأكثر من خمسمائة فارسٍ على الأرض ، وأصبحت جيادهم حرَّةً طليقةً فى ساحة القتال . التقى السَّيد بريان دى مونجاستى مع الملك أربان ، واصطدما بقوةٍ فى عدَّةٍ صدامات هكذا حتى تحطَّمت حرابهما ، ولم يلحقا ببعضهما أذىً آخر ، وأمسكا بسيفيهما وشرعا فى إثخان بعضهما بعضا بالجراح فى جميع أنحاء جسديهما قدر استطاعتهما ، مثل هؤلاء الذين كانوا قد فعلوا ذلك مرَّاتٍ كثيرةٍ . أمَّا نوراندیل والسَّيد جيلان فقد جرحا معًا كثيرًا من أعدائهما ، ولكونهما شجاعين جدا وقويين فقد كبَّدا الأعداء خسائر كبيرة ، وكان بوسعهم أنْ يفعلوا المزيد

لولا قدوم فارسٍ قريبٍ للسَّيد بريان الذى كان قد أتى من إسبانيا وأحضر معه كثيراً من الإسبان ، كانوا ممتازين فى الحرب ، وقد أصابوا ذلك الجزء الذى كان به السَّيد جيلان ونوراندیل حیث أخذوهما وكلٌ من معهما فترةً من الوقت فى ميدان القتال ، لكن هناك كان جيلان ونوراندیل يقومان بأمور عجيبةٍ لكى يدافعا عن رجالهما . أمَّا الملك أربان والسَّيد بريان فقد انفصلا فى معركتهما . هكذا قام الجانبان ، بسبب سرعة النَّاس وحماسهم ، والذين كانوا يوجدون فى المكان الآخر ، وبدأ كلٌ منهما يحفِّزُ رجاله وفرسانه وأخذ كلٌ منهما يسقط ويقتل الكثير من الأعداء . ولكن بما أنَّ أناس إسبانيا كانوا يجيدون فنَّ الفروسية أفضل من الآخرين فقد كانت لهم الغلبة لولا أنَّ الملك ليسوارتى والملك ثيلدادان قاما بمساعدة هؤلاء بفرقتيهما ، فلولا ذلك لما كان لهم مكان بساحةِ القتال ولفُقد الجميع ، لكن بوصول الملوك تمَّ إصلاح جميع الأمور .

لما رأى الملك بيرون راية الملك ليسوارتى قال لجاستيليس :

- الآن ، يا سيدى الطبيب ، فلنتحرَّك ، وانظر إلى هذه الرَّاية ، وهذا ما سأفعله .

حينئذ انقضُّوا على أعدائهم سريعًا . استقبلهم الملك ليسوارتى مثل ذلك الذى لم يفقد قلبه ولا شجاعته ولا حماسه ، وبلا شكٍ بوسعكم أنْ تصدِّقوا أنَّه فى زمنه لم يكن هناك ملك له جسد قوى يضارع جسده ، كما لم يكن هناك ملكٌ يغار على شرفه مثله . هكذا من خلال هذه القصَّة بوسعكم أنْ تروا ذلك فى جميع المعارك والمواجهات التى شارك فيها . عاد النَّاس إذنْ بأعدادٍ كبيرةٍ عن ذى قبل . من الذى يستطيع أنْ يحكى لكم بطولات الفروسيةِ التى حدثت هناك؟! سيكون ذلك من المستحيل على من يريد الصِّدق ، فقد قضى كثيرٌ من الفرسان الممتازين نحبهم هناك، وقد أثخنت الجياد بالجروح لدرجة أنَّها كانت لا تستطيع حتى مجرَّد السَّير ، اللَّهم إلاَّ فقط على جثث الفرسان . فعن ذلك الملك ليسوارتى أقول إنَّه - كونه رجلا حزينا مهزوما - لم يكن يكترث بحياته على الإطلاق، لذلك توغَّل بين الأعداء بشجاعةٍ كبيرةٍ ولم يجد إلاَّ قليلين يجرءون على إسعافه وعلاجه . ذهب الملك بيريون ، من ناحية أخرى ، وقام ببطولاتٍ عجيبة ، كان على وشك اللقاء مع الملك ثيلدادان، وبما أنَّهما تعرَّفا على بعضهما، فإنهما لم يريدا مواجهة بعضهما بعضاً ،

وجرحا كلَّ من وجداه أمامهما وقد أسقطا كثيراً من الفرسان من فوق جيادهمْ على الأرض صرعى ومثخنين بالجراح .

بمجرَّد أنْ رأى الإمبراطور زحامًا شديداً بدا له أنَّ رجاله فى خطرٍ داهمٍ ، أمر قواده بجميع فرقهم أنْ يهجموا بقوةٍ ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وأنَّه سيفعل ذلك أيضًا ، وهذا ما تمَّ. التفت جميع القوات حول الإمبراطور وقد هاجموا الأعداء ، لكن قبل وصولهم وصلت قوات الأعداء التى رأتهم قادمين ، وهكذا اشترك الجانبان فى تبادل الهجمات فى ساحة القتال ، واختلطت قوات الجانبين بعضها ببعض بشكلٍ لم يكن فيه نظامٌ ولم تستطع أيَّة فرقةٍ انتظار قائدها . لكن القوات كانت مختلطةً بعضها ببعضها الآخر ومتجاورة لدرجه أنَّه لم تكن هناك إمكانية لاستخدام السيوف ، وكان الفرسان يتشابكون بالذراعين ويسقطون بعضهم بعضًا من فوق الجياد ، وقد لقى كثيرون حتفهم تحت الأقدام أكثر من الذين قضوا نحبهم نتيجة جراحهم. كان الصَّخب والضوضاء شديداً للغاية سواء من جرَّاء الصِّياح أو لأصوات ارتطام الأسلحة بعضها ببعض، لدرجة أنَّ جميع تلك الوديان بالجبل كانت مملوءةً بالرَّنين نتيجة صدى الصَّوت، ولم يبد هناك إلاَّ أنَّ لكلِّ شىءٍ رنينًا صاخبًا . وعلى فكرة يمكنكم تصديق ذلك ، ليس العالم بأسره ، بل كلُّ شىء للمسيحية وزهرة شبابها كان هناك ، حيث لحق به ضررٌ كبيرٌ فى ذلك اليوم لم تستطع إصلاحه طوال أوقاتٍ طويلةٍ وكثيرةٍ .

هكذا يرجع ذلك للملوك ولكبار القوم على سبيل المثال الذين ينبغى عليهم أوَّلاً قبل الإقدام على شىءٍ أن يتدبَّروا الأمر ويفكِّروا فيه جيداً بوعىٍ ممتازٍ ، وأنْ ينظروا العواقب الكثيرة الوخيمة التى يمكن أنْ تنجم عن ذلك لأنَّه ليس بسبب حماقاتهم وأخطارهم وأهوائهم يُصابُ ويموت من لا ذنب لهم ، كما يحدث فى كثيرٍ من الأحيان ، لأنَّ سذاجة هؤلاء تجعلهم يقضون نحبهم ويضحُّون بأرواحهم . هكذا يمكن أنْ نحكى عن كثرة القتلى والأخطار الدَّاهمة التى تعرض لها أفراد الجانبين ، على الرَّغم من أنَّ المتسببين فى دمارٍ مثل هذا لا يزالون على قيد الحياة، هذا الدَّمار الذى تسبَّب فيه الملك ليسوارتى، على الرَّغم من كونه حكيمًا رزينًا رصينًا فى جميع الأمور ، كما سمعتم من قبل ، لكنَّه تسبَّب فى هذا ولم يستجب لنصح أحدٍ ، اللهم إلاَّ لنصحه الذَّاتى .

إذن بعد أنْ ندع كلَّ ذلك جانبًا ، فاستنادًا إلى المكابرة المبالغ فيها والغضب الجامح اللذين يهيمنان علينا لكى يضعانا فى كثير من العواطف والآلام والمصائب الكبرى حيث أعتقد أنَّ الانتهارات والتوبيخات لها ما يبرِّرها ، سنعود إلى المقصد وأقول : بما أنَّ المعارك سارت على هذا النَّهج وقُتِلَ كثيرٌ من النَّاس ، فقد كان الزِّحام شديدًا واستحال أنْ يساعد بعضهم بعضا ، فقد كانوا جميعا مشغولين وكانوا يجدون أمامهم من يحاربونه . كان أجراخيس حريصًا على رؤية الملك ليسوارتى ، لكنَّه لم يره نظرًا لشدة الزِّحام وكثرة النَّاس ، وعندما اخترق صفوف القوات وجده قد أسقط دراجونيس فى هجوم من فوق جواده حيث تكسَّرت حربته وكان ممسكًا بالسَّيف بيده لكى يجرحه ، فتوجَّه إليه أجراخيس بسيفه ، وقال له :

- هيَّا إلىَّ ، يا ملك ليسوارتى ، فأنا الذى أبغضك وأمقتك كثيرًا .

عندما سمع ليسوارتى ذلك التفت برأسه وتوجَّه إليه ، وتوجَّه إليه أجراخيس أيضًا واصطدما أحدهما بالآخر بكلِّ قوةٍ ، ولم يستطيعا أنْ يصيبا بعضهما بعضًا ، واستلَّ أجراخيس السَّيف الذى كان يحضره فى سلسلةٍ وعانقه به . وكما قيل فى موضع آخر من هذه القصَّة إنَّ أجراخيس هذا كان أفضل فارسٍ فى الهجوم وكان أكثرهم حماسةً فى زمنه ، ولو ساعدته القوة والشَّجاعة لما كان هناك فارسٌ أفضل منه ، هكذا كان أجراخيس أحد الفرسان البارزين المتازين الذين يمكن أنْ نجدهم فى منطقة شاسعةٍ مترامية الأطراف . وبما أنَّهما كانا متعانقين فقد ظلَّ كلٌّ منهما يصارع الآخر كى يطرحه أرضًا من فوق جواده ، وكان أجراخيس فى خطرٍ عظيمٍ لأنَّ الملك كان أقوى منه جسدًا وأكثر شجاعةً، لولا الملك الطَّيِّب بيريون الذى جاء على الفور ، وجاء معه على الفور السَّيد فلوريستان ولاندين وإينيل وفرسان آخرون كثيرون ، وعندما رأى أجراخيس جاهد لكى ينقذه ، وقد حضر من الجانب الآخر السَّيد جيلان الكويدادور ، ونورانديل وبراندو إيباس وخيونتيس ، نجل شقيق الملك ، فهؤلاء على الرَّغم من قيامهم ببطولاتهم فى مكانٍ آخر وأعمال فروسية هائلة، كانوا دائمًا أعينهم على الملك يرقبونه ،

وقد كانت هذه مهمتهم . وعندما وصل هؤلاء أصاب الجانبان بالسيوف بعضهم بعضاً ، فقد تكسَّرت حرابهم بقوةٍ هائلة، وكان أمرًا غريبًا مثيرًا للدَّهشة أنْ يُرى ذلك ، وقد وصل أناسٌ من كلا الفريقين لنصرة فريقه ، لكن الملك وأجراخيس كانا متشبِّثين متماسكين فوق جواديهما لم يستطيعوا فصلهما بعضهما عن بعض، ولا حتى أنْ يطيح أحدهما بالآخر من فوق جواده لأنَّ رجال كلٍ منهما كانوا يحيطون به ويمنعون سقوطه على الأرض. وكان هذا أصعب جانب فى المعركة وأكبر ضوضاءٍ نتيجة الأصوات العالية المجتمعة ، وجاء إلى هناك كثيرٌ من الفرسان من الجانبين حضر من بينهم السَّيد كوادراجانتى ، وعندما جاء ووجد أنَّ الملك وأجراخيس متعانقان بقوةٍ توغَّل بين النَّاس بقوةٍ وجذب الملك بشدَّةٍ حتى كانا على وشك السُّقوط معًا ، ولم يرد أنْ يجرح الملك حتى لا يصيب أجراخيس بسوءٍ ، وعلى الرَّغم من أولئك كانوا يدافعون عن الملك صوَّبوا له ضربات ٍكثيرةً الذى فإنه لم يترك أجراخيس . أمَّا الملك أربان دى نورجاليس فقد جاء مع إمبراطور روما الذى لم يكن قد رأى الملك ليسوارتى منذ فترةٍ. وصل إلى هناك ولما رآه فى خطر عظيم ، توجَّه بقوة وعانق السَّيد كوادراجانتى بقوةٍ كبيرة جدا . هكذا كان الأفرادٍ الأربعة متعانقين وحولهم الملك بيريون ورجاله ، ومن الجانب الآخر نورانديل والسَّيد جيلان ورجالهما الذين لم يتوقفوا عن القتال . هكذا كان الأمر إذن زحامٌ وخطرٌ كبيرٌ ، وقد جاء من طرف الملك ليسوارتى الإمبراطور والملك ثيلادان وجراساندور بقوات كثيرة ، وقد جاء بعضهم بعضًا فى قوةٍ منقطعة النظير إلى المعركة ويضجيج وصخب كبيرٍ . وبالقوة استطاعوا إسقاط الذين كانوا يتحاربون . أمَّا المتعانقان فقد رأيا أنَّه من الأفضل أنْ يترك أحدهما الآخر ، وظلَّ الأربعة على الجياد ، ولكنهم كانوا منهكين مرهقى القوى لدرجة أنَّهم لم يستطيعوا البقاء على السُّروج ، وكان أناسٌ كثيرون من جانب الملك ليسوارتى يرون أنَّ الهزيمة كانت وشيكة الحدوث لولا طيبة الملك بيريون العظيمة والسَّيد كوادراجانتى والسَّيد فلوريستان والأصدقاء الآخرين ، لكونهم فرسانًا شجعانًا أبلوا بلاءً حسنًا كان أشبه بالمعجزة العظيمة .

هكذا كانوا جميعاً فى هذا الموقف المتأزم كما تسمعون، حينئذ وصل ذلك الفارس الشُّجاع جدا أماديس الذى كان يتحرَّك فى الجهة اليمنى للمعركة وقضى على كونستانتيو بضربةٍ واحدةٍ وألحق ضرراً كبيراً بكلِّ هذا الجانب ، وكان يحضر فى يده الأخرى سيفه الممتاز مخضَّباً بالدِّماء حتى مقبضه ، وقد جاء معه الكونت جالتينيس وجندالين وتيريون. وبما أنَّه رأى كثيراً من النَّاس حول والده ورجاله ، ورأى الإمبراطور فى المقدِّمة يقاتل كأنَّه فى معركة رابحة، فقد وضع المهاميز لجواده ، الذى كان قد أخذه فتىً من فتيان والده وجاء سعيداً مستريحاً، وتوغَّل بقوةٍ بين النَّاس فكان أمراً عجيباً أنْ ترونه يتحرَّك بهذا الشَّكل . تعرَّف عليه فلويان من الرَّايات والشِّعارات ، فارتاب فى إمكانية وصوله للإمبراطور ، فهم جميعًا لن يستطيعوا الدِّفاع عنه ولا حمايته، وبأقصى سرعةٍ استطاع وضع نفسه فى الأمام مخاطراً بحياته لكى ينقذ الإمبراطور . كان السَّيد فلوريستان موجوداً فى هذا الجزء فدخل فى آنٍ واحد مع أماديس ، ولما رأى فلويان توجَّه إليه بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ وتبادلا الضَّربات القوية بالسَّيفين فوق الخوذتين ، لكن فلويان لم يستطع البقاء فوق صهوة جواده وخرَّ مغشيًّا عليه فوق الأرض ، وقضى نحبه هناك من الضَّربة القوية ، وكذلك لكثرة النَّاس الذين مروا فوق جسده .

لم يغض أماديس طرفه لحظة واحدة عن معركته ، فقد كان يضع عينيه على الإمبراطور ، ويريد أنْ يقضى عليه – من أعماق قلبه – إنْ استطاع . كان بين رجاله ، وقد توغَّل بحنقٍ عظيمٍ كى يصيبه بجرح ، وقد تلقَّى أماديس ضرباتٍ قويةً من جانب رجال الإمبراطور دفاعًا عنه ، ولم يستطع الأعداء توجيه ضربات أبداً مثل تلك التى سدَّدوها إلى أماديس لكى يعوقوه من الوصول إلى الإمبراطور . وعندما وصل إليه استلَّ سيفه وجرحه بكل قواه وسدَّد إليه ضربة أخرى قوية فوق الكتف حطَّمت جميع الأسلحةٍ ولحم جسده حتى العظام ، بشكلٍ بقى هذا الرُّبع مع الكتف معلقًا فسقط من فوق الجواد ، وبعد برهةٍ من الوقت قضى نحبه ، عندما رآه الرُّومان الذين كانوا قريبين جدا، تعالت صيحاتهم لدرجه أنْ جاء كثيرون وأرادوا أنْ تستعر المعركة . وتحرَّك إلى هناك على وجه السُّرعة أركيسيل وفلامينيو ، وصلا إلى جانب كثيرٍ من الفرسان إلى

حيث كان يوجد أماديس والسَّيد فلوريستان ، فسدَّدوا ضربات ٍكبيرةً وقويةً إلى السَّيد فلوريستان من جميع الجهات ، لكن الكونت جالتينيس وجندالين وتيريون نادوا على السَّيد برونيو وأنجريوتى لكى ينضما إليهم لنجدتهم ونصرتهم وهم خمسة فقط ، وعلى الرَّغم من ذلك فقد استطاعوا أنْ يلحقوا خسائر كبيرة فى صفوف الأعداء . ذهب الملك بيريون مع السَّيد كوادراجانتى وأجراخيس وفرسان كثيرين إلى حيث يوجد الملك ليسوارتى والملك ثيلدادان، وآخرون كثيرون كانوا معهما، وقاتلوا بشراسةٍ. هكذا دارت المعركة الأكثر ضراوةً وشجاعةً طوال ذلك اليوم الذى شهد مصرع كثيرٍ من النَّاس ، لكن فى ذلك الوقت جاء السَّيد بريان دى مونجاستى والسَّيد جنداليس ، اللذان كانا قد جمَعا من رجالهما ستمائة فارسٍ ، وواجهوا الأعداء ببسالةٍ فى الجانب الذى كان يوجد فيه أماديس ورفاقه فأجبروهم على التَّقهقر لمسافةٍ كبيرةٍ بسبب ارتفاع وشدَّة صيحاتهم وأصواتهم حينذاك ، والتفت أربان ملك نورجاليس برأسه ورأى كيف أنَّ الرُّومان فقدوا ميدان القتال ، فقال للملك ليسوارتى :

- تقهقروا وإلاَّ فستخسرون المعركة .

عندما سمع الملك ذلك نظر فعرف أنَّ ما يقوله الحق . حينئذٍ طلب من الملك ثيلدادان مساعدته لكى يتقهقر برجاله حتى لا يفقدهم . هكذا فعلوا ذلك ، فكانوا دائمًا يعودون إلى الأعداء ويسدِّدون لهم ضرباتٍ قويةً للغاية حتى استطاعوا التَّقهقر إلى خط واحدٍ مع الرُّومان ، وهناك توقفوا جميعًا لأنَّ نورانديل والسَّيد جيلان وثينديل دى جانوتا ولاداسين وكثيرين آخرين انتقلوا إلى جانب الرُّومان الذى كان أكثر ضعفًا لتعزيزه وتقويته ، لكن كلَّ ذلك كان هباءً لأنَّ القضية كانت خاسرةً .

بينما كانت المعركة فى مثل هذه الحالة - كما تسمعون - رأى أماديس أنَّ جانب الملك ليسوارتى كان مقهورًا لا مناص من ذلك ، ولو أنَّ الحرب مضت قدُمًا فلن يكون فى مقدوره إنقاذه ، ولا حتى أصدقائه الكبار الذين كانوا معه، وخاصة أنَّه عنَّ لخاطره أنَّ هذا هو والد سيدته أوريانا ، تلك التى أحبَّها أكثر من كلِّ ما يوجد فى العالم ، فضلاً عن كونه يخشاها ولم ينس التَّشريفات والتَّكريم الذى حظى به وأسرته النَّجيبة

فى الأزمنة الماضية من جانب الملك ليسوارتى . كل ذلك كان ينبغى أنْ يضعه فى الحسبان وأنْ يُقدِّمه على الحنق والغضب ، وأنَّ أىَّ تصرف سيتمُّ فى مثل هذه الحالة سيكون مجداً وشرفًا عظيمًا بالنِّسبة له ، وستزداد فضيلته وستطغى على قليل من الشَّجاعة . ورأى أنَّ كثيراً من الرُّومان كانوا يحملون سيدهم الإمبراطور ويبكون بكاءً مرا ، وأنَّ النَّاس كانت تتفرَّق بعيداً عن ساحة القتال . ولأنَّ الليل كان على وشك أنْ يرخى سدوله فقد تذكَّر ، حتى ولو كان ذلك يلحق به قليلاً من الإهانة والخجل ، أنْ يقدِّم خدمةً إلى سيدته فى أمرٍ بارزٍ كهذا ، فأخذ معه الكونت جالتينيس الذى كان قريبًا منه ، وتوغَّل بأقصى سرعةٍ وبحماسٍ منقطع النَّظير بين القوات لأنَّ النَّاس كانوا كثيرين والزِّحامُ شديداً ، ولما رأى رجاله أنَّ الأمر فى صالحهم ضيَّقوا الخناق على أعدائهم بشجاعةٍ كبيرةٍ ، ولم يكن لدى الآخرين أىُّ دفاعٍ ، اللُّهم إلاَّ من جانب الملك ليسوارتى والملك ثيلدادان والفرسان الآخرين البارزين ، وقد وصل هو والكونت جالتينيس إلى والده الملك بيريون ، وقال له :

– سيدى ، الليل قادمٌ بعد وقتٍ قصيرٍ ، ولن نستطيع أنْ يتعرَّف بعضنا على بعضنا الآخر ، وإذا استمرت المعركة أكثر من ذلك فسيكون الخطر داهمًا ، نظراً لكثرة النَّاس، وقد نقتل الأصدقاء والأعداء سواءً بسواءٍ ، وهم سيقتلوننا . يبدو لى من الأفضل أنْ نبعد النَّاس ، لأنَّ الخسائر التى تكبدها أعداؤنا تجعلنى أعتقد أنهم لن يجرءوا على مواجهتنا غداً .

كان الملك يشعر بأسىً وحزنٍ كبيرٍ فى أعماق قلبه لأنَّه رأى كثيراً من النَّاس صرعى بلا ذنبٍ اقترفوه ولا جرم ارتكبوه ، فقال له :

– يا بُنى، افعل ما يحلو لك ، نظراً لما قلته وحتى لا يموت مزيدٌ من النَّاس ، فالله يعلم – لأنه عليمٌ خبيرٌ بكلِّ الأمور– ويرى أنَّ كلَّ ذلك فى سبيله لا لسببٍ آخر ، ففى أيدينا القضاء عليهم تمامًا ، لكونهم مهزومين مقهورين .

كان أجراخيس قريبًا من الملك ، ولم يره أماديس ، وسمع كلَّ ما حدث فأتى فى غضبٍ كبيرٍ إلى أماديس ، وقال له :

- كيف - يا سيدى وابن عمى - يكون لديكم الآن أعداؤكم مهزومون مقهورون ممزَّقون وبوسعكم أنْ تصبحوا أشرف أميرٍ وتريدون الآن إنقاذهم ؟

- سيدى نجل عمى - قال أماديس - إنَّنى أريد إنقاذ رجالنا ، فبحلول الليل لا أريد أنْ يقتل بعضنا بعضًا ، فأعداؤنا أعتبرهم مهزومين ، ولا يوجد لديهم أىُّ دفاعٍ أو مقاومةٍ .

بما أنَّ أجراخيس كان عاقلاً للغاية فقد عرف جيدًا رأى أماديس وإرادته، وقال له:

- إذنْ أنتم لا تريدون النَّصر ، أنتم لا تريدون السِّيادة ، وستظلُّون فارسًا جوَّالاً ، إذنْ فى مثل هذا الموقف تقهركم الشَّفقة ، لكن افعلوا ما ترونه خيرًا .

حينئذٍ بدأ الملك بيريون والسَّيد كوادراجانتى - الذى لم يحزن على ما أصاب الملك ثيلدادان الذى كان ذا قرابة معه وكان يحبُّه حبا جما - من ناحية ، وأماديس وجاستيليس من ناحية أخرى فى إبعاد النَّاس ، وقد قاموا بذلك فى وقتٍ قصيرٍ حيث جنَّ الليل .

كان الملك ليسوارتى بلا أىِّ أملٍ فى أن يستعيد ما فقده ، وقد قرَّر أنْ يموت قبل أنْ يكون مهزومًا. عندما رأى هؤلاء الفرسان يبعدون النَّاس كثيرًا دُهش دهشةً كبيرةً ، واعتقد جيدًا أنَّ وراء ما كانوا يفعلونه سرًّا ، وانتظر ما يمكن أنْ يسفر عنه ذلك . ولمَّا رأى الملك ثيلدادان ما كان يفعله الأعداء قال للملك :

- يبدو لى أنَّ هؤلاء النَّاس لن يطاردونا ، وهم بذلك يكرِّموننا ويشرفوننا ، وبالتَّالى إذنْ فلْنُجمِّع رجالنا ولنسترح قليلاً من الوقت .

هكذا تمَّ ذلك ، وأمر الملك أربان والسَّيد جيلان الكويدادور وأركيسيل وفلامينيو جميع الرُّومان بالتَّقهقر ، فتقهقر جميع النَّاس .

هكذا توقَّفت هذه المعركة كما تسمعون ، وإنَّ بداية هذه القصَّة الكبيرة كلها كانت تستند إلى تلك العلاقات الغرامية التى ربطت الملك بيريون بالملكة إيليسينا ، وكانت سببًا فى ميلاد هذا الفارس أماديس ، نجلهما ، من ذلك الحبِّ ومن هذا الذى يربطه

بسيدته أوريانا حيث كُتِبَ عنه وما زال يُكتَب عنه الكثير ، وإنْ كان الأمر قد تجاوز حدوده ، وهذا مبررٌ للاعتذار للذين أحبُّوا بجنونٍ ، وكذلك للذين يحبُّون مثلهم ، لكي يتم الحديث عن مدى الشَّجاعة الكبيرة لهذه العلاقات الغرامية الكبيرة ، التي أسفرت عن هذا الحدث الجلل الذي عرفه العالم وجمَّع أناسًا كثيرين من دول عظيمة وأسفر عن مصرع الكثيرين، والشَّرف والمجد العظيم الذي حقَّقه المنتصرون ، حيث تركوا كل شيءٍ جانبًا ، بين الغضب والحنق والعناد الكبير وهذه العداوة العتيقة ، فإنَّ أقلَّ تلك العداوات يكفي لكي يعمي ويصيب بالاضطراب أكثر الأشخاص رصانةً ورجاحة عقلٍ وشجاعةً مهما كان . لقد كان للحبِّ الذي أحسَّ به ذلك الفارس قوةٌ كبيرةٌ تجاه سيدته لدرجة أنَّه نسي المجد الكبير الذي كان يمكن أنْ يحققه في هذا العالم ، وهو النَّصر ، فتخلَّى عن ذلك ممَّا منح أعداءه هذه الميزة العظيمة التي سمعتم عنها، والتي، بلا أي شك ، بوسعكم تصديقها لأنَّه كان بيد إرادة أماديس ورجاله القضاء تمامًا على الملك ليسوارتي ورجاله دون أنْ يستطيع تفادي ذلك . لكن لا ننسى أن نعزو ذلك إلى الرَّب الذي يعلم كل شيءٍ وبيده إصلاح جميع الأمور ، ويمكن الاعتقاد بأنَّ ذلك تمَّ بإذن الله ومشيئته طبقًا للأمان والوئام العظيم الذي ستسفر عنه هذه العداوة الكبيرة كما سنسرده فيما بعد .

تمَّ إبعاد النَّاس وعادوا إلى مخيَّماتهم ، واتفقوا على هدنةٍ لمدة يومين لأنَّ القتلى كانوا كثيرين . وتمَّ الاتفاق بالتَّأكيد على أنْ يأخذ كلُّ طرف قتلاه . إنَّ العمل الشَّاق الذي بذلوه في دفن ضحاياهم والبكاء المرير على هؤلاء لا داعي لسرده ، لأنَّ مصرع الإمبراطور وما نجم عنه من بكاءٍ وحزنٍ جعل النِّسيان يُخيِّم على الباقين من القتلى . لكن سنترك الحديث عن ذلك وهؤلاء ، لأنَّ فيه إسهابٌ كبيرٌ ومثيرٌ للغضب حتى لا نخرج عن مقصد القصَّة .

الفصلُ الثَّانى عشر بعد المـــائة

كيـف أنْ الملك ليســوارتي حمـل جثمان إمبراطــور روما إلى دير ، وكيف تحدَّث مع الرُّومان عن ذلك الحدث الجــلل الذى ألمَّ بهم ، والرَّد الذى قدَّموه له .

وصل الملك ليسوارتى إلى خيمته ، وتوسَّل إلى الملك ثيلداذان الذى كان ينزل من فوق جواده ويخلع أسلحته أن يأمرا ، قبل أنْ يستريحا ، بأنْ يدفن جثمان الإمبراطور فى المكان الذى يليق به . وبما أنهما كانا أعزلين من السِّلاح ، وعلى الرَّغم من كونهما مرهقين منهكي القوى ، فقد وصل كلاهما إلى خيمة الإمبراطور ، حيث كان يرقد جثمانه ، ووجدا جميع كبار فرسانه وقد التفوا حوله يبكون بكاءً مرا . وعلى الرَّغم من أنَّ هذا الإمبراطور كان مكابرًا بطبعه ثقيل الدَّم – وهما أمران إذا توافرا فى أشخاص جديران بأنْ يجعلاهم مكروهين حتمًا – فقد كان صريحًا وليبراليا فى تقديم الخدمات لرجاله ويغدق عليهم النِّعم ، وبهذا كان يغطِّى ويخفى كثيرًا من عيوبه . ولأنَّه على الرَّغم من أنَّ الناس جميعًا يسعدون كثيرًا من هؤلاء الذين يحسنون استقبالهم بلطفٍ واحترامٍ حين يصلون إليهم ، فإنَّهم يكونون أكثر سعادةٍ من هؤلاء الذين ، على الرَّغم من فظاظتهم إلى حدٍ ما ، يلبُّون ما يطلبونه منهم من أمورٍ ، لأنَّ التَّأكد الحقيقى يكمن فى إعمال الفضيلة وليس فى الحديث عنها .

وصل هذان الملكان إلى خيمة الإمبراطور ومنعا هؤلاء الفرسان من البكاء ، وتوسَّلا إليهم بأنْ يذهبوا إلى خيامهم ويخلعوا أسلحتهم ويعالجوا قروحهم ويضمِّدوا جراحهم ، وأنَّهما لن يغادرا هناك حتى يدفن هذا الجسد فى المكان الذى يليق أنْ يكون فيه

أمير سامٍ رفيع المنزلة . ذهب الجميع إذنْ ، ولم يبق سوى ضباط المنزل . أمر الملك ليسوارتى بأن يقتربوا من الإمبراطور ، ثم بعد ذلك تمكَّنوا من حمله والسَّير به إلى ديرٍ كان على بعد مسيرة يوم ، بالقرب من مدينته ، كان يُسمَّى دير لوبينا ، لأنَّه يمكن نقله من هناك بسهولة إلى مقبرة الأباطرة فى روما . هكذا تمَّ ذلك ، ثم عاد الملكان إلى الخيمة التى كانا قد خرجا منها . وهناك كانوا قد أعدُّوا لهما العشاء ، فتناولا طعام العشاء ، وعلى ما يبدو كان الموجودون هناك سعيدى المحيًا ، لكن كان بعضهم فى قرارة نفسه ليس هكذا ، قبل ذلك كان الملك ليسوارتى حزينًا للغاية فى قرارة نفسه وعلى حذرٍ كبيرٍ ، لأنَّه بعد انتهاء الهدنة لم يكن ينتظر علاجًا واستردادًا لصحته ، واستنادًا للتَّفوق الذى أظهره أعداؤه فى المعركتين السَّابقتين والضَّعف الكبير الذى أصاب رجاله ولاحظه عليهم ، وعلى وجه الخصوص لدى الرُّومان ، وهم الغالبية ، ولأنه كان على علمٍ بقوة الأعداء وشجاعتهم ، لما ذُكرِ فإنه لم يكن فى وضعٍ يسمح له بأن يخوض غمار المعركة الثَّالثة ، ولم يكن ينتظر إلاَّ أن يتعرَّض شرفة للإهانة والهزيمة ، وإنْ كان الأمر الأكيد هو أنْ يلقى حتفه ، لأنَّه لم يكن يرغب فى البقاء على قيد الحياة إلاَّ للحفاظ على شرفه ما استطاع إلى ذلك سبيلا . وعندما تناول طعام العشاء ذهب الملك ثيلدادان إلى خيمته وظلَّ الملك ليسوارتى فى خيمته أيضًا .

هكذا قضيا تلك الليلة وقد شدَّدوا الحراسة على مخيَّمهما، وعندما أقبل الصَّباحُ نهض الملك ، ومنذ أنْ استمع إلى القُدَّاس واصطحب معه الملك ثيلدادان وذهب إلى خيمة الإمبراطور حيث كانوا قد نقلوا جثمانه ، وذهب فلويان برفقته إلى الدير الذى حدَّثتكم عنه واستدعى أركيسيل وفلامينيو وجميع الرِّجال الكبار الذين كانوا فى صحبته ، جاء الجميع أمامه ، فتحدَّث إليهم على هذا النَّحو :

- أصدقائى الطيِّبون ، إنَّ الحزن الكبير الذى ألم بى لمقتل الإمبراطور والرَّغبة والإرادة فى الانتقام له ، لا يعرف كنه ذلك أحدٌ إلاَّ الله . ولكن بما أنَّ هذه أمورٌ عاديةٌ فى هذه الدَّنيا ولا يمكن تفاديها ، هكذا كما يرى ويسمع كلُّ واحد منكم مدى الخسارة التى منيتُ بها فى المعركة السَّابقة ، لا القادمة ، فلن يكون هناك بدٌّ سوى أنْ ندع القتلى جانبًا ، وعلى الأحياء الباقين أنْ ينتقموا لشرفهم

وأن تسفر وفاتهم الطبيعية عن موتٍ صناعى لدى الأحياء . إنَّ ما حدث فى الماضى لن يتغيَّر ، أمَّا الحاضر فلا يزالُ ينتظرنا ، وإننا بفضل الله ما زلنا كثيرين ، وبذلك الحبِّ وبتلك الإرادة اللذين يتميز بهما الطيبون فنحن مضطرون لمساعدة بعضنا بعضا ، وإنَّنى على يقين بالله أنَّه سيعيننا بفضل مجدنا التَّليد وتفوقنا كى نسترد ما فقدناه حتى الآن ، وأريد أن تعرفوا عنِّى أنَّه لو أنَّ العالم بأسره أصبح عدوا لى وخذلنى منْ كانوا معى ، فإنَّنى لن أرحل عن هذا المكان إلا منتصراً أو ميِّتًا . وبالتَّالى يا أصدقائى الطَّيِّبون ، انظروا من تكونون أنتم ومن أىِّ سلالةٍ نجيبة أتيتُم ، فافعلوا فى ذلك ما استطعتم كى يعرف العالم بأسره أنَّ مقتل الإمبراطور لم يكن موتًا لجميع رجاله .

انتهى الملك ليسوارتى من كلمته ، وكان أركيسيل أهم جميع الفرسان سواء من حيث نجابة الأصل أو من حيث الشَّجاعة ، لأنَّه كما قلت لكم مراراً وتكراراً ، كان لأركيسيل الحق فى خلافة الإمبراطورية ، لذلك نهض وردَّ قائلاً على الملك ليسوارتى :

– كلُّ العالم يعرف منذ أنْ تأسَّست روما البطولات العظيمة والأمجاد التى حقَّقها الرُّومان فى الأزمنة الماضية وما نالوه من الشَّرف العظيم ، والقصص والحكايات مليئةٌ بذلك ، وتشير إلى البطولات الشَّهيرة من بين بطولات العالم ، مثل الشهاب بين النُّجوم. وبما أنَّنا ننحدر من هذا الدَّم ، فلا تعتقدوا جلالتكم ، يأيها الملك الطيبُ ليسوارتى ، ولا أىُّ عاهلٍ آخر سوى أننَّا الآن أفضل من الأوَّل بكثيرٍ ، وبمزيدٍ من الشَّجاعة والحماس سندع جانبًا كل خطرٍ وخوفٍ يمكن أنْ يتهدَّدنا ، وسنواصل طريق الكفاح الذى سار عليه أجدادنا ، حيث تركوا فى هذا العالم شهرةً جديرةً بالثَّناء وخالدةً . وبما أنَّ الذين يتحلَّون بالفضيلة ينبغى عليهم السَّير على هذا النَّهج ، وأنتم ، أيُّها الملك ، لا يثبط عزمكم ولا يتسرَّب الضَّعف إلى قلبكم لأنَّنى سأتكفَّل بهؤلاء الرِّجال جميعًا وبهؤلاء الذين منوطٌ بنا الحكم وتولى السُّلطة ، فإنَّنا بمجرد انتهاء الهدنة سنكون فى مقدمة المعركة وبمزيد من الشَّجاعة والحماس سنقاوم وسنحارب أعداءنا كأنَّ سيدنا الإمبراطور أمامنا .

لقد بدا ذلك جيداً لجميع الحاضرين هناك ما قاله ذلك الفارس ، وفى المقام الأوَّل الملك ليسوارتى ، وقد فهم أنَّه على حق فى أنَّه يستحق الشَّرف والسِّيادة اللذين منحهما الله إيَّاه ، كما سيذكر ذلك فيما بعد .

ذهب الملك ليسوارتى سعيداً جدا من هذا الرَّدِّ ، وقال للملك ثيلدادان :

- سيدى الطَّيِّبُ ، بما أنَّنا وجدنا هذا الاستعداد لدى الرُّومان وبمثل تلك الإرادة الطَّيِّبة سيساعدوننا ، وكنت لا أعتقد ذلك فى قرارة نفسى ، وبما أنَّ لدينا ذلك الفارس الطَّيِّب وذلك القائد الشُّجاع مثل آركيسيل هذا ، فهذا مبرِّرٌ ملائمٌ جدا لكى نستبعد كلَّ خطرٍ يهدِّدنا ، ولنُقبل على المعركة كما يحتِّم علينا واجبنا ذلك . وأمَّا بالنسبة لى فإنَّنى أقول لكم إنه بعد انتهاء الهدنة لن يكون أمامنا سوى خوض المعركة ، التى إذا لم يكتب الله لى النَّصر فيها فإنَّنى لا أريد أنْ يمنحنى الحياة ، فالموت سيكون لى أكبر شرفٍ . بما أنَّ الملك ثيلدادان كان فارساً ممتازًا وذا شجاعة كبيرةٍ - وإن كان قلبه دائمًا يشعر بالحزن والأسى لكونه يدفع الجزية لذلك الملك فبالنَّظر كثيراً إلى الوعد الذى كان قد قطعه على نفسه والقسم الذى كان مضطرا إليه أكثر من إرضاء إرادته ، ولم يكن يريد المشاركة فى الحرب ، قال له :

- سيدى ، كم أنا سعيدٌ جدا للاستعداد التَّام لدى الرُّومان ، وإنَّنى سعيدٌ أكثر لشجاعة قلبكم فإنَّ الأحداث المماثلة الماضية والمقبلة التى تُنتظر هى حجر الزَّاوية لاكتشاف فضيلتهم (أى الرُّومان) . أمَّا فيما يتعلَّق بى فكن على يقينٍ بأنَّنى حىٌّ أى ميتٌ ، حيث توجدون سيوجد جسدى هذا .

عندما سمع الملك ذلك . شكره شكرًا جزيلاً ، وازداد تقديره له منذ ذلك الوقت ، طبقًا لما عُرف منه فيما بعد فقد اقترح على نفسه ، أيًا كان القدر سعيداً أو غير ذلك ، أن يلغى السِّيادة التى كان يمارسها عليه ، وهذا ما تمَّ بعد ذلك ، كما ستسمعون فيما بعد . كان هذا الحدث بارزًا جداً وجديرا بالملاحظة لمن يقرأه ، فمجرَّد معرفة الملك ليسوارتى أن ذلك الملك لديه الرَّغبة فى التَّضحية بنفسه فى خدمته ، وإن كان

ذلك لم يحدث ، جعله يتكرَّم بإلغاء السيادة التى كان يمارسها عليه ، مما يفهم منه الإرادة الطيِّبة والحقيقية للملك ليسوارتى، سواء فيما هو روحىٌّ أم ما هو دنيوىٌّ زائلٌ ، لذلك فهو يستحق هذا الثَّناء كأنَّ الأمر قد حدث بالفعل لأنَّه من الإرادة والنِّية الحسنة تُولد نزعة الخير ومن نقيضها نزعة الشَّر .

وصل هذان الملكان إلى خيمتهما ، تناولا طعام الغداء واستراحا ، ثم أمرا بإعداد كلِّ الأمور الضَّرورية لكى يتخلَّصوا من تلك الإهانة الكبيرة (يقصد الهزيمة من جانب أماديس ومعاونيه) والبارزة التى كانت تُثقل كاهل شرفهم وحياتهم . لكن الآن سندع الجانبين كلاً فى مخيَّمه - كما سمعتم - ينتظران أنْ يُكتب المجد والنَّصر لهما فى المعركة الثَّالثة وإنْ كان يقين أحد الجانبين معروفًا وواضحًا ، وينبغى علينا أنْ نحكى لكم ما حدث فى تلك الهدنة ، كى تعرفوا أنَّ المكابرة والعناد والغضب الكبير والخطر الدَّاهم قد تجمَّعوا وأصبحوا قريبين جدا من هؤلاء النَّاس ، ولم يستطع أىٌّ من الفريقين أنْ يمنع ما أراد الله القادر على كل شىء أنْ يحدث .

الفصلُ الثَّالثُ عشر بعد المـــائة

كيف عُرِف بواسطة القديِّس الزَّاهد النَّاسك ناسيانو أنَّ إيسبلانديان الفتى الجميل أعدَّ هذه الهـــدنة الكبرى بين هؤلاء الملــوك ، واستعدَّ لإحلال السَّلام بينهم وما فعله فى هذا الشَّأن.

تَحكى القصَّة أنَّ ذلك الرَّجل القدِّيس ناسيانو الذى ربى إيسبلانديان - كما حكى الجزء الثَّالث من هذه القصَّة - كان فى صومعته فى تلك الغابة الكبيرة التى سمعتم عنها منذ أربعين عامًا. كان المكان نائيًا وبعيدًا للغاية ولم يكن يذهب إليه أىُّ شخص، وكان ناسيانو لديه ما يكفيه من الغذاء لوقتٍ طويلٍ، ولا يعرف ما إذا كان بفضل الرَّب أو بفضل الأنباء الجديدة التى كانت تُسمعُ منه، أنَّه عرِف كيف أنَّ هؤلاء الملوك والرِّجال العظماء كانوا فى خطرٍ داهمٍ وخزىٍ كبيرٍ سواء بالنِّسبة لأشخاصهم أو لجميع هؤلاء الذين يدينون بدينهم ، لأنَّه كما كان قد تلقى اعتراف أوريانا، وعرف منها كل شىءٍ عن أماديس وأنَّ إيسبلانديان هو نجله ، عرف جيدًا الخطر الكبير إذا غامرت بالزَّواج من شخص آخر ، لأنَّها كانت قد تزَوَّجت أماديس سرًا ، وبالتَّالى لا تستطيع الزَّواج من إمبراطور روما. ومن هنا فكَّرَ فى أنَّ أوريانا تؤيد جانب أماديس وأنَّها لم تكترث بغضب والدها ولم يكن بوسعها أنْ تخاف منه، فكَّر فى أنَّه من الأفضل ، على الرَّغم من كونه عجوزًا جدا أنْ يسلك الطَّريق للوصول إلى الجزيرة اليابسة بعد استئذانها ، لأنَّه بدون إذن منها لن يتمَّ ذلك ، كى يستطيع أنْ يُقنع الملك ليسوارتى بما لا يعرفه ، وبهذه الطريقة يصلح بينهما ويسود الوئام بينهما ويتأكَّد ذلك بزواج أوريانا من أماديس. بهذه الفكرة وتلك الرَّغبة ، عندما أحسَّ بالرَّاحة قليلاً وتعافى إلى حدٍ ما من

مرضه، أخذ معه رجلين من ذلك المكان الذى كانت تعيش فيه شقيقته ، وهى أم سارخيل الذى كان يسير مرافقًا لإيسبلانديان ، وشقَّ طريقه على ظهر حماره ، على الرغَّم من كونه ضعيفًا جدا . وسار على مراحل ومسافات قصيرة بمشقَّة بالغة حتى وصل إلى الجزيرة اليابسة فى الوقت الذى كان الملك بيريون وكلُّ الرِّجال قد رحلوا فيه إلى المعركة ، فحزن لذلك حزنًا شديدًا . إذنْ عندما وصل إلى هناك أخبر أوريانا بوصوله ، ولما علمت هى بذلك سُرَّت سرورًا كبيرًا للغاية لأمرين : الأوَّل ، لأنَّ هذا القديس النَّاسك هو الذى ربَّى ومنح الحياة بعد الله لنجلها إيسبلانديان، والثَّانى لكى تتلقى منه النصح لما تتطلَّبه روحها الطَّيِّبة وضميرها اليقظ ، وبعد ذلك أرسلت الفتاة الدَّانماركية لكى تخرج لاستقباله وتحضره إلى حيث توجد، هكذا فعلت ذلك. وعندما رأته أوريانا يدخل من الباب توجَّهت إليه وجثت راكعةً على ركبتيها أمامه وبدأت تجهش بالبكاء بشدَّةٍ ، وقالت له :

- يأيُّها الرَّجل الصَّالح ، بارك هذه المرأة سيئة الحظ والخطَّاءة التى لسوء حظها وآخرين كثيرين ولدت فى هذا العالم!.

اغرورْقت عينا النَّاسك بالدُّموع من تلك الشَّفقة التى تدفقت منها ، ورفع يده وباركها ، وقال لها :

- فليباركك الله المهيمن والقادر على كلِّ شىء وليحفظك ويصلح جميع أمورك.

حينئذٍ أمسك بيديها وساعدها على النُّهوض ، وقال لها :

- سيدتى الطَّيِّبة وابنتى الحبيبة ، بإرهاق كبير ومشقَّةٍ بالغة أتيت من أجل التحدُّث معكم، وعندما يحلو لكم مرينى بالسَّماع ، لأنَّنى لا أستطيع التَّوقف هنا كثيرًا فلا أسلوب حياتى ولا عاداتى تسمح لى بذلك.

كانت أوريانا تبكى ، وأمسكت بيده ، ولم تستطع الرَّد عليه بأىِّ شىء ، اللُّهم إلاَّ بنحيبها الذى لم يمكنها من الكلام ، ودخلت غرفتها معه وأمرت بأنْ يتركوها وحدها ، وهكذا تمَّ ذلك. عندما رأى النَّاسك أنه بلا شك يستطيع أن يقول ما يحلو له قال:

– سيدتى الطَّيِّبة ، إنَّنى كنت فى تلك الصَّومعة منذ وقتٍ طويل وتضرعت إلى الله ربَّنا أنْ يتغمد روحى بالرَّحمة ، بأن يتجاوز عن كلِّ أخطائى الدُّنيوية كيلا أجد إزعاجًا فى مقصدى ، لقد علمت أنَّ الملك والدكم وإمبراطور روما ومعهما كثير من النَّاس جاءوا لمحاربة أماديس دى جاولا ، وهو كذلك ووالده وأمراء آخرون وفرسان ممتازون فى طريقهم إلى المعركة. وما يمكن تحقيقه لا يمكن أنْ يعرفه أحد . وعلى فكرة ، فطبقًا للجماهير الغفيرة من النَّاس والقوة التى يبحث بها كل طرفٍ عن الآخر ، لن يسفر كلُّ هذا هنا إلاَّ عن خسارةٍ كبيرةٍ فى الجانبين ، وهذا يغضب الله ربَّنا . ولأنَّ السَّبب كما يقولون لى أنَّ الزَّوج الذى يريده والدكم لكم هو مع إمبراطور روما ، فأنا ، يا سيدتى ، قرَّرت أنْ أشُقَّ هذا الطَّريق الذى ترونه ، لأنَّنى شخصٌ يعرف السِّرَّ وكيف أنَّ ضميركم الحى فى هذه الحالة ، والخطر الكبير الذى يتعرَّض له شخصكم وشهرتكم ومجدكم إذا تمَّ ما يريده والدكم ، ولأنَّنى عرفت ذلك منكم خلال اعترافٍ يا ابنتى الطَّيِّبة ، لم أحصل على إذن منكم لكى أصلح الأمر ونتفادى الخطر الدَّاهم الذى يتهدَّد الجانبين بالحل المناسب والأمثل . الآن أرى الوضع الذى وصلت إليه الأمور ، وأرى أن الصَّمت وكتمان ذلك سيكون أكبر من الكبيرة نفسها وأكبر من التَّصريح به. أتيت لكى تسمحوا لى يأيتها الابنة الحبيبة ، بأنهَّ من الأفضل أنْ يعرف والدكم ما حدث فى الماضى وأنَّه لا يستطيع أنْ يزوِّجك من زوج آخر إلاَّ الذى لديك ، الأمر الذى لا يعرفه ، وبالتَّفكير فيما يريده والدكم يمكن الوفاء به عدلاً وإنصافًا ، لأنَّ عناده سيتسبَّبُ فى دمار كبيرٍ للفريقين المتحاربين إذا استمر فى مقصده ، وفى النِّهاية سيتم إفشاء السِّرِّ ويفتضح الأمر ، وكما يقول الإنجيل : "لا يمكن إخفاء سرٍّ إلاَّ ويُعرف".

كانت أوريانا هادئة النَّفس إلى حد كبيرٍ، أمسكت بيدى الناسك وقبلتهما عدة مرَّات رغمًا عنه ، وقالت له :

– آه يا يأيها الرَّجل الصَّالح ، ويا عبد الله ! أضع لدى رغبتكم وإرادتكم وأدع لديكم كلَّ همومى وكروبى لكى تفعلوا ذلك الذى فى صالح روحى ، وذلك الرَّب

الذى تعبدونه ، فقد أخطأت فى حقه كثيراً ، فتوسَّل إليه برحمته أنْ يتولى هذا الأمر ، ليس لأنَّنى كونى خطَّاءةً أستحق ذلك ، بل لأنَّه برحمته التى لا نهاية لها اعتاد أنْ يغفر لهؤلاء الذين أخطأوا فى حقِّه كثيراً، إذا كانوا من أعماق قلوبهم، مثلى الآن ، يطلبون منه العفو والغفران .

وردَّ عليها الرَّجلُ الطَّيِّبُ بسعادةٍ بالغةٍ :

- إذنْ يا ابنتى الحبيبة ، إنَّ ذلك الرَّب الذى تتحدَّثين عنه لم يخذل أحداً فى الشَّدائد الكبيرة إذا كان بقلبٍ حقيقى وندمٍ يناجيه ويتضرَّع إليه ، كونى على يقينٍ كبيرٍ ، وهذا يناسبنى مثل ذلك الذى بمزيدٍ من الأمانة والشَّرف يستطيع القيام بذلك وينبغى عليه البحث عن حل ليكون فى خدمته وأنْ يظلَّ شرفك مصوناً بذلك التأكيد الذى يتطلبَّه ضمير روحك، ولأنَّ التَّسويف سيترتب عليه أذىً وضررٌ كبيرٌ، فمن الملائم فيما بعد أنْ تقومى بنفسك ، يا سيدتى الطَّيِّبة ، بالتَّصريح لى لأنَّ العمل الشَّخصى الذى سأقوم به ، إنْ استطعت ، آمل أنْ يؤتى ثمرته الطَّيِّبة.

قالت له أوريانا :

- سيدى ناسيانو ، ذلك الغلام الذى وهبتموه الحياة بعد الله ، أوصيكم بأن تتضرَّعوا إلى الله من أجله عندما تعودون إلى هناك، حاولوا جاهدين أنْ تحضروه معكم، وتتوسَّلوا إلى الله كى يرشدكما ، بالشَّكل الذى تتحقَّق به رغبتكم فى سبيل الله .

هكذا انصرف النَّاسك الصَّالح ، وروحه مرهقةٌ جدا ولديه أملٌ كبيرٌ فى أن تتحقق رغبته ، توغَّل فى الميدان الذى عرف أنَّ النَّاس يتوجَّهون إليه ، لكن بما أنَّه كان عجوزاً جدا - كما تحكى القصَّة ذلك - ولا يستطيع السَّير إلاَّ على حماره، فقد كان سيره بطيئاً، ولم يستطع الوصول إلى مكان وجود قوات الجانبين . كما قلنا كانت القوات فى هدنةٍ يدفنون قتلاهم ويعالجون جرحاهم ، وصل هذا الرَّجل الصَّالح مخيَّم الملك ليسوارتى ، ولما رأى أناسا كثيرين من القتلى وآخرين من الجرحى ذوى جراح متنوِّعةٍ، وكان هناك

بكاءٌ مريرٌ وعويل شديد من أجلهم فى كلِّ مكان ، أصابه الذُّعر ورفع يديه إلى السَّماء باكيًا بمزيدٍ من الشَّفقة ، وقال :

- آه يا رب العالم ، أتضرَّعُ إليك برحمتك وعطفك اللذين تغمر بهما الخطائين من أمثالنا، دون أن تكترث بخطايانا الكبيرة وكبائرنا ، أتضرَّع إليك أنْ تنعم على بالفضل كى أستطيع تفادى هذا الشرِّ الكبير والخسائر الجسيمة التى ستلحق بعبادك.

دخل إذن المخيَّم فسأل عن خيام الملك ليسوارتى، وذهب إليها ليستريح ولم يذهب إلى أىِّ مكان آخر. نزل من فوق حماره ودخل إلى حيث يوجد الملك . عندما رآه الملك عرفه فيما بعد فدُهِشَ دهشةً كبيرةً لمجيئه ، لأنَّه طبقًا لسنه الكبير كان يُعتَقَد أنَّه لا يستطيع الخروج من الصَّومعة ، ثم ارتاب فى أنَّ مثل هذا الرَّجل العجوز جدا ذى الحياة الصَّالحة لم يكن ليأتى إلاَّ لأمرٍ عظيمٍ ، فتوجَّه إليه لكى يستقبله ، وعندما وصل إليه جثا أمامه على ركبتيه ، وقال :

- يأيها الأب ناسيانو، صديقى وعبد الله ، فلتباركنى .

رفع النَّاسك يده ، وقال :

- إنَّ ذلك الرَّب الذى أعبده والعالم بأسره مضطرٌّ لعبادته ، فليحفظكم الله وليمنحكم الحكمة والمعرفة وليتجاوز عن الأحداث الماضية لأنَّ الله يستهجنها ويزدريها ، أتوسَّل إليه أنْ تقوموا بمثل هذه الأعمال التى تنعم بها روحكم وتُنَعَّم ويكتب لها المجد والسَّكينة والطُّمأنينة ، وألاَّ تفقد روحكم هذا بذنبكم.

باركه الأب ناسيانو ورفع يديه ، وجثا الملك ليسوارتى على ركبتيه لكى يُقبِّلَ يدى النَّاسك، لكن ناسيانو عانقه ولم يرد أنْ يُقَبِّل الملك يديه ، أمسك بيديه وأجلسه إلى جواره ثم أمر بأنْ يُحضروا له الطَّعام ، وهكذا تمَّ ذلك . وبعد أنْ تناول الطَّعام انتحى به جانبًا فى مكانٍ بعيدٍ بالخيمة ، ثم سأله الملك عن سبب مجيئه ، وقال له إنَّه دُهِش

كثيراً بسبب كونه مسنًّا وقد جاء من مكانٍ بعيدٍ إلى هذه الأماكن النَّائية عن مسكنه . ردَّ عليه النَّاسك وقال :

– سيدى ، ينبغى الاعتقاد فى أنَّ ما تقولون صواب ، وعلى فكرة ، فطبقًا لكبر سنِّى ، وكذلك لوهن جسدى وضعف صحتى وحالتى الآن ، فأنا ما علىَّ سوى الخروج من صومعتى للتوجه إلى المحراب ، لكن من الملائم للذين يعبدون الله ويسعون فى سبيله والذين يريدون الالتزام وتنفيذ تعاليمه وتوصياته ، ألاَّ يكون السِّنُّ عائقًا ، ولا الإرهاق ولا مشقة العمل مهما كانا بوسعهما أنْ يثبطوا هممهم ولو لحظة واحدة ، حينما يتذكَّرون أنَّ الله خالق كلِّ شىء ، دون أدنى إجبارٍ من أىِّ شىء، اللهم إلاَّ رحمته وشفقته التى أرادت أنْ تمنحنا الفردوس ، الذى نجده مغلقًا أمامنا فى هذا العالم ، لكثرة الخطايا والخزى والعار من جانب أناسٍ غير شرفاء ، لذلك فقد ضحَّى السَّيد المسيح بحياته وتألَّم ألمًا كثيراً(*) ، فما الذى نستطيع أنْ نفعله نحن ؟ مهما قدَّمنا له ، فكل ما نفعله لا يصل حتى إلى رباط نعله ، مثلما قال له صديقه العظيم وخادمه. أعتبر ذلك ، وقد وضعت نصب عينى أنْ أدع الخوف جانباً وخطورة ما تبقى لدىَّ من العمر، وفكَّرت فى أنَّنى هنا أستطيع أنْ أسعى فى سبيل الله أكثر من أىِّ مكان آخر أكون فيه ، استعددت بمزيد من المشقَّة الشَّخصية، نظراً لسنِّى وظروفى، وبإرادة قويةٍ لكى أحقق مأربى فى أنْ أشقَّ هذا الطَّريق ، وتضرَّعت إلى الله أنْ يهدينى ويرشدنى، وأنتم ، ياسيدى ، تقبلون وساطتى وشفاعتى ، وأنْ تتركوا جانباً كلَّ غيظٍ وألمٍ ، وعلى وجه الخصوص المكابرة الملعونة الشِّريرة ، العدو اللدود لكل فضيلة وضمير ، لكى تظلوا فى طريق الله ، فما عليكم إلاَّ أنْ تنسوا كل الأمور التى فى هذا العالم قد تبدو ذات قيمة لدى الكثيرين ، أمَّا فى الآخرة ، وهى الدَّار الحقيقية ، فما هى إلاَّ أشياءُ مملَّةٌ . ولأتحدث ، يا سيدى، عن الموضوع ،

(*) عقيدة صلب السيِّد المسيح لدى المسيحيين وأنَّه ضحَّى بنفسه وقاسى ألمًا مبرحًا لكى ينقذ بنى ديانته وتابعيه . (المترجم)

أقول إنَّنى فى تلك الصَّومعة ، حيث قادكم القدر إليها، تلك الصومعة الكائنة فى ذلك الجبل الموحش والفظيع عندما تحدَّثتم معى عن كلِّ الأمور التى تتعلَّق بذلك الغلام الجميل جدا والذى نشأ نشأة حسنةً ، إيسبلانديان، علمت عن هذا الخزى الكبير والحرب القاسية حيث أجدكم الآن ، وأيضًا مبرِّرها وسبب نشوبها واندلاعها، وإنَّنى أعلم علمًا يقينيًّا أنَّكم ، يا سيدى ، تريدون تزويج كريمتكم من إمبراطور روما ، الذى تسبَّب فى كثيرٍ من الأذى والضَّرر لكم ، وهو أمرٌ لا يمكن أنْ يتمَّ ، ليس فقط لما قاله لكم الكبار والصِّغار مراراً وتكراراً فى مملكتكم ، أقول يا سيدى إنَّ هذه الأميرة، وريثتكم الشَّرعية وخليفتكم بعد أنْ تقضوا نحبكم ، هى السَّبب الشَّرعى لكى ترفض ذلك بضمير حى يقظ ، وهى على صوابٍ ، بل لسببٍ آخر أخفته عليكم وعلى كثيرين لكنَّها أفصحت لى عنه ، حيث لا يمكن بأىِّ حالٍ من الأحوال أنْ يتم ذلك الزَّواج ، وهذا يكمن فى أنَّ كريمتكم متزوِّجة من زوجٍ باركه الرَّبُّ.

عندما سمع الملك ذلك فكَّر، بما أنَّ هذا الرَّجل الطَّيب كان متقدِّمًا جدا فى العمر، فى أنَّ العقل والرَّصانة قد اختلا لديه وأنَّ شخصاً ما كان قد أخبره بذلك الذى تحدَّث عنه ، فردَّ عليه قائلا:

– يا ناسيانو، يا صديقى الطَّيِّب، إنَّ نجلتى أوريانا لم يكن لها زوجٌ قط ، وليس لديها الآن زوجٌ ، اللهم إلاَّ ذلك الإمبراطور الذى زوَّجتها له ، لأنَّها معه وإن كانت ستبعد عن مملكتى، فإنَّها ستجنى مزيداً من الشَّرف والرِّفعة ، والله شاهدٌ على أنَّ إرادتى ورغبتى ألاَّ أحرمها من الميراث لكى ترث كريمتى الأخرى كما يقول ذلك بعضهم ، لأنَّنى كنت قد وضعت فى اعتبارى أنَّ مملكتى هذه فى حبٍّ كبيرٍ إلى جانب إمبراطورية روما ستسمو بهما الدِّيانة الكاثوليكية، وإذا علمت أو فكَّرت فى الاعتبارات العظيمة التى ستسفر عن ذلك لعادت رغبتى وإرادتى إلى اتخاذ نصيحةٍ أخرى ، لكن لأنَّ قصدى إذن كان عادلاً وطيِّبًا فأنا أدرك أنَّ ما حدث وأن ما سيحدث لا يمكن على الإطلاق أن يكون الذَّنب ذنبى أو أُتَّهم بمسئوليتى عنه.

قال له الرَّجل الطَّيِّبُ :

- سيدى ، ولذلك فقد قلت لكم إنَّ ما أُخفى عليكم تمَّ الإفصاح به لى. ولندع جانبًا ما تقولونه بشأن الغضب والإرادة ، لأنَّه طبقًا لرجاحة عقلكم والشَّرف العظيم الذى اختصَّكم الله به ، يمكن أنْ تعرفوه . وأقول لكم إنَّ اليوم الذى جئت فيه تلبيةً لأمركم إلى الخيام فى الغابة حيث كانت الملكة وأوريانا نجلتها مع كثيرٍ من الوصيفات والقهرمانات وأنتم مع كثير من الفرسان ، وعندما رأت معى ذلك الفتى السَّعيد إيسبلانديان الذى أحضرته اللبؤة فى شبكة ، حيث وعده الله بالخير الكثير مثلكم ، يا سيدى الطَّيِّب ، وقد سمعتم ذلك ، تحدَّثت الملكة وأوريانا معى عن السِّر الذى يخفيانه فى ضميريهما لكى يكون باسم ذلك الرَّب الذى خلقهما وسينقذهما بتقديم الكفَّارة التى تلائم صحة روحيهما ، علمت من كريمتكم أوريانا كيف أنَّه منذ ذلك اليوم الذى اختطفها فيه أماديس دى جاولا من أركالاوس الإنكنتادور من الفرسان الأربعة الذين كانوا يحملونها أسيرةً ، فى الوقت نفسه الذى كنتم قد سحرتم فيه على يد الفتاة التى أخرجتكم من لندن مقابل الهدية التى وعدتموها بها وكنتم أسيرًا وفى خطرٍ داهم حيث كنتم ستفقدون جسدكم وكلَّ ملككم وسلطانكم ، والذى أنقذكم منه جالاور، شقيقه ، معرِّضًا حياته للخطر ، ونظرًا لهذه الخدمة الجليلة التى قدَّمها لها فضلاً عمَّا فعله شقيقه من أجلكم ، مكافأة على ذلك واعدت أوريانا أماديس ذلك الفارس النَّبيل الذى ردَّ الحقوق لكثيرٍ من المكروبين والمظلومين . إنَّه زهرة ومرآة جميع فرسان العالم ، سواء فى نجابة الأصل أو فى الشَّجاعة وكذلك فى جميع الخصال الأخرى التى ينبغى على الفارس أنْ يتحلَّى بها . ثم كانت إرادة الرَّب فى أنْ يولد إيسبلانديان الذى اختصَّه بمزيد من السِّمات والخصال التى فاقت أقرانه من الأحياء ، وصدقًا نستطيع أنْ نقول إنَّه عاش فى رخاءٍ وسخاءٍ خلال الأوقات الماضية ، وسيحيا أيضًا كذلك خلال الأزمنة المقبلة ، لم يعرف من بين الرِّجال كيف نشأ وترعرع إنسان فانٍ بمعجزةٍ مدهشةٍ . ومن أفعالها وتصرفاتها على الملأ أثبتت ذلك تلك الحكيمة العظيمة أورجاندا لاديسكونوثيدا ،

وأنتم يا سيدى خير من تعرفونها؛ هكذا نستطيع القول إن ذلك تمَّ بمحض الصُّدفة ، على ما يبدو ، فإن ذلك لم يكن إلاَّ سرا من أسرار الرَّبِّ، والذى أتضرَّع إليه بأنْ يتم كذلك . فبالنِّسبة للرَّبِّ هو سعيد جدا بذلك يا سيدى ، وبالتَّالى لا ينبغى أنْ يحزُنك ، بأنْ تعتبر أنَّ هذه هى إرادته ، أمَّا النُّبل والشجاعة الفائقة لهذا الفارس ، فينبغى أنْ تتقبلوهما من جانب أصله النَّجيب على أنَّه سيكون بمثابة نجلكم وخادمكم ، وذلك بإصدار أمر ، كما تستطيعون ذلك ، لأنَّ شرفكم مصونٌ ، بأن تبعدوا الخطر الحالي ، وفى المستقبل تضعوا فى الاعتبار أنَّ أشخاصًا نوى ضمائر ويقظة سيقرِّرون ما سيكون فى خدمة ذلك الرَّبِّ ، الذى ولدنا فى هذه الدنيا لكى نعبده ، والآن يا أيُها الملك ليسوارتى العظيم، أريد أنْ أختبركم فى الحفاظ على هذا السِّرِّ الذى أراد الله أنْ يختصكُم به والنُّمو والمملكة العظيمة التى منحكم إيَّاها بسبب كرمه وسخائه لا لكونكم أهلاً لها . والرَّب إذن قد فعل لكم أكثر مما تستحقون ، وبالتَّالى لا تستكثروا اتباع ما تُعلِّمه إياكم وصاياه وتعاليمه.

عندما سُمِع ذلك من جانب الملك دُهِشَ دهشةً كبيرةً ، وقال :

– آه، يأيُّها الأب ناسيانو ، هل حقيقة أنَّ كريمتى متزوِّجةٌ من أماديس؟

– بالتأكيد، إنَّها حقيقةٌ ، إنَّه زوج كريمتكم والفتى إيسبلانديان هو حفيدكم.

– آه يأيتها العذراء ماريا البتول! – قال الملك – يا لسوء إخفاء هذا السِّرِّ علىَّ وقتًا طويلاً ، لو علمت به أو فكَّرتُ فيه لما قتل وفقد كثير من المكروبين بلا ذنبٍ اقترفوه. وأنا أريد منكم ، يا صديقى الطَّيِّب ، أنْ تقوموا بإفشاء ذلك فى أسرع وقتٍ.

– هذا ليس ممكنًا – قال الرَّجل الطَّيِّبُ – لأنَّ ما يقال فى الاعتراف لا ينبغى إفشاؤه أو الإفصاح عنه . وإذا كنت قد أفصحت عنه الآن فقد كان بإذنٍ من تلك الأميرة التى أجيء من طرفها الآن لكى أكشفه لك ولأنَّنى واثق من أنَّ الرَّبَّ منقذ العالم إذا تمَّ حل موضوع الحرب ليكون هذا الأمر فى سبيل الله،

فإنه بتكفير بسيط عمّا حدث فى الماضى سيعفو ويصفح عنه ، لأنَّه يبدو أنَّ العمل هو الذى لحق به الضَّرر أكثر من النِّية والقصد(*).

ظلَّ الملك برهةً من الوقت يفكِّرُ دون أنْ يقول شيئًا ، حيث عنَّ لخاطره الشَّجاعة العظيمة لأماديس وكيف أنَّه يستحق أنْ يكون سيِّدًا لأراضٍ شاسعةٍ كما كان ، وأنْ يكون زوجًا لإنسانةٍ تكونُ سيدة العالم، وكذلك الحبُّ الكبير الذى يكنُّه لكريمته أوريانا ، وأنَّ الفضيلة والضَّمير الحى اليقظ يحتِّمان عليه أنْ يجعلها وريثةً له ، فإنَّ هذا حقها ، والحبُّ الذى كان يكنُّه دائمًا للسَّيد جالاؤر فضلاً عن الخدمات الجليلة التى قدَّمها له هو وأسرته نجيبة الأصل، ومرارًا وتكرارًا كانوا بعد الله هم الذين أنقذوه من الموت ومملكته من الدَّمار التَّام ، وعلى وجه الخصوص إيسبلانديان ذلك الغلام الجميل جدا الذى كان يعقد عليه أملاً كبيرًا إذا حفظه الله وأصبح فارسًا استنادًا إلى ما كتبته أورجاندا ، فلن يكون له مثيل بالعالم فى الطِّيبة والخصال الكريمة ؛ وكما ذكرت أيضًا فى رسالتها أنَّ هذا الفتى سيكون سببًا فى إحلال السَّلام بين الملك ليسوارتى وأماديس . كما تذكر أيضًا أنَّ الإمبراطور قد قُتل ، وإذا كان بمصاهرته سيكتسب شهرةً وجاهًا وسلطانًا ، فإنَّه بمصاهرته لأماديس سيتحقَّق له ذلك أيضًا ، وهكذا من واقع الخبرة مرارًا وتكرارًا فقد رأى ذلك ، هذا فضلاً عن أنَّه ستهدأ نفسه وسيستريح باله كما ستستقر مملكته ، وسيزداد شرفه أكثر من أىِّ أحدٍ من أقرانه بالعالم ، وبعد شروده عاد إلى نفسه ، وقال :

– أيُّها الأبُ ناسيانو، يا صديق الرَّب ، بما أنَّ قلب وإرادة المكابرة كانت تحكمنى تمامًا فلم يكن لدىَّ رغبة أخرى سوى التَّضحية بنفسى أو أنْ أقتل كثيرين آخرين لكى أنتقم لشرفى ، إلا أنَّ كلماتكم الطَّيِّبة اتَّسمت بالفضيلة لذلك قرَّرت التَّراجع عن إرادتى ورغبتى ، لكن إذا لم يتحقَّق السَّلام والوفاق والوئام فلتكونوا شاهدًا أمام الله بأنَّ الذَّنب لم يكن ذنبى ولا المسئولية مسئوليتى . لذلك لا تدعوا الحديث مع أماديس ، ولا تفصحوا له عن مقصدى ، استشيروه ماذا يريد فى هذا الأمر وأخبرونى بذلك. وإذا كان موافقًا على رأيى ،

(*) إنَّما الأعمال بالنِّيَّات : المترجم .

فليتمكَّن من إصدار الأمر الذى يقتضيه هذا الوضع ولتخبرونى به. وإذا كان رأيه موافقًا لرأيى ينبغى إصدار ذلك الأمر لوقف هذه الحرب سواء فى الوقت الحاضر أو المستقبل لصالح شرف الطَّرفين كليهما.

جثا ناسيانو باكيًا أمامه من فرط السَّعادة التى أحسَّ بها ، وقال :

- آه يأيُّها الملك السَّعيد ، إنَّ الرَّب الذى جاءنا لينقذنا سيشكر هذا الذى تقولونه لى ، لأنَّنى لا أستطيع!

ساعده الملك على النُّهوض ، وقال له :

- أيُّها الأب ، هذا الذى قلته لكم لقد قررته دون أنْ أنتظر منه الإجابة .

- إذنْ من المناسب لى - قال الرَّجلُ الطَّيِّبُ - أنْ أنصرف الآن قبل أنْ تنتهى الهدنة طالما أنَّ هذا فى سبيل الرَّبِّ.

هكذا خرج الملك وناسيانو إلى الخيمة الكبيرة التى كان بها فرسانٌ كثيرون، وأناسٌ آخرون . وعندما أراد النَّاسك وداع الملك دخل من باب الخيمة ذلك الفتى الجميل ، خادمه إيسبلانديان ، ومعه سارخيل نجل شقيقة الناسك حيث أرسلته الملكة بريسينا لكى تعرف أخبار زوجها الملك . عندما رآه الرَّجلُ الطَّيِّبُ كبيرًا يدخل كأنَّه رجلٌ ، منْ ذا الذى يستطيع أنْ يحكى لكم السَّعادة الغامرة التى عمَّت الحاضرين ؟! بالتَّأكيد سيكون ذلك مستحيلاً . هكذا إذنْ كان مع الملك ، توجَّه إليه بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ لكى يعانقه . والفتى على الرَّغم من أنَّه لم يره منذ وقتٍ طويلٍ عرفه وجثا أمامه على ركبتيه وبدأ يُقبِّلُ يديه، وقد أخذه الرَّجل الصَّالح بين ذراعيه وقبَّله عدَّة مرَّاتٍ فى سعادةٍ غامرةٍ لدرجة أنَّه تركه شبه فاقد الوعى تقريبًا ، وهكذا ظلَّ كذلك فترة كبيرةً ، لم يستطع الابتعاد عنه قائلاً له على النَّحو التَّالى :

- آه يا ابنى الطَّيِّبُ ، نعمت السَّاعة التى وُلِدت فيها! وحمداً لله الذى أراد بهذه المعجزة أنْ يهبك الحياة وأن تبلغ الحال الذى أنت عليه الآن وتراه عيناى !

وبينما استمر هذا الوضع ، كان الجميع ينظرون إلى ما كان يقوله ويفعله ذلك الرَّجل الطَّيِّبُ ، والسُّرور البالغ لرؤية الطِّفل الذى ربَّاه . وقد اهتزت القلوب عندما شاهدت هذا الحبَّ الفياض. لكن سرور الملك ليسوارتى فاق سرور الجميع وإن كان لم يظهر ذلك ؛ فعلى الرَّغم من أنَّه كان يحبُّه حبا جما من قبل وكان يكنُّ له تقديراً كبيراً لما كان ينتظره منه ولجماله الفتَّان ، فلا وجه لمقارنة ذلك بالسَّعادة التى أحسَّ بها عندما تأكَّد أنَّه حفيده ولم يكن يستطيع أنْ يغيب عن عينيه ، فقد كان الحبُّ كبيراً الذى غزا قلبه فجأةً لدرجة أنَّ كل الحنق والغضب الذى قد انتابه حتى ذلك الحين من الأحداث الماضية ، تخلَّص منه تماماً وعاد إلى حبِّه الجم الفياض لأماديس كما كان فى الماضى . ثمَّ بعد ذلك عرف أنَّها حقيقةٌ كبرى التى كانت أورجاندا لاديسكونوثيدا قد كتبت له بشأنها ، وأنَّ إيسبلانديان سيجعل السَّلام يسود بينه وبين أماديس ، وهكذا اعتقد حقا أنَّ كل الأمر الآخر أكيدٌ صحيحٌ . بعد أنْ ظلَّ الرَّجل الطَّيِّب معانقًا إيَّاه بحبٍّ كبيرٍ فياضٍ تركه من بين ذراعيه ، وذهب الفتى لكى يركع على ركبتيه أمام الملك وأعطاه رسالةً من الملكة، التى توسَّلت إليه كثيراً كى يسود السَّلام والوئام إذا كان ذلك سيخدم شرفه فضلاً عن أمورٍ أخرى كثيرة ليس من الضرورى ذكرها . قال الرَّجل الطَّيِّبُ للملك :

– سيدى ، سيكون تفضُّلاً كبيراً منكم وسلوى لروحى أنْ تسمحوا لإيسبلانديان بمرافقتى طالما أنَّنى أتحرَّك هنا بين ظهرانيكم ، لأنَّنى مشتاقٌ لرؤيته والتَّحدث معه.

– هكذا سيتم ذلك – قال الملك – وسآمره بألاَّ يبتعد عنكم طالما أنَّ هذه رغبتكم .

شكره الرَّجُلُ الطَّيِّبُ شكراً جزيلاً ، وقال:

– يا ابنى السَّعيد ، اذهب معى ، حيث يأمر الملك بذلك .

قال له الغلام :

– سيدى الطَّيِّب ووالدى الحقيقى ، إنَّنى سعيدٌ للغاية لأنَّنى منذ وقتٍ طويلٍ مشتاق لرؤياكم .

هكذا خرج من الخيمة مع هذين الغلامين إيسبلانديان وسارخيل ، نجل شقيقته ، وركب حماره وهما جواديهما وشقَّ طريقه إلى حيث يوجد مخيَّم أماديس ، تحدَّث معه عن أمورٍ كثيرة سارةٍ ، وكان يرجو الله دائمًا أن يُنعِم عليه بالتَّوفيق فى المهمَّة التى يقوم بها وليكن ذلك فى سبيل الرَّبِّ وخدمته . وبهذه التَّضحية التى سمعتم عنها وصل الرَّجل الطَّيِّبُ النَّاسك إلى المخيَّم وتوجَّه مباشرةً إلى خيمة أماديس ، حيث وجد كثيراً من الفرسان مدجَّجين بالسِّلاح مما أصابه بالدَّهشة كثيراً . لم يعرفه أماديس لأنَّه لم يره قط ، ولم يفكِّر فيما يمكن أن يطلبه رجلٌ عجوزٌ جدا ومريضٌ للغاية ، ونظر إلى إيسبلانديان فرآه جميلاً جدا لدرجة أنَّه لم يكن بوسعه أنْ يعتقد أنَّ بشراً فانيًا يكون على مثل هذا القدر من الجمال ولم يعرفه أيضًا ، على الرَّغم من أنَّه تحدَّث معه عندما طالبه الفارسان الرُّوميان بنزالهما وهزمهما وسلَّمهما له كما حكت ذلك هذه القصَّة ، لقد كان لقاءً خاطفًا ممَّا جعله ينساه ولا يتذكَّره . لكن السَّيد كوادراجانتى الذى كان موجوداً هناك عرفه فيما بعد وذهب إليه ، وقال له :

– صديقى الطَّيِّب ، أريد أنْ أعانقكم ، وهل تتذكَّرون عندما التقينا بكم أنا والسَّيد بريان دى مونجاستى وأرسلت معنا ببعض التَّوصيات للفارس الإغريقى ؟ وقد أبلغتها إيَّاه من طرفكم .

حينئذٍ توجَّه إلى أماديس ، وقال له :

– سيدى الطَّيِّبُ، هل ترى ذلك الغلام الجميل إيسبلانديان ، الذى أبلغناكم أنا والسَّيد بريان دى مونجاستى التَّوصية بشأنه؟

عندما سمع أماديس اسم إيسبلانديان عرفه فيما بعد ، وإذا كان قد سرَّ لرؤيته فإنَّ هذا يستحيل وصفه ، حيث فقد حواسه من السَّعادة الغامرة التى غزت نفسه لدرجة أنَّه لم يستطع الرَّدَّ تقريباً ولا حتى تذكُّر نفسه، وإذا تأمَّل ذلك شخصٌ ما بعقله لرأى بكلِّ وضوح اضطرابه ، لكن لم يكن هناك أدنى شك فى مثل هذا الأمر، كان الجميع على يقين من ذلك ، ولولا أنَّ أورجاندا قالت ذلك لما عرف الغلام من هو والده . إذنْ أمسك السَّيد كوادراجانتى إيسبلانديان من يده ، وأراد أماديس أنْ يعانقه ، لكن إيسبلانديان قال له :

– سيدى الطَّيِّبُ ، شرِّفوا وكرموا هذا الرَّجل الصَّالح ناسيانو الذى جاء فى طلبكم.

وبما أنَّ الجميع سمعوا أنَّ ذلك الرَّجل هو ناسيانو الذى يشتهر بالصَّلاح والزُّهد فى الحياة فى جميع أنحاء العالم ، توجَّهوا إليه فى تواضع جم ، وركعوا بركبتيهم على الأرض ، وتوسَّلوا إليه أنَّ يباركهم .

قال النَّاسك :

- أتضرَّع إلى الرَّب ، إذا كنتم تطلبون مباركة خطَّاءٍ مثلى وإذا كان سيقبل منِّى تلك المباركة ، أتضرَّع إليه أنْ ينزع الغضب الكبير والمكابرة من قلوبكم ، وأنْ يهديكم إلى سبيله وأنْ يجعلكم تنسون الأمور التَّافهة الفانية لهذه الدُّنيا ، وأنْ تتشبثوا بالأمور الحقيقية ، الأمور الأخروية ، كما أنَّ الله حقيقةٌ لا مراء فيها ولا شكٍ.

حينئذ رفع يده وباركهم . التفت أماديس إلى إيسبلانديان وعانقه ، وقد قابل إيسبلانديان ذلك بالوقار والاحترام والتَّبجيل ، لا لكونه والده ، لأنَّه لم يكن يعرف ذلك ، بل لأنَّه أفضل فارس سمع عنه فى حياته ، ولهذا السَّبب كان يقدِّره ويُجلُّه كثيرًا ويسعد برؤيته ولا يريد بأىِّ حالٍ من الأحوال أنْ يرفع عينيه عنه من شدَّة الإعجاب به. ومنذ ذلك اليوم الذى رآه فيه يهزم الفارسين الرُّوميين كانت رغبته أنْ يسير فى صحبته ليخدمه رغبةً فى أنْ يشاهد بطولاته فارسًا ، لكى يتعلَّم منه فى المستقبل ، والآن أصبح كبيرًا واقترب من عمر الفارس ، فكان يتوق إلى ذلك ، ولولا الشِّقاق والفرقة بين سيده الملكٍ وبين أماديس لطلب إذنًا لكى يذهب فى رفقته ، هذا هو الذى منعه حتى ذلك الحين . كان أماديس لا يكاد يرفع عينيه عن الغلام ، وكان يرى كيف أنَّ الفتى ينظر إليه بحماسٍ ، وشكَّ فى أنَّه قد يعرف شيئًا . لكن النَّاسك الطَّيِّب الذى كان يعرف الحقيقة كان ينظر إلى الأب وإلى الابن ، وبما أنَّه كان ينظر إليهما معًا وهما جميلان جدا ، فقد كان فى غاية السُّرور وكأنَّه فى جنَّة الفردوس ، وكان يتضرَّع إلى الله فى أعماق قلبه فى أن يُتوِّجَ مسعاه بالنَّجاح ويعمَّ السَّلام بينهم جميعًا فهم زهرة هذا العالم ، وأنْ يسود الحبُّ والوئام والوفاق بينهم . إذنْ كانوا جميعا يلتفون حول الرَّجل الصَّالح الذى قال للسَّيد كوادراجانتى :

– سيدى ، إنَّنى أريد التَّحدُّث فى بعض الأمور مع أماديس، خذوا معكم هذا الغلام، لأنَّكم الشَّخص الوحيد بين هؤلاء الرِّجال الذين تعرفونه وتتحدَّثون معه.

حينئذٍ أمسك أماديس من يده وانتحى به مكانًا بعيداً ، وقال له :

– يا بُنى، قبل أنْ أذكر لكم السَّبب الرَّئيسى لمجيئى، أريد أنْ أذكِّركم بأمرٍ عظيم، فأنت خلافًا لجميع البشر الأحياء الآن ، قد باركَكم الرَّب ساعة مولدكم حيث ألقى بكم فى البحر داخل صندوقٍ مغلق فى سفينةٍ دون حارس إلا الرَّب منقذ العالم ، الذى شملكم برحمته ، وقد سلَّمكم بمعجزة إلى منْ أحسن تربيتكم . هذا الرَّب الذى أحدِّثكم عنه هو الذى جعلكم أجمل إنسانٍ والأقوى والأشرف والمحبوب من بين رجال العالم كله وقد اختصَّكم بفضله ونعمته . ولقد هُزِم على أيديكم كثيرٌ من الشُّجعان والفرسان والعماليق ومخلوقاتٌ أخرى متوحِّشةٌ ومشوَّهة ألحقت أضراراً كثيرةً بهذا العالم . أنتم أشهر رجل بين رجال العالم أجمع . لقد فعل الرَّب كثيراً من أجلكم. أليس هذا بمبرِّرٍ لكى تفعلوا شيئًا من أجله جلَّ شأنه ؟ بالتَّأكيد لو لم يخدعكم العدو الشِّرير، لاستطعتم بمزيد من التَّواضع والصَّبر أنْ تفعلوا شيئًا فى سبيل الرَّبِّ ، وإذا لم تفعلوا ذلك فإنَّ جميع النِّعم والفضائل التى منَّ بها عليكم ستلحق ضرراً كبيراً بشرفكم ، لأنَّ رحمته واسعة بالنِّسبة للذين يطيعونه ويعرفونه حقَّ المعرفة، وهكذا يكون قصاصه أكبر من هؤلاء الذين اختصَّهم بنعمه وفضائله ، ولم يعترفوا بذلك ولم يشكروه عليها. والآن يا ابنى الطَّيِّب ، أنتم تعرفون مدى هرمى وشيخوخة جسدى وتدهور صحتى ، ومع ذلك أطمع فى تحقيق ذلك المقصد حيث أردت أنْ أترك الأمور فى هذا العالم الفانى ، من أجل ذلك أتيت، بمشقَّةٍ بالغةٍ وحماس من تلقاء نفسى ، بعون ذلك الرَّب الذى لولاه لا يمكن أنْ يكون هناك شيءٌ طيِّبٌ أفضل من أنْ يسود السَّلام والمحبَّة حيث تكثر المصائب والأخطار ، مثلما يبدو عليه الحاضر حاليًا. ولأنَّنى تحدَّثت مع الملك ليسوارتى ، ووجدت لديه ذلك

الذى يتصف به كلُّ ملك يخدم الرَّب وينبغى عليه أنْ يكون فى طاعته ، أريد أنْ أعرف منكم هل تئوبون إلى هذا الرَّبِّ الذى أنشأكم ومنَّ عليكم بالمجد فى هذا العالم . ولأنَّكم بوسعكم التحدُّث معى دون أىِّ ارتيابٍ أو خوفٍ، أودُّ إبلاغكم بأنَّنى قبل أنْ أجىء إلى هنا ذهبت إلى الجزيرة اليابسة وبإذنٍ من الأميرة أوريانا ، التى عرفت منها فى اعترافٍ كلَّ ما بقلبها والأسرار الكبيرة التى تحتفظ بها ، أخذت على عاتقى هذه المهمة التى تروننى فيها الآن.

عندما سمع أماديس ذلك اعتقد أنَّه يقول له صدقًا، لأنَّ هذا الرَّجل صالحٌ ، ومهما كان الأمر لن يقول إلاَّ الصدق وما هو أكيد صحيح ، لذلك ردَّ عليه على النَّحو التَّالى :

- يا صديق الله ، يا أيُّها النَّاسكُ الصَّالح ، إذا كنتُ أعترف بما منَّ الله علىَّ من فضائل وما اختصَّنى به من نِعَم، فإننى ينبغى أنْ أضع نفسى فى خدمته وطاعته وهذا أمرٌ حتمىٌّ بالنِّسبة لى ، وبالتَّالى سأكون أسعد فارس وُلِدَ على ظهر البسيطة ، لقد منَّ الرَّب علىَّ بأكثر ممَّا ذكرتموه لى ، وأنا لست فقط لا أعترف بذلك ولا أقوم بسداد ما ينبغى على تجاهه ، بل أعصاه كل يومٍ فى أمورٍ كثيرةٍ ، فإنَّنى أعترف بأنِّى خطَّاءٌ كبيرٌ ولا أتبع وصاياه . وإذا استطعت أنْ أصلح شيئًا ممَّا حدث فى الماضى بفضل مجيئكم ، فسأكون سعيدًا ومسرورًا أنْ أفعل . لذلك قرروا ما بوسعى أن أقوم به ، وذلك سيتمُّ تلبيته والاستجابة له بكلِّ الحبِّ .

- يا لك من سعيد يا بُنى ! - قال الرَّجل الطَّيِّبُ - كم أسعدتم هذه النَّفس الخطَّاءة ، وسرَّيتم عن حزنى الكبير فى أنْ أرى هذا الشَّر الكبير، وذلك الرَّب الذى سينقذكم وسيجازيكم من أجلى . والآن بلا أىِّ خوفٍ أريد أنْ تعلموا ما فعلته بعد مجيئى إلى هذا الوطن .

حينئذ حكى له كل ما تحدَّث بشأنه مع أوريانا ، وكيف أنَّه جاء إلى هنا بناءً على طلبها إلى والدها الملك ليسوارتى ، وكل الأمور التى تحدَّث فيها معه، وكيف أنَّه قال

بوضوح تامٍ إنَّ أوريانا أخبرته بأنَّها زوجته وأنَّ الفتى إيسبلانديان حفيده، وكيف أنَّ الملك أخذ الأمر بمزيدٍ من الصَّبر وأنَّه كان يجنح للسَّلام وأنَّ الله بفضله جعله يهدى كل هذا الموقف وأنَّه سيصدر أمرًا كى يتزوَّج تلك الأميرة، وبالتَّالى يتحقَّق السَّلام بينهما . عندما سمع أماديس ذلك اهتزَّ قلبه وارتعد جسده من السَّعادة التى غمرته عندما علم بأنَّه قد تمَّ إفشاء السِّرِّ برغبة زوجته بالنِّسبة لعلاقاتهما الغرامية وأنَّها ستكون فى حوزته حيث لن يتهدَّدها أىُّ خطرٍ، وقال للنَّاسك :

– سيدى الطَّيِّبُ ، إذا كان الملك ليسوارتى قد وافق على هذا الاقتراح وسيحبنى كابنٍ له، فإنَّنى سأعتبره سيدى ووالدى وسأخدمه فى كلِّ ما من شأنه السُّمو بشرفه إلى أعلى منزلةٍ .

– إذنْ فليكن الأمر هكذا – قال الرَّجلُ الطَّيِّبُ – ما رأيكم فى كيفية التَّوفيق بين هاتين الإرادتين دون أىِّ مزيد من الضرر ؟

ردَّ عليه أماديس :

– يبدو لى ، يأيُّها الأب ، أنَّه ينبغى عليكم التَّحدُّث مع الملك بيريون سيدى وتخبره بالسَّبب والهدف من مجيئكم ، وإذا وافق على مجىء الملك ليسوارتى حيث سيتحدَّث معه كلٌّ من السَّيد كوادراجانتى ، والسَّيد بريان دى مونجاستى من طرفنا لكى يطلبوا منه أمر أوريانا وسيتم التوَّصل إلى السَّلام معه، فإنَّنى أثق فى فضيلته بأنكم ستحقِّقون مأربكم، وتخبرونه بأنكم تحدَّثتم معى بعض الشىء فى هذا الشَّأن ، لكنَّنى أترك هذا الأمر لإرادته ورغبته .

رأى الرَّجلُ الطَّيِّبُ أنَّ أماديس كان يتحدَّث بعقلٍ وحكمةٍ، وهكذا فعل ذلك ، حيث غادر خيمة أماديس فيما بعد مع غلامين ورفقته وذهب إلى الملك بيريون ، الذى عرف كنه هذا الرَّجل واستقبله بكلِّ الحبِّ خير استقبال .

نظر الملك إلى إيسبلانديان ، الذى لم يره أبدًا ، وقد دُهش كثيرًا عندما رأى مخلوقًا جميلاً جدا وظريفًا ، وسأل عنه الرَّجل الصَّالح النَّاسك. حكى له الرَّجل الصَّالح كيف نشأ هذا الغلام، وأنَّ الله أعطاه إيَّاه بمعجزةٍ كبيرةٍ . قال له الملك بيريون :

- إذنْ يا أيُّها الأبُ ، إنَّ هذا الغلام هو الذى أحضرته اللبؤة وقد ربيتموه فى الغابة حيث يوجد منزلكم والذى تعرف عنه أشياء غريبة أورجاندا لاديسكونوثيدا وقد أرسلت تقول إنَّه سيكون له شأنٌ عظيمٌ إذا أراد الله أنْ يظلَّ حيا ، ويبدو لى ، طبقًا لما يقولونه لى ، أنَّها أرسلت للملك ليسوارتى لكى تخبره بذلك فى رسالةٍ، وأنَّ هذا الفتى سيجعل السَّلام والوئام يحلُّ بين الملك ونجلى أماديس . وإذا كان الأمر كذلك فإنَّنا ينبغى علينا أنْ نحبَّه حبا جما ونُشرِّفه ، لأنَّ بسببه يمكن أنْ يأتى الخير الوفير مثلكم يا أيُّها الأب ، أترون ذلك ؟

قال له ناسيانو الرَّجلُ الصَّالحُ :

- سيدى، إنَّ هذا الذى تقولونه حقيقى. وإذا كنتم الآن محقون فى أنْ تحبُّوه، فإنكم ستحبُّونه أكثر فى المستقبل عندما تعرفون المزيد عن حقيقته .

حينئذ قال لإيسبلانديان:

- يا بنى ، قبِّل يدَى الملك فإنَّه أهلٌ لذلك.

جثا الغلام على ركبتيه لكى يُقَبِّلَ يدى الملك ، لكن الملك عانقه وقال له :

- أيُّها الغلام ، ينبغى عليكم أنْ تشكروا الله على الفضل والنِّعمة لأنَّه اختصَّكم بهذا الجمال الفتَّان والظُّرف الرَّائع، ودون أنْ تدروا فإنَّكم تجذبون الجميع لكى يحبوكم ويقدِّروكم ، ولذلك فإنَّنى أتضرَّع إلى الله بأنْ يمنحكم مزيداً من الجمال والظُّرف إذا أطعتموه فإنَّه يعدكم بالمزيد .

لم يرد عليه الغلام بأىِّ شىء ، فقد شعر بالخجل من الاستماع إلى مثل هذا الأمير يمدحه بهذا الشَّكل وأحمرَّ وجهه حياءً وخجلاً ، وقد بدا ذلك للجميع جيداً للغاية لما رأوا فيه من الشَّرف والعفَّة على الرَّغم من صغر سنه ، كما أنَّهم دهشوا دهشةً كبيرةً من شخصٍ بارزٍ جدا لم يعرف له أبا ولا أُما. سأل الملك الرَّجل الصَّالح ناسيانو عمَّا إذا كان يعرف إلى من ينتمى الابن ، فقال له الرَّجلُ الطَّيِّبُ :

- إنَّه ابن الله الذى خلق كل شىء وإنْ كان قد وُلِدَ من أبٍ وأمٍ فانيين من البشر ، لكن طبقًا لبدايته وحسن الرِّعاية والاهتمام به والحفاظ عليه وتنشئته نشأةً طيِّبَةً يبدو أنَّهُ يُحبُّه كأنَّه ابنٌ له . وأنَّ الله سيسعد أيَّما سعادة لسعة رحمته وعظيم شفقته وستعرفون المزيد عن حقيقته قبل أنْ يمرَّ وقتٌ طويلٌ .

حينئذٍ أخذه من يده وابتعد به ، وقال له :

- يا أيُّها الملك السَّعيد الذى نلت كل شىء فى هذه الدُّنيا وفى الآخرة ، إذ إنَّكم تخشون الله وتُنفِّذون كل ما يخدم سبيل الله . لقد أتيت إلى هذه الأنحاء بهذا الشَّخص الضَّعيف والمرهق من جرَّاء شيخوخته المتقدِّمة بغية أنْ يمنَّ الله على باللُّطف حتى أستطيع أنْ أخدمه فى أنْ أنهى هذا الشَّر الدَّاهم الموجود حاليًا، كما أنَّ آلامى وإرهاقى الكبير لم يمكنانى من المجىء قبل ذلك ؛ ولقد تحدَّثت مع الملك ليسوارتى، الذى بما أنَّه عبدٌ للَّه يريد أنْ يحلَّ السَّلام إذا كان فى ذلك تشريفٌ وتكريمٌ للطَّرفين . وقد أتيت من عنده وتوجَّهت إلى نجلكم أماديس ؛ الذى أرسلنى إليكم لأعرف رأيكم وقد أعتذر عن أنْ يردَّ على فيما ذكرته له ، وبالتَّالى يا سيدى ففى أيديكم إحلال السَّلام أو استمرار الحرب ، لأنكم عندما تضطرون إلى توجيه الأمور فى الاتجاه المعاكس لخدمة الرَّب، فالجميع يعلمون، استنادًا للخيرات التى أنعم عليكم بها فى هذه الدُّنيا ، وكذلك من زوجة وأبناء وبالممالك التى اختصَّكم بها . والآن يريد أنْ يعرف كيف ستشكرونه وترغبون فى خدمته .

فالملك بما أنَّه يجنح دائمًا للسَّلام والهدوء لما تسبِّبه الحرب من خسائر ودمار ، وكذلك نجله أماديس الموجود هناك وهو بمثابة نور عينيه ، والسَّيد فلوريستان وأجراخيس وفرسان كثيرون آخرون من أسرته ، ردَّ عليه وقال :

- يا أيُّها الأب ناسيانو، اللَّهُ شاهدٌ على الرَّغبة التى كانت لدىَّ للتَّوصل إلى هذه الهدنة، وكيف تحقَّقت طالما أنَّ هناك سبيلاً لذلك ، لكن الملك ليسوارتى فعل المستحيل لكيلا نستطيع التَّوصل إلى حل لمنع نشوب الحرب ، لأنَّه فعلَ الكثير بعصيان الله

ومخالفة ضميره في حرمان كريمته أوريانا من العرش، كما يعلم النَّاس جميعاً، الأمر الذي تمَّ إصلاحه كما تعلمون . وعلى الرَّغم من أنَّه بعد ذلك تمَّ توبيخه وانتهاره فضلاً عن التَّوسل إليه قبل ذلك لكي يأتي لإحقاق الحق وأنَّ كل شيء سيتمُّ طبقًا لأمره ، فإنه بوصفه أميرًا قويًا علاوة على كونه مكابرًا عنيدًا أكثر منه عاقلاً فكَّر في أنَّ بتحالفه مع إمبراطور روما ينبغي على العالم بأسره أنْ يخضع له ولسلطانه ، لذلك لم يرفض فقط إحقاق الحق ، بل حتى مجرَّد الاستماع لذلك ؛ وما جناه من ذلك يعلمه الله ويراه الجميع . لكنَّه إذا كان يريد الآن التَّحلي بالعقل ، الأمر الذي لم يحدث من قبل ، فإنَّني أثق في أنَّ هؤلاء الفرسان الذين معي سيفعلون وسيتبعون ما أراه ، ألا وهو تفادي هذه الأضرار والخسائر والشُرور. ولأنكم ، يا أيُّها الأبُ ، ترون أنَّ مكابرته وعناده قد تقلَّصا، فإنَّني أرى فقط أنْ يتمَّ إيجاد حل لموضوع أوريانا وبالتَّالي سيكون حلا لكلِّ شيء .

قال له الرَّجل الطَّيِّبُ :

– يا سيدي الطَّيِّب ، سيجد الله حلا لذلك وأنا هنا نيابةً عنه ، لذلك ما عليكم إلاَّ أن تتحدَّثوا مع فرسانكم وتختاروا أشخاصًا يريدون الخير، وكذلك سيفعل الملك ليسوارتي وسأكون معهم خادمًا وعبدًا للرَّب الإله الحقيقي لكي نجد حلا ونصلح ما أفسَده الدَّهر.

تدبَّر الملك بيريون ذلك جيدًا ، وقال له :

– سيتم ذلك فيما بعد ، سأختار فارسين سيتوصلان بكلِّ الحبِّ والرَّغبة الصَّادقة لإحقاق الحق.

عاد الرَّجلُ الطَّيِّبُ سعيدًا جدا وتوجه إلى مخيَّم الملك ليسوارتي . أرسل الملك بيريون على خيمته لاستدعاء جميع الفرسان الرئيسيين ، وقال لهم جميعًا :

– أيُّها الأمراء والفرسان النُّبلاء ، بما أنَّنا هكذا جميعًا ندافع عن شرفنا وعزَّتنا وكرامتنا، ونعرض الرِّجال للخطر للذَّود عن ذلك ولإحقاق الحقِّ ، هكذا نحن أيضًا بلا أيِّ غضب أو حنقٍ ومكابرةٍ نستطيع العودة إلى العقل والحكمة عندما

يطلب منَّا ذلك . لأنَّهُ على الرَّغم من أنَّنا فى البداية كنَّا نحارب من أجل إحقاق الحق وأنْ يسود العدل دون أنْ نُغضِب الله أقدمنا على أمور الحرب ، لكن بالعودة إلى السَّبب، وأنَّنا بالخيال والفهم السَّيئ لم نتوصَّل إلى استخدام العقل والحكمة فإنَّ العدل والظلم يصبحان سواء بسواء ، لذلك فإنَّه من الأنسب للشَّرف والاحترام اللذين سيتعرَّضان للخسارة والضَّياع، إذا تم اكتشاف طريق الوئام والسَّلام كما هو الحال فى الوقت الحاضر ، فلندع أمور الماضى جانبًا ، وأنْ يُتخَّذ القرار الذى يخدم الرَّب الأعلى وفى ذلك إصلاح لأنفسنا ، الأمر الذى نحن مضطرون له لإصلاحها وإنقاذها . الآن تعلمون كيف أنَّ ذلك الرَّجل النَّاسك الصَّالح عبد الله جاء إلى ، واستنادًا لما يقوله ، إنَّ أعداءنا يجنحون للسَّلام انطلاقًا من ضمير حى أكثر من الاعتماد على نقاط الشَّرف ، وهذا ما نريده . وقد طلب فقط لكى يوضع ذلك موضع التَّنفيذ أن يتمَّ اختيار أشخاصٍ من الجانبين يتمتَّعون بالإرادة الطَّيِّبة ، بعيدين كلَّ البعد عن العاطفة الجائرة لكى يُنفِّذوا ذلك. يبدو لى أمرًا عادلاً أنْ تعلموا ذلك وتباركوه بالموافقة كى يتم تحقيق ذلك.

صمت الجميع فترةً طويلةً . نهض أنجريوتى دى إيستراباوس ، وقال :

– بما أنَّكم جميعًا صامتون ، سأقول رأيى .

وقال للملك :

– سيدى، من أجل كرامتكم الملكية والشَّجاعة الفائقة لشخصكم ، وفضلاً عن ذلك بسبب الحبِّ الفياض الذى يكنُّه لكم هؤلاء الأمراء والنُّبلاء اختاروكم قائدًا وزعيمًا لهم لكى يتمَّ اتخاذ القرار بشأن الحرب أو السَّلام بناء على توصياتكم ، وأنتم تدركون جيدًا أنَّه لا يوجد أىُّ خوف أو ميلٍ من الخضوعِ لسلطانكم. وإنَّنى أثق أنَّه لفضيلتكم، فإن ما تتَّخذونه من قرارٍ لن يعارضه أىٌّ واحدٍ منهم، ولذلك فبالنِّسبة للحرب أو السَّلام فإنَّ قوتنا كافيةٌ ؛ لكن إذا كان من فضلكم تريدون الاستماع لرأى كلِّ واحد ، فإنَّنى أريد أنْ أعبر عن رأيى الذى يكمن

فى استرداد الأميرة أوريانا وكلٍّ من كان معها ، لأنَّه سيكون من قبيل الظُّلم المجحف أنْ يريد أعداؤنا السَّلام ، رغم سموِّ مجدنا وشرفنا ، وأن نرفض هذا الطَّلب الذى لن نغامر فيه بشىء يسيرٍ. وبدايةً تمَّ اختيار السَّيد كوادراجانتى والسَّيد بريان دى مونجاستى ، اللذين ينبغى أنْ يكونا رسولينا نظرًا لرصانتهما ورجاحة عقلهما وازدياد فضيلتهما . فهما الجديران بأنْ يمثلانا فى شأن السَّلام أو وقف الحرب .

تمَّ الاتفاق على ما قاله هذا الفارس من جانب الملك وهؤلاء الرِّجال ، حيث سيقوم هذان الفارسان بموافقة ونصيحة الملك بتقرير ما ينبغى أنْ يقوما به فى المستقبل .

الفصلُ الرَّابع عشر بعد المــائة

كيف أنَّ الرَّجل الصَّالح ناسيــانو عاد بــردِّ الملك بيريون إلى الملك ليسوارتى، وما تمَّ الاتفاق عليه .

عاد الرَّجل الصَّالح ناسيانو إلى الملك ليسوارتى - كما سمعتم - وأخبره بما تحدَّث بشأنه مع الملك بيريون ومع جميع الذين تحت لوائه ، وقد رأى أنَّ عملية إحلال السَّلام يجب أنْ تستمر وينبغى الاتفاق عليها بناءً على الكلمات الطَّيِّبة التى قالها له . وبما أن الملك كان مصمِّمًا عازمًا على تحقيق ذلك ولديه رغبة جامحة فى ألاَّ يكترث لما يقوله العدو الشِّرير (الشَّيطان) الذى كان قد تحالف معه حتى ذلك الحين ، مما أسفر عن كثير من الخسائر والأضرار ، فقد قال له :

- يأيُّها الأب ، إذن بالنِّسبة لى سيتمُّ ذلك ، كما ترونه واضحًا ، امكثوا هنا فى خيمتى هذه مع من برفقتكم وسأذهب لأتحدَّث مع هؤلاء الملوك الذين عانوا الأمرَّين وتعرَّضوا للخطر إنقاذًا لشرفى .

حينئذٍ ذهب إلى خيمة جاسكيلان ، ملك سويسا ، الذى كان لا يزال فى فراشه يعانى من المعركة التى شارك فيها مع أماديس - كما سمعتم - وقام باستدعاء الملك ثيلدادان وكلِّ الفرسان الكبار ، وكذلك فرسانه وفرسان الرُّومان ، وأخبرهم بما أبلغه به ذلك النَّاسك الرَّجل الصَّالح فى بدايــة مجيئــه وكذلك بردِّ الملك بيـريون الآن ، وقد تحفَّظ على ما يتعلَّق بأماديس وكريمته حيث لم يرد الإفصاح عنه حينذاك . وتوسَّل إليهم أنْ يدلوا برأيهم عمَّا إذا كان التوصل إلى هذا الاتفاق جيدًا أم سيئًا بالنِّسبة لجميع من هم تحت لوائه . على وجه الخصــوص كان يريد أنْ يعرف رأى الرُّومان ،

لأنَّه طبقًا لخسارتهم الكبيرة لفقدانهم الإمبراطور سيدهم فإنَّه كان مضطرًا إلى الإصغاء لرأيهم ويرفض الاستمرار فى رغبته الذَّاتية . قال له الملك ثيلدادان :

- سيدى ، من باب الصَّواب لفرسان روما هؤلاء أنْ يقبلوا الرَّأى الذى تفصحون عنه وترونه جيدًا . وبالتَّالى أن تجبروهم على اتباع رأيكم بالإقناع الحسن والحجة الطَّيِّبة ، وكذلك أنا وجميع الآخرين الذين تحت سلطانكم ولوائكم ينبغى علينا القيام به معًا وهذا الملك النَّبيل عاهل سويسا ، الذى لن يختلف رأيه عن رأينا، والآن فليقل الرُّومان ما يريدونه.

حينئذ نهض الفارس الممتاز أركيسيل ، وقال :

- لو كان سيدى الإمبراطور حيا ، نظرًا لعظمته وسموِّ منزلته لكون القضية قضيته فى هذه الحرب ، لكان سيلائمه تمامًا وفقًا لإرادته ورغبته اتخاذ قرار السَّلام أو الحرب ، لكن بما أنَّنا نحن من دمه وسلالته وجميع رعاياه المنوط بنا الحكم وعلى كاهلنا تقع المسئولية ، فلسنا إلاَّ جزءًا منكم ، يا سيدى الملك ليسوارتى ، وبالتَّالى فنحن مثلكم تمامًا فيما ترون اتخاذه من قرارٍ، ذلك الذى أخبرتمونا به . والآن نبلغكم لو أنَّ واحدًا منَّا بقى على قيد الحياة فلن يرفض مقصد إرادتكم ، وبالتَّالى بالنِّسبة لأىِّ الأمرين فنحن رهن ما تُقرِّرونه منهما وسنفعل ما ينبغى علينا .

سُرَّ الملك سرورًا بالغًا من هذا الفارس ومن جميع الحاضرين هناك، لأنَّ ردَّه كان مطابقًا للحكمة ورجاحة العقل وقد عبَّر عنه بشجاعةٍ عظيمة، الأمر الذى يتعذر أنْ يتَّسم به شخصٌ واحدٌ ؛ وقال له :

- إذنْ بما أنكم تخوِّلون الأمر لى ، فسأتخذ القرار ؛ وإذا أخطأت فى شىء فستقع على كاهلى معظم المسئولية ، وإذا أصبت فسيكون الشَّرف والمجد .

وبهذا ذهب إلى خيمته وأرسل الملك أربان دى نورجاليس والسَّيد جيلان الكويدادور لكى يتولَّيا الحديث مع رسولى الملك بيريون اللذين اختارهما ، وبمشورتهما سيتخذ القرار ، ثم قال للنَّاسك :

- يأيُّها الأب ، يبدو لى أنَّ التَّفاوض وصل إلى هذه النُّقطة ، وبالتَّالى سيكون من الأفضل أنْ تعودوا إلى الملك بيريون وتخبروه بأنَّنى اخترت هذين الفارسين لكى يتفاوضا مع رسوليه ، وهذا من الأفضل لأنَّ مثل هذه الأمور دائمًا تستغرق وقتًا طويلاً ، وبما أنَّنا فى هذه المخيَّمات فإنَّ الجرحى لن يتمَّ علاجهم كما ينبغى كما أنَّ المؤن اللازمة للنَّاس والدَّواب أوشكت على النَّفاد ، وأقترح أنْ يتمَّ فك المخيَّمات وأنْ يتقهقر مسيرة يومٍ برجاله من حيث أتى ، وأنا كذلك حيث سأعود برجالى إلى مدينة لوبينا مدينتى لكى أصدر أوامرى بعلاج هؤلاء النَّاس المثخنين بالجراح وأنقل الإمبراطور إلى وطنه ، وأنْ يتحدَّث رسلنا عمَّا ينبغى القيام به ، وسنوافق أنا والملك بيريون على أفضل الحلول ، وليخبر رسوليه برغبته ، وأنا أخبر رسولىَّ وستكونون أنتم بين الجانبين شاهداً ووسيطًا فيما لا يتمُّ التَّوصل إليه بالعقل والحكمة ، وإذا استدعى الأمر فإننى أستطيع أنْ ألتقى به، مع عدد قليل من النَّاس ، حيثما ترونه مناسباً .

سُرَّ النَّاسك سروراً بالغًا من ذلك لأنَّه كان يرى جيداً أنَّ شبح الخطر قد ابتعد حيث سيتم الفصل بين قوات الجانبين ، فهذا الرَّجل الصَّالح قبل أن يكون ناسكًا فى ذلك المكان الموحش المنعزل ، كان فارسًا ماهرًا جدا فى استخدام الأسلحة فى بلاط الملك ليسوارتى، وفيما بعد فى بلاط شقيقه الملك فالانجريس، لذلك فإذا كان النَّاسك رجلاً محنَّكًا فيما هو ربَّانى فإنَّ هذا لا يعنى أنَّه ليس خبيرًا فيما هو دنيوى زائل وفان لأنَّه مارسه كثيرًا ، وقال للملك :

- سيدى الطَّيِّبُ ، يبدو لى ما تقولونه رائعًا ، لم يبق سوى الإعلان عن يوم معينٍ لكى يلتقى رسولاك برسوليه هنا فى هذا المكان الكائن فى منتصف المسافة بين الجانبين ، ويمكن أنْ يكون بعون ذلك الرَّب - الذى لا يمكن أن يتم أىُّ شىءٍ إلا بعونه - التَّوصل إلى صيغة بينهم ، ثم تقومون أنتم والملك بيريون كما قلتم بإبرام ذلك تفاديًا للتَّسويف والتَّأجيل ، الأمر الذى عادةً ما يحدث لوجود طرفٍ ثالثٍ من الأشخاص ، وسأعود أنا فيما بعد ، وسأرسل لكم لإبلاغكم بالسَّاعة واللحظة التى يمكنكم فيها فك المخيم، وفى تلك السَّاعة واللحظة سيتم فك المخيَّم الآخر.

هكذا عاد الرَّجل الطَّيِّبُ إلى الملك بيريون وأخبره بالاتفاق كاملاً. فرح الملك بذلك لأنَّ هناك ميزةً عظيمةً بالنِّسبة له في فكِّ المخيَّمين ، وبالاتفاق مع السَّيد كوادراجانتي والسَّيد بريان دى مونجاستى أرسل معهما كى يخبرا النَّاس بأنَّه ذات يوم قد يكون غداً لكى يستعد النَّاس لفكِّ خيامهم ومعدَّاتهم للتَّحرُّك من هناك . هكذا أرسل الرَّجل الطَّيِّب إلى الملك ليسوارتى لإخباره بذلك ، وأنَّه فى أسرع وقتٍ ممكن سيلتقى معه.

إذنْ جاء الصَّباح ودوَّى رنين الأبواق فى المخيَّمين ورُفعت الخيام، وفى سعادةٍ غامرةٍ من الجانبين تَحرَّك المخيَّمان إلى حيث ينبغى أنْ يكونَ كلٌّ منهما. لكن سنتركهما الآن لكى يشقَّ كلٌّ منهما طريقه وسنقصُّ عليكم ما يتعلَّق بالملك أرابيجو الذى كان يُعسكرُ فوق الجبل .

الفصلُ الخامس عشر بعد المـــائة

كيف علِم الملك أرابيجو برحيل هــؤلاء النَّاس ، فقرَّر محاربة الملك ليسوارتي .

لقد حكينا لكم كيف أنَّ الملك أرابيجـو وبارسينان، ملك سانسوينيا وأركالاوس الإنكنتادور وفرقهم كانوا يتحصَّنون بالجبل ، ينتظرون تنبيهًا من جواسيسهم الذين كانوا يتجسَّسون سرِا على مخيَّمي الملكين ليسوارتي وبيريون ، حيث شاهد هؤلاء الجواسيس المعارك السَّابقة وقوة وحصانة المخيَّمين حيث استحال أنْ يتعرضا ليلاً لأيِّ ضررٍ أو خسارة؛ وبما أنَّه لم يحدث أى انتصارٍ، فقد كانَ المخيَّمان يبدوان كاملين دائمًا، ولم يجرؤ الملك أرابيجو على الخروج من هناك لأنَّه لم يكن فى وضع استعداد يمكنه من تحقيق مأربه ، وكان تفكيره منصبًا دائمًا على الانتظار إلى آخر لحظةٍ ، وكان على حذرٍ شديدٍ يترقب أن تنتهى المواجهات بين الجانبين بهزيمة أحدهما ، وبالتَّالى كان سيفرح فرحًا كبيرًا ، لأنَّه فى المواجهات السَّابقة لم يتحقَّق النَّصر ، وكلما استمرَّ العنادُ ازدادت الخسائر ، وبالتَّالى يستطيع بقليل من العناء والمشقة والخطر القضاء على باقى المهزومين ويصبح سلطانًا لكلِّ الأراضى دون أنْ يعارضه أحدٌ فيها ، وبالتَّالى كان يعانق أركالاوس فى سرورٍ بالغٍ مادحًا إيَّاه وشاكرًا له ذلك الذى فكَّر فيه وواعدًا إيَّاه بإغداق فضائله ونعمه عليه قائلاً له إنَّه لا يمكن أنْ يخطئ الآن لتعويض الخسائر السَّابقة، بل والحصول على مكاسب تفوق تلك الخسائر . هكذا كان فى غاية السُرور والسَّعادة عندما جاء الجواسيس وأخبروه كيف أنَّ النَّاس فكُّوا مخيَّماتهم وحملوا أسلحتهم وسلكوا الطُّرق التى كانوا قد جاءوا منها من قبل ، ولم يستطيعوا

التَّفكير فى أن يحدث ذلك. عندما سمع الملك أرابيجو ذلك فكَّر فى وقتٍ لاحقٍ أنهَّم استناداً لاتفاقٍ ما قد رحلوا. قرَّر أنْ يهاجم الملك ليسوارتى قبل مهاجمة أماديس ، لأنَّه بقتل ليسوراتى أو أسره ، لن يكترث أماديس بأمور المملكة وبالتَّالى يستطيع أنْ يفوز بكلِّ شىء ، لكنه قال ليس من الملائم الهجوم عليهم قبل أنْ يَجِنَّ الليل ، لأنَّه بذلك سيباغتهم وهم غير مستعدين ، وسيكونون بذلك تحت رحمته ، وأمر إيسكلابور نجل شقيقه ، وهو خبيرٌ متمرِّسٌ فى شئون الحرب ، أنْ يأخذ عشرة فرسانٍ فى سريةٍ تامةٍ ويقتفى أثرهم ولينظر جيداً أين سيأوون . هكذا فعل ذلك ، حيث سار فى الأماكن الخفية بسلسلة الجبال تلك يرقب النَّاس الذين كانوا يسيرون فى السَّهل .

كان الملك ليسوارتى يسير فى طريقه ، ودائمًا كان يرتاب فى هؤلاء النَّاس وإنْ لم يكن يعرف مكانهم بالتَّحديد ، ولكن بعض الأهالى من هذه الدِّيار كانوا قد أخبروه بأنَّهم كانوا يؤوون أُناسًا فى ذلك الجبل فى الجزء المطلِّ على البحرِ ، لكن لم يجرؤ أحدٌ منهم الاقتراب من هؤلاء النَّاس ؛ كما لم يكن للملك متسعٌ من الوقت لكى يحتاط لهذا الأمر رغم أنَّه كان ينبغى عليه أن يحتاط له ، ولذلك سيتحتَّم عليه القيام بكثير من ذلك فى وقتٍ لاحقٍ . وبينما كان يسير فى طريقه ، كما قلنا، قام بعض أهالى المنطقة بإبلاغه أنَّهم رأوا فرسانًا ملثَّمين يتنقَّلون عبر تلال سلسلة الجبال تلك . كان الملك ذكيا جدا وشجاعًا، ثم فكَّر فيما سيحدث ، وأنَّه لا يمكن أنْ يرحل ويترك هؤلاء النَّاس دون أنْ يخوض معركة كبيرةً ، وهو ما كان يخشاه فى ذلك الحين لأنَّ رجاله مثخنون بالجراح من المعارك السَّابقة ، لكنه استطاع بشجاعته أنْ يعد للأمر عدَّته فاستدعى الملك ثيلدادان وجميع القادة ، وأخبرهم بالأنباء الجديدة التى نمت إلى علمه عن هؤلاء النَّاس وتوسَّل إليهم بأنْ يكون كلُّ رجالهم مدجَّجين بالأسلحة ومستعدين ومنظَّمين ، إذا اقتضى الأمر مواجهة هؤلاء ، الأمر الذى يلائم الفرسان جيداً . ردوا عليه جميعا بأنَّ ما أمر به سيتمُّ تنفيذه وأكَّدوا له أنَّهم سيضحون بحياتهم قبل أنْ يصيبهم أذىً أو ضررٌ . ذكر له بعضهم سرا أنَّه ينبغى إخبار الملك بيريون بذلك لأنَّ هؤلاء النَّاس كانوا كثيرين ومستريحين ولا يمكن رحيل القوات دون أنْ تتعرض لخطرٍ داهم من جانبهم ، خاصةً أنهَّم جَميعًا أعداؤهم ، وإذا تحقَّق لهؤلاء النَّصر لن تكون لديهم هوادةٌ

أو رحمةٌ فى أنْ يُكبِّدونا ما استطاعوا من أذىً وخسائر . كان السَّيد جروميدان وبراندو إيباس هما اللذان أشارا عليه بذلك، وكانا يفكِّران فى أنَّه لو تَمَّ ذلك فلن ينبغى على سيدهم الملك أنْ يخشى أحداً، وبالتَّالى سيكون طريق السَّلام هذا أكثر رسوخًا وسريعًا بينهم . لكن الملك ، كما قلنا لكم مراراً وتكراراً، يخشى فقدان الشَّرف أكثر من خوفه فقدان حياته ، ردَّ عليهم بأنَّ الأمور ليست على ما يرام لكى يضع نفسه تحت رحمة أعدائه ، وقد يفكِّر هؤلاء الآن فى أنَّ ذلك سيكون إهانةً كبيرةً وستكون النتيجةُ عكسيةً تمامًا ، وطلب منهما ألاَّ يفكرا على الإطلاق إلاَّ فى أنْ يواجهوا الأعداء بقوةٍ إذا هجموا عليهم ، وما عليهم إلاَّ التَّصدى لهم كما يحدث دائمًا فى مثل هذه المواقف الحرجة للغاية . وأمر فليسبنيل فيما بعد بأنْ يصطحب عشرين فارسًا إلى الجبل بكلِّ حذرٍ وحكمةٍ لكى يتحسَّسوا أيَّةَ معلومات عمَّا يحدث هناك ، وهكذا نفذ ما أُمِر به . وفى تلك الأثناء أمر الأفراد بالرَّاحة لأنَّهم كانوا قد ساروا أربعة فراسخ ، ولكى تستريح الدَّواب أيضًا وتلتقط أنفاسها ، لأنَه كان يحاول الوصول إلى لوبينا دون أنْ يستريح مرَّةً أخرى حيث كان يخشى أنْ يهاجمه الأعداء ليلاً أكثر منه نهاراً ، وإذا استراح النَّاس فلن يكون فى استطاعته - لكونهم مرهقين للغاية - أنْ يحرمهم من النَّوم وأنْ يتجرَّدوا من أسلحتهم، وبالتَّالى يستطيع قليلٌ من الأفراد إلحاق الهزيمة بهم. وعندما استراح النَّاسُ قليلاً أمر بأنْ يمتطوا جيادهم ووضع البالات والخيام والجرحى فى المقدِّمة ، وإنْ كان قد أرسل معظم الجرحى فى تلك الأيَّام للهدنة إلى المدينة تلك .

توجَّه فليسبنيل مباشرة إلى الجبل ، وبحذرٍ شديدٍ استقرَّ به، ثم أحسَّ جيداً بالجواسيس وأفراد إسكلابور، وظلَّ هو وباقى الفرسان الذين كانوا معه يرقبون الأعداء، ثم أرسل بالمعلومات إلى الملك ، دون أنْ يخبره عن كيفية قيام هؤلاء الفرسان القليلين الذين كانوا دائمًا يراقبون ويلاحظون، وكان يعتقد أنَّ هؤلاء النَّاس (يقصد الأعداء) ليسوا بعيدين جدا . ولم يكن الملك يفعل سوى السَّير فى طريقه بأقصى سرعة ، لأنَّ الهجوم لو حدث فليكن بالقرب من مدينته تلك ، لأنَّه كان يفكر فى أنَّه على الرَّغم من أنَّه ليس قريبًا جدا من المدينة فإنَّه من الأفضل الاستراحة بها على الاستراحة بين الحقول والمروج. هكذا ابتعد جدا عن الجبل فى وقتٍ قصيرٍ .

عندمـا رأى إيسكلابور ابن شـقـيق الملك أرابيـجـو أنَّ فـرسـان فليـسـبـيـ
اكـتـشـفـوه أرسل إلى عمـه لإبلاغـه بذلك وأنَّه يرى ترك الجبل والنزول إلى السـَّ
إضاعةٍ للوقت، فبعد اكتشافهم إذنْ لم يكن الملك ليسوارتى يريد التَّوقف إلاَّ فى
الذى يفضِّله . عندمـا وصل هذا الرَّسـول إلى الملك أرابيـجـو كـان جـمـيـع أ
مستريحين تمامًا ، وقد تجمَّعوا فى الليل ، دون أىِّ تفكير فى مهاجمة أعدائهم
ولم يستطيعوا التَّسلح بسرعة كبيرةٍ وامتطاء جيادهم ، ولكونهم أناسًا كثير
استغرقوا وقتًا طويلاً، وكان أكثر الأمور صعوبةً بالنِّسبة لهم مشقَّة السَّير فى
وهكذا لكى يستطيعوا الدِّفاع عن أنفسهم وكذلك الهجوم فقد اختاروا أكثر
وعورةً وتحصُّنًا ، إلا أنَّهم وجدوا ذلك معاكسًا تمامًا .

كمـا تسـمـعـون إذنْ ، قـام هؤلاء النَّاس بمطاردة الملك ليسـوارتى ، لكنْ
الخروج من الجبل كـان هو قد قطع مسافةً كـبيرةً فى السَّهل ، ثم خـرجـوا مـ
وأسرعوا فى ركضهم خلفه ، ولم يستطيعوا اللحاق به إلاَّ على مقربةٍ من المدي
أركالاوس كان يعرف البلاد جيداً فذهب متوجِّهًا إلى الملك أرابيجو الذى لم ي
الأفراد لم يكونوا مرهقين ، لكن بما أنَّ الآخرين كانوا يسيرون بسرعة فائق
بوسع أفراد الملك أرابيـجـو اللحاق بهم بين السُّهول ، وأنَّه لا يبالى بأنْ يلاة
المدينة التى يعرفها جيداً ، وأنَّه سيكون أشدَّ خطورةٍ فى المدينة أكثر من الحق
لقلة عدد قواته .

حدث فى تلك الأثناء ، بإرادة الله، أنَّ هؤلاء النَّاس الأشرار لم يحقِّقوا مأ
الرَّجل الطَّيب ناسيانو النَّاسك كان قد أرسل إيسبلانديان وسارخيل ، نجل ش
إلى الملك ليسوارتى لكى يحيطه علمًا بأنَّ المفاوضات تسير سيراً حسنًا وأنَّه ف
وقت ممكن سيكون معه فى مدينة لوبينا لكى يصدر أمرًا ليتجمَّع الأربعة فرسـ
يمثلون كلا الطرفين . عندما وصل هذان الغلامان إلى مخيَّم الملك وجداه قد غ
فترةٍ فسارا فى الطَّريق الذى كان يسير فيه، سارا كثيراً حتى وصلا إلى المَ
كان الملك قد استراح فيه ، وهناك علمـا أنَّه غادره فى ارتيابٍ وعلى عجلٍ، فسار
سرعـة فى الطَّريق بغيـة اللحـاق به . وقبل أنْ يَريا قوات الملك رأيا أناسًا يـ
الجـبل بخطواتٍ سـريعـةٍ ، ثم فكَّرا فى أنْ يكون هـؤلاء قـوات الملك أرابيـجـو

عندما كانا مع الملكة بريسينا سمعا عن هؤلاء النَّاس . ورأيا أنَّ الملكة أرسلت بعض النَّاس من مكان إلى آخر بالجزء الذى يقال إنَّ هؤلاء النَّاس يعسكرون فيه ، وبما أنَّهما رأيا أنَّهم يركضون بأقصى سرعةٍ وأنَّ الملك ، سيدهم، بعدد قليل من النَّاس المرهقين جدا ، وأنهم لا يستطيعون مواجهة هؤلاء من قوات الملك أرابيجو وقد لاحظا أنَّ خطرًا كبيرًا يحدقُ بالملك ورجاله فقد أصاب ذلك إيسبلانديان بالحزن والألم الشدَّيدين . قال لسارخيل :

- شقيقى ، اتبعنى ولن نستريح حتى نلحق بسيدى الملك وننقذه كيلا يقوم هؤلاء النَّاس الأشرار بإلحاق الأذى به.

حينئذ تركا العنان لجواديهما وعادا إلى الطَّريق الذى أتيا منه بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ طوال ما تبقى لهما من ذلك اليوم وطوال الليل ولم يتوقَّفا أبدًا، وعند بزوغ فجرٍ جديد وصلا إلى الملك بيريون الذى لم يكن قد سار فى ذلك اليوم سوى أربعة فراسخ، ووجداه قد أقام مخيَّمه عند ضفة تكثر بها الأشجار والبساتين ، وكان قد وضع فرسانًا كثيرين من رجاله لحراسة الجبل، لأنَّه قد علم أيضًا عن أنباء بواسطة بعض الرُّعاة عن هؤلاء النَّاس الأشرار ، وبما أنَّهم قد انتقلوا من المكان الذى كانوا يقيمون فيه فقد شكَّ فى أمرهم، ولهذا السَّبب أمر بأنْ يكون هناك حرسٌ كثيرون ، وعندما وصلا إلى هناك توجَّه إيسبلانديان مباشرةً إلى خيمة أماديس ووجد الرَّجل الطَّيِّب النَّاسك كان ينهض ويريد السَّير ، وعندما رآه هكذا ، يسير بسرعة كبيرةٍ ، قال له ناسيانو :

- يا بُنى الطَّيِّبُ ، ما هذا المجىء المتسرِّع ؟

قال له إيسبلانديان :

- سيدى الأب ، إنَّنى مستعجلٌ جدا ، وطالما أنَّنى حتى الآن لم أتحدَّث مع أماديس لا أستطيع أنْ أحكى ذلك لكم .

حينئذ نزل من فوق جواده ودخل على الفراش حيث كان أماديس مسلَّحًا ، لأنَّه كان طوال الليل فى حراسة المعسكر وعند الفجر جاء لينام وليستريح ؛ فأيقظه وقال له :

– يا سيدى الطَّيِّبُ ! إذا كان قلبكم النَّبيل أراد أنْ تقوموا ببطولات عظيمة ، فقد حان الوقت لكى تستطيع إثبات عظمتك ، فعلى الرَّغم من أنَّك تعرَّضت لإهانات كثيرة وأخطارٍ عديدةٍ ، فلا يمكن أنْ تكون مثل هذه الآن . هل تعرفون يأيُّها السَّيد الطَّيِّبُ أنَّ النَّاس الذين قيل عنهم أنَّهم يعسكرون فى الجبل مع الملك أرابيجو يركضون بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ للحاق بسيدى الملك ليسوارتى ، وأعتقد ، يا سيدى، أنَّه استنادًا إلى كثرة هؤلاء وقلة وضعف قوات الملك، لا تستطيع قوات الملك مواجهة هذا الخطر العظيم . لذلك فبعد الرَّب سيكون عونكم خير عونٍ.

عندما سمع أماديس ذلك نهض بسرعةٍ ، وقال :

– أيُّها الفتى الطَّيِّبُ ، انتظرنى هنا لأنَّنى إذا استطعت القيام بمهمتكم فلن يكون ذلك سدىً .

حينئذ ذهب إلى خيمة والده الملك بيريون وحكى له هذه الأنباء الجديدة ، وتوسَّل إليه كثيرًا كى يسمح له بالقيام بهذه النَّجدة التى سيحقِّق منها شرفًا كبيرًا ومجدًا تليدًا وسيحظى بالثَّناء والمدح فى جميع الأنحاء التى سيصل إلى علمها ذلك ، وقد طلب منه أماديس ذلك وهو راكع على ركبتيه ، ولم يرد النُّهوض حتى يأذن له الملك لكونه يتَّسم بكلِّ فضيلةٍ ، ولم يمر وقت فى عهده دون مشاركته فى مثل هذه البطولات ذات الشُّهرة والمجد الكبير، قال له :

– يا بُنى ، افعل ما يحلوُ لك وكن فى مقدِّمة القوات التى تطيب لك، وأنا سألحق بك، وإذا كنا نسعى إلى تحقيق السَّلام مع الملك ليسوارتى هذا فإنَّ هذا العمل سيجعله أكثر رسوخًا . وإذا كان يريد الحرب فمن الأحرى أنْ يكون تدميره على أيدينا لا بيد آخرين (بيدى لا بيد عمرو : المترجم) ولحسن الحظ سيكونون أعداءنا مثلما هو الآن بالنسبة لنا .

وبعد ذلك أمر بأنْ يُنفخ فى الأبواق والنَّفير، وبما أنَّ النَّاس كلهم كانوا مسلَّحين ومضطربين نظرًا لرنين الأبواق والنَّفير المفاجئ، فقد امتطى كلٌّ منهم جواده وتوجَّه كلٌّ منهم إلى قائده. كان الملك بيريون وأماديس قد جعلا جاستيليس نجل شقيق إمبراطور

القسطنطينية يمتطى جواده ، وخرجا تحت لوائه من المخيَّم ثم خرج من بعدهم باقى القوات كلها. ولمَّا أصبحوا جميعا فى السَّاحة قال لهم الملك إنَّه علِم بالأنباء الجديدة، ورجاهم وألحَّ فى الرَّجاء أنْ ينسوا الماضى وأنْ يثبتوا فضيلتهم وينقذوا ذلك الملك من هؤلاء النَّاس الأشرار لأنَّه فى أمسِّ الحاجة لهم . لقد استحسنوا جميعا الأمر، وقالوا بما أنَّ الملك بيريون يأمر بذلك فسيتمُّ تلبيته . حينئذٍ أخذ أماديس معه السَّيد كوادراجانتى والسَّيد فلوريستان شقيقه وأنجريوتى دى إيستراباوس وجابارتى ديل بال تيمروسو وجندالين وإينيل وأربعة آلاف فارس والأستاذ الطَّبيب إيليساباد ، الذى فعل ذلك اليوم كما فى المعارك السَّابقة معجزات فى مهنته بصفته طبيبا ، حيث منح الحياة بعد الله للكثيرين ممَّن عالجهم . وبهذه الرفقة شقَّ طريقه، والملك والده وجميع الآخرين على رأس قواتهم المنظمة خلفه .

لكن القصَّة ستترك الحديث عنهم الآن، فقد كانوا يركضون بأقصى سرعةٍ ، وستعود لتسرد لنا ما فعله الملوك فى تلك الأثناء .

الفصل السَّادسُ عشر بعد المائة

عن المعركة التى خاضها الملك ليسوارتى مع الملك أرابيجو وقواته ، وكيف أنَّ أماديس دى جاولا ساعده لأنَّه فارس لم يتخلَّ عن نصرة المحتاج .

لقد قصَصنا عليكم كيف أُخبر الملك ليسوارتى من جانب الفرسان الذين أرسلهم إلى الجبل ، وكيف أنَّهم رأوا أبراج مراقبة الملك أرابيجو، وكيف أنَّه على جناح السُّرعة كان يركض لكى يصل إلى مدينته لوبينا خشية أنْ يحدث له ما لا يحمد عقباه فيستطيع إصلاح أمره هناك طبقًا لما يحكيه عنها، وكان يعتقد أنَّه لا يستطيع مواجهة القوة العظيمة لأعدائه . إذن هكذا حدث ، ففى طريقه قامت قوات الملك أرابيجو وفرقه بمطاردته حتى جنَّ الليلُ ، وكان معهم دائمًا إيسكلابور مع عشرة فرسان وأربعون آخرون كان الملك قد أرسلهم أيضًا ليكونوا معه طبقًا لما قاله أهالى الجبل . إنَّهم ساروا حتى نزلوا من الجبل إلى السَّهل وتمكَّنوا من اللحاق به . لكن الليلة كانت ظلماء لدرجة أنَّه لم تستطع أفراد قوات أىِّ طرف أنْ ترى قوات الطَّرف الآخر، ولهذا السَّبب ، وأيضًا لأنَّ أركالاوس تحدث عن ضعف قوة المدينة حيث كان الملك ليسوارتى نُهُ
الأمل على ذلك كثيرًا ، لم يحاربهم أركالاوس وفرسانه ، بل ظلوا يتَتبعونهم
حتى أنَّهم طوَّقوا قوات الملك ليسوارتى تقريبًا . ساروا هكذا حتى ب
فأصبحت قوات الجانبين على مقربةٍ بعضها من بعضها الآخر عا
المدينة . حينئذٍ قام الملك ليسوارتى بما أنَّه أميرٌ للملك
نجله ، والملك أربان دى نورجاليس ، والسَّيد جيلا

ومعهم ألفان من الفرسان . وعلى رأس الثَّانية كان أركيسيل وفلامينيو ، والرُّومان وخيونتيس ، نجل شقيقه وبراندو إيباس وفرسانٌ كثيرون آخرون ومعهم ستَّة آلاف فارس، ولو كانت هاتان الفرقتان مجهَّزتين جيداً بالأسلحة والجياد التى نالت قسطًا من الرَّاحة ما كان لهم أنْ يخافوا من أعدائهم ، لكنَّ الأمر كان على العكس من ذلك تمامًا فقد كانت كلُّ الأسلحة محطَّمةً من مختلف جوانبها فى المعارك السَّابقة ، وكانت الجياد ضعيفةً هزيلةً ومرهقةً من المجهود الكبير الذى بذلته سواءً فى الماضى أو فى الحاضر، ففى ذلك اليوم وتلك الليلة لم تتوقَّف عن الرَّكض إلاَّ قليلاً ممَّا ألحق بها كثيراً من الضَّرر ، كما ستسمعون فى وقتٍ لاحقٍ .

وكان الملك أرابيجو قد وضع فى مقدمة قواته بارسينان ، وملك سانسوينيا الذى ، كما قيل ، كان فارسًا شابا شجاعًا لديه الرَّغبة فى نيل الشَّرف والانتقام لمقتل والده وجندالود ، شقيقه الذى هزمه السَّيد جيلان وحمله أسيراً إلى الملك ليسوارتى وأرسله إلى لندن لكى يهدم برجًا وأحرق والده عند هذا البرج ، كما يحكى ذلك الكتاب الأوَّل من هذه القصَّة، واصطحب معه ألفى فارسٍ ، وسارت الفرق الأخرى بقواتها خلفه ، كما ذُكِرَ.

بما أنَّ اليوم كان صافيًا وقد رأت قوات الجانبين بعضها بعضا عن قربٍ ، فقد بدأت المعارك بقوةٍ وشراسةٍ لدرجة أنَّه فى اللقاءات الأولى أصبحت كثيرٌ من الجياد بلا فرسانٍ، وقد كُسِرت حربة بارسينان ، واستلَّ سيفه وسدَّد ضرباتٍ كثيرةً قويةً مثل ذلك الذى كان شجاعًا جدا ويستحوذ عليه غضب كبيرٌ ، وكان نورانديل على رأس قواته حيث التقى مع خالٍ لبارسينان هذا ، شقيق والدته الذى كان حاكمًا للبلاد بعد مقتل والد بارسينان إلى أنْ بلغ نجل شقيقته سنَّ الرُّشد وتولَّى الحكم، واصطدم به فى مواجهةٍ شديدةٍ دمَّرت له درعه وواقى الدِّرع وغرس حربته حتى خرجت من ظهره وقتله على الأرض دون أيَّة هوادةٍ أو رحمةٍ. أمَّا الملك ثيلدادان فقد أسقط فارسًا آخر جاء مع خال بارسينان ، وكان أحد الفرسان البارزين بفرقته . وقد سدَّد السَّيد جيلان والملك أربان دى نورجاليس ضرباتٍ قويةً والآخرون الذين جاءوا معهما كذلك فقد كانوا جميعًا فرسانًا بارزين ، لدرجة أنَّ فرقة بارسينان كان سيُقضى عليها لولا أنَّ أركالاوس قام

بنصرتها على الرَّغم من أنَّه كان فاقدا نصف يده اليمنى التى بترها له أماديس ، كان هناك فارسٌ يدعى بليتينيبروس ، قتل لينوراكى ، نجل شقيقه ، باستخدامه الرَّائع للأسلحة بيده اليسرى والأخرى ، وعند وصوله استعاد رجاله الشجاعة والحماس فى قلوبهم ، لدرجة أنَّ كثيراً من قوات الملك ليسوارتى لقوا حتفهم وأثخن كثيرٌ منهم بالجراح وسقطوا من فوق جيادهم . توغَّل أركالاوس بين صفوفهم وقام بأشياءٍ عظيمةٍ بالأسلحة ، فى شجاعة وبسالة ، ولكن أثناء ذلك كنا نرى الملك ثيلداذان ونوراندیل والسَّيد جيلان وثينديل دى جانوتا يقومون ببطولات عجيبةٍ فقد كانوا الدِّرع والحماية لجميع أفراد قواتهم ، لكن كل هذا لم يجد فى شيء إذا لم يقم الملك ليسوارتى بنصرتهم ، لأنَّ الأعداء كانوا أكثر استراحة وعدداً وعتاداً ، فقد هاجموهم بعد هزيمةٍ . لكن الملك ليسوارتى الذى لم يفقد نقطة واحدة فى جميع المواجهات الكبرى التى خاضها ، انطلق أمام رجاله مضحيا بحياته دون أنْ يتخاذل فى أداء واجبه ، وكان أوَّلُ من وجده أمامه شقيقاً لألوماس الذى قتله السَّيد فلوريستان أمام الوصيفات اللائى كنَّ تحت حراسة الأقزام عند نافورة لوس أولموس ، الذى كان ابن عم لداردان المكابر ، حيث واجهه وأسقط جميع أسلحته وقتله على الأرض ، وقام رجاله بإصابة أفراد الأعداء حتى أفقدوهم معظم ميدان القتال . استلَّ الملك سيفه بيده وسدَّد به ضرباتٍ قويةً إلى كلِّ من لحق به فلم يكن هناك من يضارعه فى فن القتال . وقد تملَّكه الغضب فى ذلك الوقت ولم يكترث لأىِّ خطرٍ يتهدَّده ، توغَّل بين الأعداء يقتل ويصيب من يقابله منهم . كان أركالاوس خبيراً متمرساً فى استخدام الأسلحة وجاء لكى يثبت براعته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فقد كان هذا ديدنه ، وعندما رأى بارسينان بعيداً عن رجاله ذهب إليه ، وقال له :

– يا بارسينان ، أنت الآن أمام عدوك ، لأنَّه إذا قِيلَ هذا انتهى كلُّ شيء . ألا ترى ما يفعله الملك ليسوارتى؟!

اصطحب بارسينان عشرة فرسان من رجاله وانتظرو أركالاوس ، وقال له :

– الآن فلنهجم عليه ، إما أنْ يموتَ الملك ليسوارتى أو فلنمت جميعًا . حينئذ توجَّهوا إليه وهاجموه من جميع الجهات ، وهكذا أسقطوه من فوق جواده .

كان فليسبينيل يسير دائمًا إلى جانب الفرسان العشرين الذين سمعتم عنهم من قبل ، حيث كان قد ذهب لكى يتحسَّس الأخبار بالجبل ، وكانوا قد تعهدوا بالمشاركة فى هذه المعركة. وعندما رأوا الملك هكذا قال لهم :

- يأيُّها الرِّجال ، حان الوقت الآن لكى نموت مع الملك !

حينئذٍ تحركوا جميعًا ووصلوا إلى حيث كان يوجد الملك وكان محاصرًا من جانب فارسين وقد انقضَّا عليه قبل أنْ ينهض وانتزعا سيفه ، وأصابوا بارسينان وأركالاوس ورجالهما حتى أنهم أبعدوهم عنهما ، وكان رجال بارسينان وأركالاوس قد استجابوا لصيحاتهما وقتلوا الكثير من الأعداء ، وإذا لم يأت القدر بالملك ثيلدادان وأركيسيل ونوراندیل وبراندو إيباس بمجموعة من الفرسان لنصرة الملك ليسوارتى للقى حتفه ، لكن هؤلاء قتلوا كثيرين من الأعداء وأنقذوا الملك ، وعندما وصل نوراندیل نزل من فوق صهوة جواده وأصاب الفارسين اللذين كانا يحيطان بالملك وانتزع منهما سيف الملك ووضعه له فى يده ، وقال له :

- امتطوا جوادى هذا .

هكذا فعل الملك ولم يرحل من هناك حتى أعطى براندو إيباس جوادًا آخر لنوراندیل وجعله يمتطيه ، ثمَّ ذهبا فيما بعد لنصرة رجالهما الذين كانوا يقاتلون بشراسةٍ لدرجة أنَّ الأعداء لم يجرءوا على انتظارهم . قال أركالاوس لفارس من فرسانه :

- قل للملك أرابيجو لماذا يتركنى عرضةً للقتل؟!

جاء هذا الفارس إلى الملك أرابيجو، وقال له :

- أرى حسنًا أنَّ هناك دافعًا ومبرِّرًا لنصرتهم ، لكننا كنا قد تركناه لأنَّ الأعداء ابتعدوا كثيرًا عن المدينة ؛ لكن إذا كان يريد ذلك فسيتمُّ الاستجابة لطلبه .

حينئذ دوَى رنين الأبواق وذهب مع رجاله جميعًا ومعه أيضًا السِّتة الفرسان من جزيرة ساخيتاريا ؛ وعندما رآهم مضطَّربين ومرهقين ألحق بهم أضرارًا كبيرةً . كما قام هؤلاء الفرسان ببطولاتٍ غريبةٍ حيث أسقطوا وقتلوا الكثيرين ممن لحقوا بهم ،

ونظراً لما قاموا به، فضلاً عن العدَد الغفير من النَّاس المستريحين مع الملك أرابيجو الذين وصلوا إلى حيث توجد قوات الملك ليسوارتى لم يستطع هؤلاء مواجهتهم والتَّصدى لهم ، وبدأوا يفقدون ساحة القتال كأناسٍ مقهورين .

رأى الملك ليسوارتى أنَّ القضية خاسرةٌ بالنِّسبة له ، ولن يستطيع بأية وسيلة استرداد ما فقده ، اصطحب معه الملك ثيلدادان وأركيسيل وآخرين من البارزين المختارين ووقف أمام رجاله وأمر الآخرين بالتَّقهقر إلى المدينة التى كانت قريبةً منهم . ماذا أقول لكم ؟ ففى هذا الفرار والهزيمة قام الملك بعمل عظيمٍ دفاعًا عن رجاله ، ولم يظهر قط، كما فى ذلك الحين، مدى طيبته وشجاعته وكذلك جميع الفرسان الذين كانوا معه . وفى النِّهاية عندما خارت قوى رجاله بمقتل وإصابة الكثيرين منهم فضلاً عن الأسرى أصبحوا محاصرين عنوةً داخل أبواب المدينة، كان رجال الملك ليسوارتى فى ضيق شديدٍ ، ولما رأى الأعداء أنَّ الآخرين فى حكم المقهورين ضيَّقوا الخناق عليهم ، فكان القتل من نصيب عدد كبيرٍ منهم ، وهناك أسقط الملك أربان دى نورجاليس من فوق جواده والسَّيد جروميدان ومعهما راية الملك ليسوارتى ووقعوا أسيرين لدى الأعداء ، وكان الملك ليسوارتى سيلقى المصير نفسه لولا أنَّ بعض رجاله دافعوا عنه بشجاعةٍ واستطاعوا إدخاله المدينة ، ثمَّ تمَّ إغلاق الأبواب وكان النَّاس الذين دخلوا هناك قليلين .

ظلَّ الأعداء خارج المدينة لأنَّ خصومهم كانوا يرمونهم بالأقواس والمنجنيق وقد أخذوا معهم الملك أربان والسَّيد جروميدان وراية الملك . أراد أركالاوس قتلهم لكن الملك أرابيجو لم يوافق على ذلك ، وقال له ينبغى أنْ نأسر الملك ليسوارتى على جناح السُّرعة وكبار السَّادة الآخرين الذين كانوا هناك ، ثمَّ يتم الاتفاق بينه وبين علية القوم على القصاص منهم . وأمر بأنْ يصطحبهما بعض الأفراد من رجاله وأنْ يحرسوهما جيداً .

هكذا هُزم الملك ليسوارتى – كما أقول لكم – وكُسِرت شوكته ، وفقد كثيراً من رجاله ما بين قتْلى وأسرى بينما كان هو والآخرون معه محاصرين داخل تلك المدينة

الضَّعيفة ، حيث إذا لم يدركهم الموت ، لم يكونوا ينتظرون شيئًا آخر. إذنْ ، ماذا سنقول عمَّا فعله ؟ ماذا عن الربِّ وقدره ؟ بالتَّأكيد لا، إنَّه قطعًا أصغى أذنيه للاستماع إلى الوشايات وتصديق ما قاله هذان الشِّرِّيران : بروكادان وجندانديل عن أماديس ، ورغم ما رآه بعينيه فإنه صدَّق وشايات هذين أكثر من فضائل وطيبة قلب أماديس وأسرته النَّجيبة، والتى بفضلها نال من ذروة المجد والشهرة ما لم يتحقَّق لأىٍّ أميرٍ آخر فى العالم . فلندع الربَّ جانبًا ، من الذى سينصره ؟ هل سيستر خسارته ويستعيد مجده ويتخلَّص من الخطر الذى يحدق به بفضل بروكادان وجندانديل وأفراد أسرتهما ؟ أو بفضل هؤلاء الذين مثل هذه المهنة يمارسونها دون ضميرٍ لديهم ، بل لديهم حقدٌ وحسدٌ دفين تجاه الذين يتسمون بالفضيلة والورع لا رغبة منهم فى تحقيق ما حقَّقه هؤلاء ، بل للإضرار بهم والإساءة إليهم وتشويه سمعتهم وامتهان شجاعتهم وقواهم ؟ يبدو لى أنَّ هؤلاء إذا انتظروا لتمَّ الانتقام لمقتل بارسينان ، ملك سانسوينيا ، والخسارة الكبيرة التى نالها الملك أرابيجو فى معركة الملوك السَّبعة والغيظ الذى تَملك أركالاوس .

إذنْ ، ممَّنْ سيتمُّ نصرته ونجدته ؟ بالتَّأكيد من ذلك الفارس الشُّجاع والشَّهير أماديس دى جاولا ، الذى نصره فى مرَّات كثيرة ، كما حكت ذلك هذه القصَّة الكبيرة . إذن ، هل كان لديه مبرِّرٌ ودافعٌ كبيرٌ لذلك ، ولندع جانبًا خدمة سيدته أوريانا ؟ قبل أىِّ شىء أقول : طبقًا للخدمات العظيمة والمفيدة التى قدَّمها له ، والجحود والنُّكران من جانب الملك ليسوارتى ، وخلاصة الأمر أنَّه لولا أماديس للحق الدَّمار الشَّامل بالملك ليسوارتى ومملكته . لكن بما أنَّ هذا الفارس وُلِدَ فى هذا العالم لكى ينال مجدًا وشهرةً فيه ، فإنه لم يكن يفكِّر إلاَّ فى الأمور النَّبيلة وذات الفضيلة العظيمة ، هكذا كما تستمعون إلى ما فعله مع هذا الملك المهزوم المقهور والمحاصر الذى كان على وشك الموت ومملكته على وشك على الضياع والزَّوال .

إذنْ بالعودة إلى المقصد أقول إنَّه بعد أنْ حوصر الملك ليسوارتى فى تلك المدينة ابتعد الملك أرابيجو فى الحقول ، حيث كان مع هؤلاء النَّاس من علية القوم ، طلب منهم رأيهم لإنهاء المعركة . كان لديهم العديد من الآراء بعضها ضدَّ بعضها الآخر مثلما هو الحال بين الذين يحالفهم القدر ، فبما أنَّ الخير عميمٌ فهم لا يعرفون كيف يختارون

الأفضل من الأمور الطَّيِّبة . كان بعضهم يرى أنَّه من الأفضل أخذ قسطٍ من الرَّاحة وإعداد العدَّة للقتال ووضع حراساتٍ كبيرةٍ فى تلك الأثناء حتى لا يهرب الملك . وكان آخرون يقولون إنه من الأفضل قتالهم قبل أنْ يستعيدوا قواهم للدِّفاع عن أنفسهم ، وبما أنَّهم كانوا مقهورين وخائفين مذعورين، سيتم غزوهم وأسرهم بسرعةٍ. سمع الملك أرابيجو كل الآراء ، وكانوا جميعا ينتظرون قراره ، لأنَّه كان أكبرهم وقائدهم جميعًا ، وقال:

- يا أيُّها السَّادة الطَّيِّبون والشُّرفاء ، لقد سمعت دائمًا أنَّ الرِّجال ينبغى عليهم أنْ يواصلوا حسن طالعهم وعظيم قدرهم وألا يبحثوا عن توقفاتٍ أو تبريراتٍ لكى يتركوا ذلك الأمر ، ولذلك فعلى وجه السُّرعة وبمزيد من الشجاعة لا بد من مواصلة القتال ، لأنَّ السَّعادة آتيةٌ عَما قريب ؛ ولذلك أقول : دون تأخير أو تسويف يقوم بارسينان ودوق بريستويا ، مع من يريدان من الأفراد ، بالذهاب إلى طرف المدينة ، وأركالاوس وأنا مع ملك LA PROFUNDA ÍNSOLA (الجزيرة العميقة) وهؤلاء الفرسان الآخرون نبقى عند الطَّرف الآخر، وبالعتاد الذى لدينا الذى نحارب به سيتمُّ الهجوم على أعدائنا قبل حلول الليل ، قبل غروب الشَّمس بساعتين . وإذا لم نستطع التَّوغل فى المدينة والتَّغلب عليهم ، فينبغى أنْ نكون خارجها وبالتَّالى يستطيع النَّاسُ أخذ قسط من الرَّاحة ، وعند بزوغ ضوء النَّهار نعاود الهجوم ، وبالنِّسبة لى أقول لكم ، وهكذا أقول لجميع رجالى وللآخرين الذين يريدون المجيء معى ، إننى لن أستريح حتى أموت أو أستولى عليهم قبل أنْ أتناول طعامى وشرابى، وهذا ما أعد به بوصفى ملكًا ، إمَّا موتى وإمَّا موتهم لن يتأخَّر عن الصُّبح.

منح الملك أرابيجو لهؤلاء الرِّجال شجاعةً كبيرةً ، وهكذا كما قال ووعد فقد وافقوا على رأيه ، ثمَّ أمروا بإحضار المزيد من المؤن التى كانوا قد أحضروها بكثرةٍ ووفرةٍ وأطعموا وسقوا جميع أفرادهم ، وحضَّهم الملك وشجعهم على القتال ، وقال لهم فى النِّهاية إنَّهم سيكونون أثرياء وسعداء إذا لم يفقدوا ذلك بخوفهم . لقد تمَّ تنفيذ ذلك، حيث اصطحب بارسينان ودوق بريستويا نصف النَّاس وذهبوا إلى طرف المدينة ، أمَّا الملك أرابيجو والنِّصف الآخر فقد ظلُّوا عند الطَّرف الآخر ، ثمَّ استعدوا جميعًا للقتال بمجرَّد سماع دوى الأبواق .

كان الملك ليسوارتى فى المدينة ولم يرد الرَّاحة فقد رأى جيداً هزيمته ، وعلى الرَّغم من معرفته بأنَّه موجود فى مكان لا يستطيع الدِّفاع عنه لوقتٍ طويلٍ ، فإنه اتفق على أنْ يضع كل قواته على أهبة الاستعداد حتى نهاية المعركة ، وأنْ يموت فارسًا أفضل من أنٍ يقع أسيراً لأعدائه هؤلاء الهالكين ، وبمجرَّد أنْ أكل شيئًا ممَّا قدَّمه له أهل المدينة ولرجاله قام بتوزيع جميع الفرسان وفرسان المدينة على عدة أماكن عند السُّور، خاصة عند نقاط الضَّعف، وقد نبَّههم إلى أنَّه بعد الرَّب فإنَّ الصِّحة والحياة لا بد أنْ يكونا فى الدِّفاع والذَّود عن قلوبهم وأيديهم، لكنهم كانوا كذلك ، فلم يكن هناك داعٍ لتذكيرهم بأنَّه لا يوجد أفضل منهم للقيام بهذه المهمة، وأنَّ كل واحدٍ منهم يُضَحِّى بنفسه مثل سيده الملك . إذنْ كانوا كما تسمعون، وجاء الأعداء مندفعين متحمِّسين من أجل القتال بتلك الشَّجاعة التى يتسم بها المنتصرون عادةً ، وبلا أىِّ خوفٍ ، وقد احتموا بدروعهم ورماحهم وحرابهم السَّليمة التى كانت لديهم فى أيديهم ، والآخرون بسيوفهم ورماة المنجنيق والأقواس والسِّهام جاءوا خلفهم إلى السور.

استقبلهم من بداخل المدينة بالأحجار والسِّهام وكذلك رماة المنجنيق والأقواس ، وبما أنَّ السُّور كان منخفضًا جدا وكان متهدِّمًا فى بعض الأماكن فقد التقى الجانبان أحدهما مع الآخر كأنَّهم فى ساحة القتال ؛ لكن الذين كانوا بالدَّاخل كانوا أقلَّ دفاعًا ، وبمزيد من الشجاعة والحماس دافعوا ببسالةٍ حتى أنَّ أعداءهم فقدوا هذا الحماس والقوة اللذين حضروا بهما عند غالبيتهم ، بينما آخرون كانوا يقاتلون بشراسةٍ لدرجة أنَّ الجانبين فقدوا كثيراً من القتلى والجرحى .

لم يتوقَّف الملك أرابيجو وجميع الفرسان الآخرين الذين كانوا يمتطون صهوات جيادهم عن دفع النَّاس إلى الأمام ، وقد وصلوا هم إلى السُّور دون ارتيابٍ لأنَّ رجالهم قد وصلوا إلى هناك ، وسدَّدوا حرابهم إلى الذين كانوا يعتلون السُّور لولا أنَّ الرَّب أراد أن يجنَّ الليل بظلمة حالكةٍ عظيمةٍ . حينئذٍ خرج النَّاس إلى خارج السُّور حيث صدرت لهم الأوامر بذلك وعالجوا جراحهم ووضعوا حراسةً كبيرةً ، وقد قيل لهم إنه فى اليوم التَّالى سيستأنف القتال وستنتهى المعركة كما حدث .

لكنَّنا الآن سنحكى لكم كيف أنَّ أماديس ورفاقه استأذنوا الملك بيريون لكى يذهبوا لنجدة هذا الملك ليسوارتى ونصرته .

الفصلُ السَّابعُ عشر بعد المـائة

كيف أنْ أماديس ذهب لنصرة الملك ليسوارتى ، وما حـدث له فى الطُّريق قبل أنْ يصل إليه .

لقد قصصنا عليكم كيف أنَّ ذلك الغلام الجميل جدا إيسبلانديان وصل على جناح رعة إلى مخيَّم الملك بيريون وأحاط أماديس دى جاولا علمًا بالإهانة العظيمة طر الدَّاهم الذى يتعرض له سيده الملك ليسوارتى ، وكيف أنَّ الملك بيريون عبَّأ ك جميع النَّاس لنصرته وقد جعل على مقدِّمة القوات أماديس مع هؤلاء الفرسان ن سمعتم عنهم . الآن إذنْ سنقص عليكم ما فعلوه.

أسرع أماديس كثيرًا بعد أنْ ابتعد عن والده لكى يصل فى الوقت المناسب ما أمكنه لكى يقوم بهذا الإنقاذ ، ولكى تعرف زوجته أوريانا أنَّه بمبررٍ أو من غير مبرِّر كان عها نصب عينيه لكى يكون فى خدمتها . وبالسُّرعة التى حثَّ عليها النَّاس نظرًا ن الطَّريق طويلاً ، فقد كانت المسافة بين المكان الذى تحرَّك منه حتى وصل إلى خيَّم الذى كان يقيم فيه الملك ليسوارتى قبل ذلك أثناء المعارك الضَّارية التى دارت نهما حوالى خمسة فراسخ، ومن هناك إلى مدينة لوبينا ثمانية فراسخ ، وبالتَّالى كان جمالى المسافة ثلاثة عشر فرسخًا ، ولم يستطع السَّير عندما حلَّ عليه الليل على سافة ثلاثة فراسخ من المدينة نظرًا لأنَّ الظَّلام كان حالكًا . ولأنَّ أماديس أمر لرشدين بأنْ يرابطوا دائمًا فى الجزء الجبلى لمهاجمة الملك أرابيجو ، حتى لا يستطيع لاحتماء بمكان حصينٍ منيعٍ، ضلَّ الطَّريق الذى وصفه له المرشدون ، ولم يكن يعرف ين يذهب ، ولا هل تجاوزوا المدينة أو أنَّهم تركوها خلفهم ، وقد قالوا ذلك لأماديس

فيما بعد ، وعندما سمع ذلك انتابهم حزنٌ وغمٌّ كبيران وكاد الحزن يمزِّقهم ، وبما أنَّه كان أكثر رجال العالم حزنًا ومعاناةً فى تلك اللحظة لكنَّه كان يعرف جيدًا كيف يكظم غيظه فيما يتعلَّق بأى عاطفةٍ أو ألمٍ ، فإنه لم يستطع التَّوقف عن لوم نفسه وانتهارها وأنْ يلعن حظه العاثر الذى كان معاكسًا له تمامًا ، ولم يكن هناك رجل يجرؤ على التَّحدث إليه . أمَّا السَّيد كوادراجانتى الذى كان أيضًا حزينًا جدا على الملك ثيلدادان لأنَّه كان يكنُّ له حبا جما وكان قريبًا له ، فقد وصل إلى أماديس وقال له :

- يا سيدى الطَّيِّب ، لا تحزن كثيرًا ، فالله أعلم بما هو أفضل ، وإذا كنَّا نجاهد فى سبيله فبوسعه أنْ يجعل هؤلاء الملوك أصدقاء لنا فالله سيرشدنا ويهدينا ، وإذا لم تكن إرادته هكذا ، فلن يكون فى استطاعة أحد أنْ يفعل شيئًا آخر.

وهذا حق بالتَّأكيد ، طبقًا لما حدث بعد ذلك، لأنَّه لولا هذا الخطأ - يقصد أنَّهم ضلُّوا الطَّريق - لما تحقق لهم الحل الهائل والمشرِّف بالنِّسبة لهم ، استنادً لما حدث كما ستستمعون إليه فيما بعد .

بينما كانوا متوقِّفين إذنْ دون أنْ يدروا ماذا يفعلون سأل أماديس المرشدين عمَّا إذا كان الجبلُ قريبًا ، فأجابوه بأنَّهم يعتقدون ذلك ، وقالوا إنَّه تنفيذًا لتعليماته كانوا يسيرون فى اتجاه الجبل ؛ حينئذٍ قال لجندالين :

- خذ أحد هؤلاء المرشدين وحاول جاهدًا الوصول إلى ربوة، واصعد فوقها وانظر ما إذا كان النَّاس فى المخيَّم ، وهل يشعلون النِّيران ؟ وانظر جيدًا علك ترى شيئًا .

هكذا فعل جندالين ، وبما أنَّ الجبل كان على يسارهم فقد ظلاَّ يسيران فى هذا الاتجاه . وبعد فترةٍ من الزَّمن وجدا نفسيهما فى سفح الجبل . صعد جندالين قدر استطاعته ونظر إلى السَّهل حيث رأى نيران النَّاس ، وأنَّهم كانوا فى غاية السَّعادة ، ونادى على المرشد وأطلعه على ذلك وسأله عمَّا إذا كان بوسعه أنْ يتنبَّأ بما يحدث هناك . قال له نعم . حينئذٍ عادا بأقصى سرعةٍ حيث يوجد أماديس والنَّاس وحكيا لهم ذلك ، فعمَّ الجميع الفرح ، وقال :

- إذن ليكن الأمر كذلك ، أرشدانا ولنَسر بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ فقد مرَّ جزءٌ كبيرٌ من الليل.

ذهب الجميع هكذا خلف المرشد بشكلٍ منظَّمٍ جدا قدر استطاعتهم ، فلم يكونوا يعرفون شيئًا عن الملك بيريون ، ولا هو يعرف عنهم شيئًا ؛ أكثر من السَّير خلفهم اقتفاءً لأثرهم ، ساروا كثيرًا واقتربوا من المدينة حيث شاهدوا نيران المخيَّم ، التى كانت كثيرةً لا حصر لها ، وعلى وجه الخصوص كان الشُّجاع أماديس لديه رغبةٌ محمومة فى المشاركة فى المعركة لم تكن له قبل ذلك على مدى حياته ، لكى يعرف الملك ليسوارتى أنَّ أماديس دائمًا هو الذى يخلِّصه من إهاناته، وهو بعد الله الذى يُنقذ حياته ومملكته، وقد قرَّر أنَّه لا يمكن الفرار من هذه المعركة مهزومًا أو ميتًا ، نظرًا لقلة رجاله وكثرة قوات أعدائه ، ودون أنْ يراه أو يتحدَّث معه سيعود إليه . وفى تلك السَّاعة أسفر الصُّبح وكانوا لا يزالون على بعد فرسخٍ من المدينة.

بزغ ضوء النَّهار إذنْ ، وقد استعدَّ الملك أرابيجو وجميع هؤلاء الفرسان للقتال بشجاعة كبيرةٍ وسعادةٍ غامرةٍ ، وكانوا جميعًا مدَجَّجين بالأسلحة . وصلوا جميعًا إلى السُّور وفتحات وأبواب الحاجز ، لكن الملك ليسوارتى ورجاله كانوا يدافعون بشجاعةٍ وبسالةٍ. لكن فى النِّهاية، وبما أنَّ أفراد الأعداء كانوا كثيرين وشجعانًا فضلاً عن كونهم متحمِّسين للثَّروة الوفيرة ، وبما أن قوات الملك ليسوارتى كانت قليلة العدد ومعظم أفرادها جرحى وخائرو القوى، فإنهم لم يستطيعوا الصُّمود كثيرًا ولا الدِّفاع لمنع الأعداء من الدُّخول بالقوة وسط صيحات الحرب وضجيج الأفراد ، هكذا كانت الجلبة شديدةً فى الشَّوارع ، حيث كان الملك ليسوارتى ورجاله يقاتلون بقوةٍ وبسالةٍ ، وكانت النِّساء يساعدنهم عبر النَّوافذ وكذلك الصِّبية والغلمان ، وآخرون لم يكن باستطاعتهم المشاركة فى القتال . كانت طعنات المُدى والرِّماح وقذف الأحجار قويةً جدا ، وكانت الأصوات شديدةً تصمُّ الآذان لدرجة أنَّه لم يسمعها شخصٌ إلاَّ وأصابَهُ الذُّعر والهلع . وعندما رأى الملك ليسوارتى وهؤلاء الفرسان من رعاياه ، وفى كثيرٍ من الأحيان كانوا أسرى أكثر من كونهم قتلى ، لا يمكن أنْ نصف لكم البطولات العظيمة والعجيبة التى قاموا بها هناك، والضَّربات القوية التى سدَّدوها لدرجة أنَّ أعداءهم لم يجرءوا على الوصول إليهم أو الاقتراب منهم ، اللهم إلاَّ بالرِّماح والأحجار التى كانوا يرمونهم بها . الملك ثيلادان إذن وأركيسيل وفلامينيو ونورانديل ، الذين كانوا يوجدون فى الجانب الذى به الملك أرابيجو ،

بوسعكم الاعتقاد إذنْ أنَّهم لم يكونوا هناك سدىً أو بلا فائدةٍ ، حيث خاضوا معركةً باسلةً . وقد دخل الملك أرابيجو المدينة ومعه أركالاوس وفرسان جزيرة ساخيتاريا السِّتة ، الذين سمعتم الحديث عنهم آنفًا ، حيث كان الملك قد طلب منهم أنْ يحرسوه دائمًا. ولمَّا رأى الأمر على هذا الحال أرسل اثنين منهم إلى الجانب الذى كان يحاربُ فيه بارسينان ودوق بريستويا، وقد اصطحب الأربعة الآخرين معه إلى الجهة التى كان يوجد فيها الملك ثيلدادان ، وقال لهم :

- الآن يا أصدقائى حان الوقت لكى تنتقموا لغضبكم ولمقتل ذلك الفارس النَّبيل برونتاخار دانفانيا ، الذى ترونه هناك بعد أنْ قتلوه . أثخنوهم جراحًا فليس لديهم أىُّ دفاعٍ .

حينئذ قام بشحذ المُدى الكبيرة والقوية - بعد أنْ ابتعدوا عن الملك - وقد مروا بين أفراد قواتهم وقد أسقطوهم على الأرض بعددهم حتى وصلوا إلى حيث يوجد الملك ثيلدادان ورفاقه . ولما رآهم كبارًا شجعانًا متحمِّسين ، وهو ليس شجاعًا جدا - كما نعلم - انتابه شىء من الخوف ، وقال لرجاله :

- يا أيُّها السَّادة ، إنَّ مصير هؤلاء هو القتل ، وألاَّ يكون هناك بديلٌ لذلك - إذا أمكن - وأنْ يكونوا فى مقدِّمتنا ونحن خلفهم .

حينئذ التقى بعضهم ببعضهم الآخر بعنف وبسالةٍ مثل هؤلاء الذين لا يريدون وسيلةً أخرى سوى أنْ يقتلوا أو يُقتلوا . وصل أحد هؤلاء إلى الملك ثيلدادان ورفع المدية لكى يسدِّد له ضرْبة فوق الخوذة حيث كان يفكِّر فى أنْ يقصم له رأسه نصفين، وبما أنَّ الملك رأى الضَّربة قادمةً رفع الدِّرع لكى يستقبلها به ، وكانت الضَّربة قويةً لدرجة أنَّ السَّيف توغَّل فى الدِّرع حتَّى نصفه وكسر له القوس أو الحاجز الفولاذى ، وعندما غرس المدية لم يستطع إخراجها وأخذ الدِّرع خلفه. وبما أنَّ الملك ثيلدادان كان ذا شجاعة كبيرةٍ وقد تعرَّض كثيرًا لمثل هذا المأزق ، فإنه لم يفقد شجاعته فى ذلك الوقت ولا حماسه ، وكان قد سدَّد إليه ضربةً بالسَّيف فى ذراعه ، ونظرًا لثقل الدِّرع لم يستطع أنْ يضربه بسرعةٍ ، ومع ذلك كسر بها كُمَّ الدِّرع وكل الذِّراع ، لكنَّه ظلَّ معلَّقًا قليلاً،

وسقط على قدميه وقد غُرِست المدية في الدِّرع. وقد سقط هذا كرجلٍ قعيدٍ ، وساعد الملك رفاقه حيث كان يقاتل مع الثلاثة ببسالةٍ ، وبالضَّربة القوية التى سدَّدها فقد أغمى على الآخرين ، بالشَّكل الذى كانوا يحاربون العدو فى الشَّارع ببسالةٍ دون أنْ يتكبَّدوا خسائر كبيرة ، على الرَّغم من أنَّ الملك أرابيجو كان خلفهم يحثُّهم ويحضُّهم على ألاَّ يتركوا أحداً حيا . وجاء الفارسان الآخران اللذان كانا قد ذهبا إلى الجهة الأخرى لكى ينضمَّا إلى القتال ، وعند وصولهما كان الملك ليسوارتى ورجاله قد تقهقروا إلى شارع آخر ضيق ، حيث كان بعض رجاله لا يشاركون فى القتال لأنَّ الشَّارع ضيقٌ لا يسعهم . وهناك توقفوا ، إلا أنَّ هذا كله لم يكن مجدياً على الإطلاق لأنَّ الأعداء انقضوا عليهم من كلِّ حدبٍ وصوبٍ وباغتوهم من الخلف ، ولولا رحمة الله ومجيء أماديس لنصرتهم لما لبثوا أكثر من نصف ساعة إلاَّ وقد لقوا حتفهم جميعًا أو وقعوا أسرى ، خاصةً وأنَّهم كانوا مثخنين بالجراح وأسلحتهم مدمَّرة . وحتَّى لو كانوا أصحَّاء سالمين وأسلحتهم سليمة لم يكن فى وسعهم أنْ يفعلوا شيئًا لأنَّهم كانوا مقهورين مهزومين وقتلى ، وكانوا يحكون ذلك . لكن فى تلك السَّاعة وصل أماديس ورفاقه بهؤلاء النَّاس ، الذين سمعتم عنهم آنفًا ، وبعد أنْ أسفر الصُّبح أسرع ما استطاع إلى ذلك سبيلاً لأنَّه كان يريد أنْ يباغت الأعداء وينقضَّ عليهم قبل أنْ ينتبهوا. وعندما وصل إلى المدينة رأى النَّاس بداخلها وكان بعض الأفراد يسيرون خارجها ، فعاد فيما بعد وقد طاف حولها وقد قام هو ورجاله بقتل الذين لحقوا بهم ، ثم دخل أماديس من بابٍ والسَّيد كوادراجانتى من الباب الآخر ومعهما النَّاس وهم يصيحون بأعلى صوت قائلين : "جاولا ، جاولا" أيرلندا أيرلندا! وعندما رأوا النَّاس بلا نظام ولا ترتيب وفى هرجٍ ومرجٍ قتلوا الكثيرين وحبسوا آخرين فى المنازل . أمَّا الذين كانوا فى المقدِّمة فقد سمعوا جلبة الأصوات الشَّديدة للذين كانوا يسيرون مع أفرادهم وكذلك قادتهم . ثم فكَّروا فيما بعد بأنَّ الملك ليسوارتى قد جاءته إمدادات فخرَّ الكثيرون مغشيا عليهم ، فلم يكونوا يدرون ماذا يفعلون ، هل يقاتلون الذين كانوا فى المقدِّمة أو يذهبون لنصرة ونجدة الآخرين . عندما سمع الملك ليسوارتى ذلك ورأى أنَّ أعداءه قد ضعفوا تشجَّع وبدأ يبث الحماس فى رجاله ، وقاتلوا الأعداء ببسالةٍ وقوةٍ وقد

اضطروهم إلى الانضمام إلى الذين فرُّوا من أماديس ورجاله، وبالتَّالى لم يكن أمامهم بدٌّ سوى الدِّفاع عن أنفسهم .

ولَّما رأى الملك أرابيجو وأركالاوس القضية خاسرةً، دخلا منزلهما ولم يكن لديهما شجاعة للموت فى الشَّارع ، ولكنَّهما أُسِرا فيما بعد . كان أماديس يسدِّدُ ضرباتٍ قويةً ولم يكن يجد من يتلقَّاها ، لولا أنَّ فارسى جزيرة ساخيتاريا ، اللذين سمعتم عنهما ، كانا يحاربان فى ذلك الجانب ، وجاءا لمهاجمته . وعلى الرَّغم من أنَّ أماديس رآهما شجاعين جدا - كما قصت عليكم الرِّواية من قبل - فإنه لم يخف من ذلك ، وقبل كلِّ شىء رفع سيفه الرَّائع البتَّار وسدَّد ضربةً قوية إلى أحدهما فوق الخوذة ، التى على الرَّغم من كونها قويةً جدا لم تجدِ سوى أنْ جعلته يركع بركبتيه على الأرض . ولَّما رآه أماديس هكذا توجَّه نحوه بقوةٍ وضرب أحدهما على يديه فسقط على ظهره ومرَّ فوقه وهو يمتطى جواده ، ورأى السَّيد فلوريستان ، شقيقه ، وأنجريوتى دى إيستراباوس كانا قد أسقطا الفارس الآخر وتركاه فى حوزة القادمين من الخلف. ثم ذهب الثلاثة إلى حيث كان يوجد بارسينان ودوق بريستويا اللذين استسلما فيما بعد. جاء بارسينان يعانق أماديس ودوق بريستويا للسَّيد فلوريستان لأنَّ الملك ليسوارتى كان قد ضيَّق الخناق عليهما فلم يبق لديهما خيارٌ سوى الموت أو أنْ يطلبا العفو منه . نظر أماديس أمامه وعرف الملك ليسوارتى، وبما أنَّه لم ير هناك من يحاربه، فقد عاد بأقصى سرعةٍ من حيث أتى واصطحب معه بارسينان ودوق بريستويا وأراد الذَّهاب إلى المكان حيث السَّيد كوادراجانتى ، وقد أخبروه عن كيفية إنهاء المعركة وأنَّهم أسروا كلا من الملك أرابيجو وأركالاوس . ولَّما علم بهذا النَّبأ الجديد قال لجندالين :

- اذهب ، وقل للسَّيد كوادراجانتى إنَّنى سأخرج من المدينة ، وبعد أنْ ينتهى ذلك فمن الأفضل أنْ نرحل دون أنْ نرى الملك ليسوارتى .

وبعد ذلك سار فى الشَّارع حتى وصل إلى باب المدينة الذى كان قد دخل منه ، وأمر النَّاس الذين كانوا سيذهبون معه بأنْ يمتطوا صهوات جيادهم .

لما رأى الملك ليسوارتى بسرعة كيف تمَّ إنقاذ حياته وأنَّ أعداءه صرْعى وقد مزِّقوا شرَّ ممزَّقٍ ، كان مذهولاً لدرجة أنَّه لم يكن يدرى ماذا يقول ، ونادى على السَّيد جيلان الذى كان قريباً منه ، وقال :

– يا سيد جيلان، ما هذا؟ ومن هؤلاء الذين قدَّموا لنا هذا الخير والخدمة الجليلة؟

– سيدى – قال السَّيد جيلان – من الذى يمكن أنْ يكون سوى الذى اعتاد على ذلك؟ ليس شخصًا آخر سوى أماديس دى جاولا ، وقد سمعتم جيدًا كيف كانوا يهتفون بلقبه ، وسيكون من الأنسب أنْ تقدِّموا له الشُّكر الذى يستحقه .

حينئذٍ قال الملك :

– إذنْ اذهبوا أنتم فى المقدِّمة ، وإذا كان موجودًا استوقفوه ، لأنَّه سيستجيب لكم ، وسأذهب إليكم فيما بعد .

وحينئذ ذهب عبر الشَّارع ، وعندما وصل السَّيد جيلان إلى باب المدينة علم بأنَّ أماديس كان قد امتطى صهوة جواده ورحل مع رجاله ، ولم يرد انتظار السَّيد كوادراجانتى حتى لا يستوقفوه ، نادى عليه السَّيد جيلان بصوتٍ عالٍ لكى يعود فالملك موجودٌ هناك . عندما سمعه أماديس انتابه خجلٌ كبيرٌ، فلقد عرف جيدًا من الذى كان ينادى عليه ، ورأى الملك قريبًا منه فعاد ، وعندما اقترب أكثر رأى الملك وقد حُطِّمت جميع أسلحته وكانت مخضَّبةً بدماء جراحه ، فأحسَّ بالشَّفقة تجاهه عندما رآه على هذا الحال ، وعلى الرَّغم من الخلاف الكبير بينهما كان فى ذهنه دائمًا أنَّ هذا الملك هو أشرف وأعقل وأشجع الملوك فى العالم ، وبما أنَّه كان قريبًا جدا نزل من فوق جواده وتوجَّه نحوه وجثا أمامه على ركبتيه وأراد تقبيل يديه ، لكن الملك رفض تركهما له ، وعانقه أولاً بمحيا طلقٍ بشوشٍ وساعده على النُّهوض. حينئذ وصل السَّيد كوادراجانتى ، الذى كان يأتى خلف أماديس ، والملك ثيلادان وآخرون كثيرون معهما كانوا قد خرجوا لإيقاف أماديس عن الرحيل حتى يرى الملك ليسوارتى. وصل هو والسَّيد فلوريستان وأنجريوتى ليقبلا يدى الملك . وتوجَّه أماديس إلى الملك ثيلادان وعانقه عدَّة مرَّاتٍ. من ذا الذى يستطيع أنْ يحكى لكم السَّعادة التى غمرت الجميع

عندما كانوا جميعًا جنبًا إلى جنبٍ بعد أنْ قضوا على أعدائهم ؟ قال الملك ثيلدادان لأماديس :

– يا سيدى عُد إلى الملك وسأبقى أنا مع السَّيد كوادراجانتى، عمِّى . وهكذا فعل ذلك .

وفى تلك الأثناء وصل براندو إيباس بحماسٍ كبيرٍ ، وكان مثخنًا بالجراح ، وقال للملك :

– يا سيدى، إنَّ رجالكم وأهالى المدينة قتلوا كثيرًا من الأعداء الذين دخلوا المنازل وإنَّ الشَّوارع تحولَت إلى جداول دماءٍ جاريةٍ ، وإنْ كان قادتهم وملوكهم استحقُّوا هذا فإنَّ رجالهم لم يستحقوا ذلك ، وبالتَّالى مُروا بما سيتم بشأن هذا الدَّمار الرهيب.

وقال أماديس :

– مروا جلالتكم بإصلاح هذا الأمر ، ففى مثل حالات الإذلال والهزيمة تظهر معادن الرِّجال.

أمر الملك نجله نوراندِيل ، والسَّيد جيلان بأنْ يذهبا إلى هناك لكى لا يقوم رجال الملك ولا أهالى المدينة بقتل الأحياء الذين يجدونهم بل يودعونهم السِّجن وأنْ يُشدِّدوا الحراسة عليهم، هكذا تمَّ تنفيذ ذلك . أرسل أماديس جندالين وإينيل مع سيده جنداليس كى يحرسوا الملك أرابيجو وأركالاوس وبارسينان ودوق بريستويا ، وألاَّ يتركوهم على الإطلاق، فقاموا بتنفيذ ذلك. أمسك الملك ليسوارتى أماديس من يده وقال له :

– سيدى ، سيكون من الأفضل ، إذا رضيتم بذلك ، أنْ تأمروا النَّاس بالرَّاحة، فنحن فى حاجةٍ ماسةٍ إلى ذلك، ولندخل المدينة ولنخرج القتلى .

وقال له أماديس :

– سيدى، سيكون من فضل جلالتكم السَّماح لنا بالرَّحيل لأننا ليس لدينا متسعٌ من الوقت للعودة ، وأنا وهؤلاء الفرسان سنذهب إلى والدى الملك بيريون الذى سيأتى مع جميع النَّاس الآخرين .

- بالتأكيد لن أمنحكم أنا هذا التَّصريح ، فعلى الرَّغم من أنَّنى مهما فعلت من فضيلة وما لدى من شجاعة فلن أستطيع التَّفوق عليكم ، فإننى فى هذا أريد أنْ أتفوَّق عليكم ولننتظر الملك والدكم هنا ، فليس هناك داع الآن لأن نفترق بسرعةٍ دون الاحتفال بالنَّصر العظيم الذى حققتموه كما حدث الآن .

حينئذٍ قال للملك ثيلدادان :

- استوقفوا هذا الفارس لأنَّنى لا أستطيع .

قال له الملك ثيلدادان :

- سيدى، استجيبوا لما يتوسَّل إليكم به الملك بمزيدٍ من الحبِّ ، ولا ينبغى على شخصٍ مثلكم نشأ وترعرع على الأدب الجمِّ أنْ تفعلوا مثل هذا الذى ينافى الاحترام والوقار.

التفت أماديس إلى شقيقه السَّيد فلوريستان وإلى السَّيد كوادراجانتى وإلى الفرسان ـرين، وقال لهم :

- سادتى ، ماذا نفعل فيما يأمر به الملك ؟

قالوا لنفعل ما يراه خيراً ، وقال السَّيد كوادراجانتى بما أننا جئنا من هناك لنصرته ـكون فى خدمته ، وقد قمنا بذلك على أكمل وجهٍ ، فإنَّ أقلَّ واجب علينا الاستجابة لما ـر به :

- إذنْ يا سيدى افعلوا ما يحلو لكم ، وسيتم الاستجابة لما تأمرون به - قال أماديس .

حينئذٍ أمروا النَّاس بالنزول من فوق صهوات جيادهم فى تلك الحقول وأنْ يبحثوا ـن شىءٍ من الطعام .

وفى تلك الأثناء رأوا قدوم الملك أريان والسَّيد جروميدان ، حيث أطلق سراحهما حراس الذين كانوا يحرسونهما . جاءا وقد قُيدت أيديهما ، وكان أمرًا عجيبًا أنهم لم

يقتلوهما . عندهما رآهم الملك غمرته سعـادةٌ كبيرةٌ لأنَّه كان يعتبـرهما قتيلين ، وكانا سيلقيان حتفهما لولا النَّجدة التى جاءت للمـلك ليسوارتى ورجاله.

جاءا إليه وقبَّلا يديه، ثمَّ توجَّها إلى أماديس بتلك السَّعادة التى بوسعكم التَّفكير فيـها فقد كانا صديقين كبيرين له. طلب الجميع من الملك أنْ يصطحب معه هؤلاء الفرسان لكى يستريحوا بالدِّير حتَّى يتم إخلاء المدينْة من القتلى . وفى تلك الأثناء وصل أركيسيل ، حيث كان يعالج فلامينيو الذى كان مثخنا بجراحٍ خطيرةٍ ؛ وعندما رأى أماديس توجَّه إليه لمعانقته ، وقال له :

– سـيدى ، لقد جئت لنصـرتنا فى الوقت المناسب ، وإذا كنتم قـد قـتلتم بعض رجالنا ، فقد أنقذتم حياة الكثيرين منَّا.

قال له أماديس :

– سيدى، يسعدنى جدا أنْ أستقبلكم ، فبوسعكم أنْ تعتقدوا وأنْ تكونوا متأكِّدين من صدق إرادتى وأنَّنى أحبُّكم بلا خداعٍ .

بينما كان الملك ليسوارتى يرغب فى الذِّهاب إلى الدير ، رأوا مجىء فرق القوات التى كان يحضرها الملك بيريون ، والتى كانت تسير بأقصى سرعةٍ ، فقال السَّيد جروميدان للملك :

– يا سيدى، يا لها من مساعدةٍ كبيرةٍ تلك، ولو تأخَّرت المساعدة الأولى لتأخَّر إنقاذنا كثيراً.

ضحك الملك وبمحيا طلقٍ بشوشٍ قال:

– من الذى بوسعه أنْ يدخل معكم ، يا سيد جروميدان ، فى نقاشٍ عن البطولات التى قـام بها أمـاديس عمَّا إذا كـانت بطـولاتٍ رائعـةٍ أم عن كونها بطولات لا تعدُّ ولا تُحصى بالنِّسبة له ، فقد عرَّض حياته لخطرٍ داهمٍ.

وقال أماديس :

– سيدى ، إنَّ لدى جميع الفرسان مبرِّرٌ كبير لكى نُحِبَّ ونُشَرِّف السَّيد جروميدان لأنَّه هو مرآتنا ومرشد شرفنا ، ويعلم جيداً أنَّنى بكلِّ الطَّاعة سألبى ما يأمرنى به . إنه يحبنى بإخلاص ، لا لأنَّه تلقَّى من جانبى أىَّ معروف ، بل ذلك من تلقاء نفسه وبمحض إرادته.

هكذا كانوا فى سعادةٍ غامرةٍ ، وإنْ كان بعضهم مثخنًا بالجراح ، لكن لم يكترثوا بها مقارنة بالموت المحقَّق والقاسى الذى كانوا يرونه بأعينهم . طلب الملك ليسوارتى جواداً وطلب من الملك ثيلدادان أنْ يأخذ جواداً آخر ويذهبا لكى يستقبلا الملك بيريون.

قال له أماديس :

– سيدى ، من الأفضل ، إذا استحسنتم ذلك ، أنْ تستريحوا وتضمِّدوا جراحكم ؛ فالملك سيدى (يقصد والده الملك بيريون) لن يتوقَّف عن مواصلة طريقه حتى يراكم.

قال له الملك إنَّه على أيَّة حال يرغب فى الذِّهاب.

حينئذ امتطى جواده ، والملك ثيلدادان وأماديس امتطيا جواديهما، وتوجَّهوا إلى حيث كان الملك بيريون قادماً . أمر أماديس رجاله بأنْ يظلوا حتى يعود ، وكان دورين يمرُّ أمامهم فأخطر والده برحيل الملك ليسوارتى . هكذا ذهبوا – كما تسمعون – ومعهم كثيرٌ من هؤلاء الفرسان ، وقد سار دورين بأقصى سرعةٍ ووصل إلى القوات ، وقد أخبروه فى المقدِّمة بأنَّ الملك وجاستيليس قادمان فى المؤخرة . حينئذٍ مرَّ بها ووصل إلى الملك ، وأبلغه طلب أماديس ، وأخذ الملك بيريون معه جاستيليس وجراساندور والسَّيد بريان دى مونجاستى وتيريون ، وتوسَّل إلى أجراخيس بأنْ يأتى مع القوات ، وقد فعل ذلك من جرَّاء الغضب الذى كان يشعر به تجاه الملك ليسوارتى ولكى لا يعرِّضه للإهانة ، سُر أجراخيس من ذلك ، وبما أنَّ الملك بيريون مرَّ أمامه ، فقد توقَّف هو مع القوات لأنَّه لم يجد هناك داعٍ لكى يتحدَّث مع الملك ليسوارتى.

وصل الملك بيريون فى صحبة الذين ذكرتهم لكم آنفًا إلى الملك ليسوارتى، ا
رأى أحدهما الآخر أسرعا بالتَّوَجه كل منهما إلى الآخر ليعانقه بمحيا طلقٍ بش
وعندما رآه الملك بيريون على هذه الحالة التى يرثى لها وأسلحته محطَّمةٌ قال له

- يبدو لى ، يأيها الرَّجلُ الطَّيِّبُ ، أنَّك لم ترحل من المخيَّم وأنت مثخنٌ با
مثلما أرى الآن ، على الرَّغم من أنَّ أسحلتكم هناك لم تكن فى غمدها
يكن شخصكم فى ظلِّ الخيام .

- سيدى - قال الملك ليسوارتى - هكذا رأيت من الأفضل أنْ ترونى هكَ
تعرفوا كيف كان حالى عندما جاء أماديس وفرسانٌ آخرون وأنقذونى .

حينئذٍ قصَّ عليه كل الذُّل والهوان الذى تعرض له . لقد سُرَّ الملك بيريون
بالغًا بمَّا قام به أنجاله وما تحقَّق لهم من شرف ومجدٍ من جرَّاء ذلك ، وقال :

- أتوجَّه بالشُكر الجزيل إلى الله لأنَّه تمَّ وقف الحرب ولأنَّكم، يا سيدى، قد
ونُصرت من جانب أولادى وأسرتى ، وعلى الرَّغم من الأحداث التى وقع
فقد كانت رغبتى ، ولا تزال ، فى أنْ أظلَّ على طاعتى وتوقيرى لكم ملكًا وو

قال له الملك ليسوارتى :

- فلندع هذا الآن جانبًا عندما يتسع لنا الوقت للحديث عنه ، فإنَّنى أثق
الله ، قبل أنْ نفترق ، سيجعلنا جنبًا إلى جنب وسيربط بيننا برابطة
والحب لأزمنةٍ طويلةٍ .

حينئذ نظر فلم ير أجراخيس الذى كان يكنُّ له حبا جما ، نظرًا لطيبة قلب
للقرابة الكبيرة التى تجمع بين هؤلاء النَّاس من علية القوم ، ولأنَّه كانت الإر
قررت ما ستسمعونه فيما بعد ، لم يرد أنْ يبقى أىُّ أثرٍ للغضب ، فقد كان يعرف
أنَّ أجراخيس أكثر من أى شخصٍ آخر قد أهين من جانبه وكان يشيع أنَّه ،
ويمقته فسأل عنه . قال له الملك بيريون إنَّه بناءً على توسلٍ منه ظلَّ مع القوا

يحدث خلاف بين الأفراد كما هو المألوف إذا لم يكن موجوداً بينهم شخص يخشونه ويهيمن عليهم .

– إذن استدعوه – قال الملك – فلن أبرح مكانى هنا حتَّى أراه.

حينئذ قال أماديس لوالده :

– سيدى ، سأذهب إليه أنا.

وفعل ذلك أماديس لأنَّه فكَّر جيداً بأنَّه إذا لم يأت استجابة لتوسله ، فلن يقنعه أىُّ توسلٍ آخر . وهكذا قام أماديس بذلك، حيث ذهب فيما بعد إلى حيث يوجد النَّاس وتحدَّث مع أجراخيس، وأخبره بكلِّ ما فعلوه وما ألحقوه من تمزيق ودمارٍ لكلِّ هؤلاء النَّاس من الأعداء والأسرى الذين فى حوزتهم ، وبما أنَّه جاء ولم يتحدَّث مع الملك ليسوارتى فقد خرج الملك خلفه وأمضيا فترة طويلةً من الوقت ، وبالتَّالى تحوَّلت تلك العداوة إلى صداقةٍ وقد ازداد شرفه ، وتوسَّل إليه كثيراً بأنْ يذهب معه لأنَّ الملك ليسوارتى لا يريد الرَّحيل من هناك دون أنْ يراه . قال له أجراخيس :

– سيدى وشقيقى، أنتم تعرفون أنَّ غضبى وسعادتى لن يستمرا أكثر مما تستطيعه إرادتكم، وأما هذه المساعدة أو الإنقاذ الذى قدمتموه لهذا الملك فليرد الله أنْ يكون الجزاء عليه أفضل بكثير من المرَّات السَّابقة، التى لم تكن خدمات قليلةً ، لكنَّنى أدرك أنَّ الخسارة التى تكبَّدها والأذى الذى لحق به ، قد أراد الله أنْ يحدثا له لأنَّ جهله كان جديراً بما حدث ، وسيحدث له ذلك فى وقتٍ لاحقٍ إذا لم يغيِّر من صلفه وسلوكه ، وإذا كان يسعدكم بأنَّ أراه فسيستجاب لذلك .

وأمر النَّاس بأنْ يظلُّوا هناك حتى يتلقوا أوامره .

هكذا ذهب كلاهما ، ووصلا إلى الملك . أراد أجراخيس تقبيل يديه ، لكنَّه لم يعطهما إيَّاه ، وعانقه أولاً لفترة من الوقت ، وقال :

– أيهما أكبر إهانة وذلاً ، أنْ تعانقنى الآن أم عندما كنَّا وجهًا لوجهٍ فى المعركة ؟ أعتقد أنَّ هذه تعتبرونها أكبر إهانةٍ .

– سيدى، أحتاج إلى وقتٍ طويلٍ كى أستطيع الرَّد عليكم بصدق على ما تسألوننى بشأنه .

– إذنْ سيكون من الأفضل أنْ نستريح ، وأنتم يا سيدى الطيِّب – قال للملك بيريون – ستحلون ضيفًا علينا مع هؤلاء الفرسان الذين جاءوا معكم ، وليدخل من رجالكم ما تسعهم المدينة ، وليبق الآخرون فى هذه المروج الخضراء ، أمَّا نحن فسنقيم فى الدير وسأصدر أمرى بأنْ تأتى كل المؤن من خيرات أرضى ومملكتى التى تَرِدُ إلى المخيَّم ، فلتأت إلى هناك لكيلا ينقصنا هنا شىءٌ ممَّا نحتاج إليه .

شكره الملك بيريون شكرًا جزيلاً وطلب منه أنْ يسمح له بالرَّحيل فلا داعى لذلك، لكن الملك ليسوارتى أبى ، وقد جثا على ركبتيه من قبل وكذلك الملك ثيلادادان معه لكى يستجيب لهما الملك بيريون ، وقد عادوا جنبًا إلى جنب إلى الدير حيث تمَّ إيواؤهم جيداً . وهناك إذن تمَّ تضميد جراح الملك ليسوارتى على يد الأساتذة الأطباء الذين جاءوا معه، لكنَّهم جميعًا مقارنةً بالأستاذ الطبيب إيليساباد لم يكونوا شيئًا، حيث عالج هذا الطَّبيبُ الملك وكذلك الجميع حتى شفوا تمامًا من جراحهم ، وكان أمرًا عجيبًا أن يُرى ذلك ، كما عالج أماديس أيضًا وبعض رجاله الذين كانوا قد أصيبوا ببعض الجراح وإنْ لم تكن كبيرةً . لكنَّ الملك ليسوارتى ظلَّ فى الفراش أكثر من عشرة أيَّام دون حراكٍ ، وكان يذهب إلى هناك الملك بيريون ليكون معه وجميع السَّادة الفرسان يتحدَّثون عن أمورٍ سارةٍ للغاية دون أنْ يتطرَّقوا إلى أمرٍ عن السَّلام ولا عن الحرب ، بل كانوا يتحدَّثون ويضحكون على أركالاوس ، ربما لأنَّه فارسٌ من طبقة اجتماعية متدنية ولم يكن ذا وضعٍ مرموقٍ ، لكنَّه بفنونه استطاع أن يعبئ كثيرًا من النَّاس كما سمعتم ، وهكذا تذكروا كيف أنَّه سحر أماديس وكيف اعتقل الملك ليسوارتى وخدع نجلته أوريانا خدعةً كبيرةً وقد قُتِلَ بسببه بارسينان ، ملك سان سانسوينيا ، وكيف استطاع أنْ يستدعى فيما بعد الملوك السَّبعة ليخوضوا المعركة ضدَّ الملك ليسوارتى ، وكيف أنَّه أودع السِّجن الملك بيريون وأماديس والسَّيد فلوريستان الذين خدعوا على يد نجلة شقيق أركالاوس المدعوة ديناردا ، وكيف هرب فيما بعد من السَّيد جالاؤر ونورانديل

وأطلق على نفسه اسم برانفيليس ابن عم السَّيد جروميدان . والآن بما أنَّه عاد وأحضر الملك أرابيجو وهؤلاء الفرسان وقد رأى أنَّ مهمته انتهت لولا تلك المساعدة الرَّائعة لأماديس ورجاله ، كما حكيت عنه أشياء أخرى كثيرة للسُّخرية منه ، والتى أوشكت على تجاوز الحقيقة بعض الشَّىء حيث ضحك عليها الجميع كثيرًا ، كان السَّيد جروميدان خبيرًا فى كلِّ شىء - كما أثبتت هذه القصَّة الكبيرة ذلك - فقد كان فارسًا متمرسًا ، حينئذ قال :

- انظروا هنا أيُّها الفرسان الطيِّبون، لماذا يتجرأ الكثيرون لكى يكونوا أشرارًا ؟ لأنَّه بالنَّظر إلى بعض الأشياء الطيِّبة التى ذكرت يقوم الشَّيطان بتزيينها لهم بتلك السِّمات التى تميِّزها ، ويشعر بعذوبتها ومتعتها الذين يقترفونها دون اكتراث ، كما لا يفكِّرون فى الزلات غير الشَّريفة الفاضحة والخطيرة التى تنجم عنها فى النِّهاية . وإذا نظرنا إلى ما ذكرنا عن أركالاوس هذا أو التى يمكن أنْ تكون فى صالحه إلى حد ما ، فإنَّه الآن أسيرٌ وعجوزٌ ومبتور اليد وهو الآن تحت رحمة أعدائه ، إنَّه وحده يمكن أنْ يكون عبرةً وعظةً لكيلا ينحرف أىُّ شخصٍ عن طريق الفضيلة ، لأنَّ العكس يجلب على المرء الأذى وسوء المصير . لكن بما أنَّ الفضائل يصعب تحملها ، كما أنَّ طرقها ودروبها فى غاية الوعورة ، أمَّا الأعمال الشريرة فهى على العكس من ذلك تمامًا ، وبما أنَّنا جميعًا نميل إلى الشَّرِّ أكثر من الخير ، فإننا نتبع بكلِّ الحبِّ الذى يسعدنا فى حاضرنا ويبهجنا ، ولا نكترث بالنَّتيجة ، فالتَّمسك بالفضيلة صعبٌ فى البداية ولكن النِّهاية سعيدةٌ ورائعةٌ ، أمَّا إذا اتَّبعنا شهوات إرادتنا السَّيئة أكثر من التَّحلى بالعقل المنصف الذى هو أبو الفضائل وأفضلها ، فإنَّنا نقع فى الزَّلل والخطيئة عندما نكون فى غاية المدح والإطراء من جانب الآخرين حيث لا يستطيع الجسد ولا الرُّوح إصلاح أمرهما ، مثل الأعمال السَّيئة التى ارتكبها أركالاوس السَّاحر .

لقد بدا ذلك الذى ذكره هذا الفارس جيدًا للغاية بالنِّسبة للملك بيريون ، واعتبره رجلاً رزينًا ، وسأل عنه كثيرًا فيما بعد ، وأقَرَّ بأنَّ مثل ذلك الفارس جديرٌ بأنْ يكون قريبًا من الملوك .

وفى ذلك الوقت جاء الرَّجل الطيِّب والنَّاسك الصَّالح ناسيانو، فسُرَّ الجميع سروراً بالغًا، ورغم أنه حتى الآن كانت هناك خلافاتٌ كبيرة حول كثير من الأمور بين الجانبين، فضلا عن مخاوف ومتاعب الرُّوح التى انتابتهم ، فإنه عندما عاد ووجد كل شىءٍ على طرف نقيضٍ تمامًا ، والجميع يستريحون ويستمتعون فى أمان ، وتستريح أرواحهم فى سرور بالغٍ وسعادةٍ غامرةٍ ، عندما رآهم الرَّجلُ الطيِّب جنبًا إلى جنبٍ فى حبٍ متبادلٍ ولم تمر سوى ثلاثة أيَّام حيث كانوا يقتتلون بعنفٍ وشراسةٍ ، رفع يديه إلى السَّماء وقال :

- يا إله الكون ، يا لعظيم رحمتك ، وكيف أرسلتها إلى هؤلاء الذين لديهم بعض الشَّىء من المعرفة عن عظيم نعمتك ، فهؤلاء الملوك والفرسان لم تجف دماؤهم حتى الآن من الجراح التى أصيبوا بها ، من جرَّاء العدو المبين والشِّرير ، ولأنَّنى باسمك وبفضلك ونعمتك قد وضعتهم على الطريق القويم ، وقد أدركوا جيداً الخطأ الفظيع الذى كانوا قد ارتكبوه . إنَّك يأيُّها الرَّبُ قد غرست الحبَّ فى قلوبهم وألَّفت بينهم وبإرادة طيِّبةٍ لم يكن بوسع أىِّ إنسان أنْ يفكِّرَ فى ذلك. إذنْ أتضرَّع إليك أنْ تجعل السَّلام سائدًا بينهم - أتضرَّع إليك وأنا عبدك الخطَّاء - وأنْ يعمهم ويشملهم قبل أنْ أرحل عنهم ، وأنْ تتركهم فى هدوءٍ تام وأنْ يدعُوا كلَّ الأمور التى تتعارض مع خدمتك وأنْ يتفاهموا بشأن كلِّ ما يعمل على نشر الدِّيانة الكاثوليكية .

لم يكن هذا الرَّجل الطَّيِّب يفعل شيئًا سوى الانتقال من جانبٍ إلى آخر بين الطرفين ويضع أمامهم كثيراً من الأمثلة والعبر والقواعد التى ينبغى أنْ يسيروا على نهجها لكى يتوصَّلوا فى النِّهاية إلى السَّلام الذى اقترحه عليهم ، وهكذا استطاع تحويل قلوبهم القاسية إلى كلِّ حنان وعقل ورصانةٍ .

إذنْ عندما كانوا جميعًا فى القاعة سأل الملك ليسوارتى الملك بيريون ممَّن عرفوا أنباء النَّاس الذين هاجموه ؟ قال له الملك بيريون كيف أنَّ الغلام إيسبلانديان أخبر بذلك أماديس ، وأنه لا يدرى شيئًا غير ذلك . حينئذٍ أمر باستدعاء إيسبلانديان وسأله

كيف عرف أنباء هؤلاء النَّاس . قال الغلام إنَّه كان فى مأمورية بتكليف من الرَّجل الصَّالح الذى ربَّاه إلى المخيَّم فوجده قد رحل عن المخيَّم ، وعندما سار فى الطَّريق وجد كل هؤلاء النَّاس ينزلون من فوق الجبل فى الاتجاه الذى كان يسير فيه ، ثم فكَّر فيما بعد فى أنَّه طبقًا لكثرة أفراد هؤلاء وقلَّة أفراد الملك ليسوارتى وكثرة المصابين بين رجاله ، لم يكن من السَّهل التَّخلص منهم بلا خطر داهم ، وأنَّه فيما بعد هو وسارخيل ركضا بجواديهما على جناح السُّرعة وظلاًّ هكذا طوال الليلة دون أنْ يتوقفا ، ثمَّ أخبرا أماديس بذلك . قال له الملك ليسوارتى :

– يا إيسبلانديان ، لقد قدَّمت لى خدمةً جليلةً وإنَّنى أثق بالله أنَّنى سأكافئكم جيدًا على هذا الصَّنيع .

قال الرَّجلُ الطيِّبُ :

– يابُنى ، قبِّلوا يدى الملك ، سيدكم ، شكرًا على ما يقوله لكم .

اقترب الغلام وجثا بركبتيه أمام الملك وقبَّل يديه ، أمسك الملك برأسه ثم قبَّل وجهه ونظر إلى أماديس . وبما أنَّ أماديس كان يُحملق فى الغلام ووجهه ، وأدرك جيداً أنَّ الملك ليسوارتى عرف كل شيء عن الواقعة بينه وبين أوريانا وكيف أنَّ الغلام هو نجله وقد سُرَّ كثيراً من ذلك الحبِّ الذى أظهره الملك تجاه إيسبلانديان ، هكذا أحسَّ فى قلبه برغبته فى أنْ يخدم الملك أكثر من ذى قبل ، وقد أظهر ذلك للملك ، فإنَّ رؤية هذا الغلام وظرفه كانا يسرانه كثيراً ، وطالما أنَّه سيَظلُّ بين الاثنين فلا يمكن لأىِّ أمرٍ أنْ يعوقه عن حبِّه ومودَّته.

كان جاسكيلان ملك سويسا قد ظلَّ فى المخيم مثخنًا بالجراح من جرَّاء المعركة التى خاضها مع أماديس ورجاله والتى فرَّ منها هاربًا ، وعندما رحل الملك ليسوارتى عنه توسل إليه كثيراً أنْ يحملوه على نقَّالةٍ ، وأنْ يسلك طريقًا آخر على يده اليمنى عبر الجبل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وترك معه أناسًا لكى يدلوه ويرشدوه فى الطريق جيداً ، وهكذا تمَّ ذلك ، وسلك طريق مرج على ضفَّة نهرٍ كان يتوسط بين المرج والجبل، وقضى تلك الليلة تحت عدة أشجار . وفى اليوم التَّالى واصل السَّير فى طريقه ،

لكن بمزيدٍ من البطء ، ونظراً للطَّريق الملتوى الذى سلكه لم يستطع الوصول إلى مدينة لوبينا خلال تلك الأيَّام الخمسة ، ووصل إلى الدير حيث كان يوجد الملوك ولم يكن يعرف شيئًا عمَّا حدث ، وعندما أخبروه بذلك انتابه حزنٌ شديدٌ لعدم استطاعته المشاركة فى معركة شهيرة كتلك ، وبما أنَّه كان كسولاً ومكابرًا كان يقول بعض الأشياء - شاكيًا بكبرياء وغطرسةٍ - لم يكن يستحسنها أو يستسيغها مستمعوه . وعندما علم الملك بيريون والملك ثيلداداِن وهؤلاء السَّادة من كبار القوم بمجيئه ، خرجوا لاستقباله عند باب الدير حيث جاء محمولاً على محفَّةٍ أو ، وساعدوه على النُّزول منها وقام الفرسان بحمله بين ذراعيهم وأدخلوه إلى حيث كان الملك ليسوارتى مضطجعًا وكان قد أرسل إليه متوسِّلاً ذلك ، وهناك فى الغرفة حيث كان يوجد الملك وضعوا له فراشًا آخر وأضجعوه عليه . ولمَّا وصل جاسكيلان إلى هناك وجد جميع فرسان الجزيرة اليابسة، ورآهم جميعًا فى غاية الحسن والجمال وكانوا يتزينون بأجمل الزِّينات الحربية لدرجة أنَّه لم ير قط أناسًا بهذا الرَّونق وتلك الأناقة ، وسأل مَنْ مِنْ هؤلاء هو أماديس ، فأشاروا له عليه. ولمَّا رأى أماديس أنَّه كان يسأل عنه ، اقترب منه وقد أمسك بيد الملك أربان دى نورجاليس ، وقال :

- سيدى الطيِّب ، مرحبًا بكم ، أتضرَّع إلى الله أنْ أجدكم صحيحًا معافىً سالمًا ، لكن كما أراكم الآن ، وأنَّ رجلا طيبًا مثلكم تستثمرون الشَّر بشكلٍ سيئٍ ، لكنَّنى أتضرَّع إلى الله أنْ تتماثلوا للشِّفاء سريعًا وأنْ تتحوَّل الكراهية التى كانت بينى وبينك إلى حبٍّ بالأعمال الصالحة .

عندئذ رآه جاسكيلان جميلاً جدا وبمثل هذا الوقار الجمِّ ، حيث لم يكن يعرف شيئًا عن طيبة قلبه ، اللهم إلاَّ عن طريق السَّماع ، لكنَّه تأكدَّ من ذلك الآن ، فلم يكن يقدِّره حقَّ قدره ، وكان يبدو له من وجهة نظره أنَّ أماديس جدير بأنْ يكون من بين السَّيدات والوصيفات أكثر من كونه بين الرِّجال والفرسان والقيادات الحربية ، وبما أنَّه شجاع القوة والقلب ، فقد كان كذلك فى أقواله أيضًا ، فقد كان على يقينٍ من أنَّ أماديس شجاعٌ للغاية ، وفى كلِّ الأمور كان ينبغى أنْ يكون كذلك ، وإذا كان ينقصه شيءٌ ، فإنَّ شجاعته كانت خير عوضٍ له عن ذلك ، وبالتَّالى فلا ينبغى على جاسكيلان

أنْ يكون مكابراً ، فقبل ذلك كان يحظى بتقدير كبير ، وبالتَّالى فإذا كان قد خدِع ، ويستطيع أىُّ شخصٍ أنْ يحكم على ذلك ، فقد ردَّ على أماديس قائلا له :

- سيدى الطيِّب أماديس ، أنتم فارس العالم الذى كنت توَّاقًا لرؤيته ، ليس لمصلحتى ولا لمصلحتكم ، بل لكى أقاتلكم حتى الموت ، وبما أنَّنى التقيت بكم الآن ، وما حدث من حسن استقبالكم لى ، وما رأيته فيكم أريد أنْ أردَّ عليكم بنفس الشُّعور والإحساس . وبالتَّالى فإنَّنى أراكم أكثر الفرسان شرفًا فى هذا العالم ، وأنتم جديرون بحبِّ سيدةٍ أكنُّ لها حبا جما وأجلها وأعتز بها ، لذلك كنت أطلب نزالك بغية الفوز بحبِّها ، ولا أدرى كيف أظهر الآن أمامها ، إنَّ معاناتى أكثر بكثير مما يُرى وهذا أمرٌ واضح جلى للجميع .

لمَّا سمع أماديس ذلك قال له :

- فيما يتعلَّق بصديقتكم فإنَّها مدينة لكم بحزن كبير . وفيما يتعلَّق بى فإنَّ التَّفكير فى هزيمتى والتَّغلب علىَّ لا ينبغى عليكم أن تشغلوا بالكم به كثيراً ، لأنَّ بطولاتكم عظيمةٌ ومشهورةٌ فى العالم بأسره وتؤكد مدى براعتكم وتمرسكم فى استخدام الأسلحة ، وبالتَّالى فلن تربحوا كثيراً إذا نازلتم فارساً ذا شهرةٍ بسيطةٍ مثلى وتغلبتم عليه .

حينئذ قال الملك ثيلدادان للملك ليسوارتى ضاحكًا :

- من الأفضل أنْ تنشدوا السَّلام بين هذين الفارسين .

وكان ذلك فى غاية السَّعادة بالنسَّبة لهم ثم تطرَّقوا إلى مزاحاتٍ أخرى . هكذا ظلَّ هؤلاء الملوك والفرسان فى الدير يحظون بالخدمات الجليلة فى كلِّ ما يحتاجون إليه ، وبما أنَّ الملك ليسوارتى كان فى وطنه فقد أمر بإحضار مؤنٍ كثيرةٍ زادت على احتياجات هؤلاء مما أسعد الجميع سعادةً بالغةً . وتوسَّل إليه الملك بيريون كى يسمح له هو ورجاله بالذَّهاب إلى الجزيرة اليابسة، وأنه فيما بعد سيرسل من هناك الفارسين كما تمَّ الاتفاق على ذلك آنفًا فيما بينهما ، لكن الملك ليسوارتى رفض ذلك رفضًا قاطعًا، وقال: بما أنَّ الله جاء بك إلى هنا فلن ترحل أبداً حتى تتمَّ تسوية الموضوع تمامًا ،

ولذلك فقد خجل الملك بيريون واستحى من أنْ يتوسَّل إليه أكثر من ذلك ، وهكذا انتظر ما ستسفر عنه تلك الإرادة الطيبة التى أبداها الملك ليسوارتى . تحدَّث أركيسيل مع أماديس بماذا يأمره لكى يقوم به فى سجنه لكونه على استعداد للوفاء بالوعد الذى قطعه على نفسه . قال له أماديس إنَّه سيتحدَّث معه عن ذلك وعن أمورٍ أخرى كان قد فكَّر فيها ، وفى الغد عقب الاستماع إلى القدَّاس فليحضر جواده لأنَّه يريد أنْ يتحدَّث معه بين الحقول ، وهكذا تمَّ ذلك . وفى اليوم التالى امتطيا صهوتى جواديهما وخرجا يتنزَّهان حول المدينة ، وعندما ابتعدا تماماً عن الجميع قال له أماديس :

- سيدى الطَّيِّب ، إن كلَّ هذه الأيَّام التى قضيتها هنا كنت أريد التَّحدُّث معكم ، ونظراً لانشغالى كما رأيتم لم أستطع ذلك ، أمَّا الآن فلدينا متسعٌ من الوقت ، أودُّ إخباركم بما فكَّرت فيه بشأنكم؛ إنَّنى أدرك جيداً أنَّه نظراً لنسبكم وانحداركم من دمٍ ملكى وأسرة عريقةٍ ، وبعد مصرع إمبراطور روما لم يعد هناك وريث للعرش ولا خليفة فى تولى العرش هناك إلا أنتم ، وأعلم جيداً أنكم تحظون بحب جم من كبار القوم ، وإذا كان أحد لا يحبكم فقد كان هذا مقتصراً على قريبكم الإمبراطور ، حتى دفعه الحسد ، لما لديكم من المهارات الممتازة والسُّبل الرَّائعة ، إلى أنْ يزجَّ بكم فى الحروب . وأمَّا الآن فقد واتتكم الفرصة سانحةً ، وبالتَّالى ما عليكم إلاَّ أنْ تتوخوا الحذر وأنْ تولوا مزيداً من الأهمية لأمرٍ جد خطيرٍ مثل هذا . فلديكم هنا أفضل وأحسن الفرسان من علية القوم فى روما وأنا لدى فى الجزيرة اليابسة بروندافيل دى روكا ودوق أنكونا ورئيس أساقفة تالانثيا مع كثيرين آخرين الذين أسروا فى البحر . سأرسل فى طلبهم ولنتحدَّث عن ذلك ، وقبل أنْ يرحلوا عن هنا سيبايعونكم ويؤدُّون القسم أمامكم إمبراطوراً لهم ، وإذا عارضكم بعضهم فسأساعدكم لكى تتمكَّنوا من الحصول على حقكم ، لذلك ياصديقى الطَّيب ، ما عليكم إلاَّ أنْ تفكروا فى ذلك والعمل من أجله ، واعلموا جيداً كيف أنَّ الله منحكم هذه الفرصة فاغتنموها ولا تفقدوها بذنبكم .

عندما سمع أركيسيل ذلك بوسعكم إدراك مدى السَّعادة التى غمرته من جرَّاء ذلك، فلم يكن ينتظر سوى أنْ يذهب إلى السجن فى أىِّ مكان لفترة معينةٍ لا يستطيع الخروج فيها ، وقال له :

- يا سيدى الطيب ، لا أدرى لماذا لا يقبل جميع من بهذا العالم على حبكم ، وليس لكى يزداد شرفكم وتسمو منزلتكم ومكانتكم ، وأمَّا عنِّى فأقول لكم الآن ، تحقَّق ما تحدثتم معى بشأنه أو لم يتحقَّق طبقًا لم يكنُّه القدر، إنَّنى لن أستطيع رد هذا الصَّنيع الكريم، وإنَّنى سيزداد شرفى بكم ولن أستطيع سداد ذلك حتى أضحى بحياتى من أجلكم ، وإذا كان الشُّكر والفضائل كافية لكى أسدِّد هذه الخدمة الجليلة فلن أتوانى فى تقديمهما لكم، لكن ماذا يمكن أنْ أقدم؟ بالتَّأكيد لن تكون سوى تقديم نفسى شخصيا كما قلت وقد أشهدت الله على ذلك وأرهن لديكم سعادتى ، ومن الآن فصاعداً أضع فى يديكم كل ممتلكاتى وشرفى . وبما أنَّكم تحدَّثتم عن ذلك جيداً فلتتموه ، وليكن لكم عظيم الفضل أكثر منى فيما ستيحقق لى .

- إذنْ سآخذه على عاتقى - قال أماديس - وبعون الله ستذهبون من هنا إمبراطوراً ، وإذا لم يحدث ذلك لن أعتبر نفسى فارسًا. وقبل أنْ نعود إلى الدير فلنعد إلى المدينة ، وسأثبت لكم أنَّنى الرَّجل المتمرِّس المكروه للغاية .

هكذا دخلا إلى مدينة لوبينا وتوجَّها إلى استراحة السَّيد جنداليس ، حيث كان كلٌّ من الملك أرابيجو وأركالاوس أسيرين وقد وجداهما وحدهما وقد ارتديا ملابسهما ويجلسان على الفراش ، فمنذ أنْ أسرا وهما لا يريدان خلع ملابسهما . وعرف أماديس أركالاوس فيما بعد ، وقال له :

- ماذا تفعل يا أركالاوس ؟

قال له :

- من أنت الذى تسأل ؟

- إنَّنى أماديس دى جاولا ، ذلك الذى كنت تريد رؤيته .

حينئذٍ نظر إليه أكثر مما سبق ، وقال له :

- بالتأكيد إنَّك تقول الحقيقة ، فعلى الرَّغم من أننى منذ زمن طويل لم أرك فإنَّ الذَّاكرة لا تنسى أنَّك أماديس ذلك الذى كان فى حوزتى بقلعتى فى بالدرين ، تلك الشَّفقه وأنت فى ريعان الشَّباب وذلك الجمال الفتَّان الذى كنت تتمتَّع به ، ذلك الجمال الذى جعلنى أعانى لسنواتٍ طويلةٍ من مصائب كبيرة حتى وجدت نفسى فى مثل هذا المأزق ويلائمنى جيداً أنْ أطلب الرَّحمة .

قال له أماديس :

- إذا رحمتك وأشفقت عليك هل ستتخلَّى عن تلك الأشرار والفظاعات التى ارتكبتها حتى الآن ؟

- لا - قال أركالاوس - لأنَّ العمر الآن متقدِّمٌ ، وقد اعتدت على ذلك كثيراً ولا يمكن التَّخلى عن رذيلة اعتدت عليها وقتًا طويلاً ، لكن الحاجة تعتبر عائقًا قاسيًا وقويا لكى أغيِّر عادة حسنة إلى سيئةٍ وعادة سيئة إلى حسنةٍ طبقًا للشَّخص والظروف ، سأفعل فى شيخوختى ذلك الذى لم تستطعه الإرادة والحرية ولم تريداه .

- إذنْ ، ما هى الحاجة التى أستطيع تقديمها لك - قال أماديس - إذا خليت سبيلك وتركتك حُرا ؟

- تلك التى - قال أركالاوس - أردت الحفاظ عليها وتوسيعها مما سبب لضميرى ضرراً كبيراً وألحق بشهرتى وسمعتى ضرراً أكبر ، إنَّها قلاعى ، تلك التى أطلبُ منك تسليمها لى بكلِّ أراضىَّ وممتلكاتى ، ولن آخذ منها سوى ما تتكرم به فضيلتكم ، ومن الممكن أنْ تكون هذه المكافأة الكبيرة وطيبة قلبك الكبيرة هما السَّبب فى تغييرى الذى عجز العقل تماماً عن القيام به فى أىِّ وقتٍ مضى .

قال له أماديس :

- يا أركالاوس، إذا كان لدىَّ بصيصٌ من الأمل ، وإذا تمَّ تحسين وضعك ، فليس هناك أعظم من أنْ تعترف بأنَّك كنت شرِّيرًا وخطَّاءً ، لذلك تشجَّع وطب نفسًا فقد يكون سجن الجسد الذى تعانى منه الآن وتخشاه كثيرًا هو مفتاح لإطلاق سراح نفسك التى صفَّدتها كثيرًا بأعمالك على مدى زمنٍ طويلٍ .

وعندما أراد أماديس الانصراف قال له أركالاوس :

- أماديس ، انظر إلى هذا الملك قليل الحظ الذى كان على وشك أنْ يكون واحدًا من أكبر أمراء العالم ، وفى لحظة واحدة كان القــدر يبتسم له وفى صالحه ، ثمَّ فى نفس اللحظة هوى به ووضعه فى الأسر . اجعل من نفسك قدوة ومثلاً لكلِّ ما يُشَرِّفُ ولكلِّ هــؤلاء النَّاس من ذوى المكــانة العظيمة والمقام الرَّفيع ، أريد أنْ أذكرك بأنَّ النُّفوس والقلوب القوية تكمن فى فضيـلة الصَّفح والعفو عند المقدرة .

لم يرد أماديس الرَّدَّ عليه ، لقد كان أسيره، لأنَّه جاء بهذا المنطق ضد أماديس ، فهو على الرَّغم من أنَّه بأسلحته وأعمال سحره استطاع التَّغلُّب على كثيرين لم يعرف الصَّفح والعفو عن أىِّ شخصٍ ، ومع ذلك لم يتجــاهل أنَّ أركالاوس كان يتحدَّث بمنطقٍ رائع .

هكذا خرج أماديس وأركيسيل من الغرفة وامتطيا صهوتى جواديهما وتوجَّها إلى الدير ، وفيما بعد أمر أماديس باستدعاء قزمه أرديان ، وأمره بالذِّهاب إلى الجزيرة اليابسة وأن يبلغ أوريانا وهؤلاء السَّيدات بكلِّ ما رآه ، وأعطاه رسالة لإيسانخو ، وأخبره أنه سيرسله فيما بعد فى مهمةٍ إلى برونداخيل دى روكا وإلى دوق أنكونا وإلى رئيس أساقفة تالانثيا مع جميع الرُّومان الآخرين الأسرى هناك لكى يأتوا بأقصى سرعةٍ ممكنةٍ . سُرَّ القزم سرورًا بالغًا لأنَّه سيبلغ هذا النَّبأ ، لأنَّه كان ينتظر من جرَّائه شرفًا كبيرًا وفائدةً عظيمةً . امتطى جواده بعد ذلك ، وسار ليلاً ونهارًا دون أنْ يتوقَّف كثيرًا . حتَّى وصل إلى الجزيرة اليابسة دون أنْ يعرف أنَّ أوريانا لم يكن لديها أنباءً

أخرى عمَّا حدث فيما بعد سوى أنَّ المعارك قد توقَّفت وكيف أنَّ ناسيانو ، النَّاسك الصَّالح ، استطاع التَّوصل إلى هدنةٍ بينهم وأنَّ إمبراطورِ روما قد لقى مصرعه ممَّا أسعدها كثيرًا ، لكنهَّا لم تعرف شيئًا عن الأنباء الجديدة . لقد كانت فى غم كبير تفكِّرُ فى أنَّ هذا الرَّجل الطيِّب ناسيانو ليس كافيا لإحلال السَّلام والوئام بين المتحاربين ، ولم تكن تفعل شيئًا سوى الصَّلاة والتَّسابيح التى لا تُحصى وإقامة الاحتفالات الدينية فى كنائس الجزيرة والتَّضرع إلى الله كى يحلَّ السَّلام والوئام بينهم ، وعندما وصل القزم توجَّه مباشرةً إلى البستان حيث تقطن أوريانا وطلب من سيدةٍ كانت تحرس الباب إبلاغ أوريانا أنَّه وصل إلى هنا وأنَّه يحضر لها أنباءً جديدةً . أبلغتها السَّيدة ، وأمرته أوريانا بالدُّخول لكنَّها كانت تنتظر ما سيقوله فلم يكن قلبها هادئًا ، فقد كانت قبل ذلك خائفةً مذعورةً للغاية لأنَّها لم يكن بوسعها الاستماع ، اللَّهم إلاَّ إلى فوز طرف وهزيمة الطرف الآخر ، وأنَّها تنتظر فى النهاية أنْ يكون أحد الطرفين أماديس وفى الآخر والدها الملك ليسوارتى على الرَّغم من أنَّها كانت تخشى ما قد يحدث له وبمجرَّد أنْ دخل القزم قال لأوريانا :

- يا سيدتى، أطلبُ منكم هديةً للأنباء السارة التى أحملها لكم ، ليس لكونى قزمًا بل لكونك سيدةً عظيمة ذات مكانةٍ مرموقةٍ وللأنباء العظيمة التى أحملها لكم .

قالت له أوريانا :

- أرديان ، يا صديقى طبقًا لمحيَّاك فإنَّ الأمور تسير سيرًا حسنا لسيدك أماديس لكن أخبرنى هل والدى لا يزال حيا .

- كيف سيدتى، إذا كان حيا! إنَّه حى ومعافىً وسعيدٌ جدا بحيث لم يكن هكذا قط .

- آه ، يأيتها العذراء البتول مريم ! - قالت أوريانا - أخبرنى بما تعرف وإذا منَّ الله علىَّ ببعض الخير فسأجعلك سعيدًا فى هذه الدُّنيا .

حينئذٍ حكى لها القزم الأحداث كما وقعت ، وكيف أنَّ والدها الملك ليسوارتى عندما كان على وشك أنْ يفقد حياته مهزومًا مدحورًا وأسيرًا من جانب أعدائه بلا مناص أو بد ، قام الغلام الجميل جدا إيسبلانديان بإبلاغ ذلك لأماديس ، وكيف رحل

أماديس فيما بعد برفقة رجاله ، وكل ما حدث له في الطريق ، حيث شاهد ذلك بنفسه ، وكيف وصل أماديس إلى المدينة ، وكيف كان حالُ والدها الملك ليسوارتى ، وكيف أنَّه بوصول أماديس تمَّ القضاء على الأعداء وتمزيقهم إربًا إربًا وكانوا ما بين قتلى وأسرى، وقد أسرَ الملك أرابيجو وأركالاوس السَّاحر وبارسينان ملك سانسوينيا ، ودون أنْ يراه طلب منه العودة ، فاستجاب له أماديس ، وكيف وصل الملك بيريون . وفى النِّهاية حكى لها كل ما حدث ، وكيف أنَّهم كانوا فى ذلك الدير فى سعادةٍ غامرةٍ والجميع جنبًا إلى جنبٍ وأنَّه خير شاهدٍ على ذلك فلقد رآه بعينيه . عندما سمعت أوريانا ذلك كانت كمن فقد وعيه من فرط سرورها فجثت على ركبتيها على الأرض ورفعت أكفَّ الضَّراعة ، وقالت :

- آه ، يا إلهى القادر يا منْ بيدك كل شيء ، سبحانك تبارك اسمك ، وبما أنَّك يا إلهى القاضى العادل وتعرف جيداً الظُّلم الذى تعرَّضت له ومع ذلك تشبَّثتُ دائمًا بالأمل فى رحمتك وكان ذلك شرفٌ عظيمٌ لى ولأهلى ، وكان ينبغى إنهاء هذه الحرب ، فليبارك الله ذلك الغلام الجميل جدا الذى كان سببا لهذا الخير العميم، والذى جعل نبوءة أورجاندا لاديسكونوثيدا حقيقةً، تلك التى كتبتها عنه، وبالتَّالى يمكن وينبغى تصديق كلِّ ما قالته . إنَّنى مضطرةٌ جدا أن أحبَّه وأتيم به أكثر مما يستطيع أىُّ إنسان أنْ يفكِّر فيه أو يتخيَّله ، أن أكافئه خير الجزاء على السَّعادة والغبطة التى جلبها لى . كُنَّ جميعًا يفكرن أنَّها كانت تقول ذلك بسبب ذلك الإنقاذ الذى تمَّ لوالدها الملك ، لكن ذلك كان سرًا يخرج من أحشائها بوصفها أمًّا تجاه نجلها . قال ذلك بالفعل وأنَّ أماديس أمره بعد إبلاغ تلك الأنباء السَّارة إلى أوريانا والسَّيدات الموجودات هناك بأنْ يقوم بتسليم رسالةٍ إلى إيسانخو طلب منه فيها أنْ يقوم بإرسال الرُّومان الذين كانوا أسرى هناك . إذن يا أرديان ، يا صديقى - قالت أوريانا - أخبرنى عمًّا يريدون أنْ يفعلوه هناك .

- سيدتى - قال أرديان - إنَّنى لا أدرى على سبيل التَّأكيد سوى أنَّ الملك والدكم قد استوقف الملك بيريون وسيدى أماديس وجميع كبار القوم والفرسان الذين

ذهبوا من هنا ويقول إنَّه لا يريد أنْ يرحلوا دون أنْ يتمَّ الاتفاق على كلِّ شيء وأنْ يسود السَّلام بينهم .

- هكذا توسَّلت أوريانا إليَّ لكي يتم ذلك - قالت أوريانا .

حينئذٍ سألته الملكة بريولانخا وميليثيا اللتان كانتا معًا أنْ يُحدِّثهما عن ذلك الغلام الجميل جدا إيسبلانديان كيف حاله ، وكيف قدَّر الملك ليسوارتى تلك الخدمة الجليلة الذى قدَّمها له ، فقال لهما :

- يأيتها السَّيدات الطيِّباتُ ، عندما كنت مع أماديس فى غرفة الملك ليسوارتى رأيت إيسبلانديان يُقبلُ يديه ردا على الفضائل والنعم التى سينعم بها عليه مكافأةً له على صنيعه هذا، ورأيت كيف أنَّ الملك ليسوارتى أمسك رأس الغلام بيديه وقبَّل عينيه . أمَّا عن جماله الفتَّان فأقول لكم إنَّه على الرَّغم من كونه رجلاً وأنتنَّ تفتخرن بأنكنَّ جميلاتٍ جدا فإنكنَّ أمامه ستختفين ولن تجرؤن على الظُّهور أمامه .

- لذلك هذا رائع - قالت الملكة بريولانخا وميليثيا - إنَّنا هاهنا محبوسات حيث لن يرانا .

- لا تعتقدن ذلك - قال أرديان - إنَّه جميل للغاية ، وعلى الرَّغم من كونكن محبوسات فأنتن وجميع الحسناوات ستخرجن بحثا عنه .

ضحكن جميعهن للأنباء السَّارة الجديدة التى كنَّ يسمعنها، ولما ردَّ به القزم عليهنَّ. نظرت أوريانا إلى الملكة سارداميرا ، وقالت لها :

- يأيتها السَّيدة الملكة ، إنَّ الله الذى حلَّ مشاكل اللائى وجدن هاهنا لن يريد أنْ تظلى فى طى النسيان .

قالت الملكة :

- لدىَّ هذا الأمل فى الله وفيكم ، فى أنْ تنظروا لحل مشكلتى وإنْ كنت لا أستحق ذلك منكم .

حينئذ سألت القزم عن هؤلاء الرُّومان التُّعساء والبؤساء الذين كانوا مع الملك ليسوارتى ، قال القزم :

- يا سيدتى ، لقد فقد الكثيرون منهم حياتهم وكذلك من الآخرين ، والأحياء منهم مثخنون بالجراح ، ولكن بعد مصرع الإمبراطور وفلويان وكونستانتيو لم يبق منهم أىُّ رجلٍ ذى شأنٍ، ولقد رأيت أركيسيل يتحدَّث كثيرًا مع سيدى أماديس. وفلامينيو ، شقيقكم ، أصيب ولكن ليست إصابته خطيرة ، كما كان يُقال .

قالت الملكة :

- أتضرَّع إلى الله بشأن الموتى أنْ يرحمهم فلا أملك لهم من الله شيئًا سوى الدُّعاء لهم ، وبالنِّسبة للأحياء أنْ يشفى جراحهم وأن ينسوا أمور الماضى ويصبحوا أصدقاء ويسود بينهم الحب فى الحاضر والمستقبل .

سأل القزم أوريانا عمَّا إذا كانت تأمر بشىءٍ لأنَّه يريد الانصراف للقيام بالمهمة التى كلفه بها سيده أماديس . قالت له إذنْ بما أنَّها لم تحضر رسالةً ، أبلغ عظيم تحياتى للملك بيريون وأجراخيس وجميع هؤلاء الفرسان .

وبذلك ذهب إلى إيسانخو وأعطاه رسالة أماديس ، ولما علم ما جاء فيها أخرج جميع هؤلاء الرُّومان الذين كانوا فى برجٍ وأعطاهم دوابا ، وقام نجله وأشخاصٌ آخرون باصطحابهم وإرشادهم وزوَّدوهم بكل احتياجاتهم من المؤن والزَّاد . وأطلق سراح جميع الأسرى الآخرين الذين كان يبلغ عددهم حوالى مائتى رجلٍ وأرسلهم إلى أماديس .

هكذا ساروا فى طريقهم حتَّى وصلوا إلى الدير حيث كان يوجد الملك ليسوارتى، وقبَّلوا يديه ، وقد استقبلهم الملك فى سعادةٍ غامرةٍ ، وإنْ كان يشعر بشىءٍ آخر فى نفسه ، حتَّى لا يصيبهم بمزيدٍ من الحزن والكرب الذى كانوا يعانون منه فى أنفسهم . لكنَّهم عندما رأوا أركيسيل لم يستطيعوا تمالك أنفسهم وانهمرت دموعهم ودموعه من أعينهم .

تحدَّث إليهم أماديس باحترامٍ ووقارٍ كبيرين وأسعدهم كثيرًا واصطحبهم إلى غرفته حيث استقبلوا منه مزيدًا من الشَّرف والتشريف والسَّلْوى . وبعد وصولهم

إلى هناك وقد استراحوا قليلاً من عناء الطَّريق ، تنحى بهم أماديس جانبًا ، دون أركيسيل ، وقال لهم :

- يا أيُها السَّادة الطيِّبون ، لقد أرسلت لكم للمجيء إلى هنا لأنَّه بدا لى بما أنَّ الأمور ستنتهى إلى نهايةٍ سعيدةٍ ، فمن المنطق أنْ تكونوا حاضرين لتشهدوا كل ما سيتمُ القيام به ، وبما أنَّكم أنُاسٌ شرفاء فمن المنطق أنَّه ينبغى علىَّ أنْ أحيطكم علمًا بالوعد الذى قطعته على نفسى مع أركيسيل ، كما أعتقد أنَّكم سمعتم عن ذلك ، إنَّه كان سجينًا لدىَّ فى المكان الذى أشيرُ عليه به ، وبمعرفتى بنجابة وعراقة أسرته وأصله فضلاً عن نبله مما يجعله جديرًا بشرفٍ عظيمٍ ، لذلك اتفقت على أنْ أتحدَّث إليكم عنه ، حيث لم يبق فى مملكة روما فارس له الحق مثل هذا الفارس فى أنْ يتولى أمر المملكة ، وبالتَّالى أودُ منكم ومن جميع الحاضرين هنا أنْ تؤدوا له قسم الولاء وتبايعوه على أنَّه سيدكم وملككم ، وبهذا تحقِّقون أمرين : الأوَّل ، الامتثال لما أنتم مضطرون إليه وهو منح السُلطة لمنْ يستحقها ، وهو فارسٌ نبيلٌ يتَّسم بكلِّ الفضائل وسينعم عليكم بكثير من النِّعم ، والثَّانى ، فيما يتعلَّق بسجنه وأسركم فإنَّنى سأطلق سراحكم وبوسعكم الذِّهاب على الفور إلى وطنكم ، وسأكون دائمًا صديقًا طيِّبًا لكم طالما أنَّكم ستقبلون أركيسيل ملكًا لكم ، إنَّنى أجلُّه وأقدِّره كثيرًا وأكنُّ له حبا جما كما لو كان أخًا حقيقيًا ، وسأحفظ لكم هذا الصَّنيع حتى لا يفقد ما أمرتكم به وكل ما يتعلَّق به .

بعد أنْ استمع هؤلاء السَّادة الرُّومان توسَّلوا إلى بروانداخيل دى روكا ، الذى كان أهمهم وكان عاقلاً ورزينًا كى يردَّ ، والذى قال له :

- إنَّنا نُقدِّرك كثيرًا يا سيد أماديس ، ونقدِّر كلماتكم اللَّطيفة وينبغى علينا أنْ نشكرها ، ولكن بما أنَّ الأمر جدُّ خطيرٍ وبالتَّالى يحتاج إلى موافقة كل الإرادات، فلن نستطيع الآن الرَّد حتى يتمَّ التَّشاور مع جميع الفرسان ، لأنَّه على الرَّغم من أنَّ فرسانًا كثيرين موجودون هنا ، فإنَّ هناك كثيرين وإنهم من الأهمية

بمكانٍ فيما يتعلَّق بما تتحدَّثون لنا عنه، لأنَّه يوجد فى وطننا كثيرون لديهم قلاعٌ وحصونٌ ومدن بالإمبراطورية ، ومدن أخرى فى مختلف أنحاء البلاد ، لهم دور مهم فى اختيار الإمبراطور . ولذلك ، إذا سمحتم لى أنْ تعطونا فرصةً كى نرى فلامينيو فهو فارسٌ شريفٌ جدا ، وقد أخبرونا بأنَّه جريحٌ ، وفى حضوره سيتمُّ استدعاؤنا جميعًا وبالتَّالى سنتمكَّن من الرَّدِّ عليكم .

اعتبر أماديس ذلك أمرًا طيِّبًا ، وقال لهم عليكم الرَّد عليه بوصفكم فرسانا عاقلين وما ينبغى عليكم القيام به - كان يتوسَّل إليهم ، لأنَّه كان يعتقد أنَّ رحيلهم من هنا سيكون سريعًا - وبالتَّالى أرجو ألاَّ يكون هناك تسويفٌ أو تأخير .

امتطى الثَّلاثة صهوات جيادهم ودخلوا المدينة ، حيث كان قد تَّم إخلاؤها من الموتى ، وقد أمر الملك ليسوارتى بمجيء كثيرٍ من النَّاس من المناطق الأخرى وقاموا بدفن الموتى . وعندما وصلوا استراحة فلامينيو نزلوا من فوق جيادهم ودخلوا غرفته وعندما رأوه كانوا سعداء داخليا وقد بدا عليهم الحزن الشَّديد ظاهريا بسبب سوء الحظِّ الذى أتوا به إليه ، ثمَّ قالوا له فيما بعد إنه ينبغى استدعاء جميع أصحاب القلاع وكبار القوم والأشخاص البارزين الذين بقوا على قيد الحياة هناك ، لأنَّه من الضَّرورى أنْ يستمعوا إلى خطبةٍ ألقاها عليهم أماديس تكمن فى إطلاق سراحهم أو أنْ يظلُّوا فى الأسر إلى الأبد . أمر فلامينيو باستدعائهم وجاء من استطاع منهم المجىء ، وعندما اجتمعوا قال لهم برونداخيل دى روكا :

- يأيُّها الفارس الشَّريف فلامينيو ، وأنتم أيها الأصدقاء الطَّيِّبون ، أنتم تعرفون التَّعاسات والسَّعادات الكبيرة التى ألمت بكلِّ فرسان روما ، فلقد جئنا تلبيةً لأمر إمبراطورنا فليغفر الله له ، جئنا إلى هذه الجزيرة لبريطانيا العظمى ، وبات من الواضح لديكم جميعًا أنَّها لن تتكرَّر . نحن الآن لكوننا أسرى فى الجزيرة اليابسة تكرَّم أماديس دى جاولا علينا بالاجتماع هنا حيث ترون ، وبكلِّ الحبِّ والإرادة الطَّيِّبة قام بتشريفنا وتكريمنا ، وقد تحدَّث إلينا بإسهابٍ قائلاً إنه بما أنَّ إمبراطوريتنا الرُّومانية لا إمبراطور لها الآن ، وأنَّ أركيسيل له الحقُّ أكثر من أىِّ شخصٍ آخر ليتولى السُّلطة بموافقتكم

وموافقتنا كى يصبح إمبراطوراً ، وإنَّه لن يطلق سراحنا فقط ويفكَّ أسرنا ، بل سيكون لنا صديقًا وفيا وسيساعدنا فى كلِّ ما نحتاج إليه . وقد أكد لنا رغبته فى تنفيذ هذا الأمر ، وإذا تمَّ ذلك بإرادتنا فسيمنُّ علينا بما ذكرت لكم ، وإذا لم يتم هكذا فسيفرض ذلك بقواته لكى يتحقَّق بوسيلة أخرى . هكذا يا سيدى الطَّيِّب ، وأنتم يا أصدقائى الطَّيِّبون تم استدعاؤكم إلى هنا ، لكى تُقرِّرُ إراداتكم بعد إحاطتكم علمًا برغباتنا ، لذلك فمن العقل والمنطق أنْ تُقرِّروا ، لذلك تحدَّثنا كثيراً فيما بيننا فى هذا الشَّأن ، ووجدنا أنَّ ما يطلبه هذا الفارس أماديس ويتوسَّل إليكم الإصغاء إليه هو ما ينبغى علينا بكلِّ الحبِّ أنْ نتوسَّل إليه وأنْ نطلبه منه ، لأنَّكم كما تعرفون لا يمكن أنْ تُترك إمبراطورية روما الكبيرة بلا إمبراطور . إذنْ من الذى يحق له ذلك لشجاعته وفضائله أكثر من أركيسيل عن جدارةٍ واستحقاق ؟ بالتَّأكيد من وجهة نظرى ، لا أحد غيره . إنَّه هو إمبراطورنا الشَّرعى ، وقد نشأ وترعرع بيننا ، نعرف جيداً عاداته الطَّيِّبة وتقاليده . ونستطيع أنْ نطلب من هذا دون أدنى خجلٍ ما لنا من حقوق ، أمَّا إذا كان قدراً شخصًا غريبًا فإنَّه سيرفض ما لنا من حقوقٍ . وفضلاً عن ذلك سنفوز بصداقة هذا الفارس الشهير أماديس ، فهو عدو لنا كان بوسعه أنْ يكبدنا خسائر لا حصر لها ويلحق بنا أذىً وضرراً كبيراً ، أمَّا كونه صديقًا فسيكسبنا شرفًا عظيمًا وبإمكانه إصلاح كلِّ ما مضى . قرِّروا الآن ما يحلو لكم ولا تنظروا فى أمر أسرنا وإرهاقنا فقط ، بل فيما يمليه عليكم العقل والعدل .

بما أنَّ الأمور العادلة والشَّريفة لها قوةٌ كبيرةٌ فإنَّ الأشرار رغم ذلك لا يستطيعون إنكارها أو رفضها ، هكذا فإنَّ هؤلاء الفرسان لكونهم أشخاصًا عاقلين وعلى معرفةٍ كبيرةٍ بالأمور رأوا أنَّ ما يقوله الفارس بروندا خيل دى روكا هو العدل وأنَّهم مضطرون لقبوله، فلم يستطيعوا معارضته . وعلى الرَّغم - كما هو المألوف دائمًا - من وجود خلافات لكثرة وتعدد الإرادات والرَّغبات فإنَّ كثيرين من الحاضرين هناك تشبَّثوا بالعقل وتمسَّكوا به. وبالتَّالى فإنَّ الذين أرادوا شيئًا آخر لم تتحقَّق لهم رغبتهم، ووافقوا جميعا على ما طلبه أماديس لكى يعودوا مع إمبراطورهم إلى منازلهم فى

وطنهم دون أنْ يظلُّوا فى تلك الدِّيار التى لحق بهم فيها الذُّل والهوان . وقد اتفقوا فيما بينهم لكونهم علية القوم على أنْ يقوم أركيسيل بأداء قسم الولاء ويتعهَّد لهم بأداء حقوقهم، وبهذا الاتفاق عادوا إلى أماديس فى الدير وأخبروه بكلِّ ما تمَّ الاتفاق بشأنه ، ممَّا سرَّه سروراً بالغًا . إذن ذهب جميع الفرسان وكبار القوم من الرُّومان وكذلك النَّاس الآخرون من الطبقات الدُّنيا بالإمبراطورية ودخلوا الكنيسة معًا ، وأدُّوا القسم مبايعين أركيسيل إمبراطوراً عليهم وتعهَّدوا بأنْ يكونوا من رعاياه ، وأقسم لهم من جانبه على الولاء وتعهَّد لهم بكافة الحقوق والحفاظ على عاداتهم ، ومنحهم كافة الامتيازات والفضائل التى طلبوها منه عن حق . ولذلك نستطيع القول إنه فى بعض الأحيان من المفيد أنْ يكون الأشخاص خاضعين ومضطهدين من جانب الطيبين وعما عن إرادتنا التى نطيع بها ونخدم الأشرار ، لأنَّه من الشَّخص الطيب ينتظر الكثير من الخير فى النِّهاية وإنْ تأخَّر ، ومن الشرير على الرَّغم من أنَّه فى بعض الأحيان قد يتأتى منه الخير مزدهراً فإنَّه عمَّا قريب ينضب وينفد مثل الزُّهور اليانعة التى ما تلبث كثيراً حتى تجف وتجف جذورها، وهذا ما حدث بالنِّسبة لأركيسيل هذا ، لقد نشأ وترعرع فى كنف شخصٍ من سلالته ودمه وهو الإمبراطور باتين، الذى قدَّم له خدماتٍ بارزةً جدا تشريفًا وتكريمًا لتاجه الإمبراطورى، وبدلاً من أنْ يُقابل بالعرفان والامتنان على ذلك، فقد أبعده عن الإمبراطورية شبه منفى، وقد أساء معاملته حيث كان موجوداً ، لأنَّه كان يخشى أنَّ أركيسيل هذا الفارس بفضيلته وسلوكياته الحميدة ، الذى يحظى بحبِّ النَّاس وتقديرهم أينما وُجِدَ ، ويقدِّم كثيراً من صنائع المعروف ، كان يخشى أن ينتزع منه السلطة ، وعندما كان أسيراً لدى عدوه ، حيث لم يكن ينتظر منه أىَّ عفوٍ أو تشريف ، بل كل نقيض لذلك ، فقد تلقَّى من أماديس هذا - لكونه فارسًا مختلفًا ومتسمًا بالفضيلة عن الإمبراطور باتين الذى لقى مصرعه - تلَّقى الشَّرف العظيم والمكانة السَّامية إمبراطوراً لروما ، الذى ينبغى على الآخرين أنْ يتَّخذوه قدوةً ، وأنْ يستفيد من فضائله كلُّ الأتقياء الورعين ، لأنَّ فضائله ستشملهم ، والابتعاد عن الأشرار المثيرين للفضائح والحاسدين الذين تكثر رذائلهم وتتدنَّى فضيلتهم وهم بذلك المضارُّون أكثر من غيرهم .

الفصلُ الثّامن عشر بعد المـــائة

كيف أنَّ الملك ليسوارتى جمع الملوك وكبار القوم وفرسانًا آخـــرين كثـــيرين فى دير لوبينـــا ، وكانوا هنـــاك معه ، وأخبرهم بالخدمات الجليلة التى تلقَّاها من أماديس دى جاولا ، والمكافأة التى قدَّمها له على ذلك .

هكذا، كما سمعتم ، اختير أركيسيل ، هذا الإنسان الفاضل والشُّجاع، إمبراطوراً لروما بفضل صديقه الطيِّب أماديس دى جاولا . وتحكى القصَّة الآن أنَّ جميع هؤلاء الملوك والأمراء الفرسان كانوا على هواهم يقضون أوقاتهم فى سعادةٍ تامةٍ بذلك الدير وفى مدينة لوبينا حتى تحسَّنت صحة الملك ليسوارتى ونهض من فراشه وكذلك فرسان نبلاء آخرون كانوا قد أصيبوا فى الحرب وقد عالجهم جميعًا ذلك الأستاذ الطَّبيب العظيم إيليساباد . وعندما رأى الملك ليسوارتى نفسه كذلك استدعى الملوك ذات يومٍ وكذا كبار القوم من الجانبين ، وكان معهم فى كنيسة ذلك الدير ، وقال لهم :

– يأيُّها الملوك الشُّرفاء والفرسان المشهورون ، إنَّه من الضَّرورى أنْ أعيد إلى ذاكرتكم أحداث الماضى التى رأيتها ورأيتموها ، والتى لو أوقفناها لما حدثت هذه المعارك، وبالتَّالى فإنَّ الأحياء منَّا والموتى ، وهم كثيرون ، فى هذا الأمر سواء . فلندع ذلك جانبًا ولنعترف أنَّنا هكذا ألحقنا الضَّرر كثيرًا بخدمة الرَّب ، وكذلك آذينا أنفسنا وممالكنا . لقد استوقفت الملك بيريون دى جاولا وجميع الأمراء والفرسان الذين جاءوا معه لكى أقول فى حضوره ووجودكم ما ستسمعون :

حينئذ التفت إلى أماديس ، وقال له :

- أيها الفارس الشُّجاع أماديس دى جاولا ، إنَّه طبقًا لمقصد خطابى إنَّنى لا أمدح أحدًا فى وجوده ، إنَّ حبى لكم جم ، ودائمًا أخجل من الاعتراف بذلك ، لكن سأكون مضطرًا للاعتراف أمام هؤلاء الملوك والفرسان، وأنْ أوجز لأذهانهم ما حدث بينى وبينك منذ اليوم الذى أصبحت فيه فارسًا للملكة بريسينا زوجتى . وعلى الرَّغم من كون هذه الأمور واضحة جليةً للجميع ، وبما أنَّ كلَّ ذلك حدث أمامى فأنا أعرفه جيدًا ، وبالتَّالى كان ينبغى أنْ يحصل على المكافأة التى يستحقها من جانبى لقضيته الأمينة الشَّريفة . عندما كنتم فى منزلى حقيقة بعد أنْ قهرتم داردان المكابر ، وبما أنَّكم أحضرتم شقيقكم جالاوْر لكى يكون فارسًا فى خدمتى فقد كان ذلك أعظم هدية وهبة قدِّمت لملك ؛ لقد أُسرنا أنا وكريمتى أوريانا من جانب ذلك السَّاحر أركالاوس ، وبالتَّالى لم يكن بوسع أى من فرساننا الدِّفاع عنَّا ولا إنقاذنا ، ولقد أوفيت لكلمتى رغم كونى وكريمتى فى خطر الموت الدَّاهم فى ذلك السِّجن القاسى ، وكذلك رعايا مملكتى وممالكى كانت عرضةً للضَّياع ؛ إذنْ فى ذلك الحين أتيتم والسَّيد جالاوْر حيث أرسلتكما الملكة وكنتما على علمٍ بالوضع المهين الذى كنت أعانى منه وقد عرَّضتما حياتكما للموت كى تُنقذا حياتينا ، لقد أُنقذنا وفكَّ أسرنا وقُتِلَ أعداؤنا الذين كانوا يأسروننا ومزَّقوا شرَّ ممزقٍ . وفيما بعد أنقذت زوجتى ، كانت الملكة محاصرة حبيسةً فى مدينتى لندن بالشَّكل الذى تعرَّضتم فيه بمزيد من الخداع للأسر وتعرَّضتم لخطرٍ داهم جسيم ، لكن لكى تحقِّقوا لى مزيداً من الشَّرف والمجد والأمان ولممالكى الأمن والاستقرار . حدث هذا وأصبح من أحداث الماضى ، وقد تمَّ تأجيل المعركة بينى وبين الملك ثيلداذان بعض الوقت وهو الآن موجودٌ معنا وكلُّ فرسانه ، وقبل أنْ نخوض المعركة قمتم بانتزاع السَّيد كوادراجانتى الذى كان عائقًا لى وفامونجومادان وباساجانتى نجله أكبر الفرسان العمالقة وأشجعهم وأقواهم فى جميع جزر البحر . وانتزعت منهما كريمتى ليونوريتا وجميع سيداتها ووصيفاتها وعشرة فرسان ممتازين من

أعظم فرسانى أخذهم أسرى . واستنادًا لما يقوله النَّاس فإنَّ الملك ثيلدادن أحضر للمعركة فرسانا عماليق وكذلك فرسانا أقوياء شجعان ، ولولاكم لما تخلصت من أيدى العملاق ماندانفول بفضل ضربتكم القوية التى طرحته صريعًا وكذلك عملاق تورِّى بيرميخا الذى قضى على كلِّ قواى وقد أخرجنى من السرج وكان يحملنى تحت ذراعه لكى يدخلنى فى سفنه ، هذا فضلاً عن بطولات أخرى كبيرة قمتم بها فى المعركة ولولاها لما تحقَّق لى النَّصر والشَّرف والمجد العظيم الذى فزت به هناك من جرَّاء ذلك . إذنْ إلى جانب هذا وذاك قهرتم ذلك الشُّجاع والشَّهير فى جميع أنحاء العالم المدعو أردان كاينليو الدُّوداىو ، حيث تحقَّق من الشَّرف لبلاطى ما لم يتحقَّق لغيره من بلاط الملوك الآخرين وأصبح فى هذا البلاط ما لم يوجد فى بلاط آخر . ولم يستطع فارس أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة فرسان فى هذا البلاط أو فى أىِّ مكان آخر منازلته أو مواجهته . وإذا قلنا إنَّكم كنتم مضطرُّون لذلك فقد كنتم فى خدمتى ، وإنَّ حاجتكم واضطراركم كانا يحتمان عليكما القيام بذلك من أجل شرفكم ، فلذلك سأنتقل إلى ما فعلتموه من أجلى بعد ذلك ، لكنَّنى نظرًا لأنَّنى كنت أستعين بمستشارين أشرار خبثاء جعلونى أعتقد أنَّكم خصمى وعدوى أكثر من كونكم صديقا وفارسًا خادمًا لى فقد رحلتم . وعندما علمتم فى الوقت الذى نحن فيه أعداء ألدَّاء أنَّ هناك معركةً كبيرةً بينى وبين الملك أرابيجو وستَّة ملوك آخرين وأناسٍ آخرين أجانب من دول أخرى جاءوا بنيَّة إلحاق الهزيمة بى أملاً فى فرض سلطانهم على ممالكى وإخضاعها لنفوذهم ، تحدَّثتم مع والدكم الملك بيريون وشقيقكم السَّيد فلوريستان وجئتم لنصرتى، رغم أنَّه كان ينبغى عليكم، طبقًا للوضع الطَّبيعى الصَّارم ولغضبنا ، أنْ تكونوا خصومنا وأعداءنا ، لكن نظرًا لفضليتكم أنتم الثَّلاثة ، حتى لو كان لدىَّ فرسانٌ ممتازون وعلى غراركم ، فقد حقَّقت هذا النَّصر العظيم بفضلكم حيث قضيت على كلِّ أعدائى وأنقذت حياتى ومملكتى وحقَّقت لهما مزيدًا من الشَّرف والعظمة والرفعة أكثر ممَّا كان لديهما من قبل . والآن تأتى النِّهاية ، إنَّنى أعلم جيدًا أنَّه بسببكم فى

المعركة الثَّانية التى خضناها معًا تمَّ إصلاح الإهانة التى ارتكبناها أنا ومن معى فى حقِّكم وهم يعلمون ذلك جيدًا ، وأعتقد أنَّهم جميعًا شعروا بالخزى والنَّدم مثلى تمامًا ، إذنْ من الإنصاف والعدل أنْ نعيد للأذهان تلك المساعدة الأخيرةَ والإنقاذ الرَّائع ، خاصة وأنَّ دماء جراحنا لم تجف حتى الآن ولم تهدأ نفوسنا لأنَّ الشَّيطان كان قد استحوذ عليها تمامًا فابتعدت ونأت عنَّا . أمَّا الآن أيُّها السَّادة الأفاضل الطَّيِّبون فأخبرونى ما المكافأة التى يمكن أنْ تساوى كل هذه الخدمات الجليلة لكى أستطيع تقديمها مقابل ذلك ؟ بالتَّأكيد لا يوجد ما يوازى ذلك أكثر من تشريف شخصى ما دمت حيا ، وأنْ تكون كلُّ ممالكى وسلطانى حيث يرجع الفضل إلى هذا الفارس فى إنقاذها وحمايتها ، لذلك أوافق على زواجه من كريمتى أوريانا ، وهكذا بما أنَّهما متزوجان وكانت إرادتهما ألاَّ يخبرانى بذلك ، وبما أنَّنى عرفت ذلك وأريده ، لذلك أعلن أنَّهما نجلاى ووريثا ممالكى .

عندما سمع أماديس موافقة الملك على الملأ وأنَّ سيدته ستكون زوجته كانت كل الأمور الأخرى التى سردها الملك ليسوارتى مقارنةً بذلك لا تساوى شيئًا ، توجَّه إلى الملك وجثا أمامه على ركبتيه ، وعلى الرَّغم من أنَّ الملك كان يرفض أنْ يُقبل أماديس يديه فإنَّه قام بتقبيلهما ، وقال له :

– يا سيدى ، إذا كان يسعدكم ما ذكرتموه فإنَّ كلَّ المدح والثَّناء الذى وجهتموه لى كان يمكن التَّغاضى عنه لأنَّ الفضائل والنِّعم التى مننتم بها على أسرتى لا حصر لها رغم أنَّنا مضطرُّون لتقديم الخدمات لكم . ولذلك يا سيدى ، لا أريد أنْ أقدِّم لكم الشُّكر على كلِّ ذلك ، لكن بالنِّسبة للأمر الأخير ، ولا أشير إلى ميراث ممالكم العظيمة وسلطانكم ، بل إلى أنَّكم وافقتم على زواجى من الأميرة أوريانا ، فسأخدمكم ما دمت حيا بكلِّ الطَّاعة والوقار اللذين لم يقدِّمهما ابنٌ لوالده قط ولا خادمٌ لسيده على الإطلاق .

عانقه الملك ليسوارتى بحب كبير ، وقال له :

– ستجدون فىَّ ذلك الحب الغالى مثلما يحبكم والدكم الملك بيريون .

سُرَّ الجميع سروراً بالغًا لأنَّ الملك فى خطابه قضى على كل الإحن والعداوات والبغضاء التى استمرت زمنًا طويلاً ، ولم يبق أىُّ أمرٍ يحتاج إلى التَّفاهم . وإذا كان الجميع قد سعدوا جدا بذلك ، فبالتَّالى لا داعى لذكره ، لأنَّه على الرَّغم من أنهم جميعا كانوا فى البداية يتحلَّون بالمكابرة والعناد فإنَّ رؤية هؤلاء لقتلاهم وأولئك لموتاهم فى الماضى القريب جعلهم جميعا سعداء لإحلال السَّلام . وتساءل بعضهم لماذا قال الملك ليسوارتى إنَّ أماديس وأوريانا كانا متزوجين ؟ وذلك لأنَّهم بعد أنْ اختطفوها فى البحر واصطحبوها إلى الجزيرة اليابسة لم يشعروا بشىءٍ من هذا القبيل بينهما ، وقبل ذلك على الإطلاق . لكن الملك الذى أحسَّ بذلك فتوسَّل إلى الرَّجل الصَّالح ناسيانو وكأنَّه أخبره بذلك ، فأخبر به هؤلاء الرِّجال لأنَّهم علموا بالدور البسيط الذى قام به أماديس لكى يخلِّصها من قبضة الرُّومان فى البحر ، وبما أنَّه لم يكن له ذنبٌ فيما حدث لأنَّ الملك لم يكن على علمٍ بذلك وبالتَّالى كان هو الذى أجبرها على الزَّواج من إمبراطور روما ، وقد تزَّوجت أوريانا من أماديس دون علم والدها ودون موافقته ، وكان ذلك سببًا فى إجبار ليسوارتى لها على الزَّواج من الإمبراطور . حينئذٍ حكى له الرَّجلُ الطيبُ كل شىءٍ - كما سمعتم - عندما أخبر الملك ليسوارتى بذلك فى خيمته بالمخيَّم .

عندما علم الغلام إيسبلانديان ، الذى كان الرَّجل الصَّالح يمسك بيده ، أنَّ هذين الملكين هما جدَّيه وأنَّ أماديس هو والده ، سُرَّ سروراً بالغًا وهذا أمر لا يستدعى السؤال عنه . ثمَّ جثا النَّاسك على ركبتيه مع الغلام أمام كلا الملكين ووالده ، وطلب منه أنْ يقبل أيديهم وليقم هؤلاء بمباركة الطِّفل . قال أماديس للملك ليسوارتى :

- سيدى ، هكذا من الآن فصاعدًا يسُرُّنى أنْ أكون فى خدمتكم ، وهكذا سينبغى علىَّ أنْ أطلب منكم مزيداً من الفضائل والنِّعم . وأوَّلها بما أنَّ إمبراطور روما ليس له زوجة وهو مستعد للزواَّج ، لذلك أتوسَّل إليكم أنْ تزوجوه كريمتكم الأميرة ليونوريتا ، وأنْ يقبلها هو زوجةً له وأنْ يكون عرسانا معًا وأنْ نظلَّ نجلين لكم .

استحسن الملك الفكرة لأنَّ الإمبراطور سيكون قريبًا له بالمصاهرة وبعد ذلك وافق على زواجه من ليونوريتا . وقبلها الإمبراطور زوجةً له فى سعادةٍ بالغةٍ .

سأل الملك ليسوارتى الملك بيريون عمًا إذا كان قد تلقَّى أنباء جديدة عن نجله السيد جالاؤر . فقال له إنه بعد وصول جالاؤر جاء عقبه جندالين حيث تركه أفضل بكثير ممًا كان ، وأنَّه كان يتلقَّى رعايةً ممتازة فى مرضه ، وكان هناك خوفٌ كبيرٌ لأن خطرًا ما كان قائمًا .

- إنَّنى أقول لكم - قال الملك - على الرَّغم من كونه نجلكم ، فإنَّنى أعتبره كذلك ، ولولا الخلافات التى حدثت بيننا موخرًا لقمت بزيارته شخصيا . وإنِّى أتوسَّل إليكم أنْ ترسلوا له كى يأتى إذا كانت حالته تسمح بذلك ، لأنَّنى سأذهب فيما بعد إلى بينديليسورا حيث أمرت الملكة بالمجىء ، وأريد تشريفًا وتكريمًا لأماديس معها ومع ليونوريتا نجلتى ، وأعود فيما بعد إلى الجزيرة اليابسة حيث سيقام عرسا زواجه والإمبراطور وسنرى الأشياء الغريبة التى تركها أبوليدون هناك ، وإذا كان السَّيد جالاؤر موجودًا فسأسعد برؤيته كثيرًا لأنَّنى منذ وقتٍ طويلٍ كنت توَّاقًا لذلك .

قال الملك بيريون إنه هكذا سيتمُّ تلبية ما يريده . قبَّل أماديس يدى الملك ليسوارتى للفضل والشَّرف اللذين منَّ عليه بهما . وطلب منه أجراخيس جاثيًا على ركبتيه أن يرسل للسَّيد جالبانيس عمه ، ومادسيما ، وأنْ يحضرهما معه . قال الملك ليسوارتى إنَّ ذلك يسعده جدا وإنَّه سيُلبى هذا دون تأخير ، وإنَّه سيرحل غدًا فى الصَّباح لكى يعود بسرعة ، فقد حان الوقت لكى يعود هؤلاء الفرسان إلى أوطانهم للاستراحة فهم فى حاجة للرَّاحة وجديرون بها نظرًا للأعمال والمهام الشَّاقة التى قاموا بها ، فأبحروا بسفنهم إلى ميناء الجزيرة اليابسة لأنَّهم سيبحرون من هناك إلى أوطانهم .

توسَّل الإمبراطور كثيرًا إلى الملك ليسوارتى بأنْ يأمر بمجىء أسطوله إلى الجزيرة اليابسة وبما أنَّه سيعود والملكة إلى هناك ، توسَّل إليه لكى يسمح له بالذَّهاب مع أماديس لأنَّه يريد التَّحدُّث إليه كثيرًا فى استراحته ، وقد سمح له الملك بذلك .

الفصلُ التَّاسع عشر بعد المـــائة

[اصطحب الملك ليسـوارتي معه إيسبـلانديان ، عـاد الملك إلى بينديليسورا حيث توجد زوجته بريسينا ، وقد استعدًّ للرحيل معها وليونوريتا صوب الجزيرة اليابسة] .

الفصلُ العشرون بعد المـــائة

[وصل أماديس والملك بيريون ورجاله إلى الجزيرة اليابسة حيث استقبلتهم أوريانا والسَّيدات الأخريات اللائي ظللن هناك بسرورٍ بالغٍ . حكى أماديس الأحداث الأخيرة لأوريانا التي سعدت سعادةً كبيرة منها . ثمَّ تمَّ الاتفاق على أفراح العرس فيما بعد : أجراخيس من أوليندا ، والسَّيد برونيو دي بونامار من ميليثيا ، وجراساندور من مابيليا ، والسَّيد كوادراجانتي من جراسيندا ، والسَّيد فلوريستان من الملكة سارداميرا . وفي النِّهاية سيقوم أماديس بتوزيع الأراضي التي غزاها على فرسانه] .

الفصلُ الحادى والعشرون بعد المائة

[أرسل أماديس السَّيد برونيو دى بونامار وأنجريوتى وبرانفيل إلى جاولا بحثًا عن الملكة إيليسينا والسَّيد جالاؤر الذى سيقصُّون عليه كل ما حدث بين الملك ليسوارتى وأماديس . وهم فى طريقهم إلى الجزيرة اليابسة سينزلون فى مملكة داتيا لاصطحاب ملكتها التى ستتوجَّه إلى المكان نفسه لكى تطلب مساعدة أماديس لأنَّ سلفها يريد انتزاع مملكتها بعد أنْ اغتال زوجها . وبينما يواصل السَّيد جالاؤر والملكة إيليسينا طريقهما على الجزيرة اليابسة ، حيث سيتم استقبالهما بكلِّ مظاهر الفرحة والسَّعادة ، توجَّه أنجريوتى والسَّيد برونيو ورجاله إلى داتيا لإنقاذ الملكة . وفى تلك الأثناء سيقوم أماديس بتسليم الملكة بريولانخا زوجةً لجالاؤر] .

الفصلُ الثَّانى و العشرون بعد المائة

[وصل أنجريوتى والسَّيد برنيو دى بونامار وبرانفيل إلى مملكة داتيا وقد أطلقوا سراح أنجال الملكة ، وبعد عدَّة معاركٍ استطاعوا إثارة الشَّعب ضدَّ الخائن وردُّوا الملكة إلى عرشها . بعد أن تحقَّق لهم النَّصر عاد الفرسان الثلاثة إلى الجزيرة اليابسة برفقة نجل الملكة ، لأنَّ هذه تريد أنْ ينشأ ويترعرع فى صحبة أماديس ورجاله] .

الفصلُ الثَّالث والعشرون بعد المــائة

وصل الملك ليسوارتى والملكة بريسينا وفى رفقتهما كريمتهما ليونوريتا وإيسبلانديان وجميع الفرسان الآخرين وسيدات البلاط الملكى ، وصلوا إلى الجزيرة اليابسة حيث استقبلوا بسعادة غامرةٍ من جانب جميع السُكَّان .

بعد مرور ذلك اليوم الذى وصلوا فيه، حيث استراحوا يومًا آخر من وعثاء الطَّريق، تجمَّع الملوك لكى يعطوا أمرًا بالزِّيجات ، لقد فعلوا ذلك فى سرورٍ بالغٍ ثم عادوا إلى أوطانهم فقد كان ينتظرهم عملٌ كثيرٌ . كان بعضهم سيذهب للاستيلاء على أراضى أعدائه وبعضهم الآخر سيساعدهم فى إنجاز هذه المهمة ، وبينما كانوا معًا تحت بعض الأشجار عند النَّوافير التى سمعتم عنها من قبل ، سمعوا أصواتا عاليةً للناس الموجودين خارج البستان وكانت هناك جلبةٌ شديدةٌ، ولما عُلم بالأمر قالوا لهم لقد جاء شىءٌ مخيفٌ جداً وغريبٌ للغاية من البحر لم يروا له مثيلاً قط . حينئذ أمر الملوك بإحضار جيادهم وامتطوها وكذلك فعل جميع الفرسان الآخرون ، وذهبوا إلى الميناء ، وصعدت الملكات وجميع السيدات إلى أعلى مكان بالبرج حيث كنَّ يستطعن رؤية جزءٍ من اليابس والبحر ، ورأين مجىء دخانٍ كثيفٍ فى الماء شديد السواد ومخيف لم يروا له مثيلاً قط . ظلَّ الجميع فى انتظار معرفة هذا الأمر الغريب ، وبعد فترةٍ وجيزةٍ بدأ الدُّخان ينقشع ورأوا فى وسطه ثعبانًا ضخمًا أكبر حجمًا من أكبر سفينة بالعالم ، وكان له جناحان أكبر حجما من عِقْدِ القوس ، وكان ذيله ملتفًا إلى أعلى ، وكان أعلى من برج مرتفع جدا . كان رأسه وفمه وأسنانه كبيرةً جدا ، وكانت عيناه مهولتين مخيفتين، ولم يكن هناك شخصٌ يجرؤ على مجرَّد النَّظر إليه ، وكان من حين لآخر يقذف من فتحتى أنفه ذلك الدُّخان الأسود الذى كان يصعد إلى عنان السَّماء ، وكان يغطى كل شىءٍ .

كان يصيح بصوتٍ أجش وكانت تصدر عنه أصوات صفيرٍ قويةٌ مهولةٌ ومخيفةٌ ، وكان يبدو أنَّه لا همَّ له سوى أنْ يُغرق البحر ، وكان يلفظ الماء بقوةٍ من فيه بعيدًا عنه جدا ، وكان يصعب على أيَّة سفينة مهما كان حجمها إذا تمكن الماء المقذوف من الوصول إليها ألاَّ تغرق . كان الملوك والفرسان ، على الرَّغم من كونهم شجعانًا للغاية ، ينظر بعضهم إلى بعضهم الآخر ، ولم يدروا ماذا يقولون لهذا الشَّيء المهول المرعب الذى لن يستطيعوا أنْ يجدوا له مقاومةً ، ظلوُّا منتظرين يفكرون فى أيَّة مقاومة تستطيع التَّصدى لهذا الثُّعبان ، لكنهم ظلوُّا منتظرين فى دهشة وذهول .

عندما اقترب الثُّعبان الضَّخم تشقلب فى الماء ثلاث أو أربع مرَّاتٍ ، يستعرض شجاعته وقوته ويهز جناحه بقوةٍ . كان دوىُّ أصوات الأصداف يسمع على مسافة نصف ميلٍ . عندما رأت الجياد التى كان يمتطيها هؤلاء الرجال ذلك ، لم يستطع أحدٌ منهم التَّحكم فى جواده ، وانطلقوا معهم فارِّين فى المروج ، وقد اضطروا إلى النُّزول من فوق جيادهم ، وكان بعضهم يقول إنَّه من الأنسب أنْ يتسلَّحوا تحسبًا للظُّروف ، بينما كان بعضهم الآخر يرى بما أنَّه حيوان مائىٌّ مفترسٌ فلن يجرؤ على الخروج إلى اليابس، وعلى افتراض خروجه من الماء كيف سيدخل الجزيرة ؟! كان الجميع إذنْ مذهولين من هذا الحيوان الغريب الذى لم يسمعوا عنه ولم يروا له شبيهًا من قبل ، ورأوا هناك إلى جانب الثُّعبان زورقًا مغطى تمامًا بنسيج ذهبى رائع جدا وسيدة كانت تصطحب غلامين وقد ارتديا أجمل الثِّياب وكانت السَّيدات يستندن على أكتاف الغلامين ، وكان هناك قزمان قميئان جدا فى وضعٍ غريبٍ على المجدافين كانا يُبحران بالقارب أو الزَّورق صوب اليابس ، وقد ذُهل جميع هؤلاء الرجال من رؤية هذا الأمر الغريب جدا ، لكن الملك ليسوارتى قال :

- ألا تصدقوننى أنَّ هذه السَّيدة هى أورجاندا لاديسكونوثيدا وينبغى أنْ تتذكروا جيدًا - قال لأماديس - الخوف والذُّعر الذى أصابنا عندما كنت فى مدينتى فينوسا عندما جاءت بالنيران عبر البحر .

- إنَّنى فكَّرت هكذا - قال أماديس - بعد ما رأيت الزَّورق ، وقبل ذلك لم أعتقد سوى أنَّ هذا الثُّعبان شيطان يصعب علينا مواجهته .

وفى تلك الأثناء وصل الزَّورق إلى الشَّاطىء ، وعن قرب تعرَّفوا على السَّيدة أورجاندا لاديسكونوثيدا، التى تكرَّمت بأنْ ظهرت لهم فى حقيقتها الذَّاتية ، الأمر الذى كان نادراً ما تظهر به ، فقبل ذلك كانت تظهر فى أشكال غريبة ، أحيانا كانت تظهر وقد أصبحت عجوزة مسنَّةً للغاية ، وأحياناً أخرى فى صورتها عندما كانت طفلةً ، كما ذكر فى أجزاءٍ كثيرةٍ متفرقةٍ من هذه القصَّة . هكذا وصلت مع غلاميها الجميلين جدا وقد تزينا بأحلى زينةٍ ، وقد زُركشت ثيابهما فى أجزاء كثيرةٍ منها وقد رُصعت بالأحجار الكريمة القيمة . ذهب الملوك وكبار القوم سيراً على الأقدام حيث كانوا يضطجعون إلى المكان الذى كانت ستخرج منه ، وعندما وصلت خرجت من الزَّوْرق وقد أمسكت غلاميها الجميلين بيديها، وتوجهت بعد ذلك إلى الملك ليسوارتى كى تُقبِّل يديه، لكن الملك عانقها ولم يرد إعطاء يديه لها ، وهكذا فعل أيضًا الملك بيريون والملك ثيلدادان . حينئذٍ التفتت تجاه الإمبراطور ، وقالت له :

– يأيُّها السَّيد الطيِّبُ ، على الرَّغم من أنَّكم لا تعرفوننى ولم أركم من قبل ، فإننى أعرف الكثير عن أخباركم ، ومن أنت ، والقدر الجليل لشخصكم النَّبيل وكذلك سُمو منزلتكم ومقامكم الرَّفيع ، ولذلك ولخدمة ما سأقدمها لكم عمَّا قريبٍ ، إلى جانب الإمبراطورة، أريد البقاء حبا فيكم وبوعيٍ رائع كى تتذكَّرونى عندما تذهبون إلى إمبراطوريتكم وتطلبون منِّى أنْ أقدِّم لكم خدمةً فى استطاعتى . وعلى الرَّغم من أنَّه يبدو لكم أنَّ وطنى الذى أعيش فيه بعيدٌ عن وطنكم فإنَّ المجىء لن يكون صعبًا علىَّ فى مدة يومٍ طبيعىٍ .

قال لها الإمبراطور :

– يا سيدتى الطيِّبة ، إنَّنى سعيدٌ جدا لأنَّنى نلت حبَّكم ، وبإرادةٍ طيِّبةٍ ورضىً تام أمنحك جزءًا كبيراً من مملكتى ، وقد دعوتمونى إلى ذلك لفضيلتكم ، فلا تنسوا ما وعدتمونى به ، وإذا كان فى قلبى وإرادتى أنْ أشكركم على ذلك بكلِّ ما أوتيتُ من قوةٍ ، فإنَّكم تعلمون ذلك أفضل منِّى .

قالت له أورجاندا :

– سيدى ، سأراكم عندما تجنون أوَّل ثمرةٍ لجيلكم .

حينئذ نظرت إلى أماديس ، فلم يسعفها الوقت للتحدث معه ، وقالت له :

– يأيُّها الفارس النَّبيل ، لا يمكن أنْ أتنازل عن عناقكم ، فعلى الرَّغم من أنَّ القدر العظيم قد منحكم عظمةً وسموا ورفعةً وقد بلغتم الذروة ولن تقدِّروا الخدمات والملذَّات من هؤلاء الذين لا يستطيعون إلا قليلاً ، لأنَّ هذه الأمور الدُّنيوية التى تتبع فى نهجها الرِّتم والإيقاع السَّريع للعالم فإنَّها لسببٍ بسيطٍ، وحتى بدونه، يمكن أنْ يعتريها التَّغيير، فالآن يبدو لكم أنَّكم تستطيعون الحياة بلا مزيدٍ من الاهتمام والاكتراث ، لأنَّكم ستضعون فى حسبانكم الأمور الدُّنيوية فى المقام الأوَّل لأنَّها فى استطاعتكم وحوزتكم وبدونها فإنَّ باقى الأمور ستكون سببا لوحدتكم المؤلمة الحزينة ، فالآن تستدعى الضرورة الحفاظ عليها بجهدٍ مضاعفٍ لأنَّ الحظَّ والثَّروة لن يسعدا فى مثل هذه الأحوال السَّامية ، بل على العكس من ذلك يؤذيان ويظهران قواهما لأنَّه سيكون من المهين جدا وفيه انتقاصٌ لشرفكم أنْ تفقدوا ما فزتم به إذا لم تسيروا على النَّهج نفسه الذى الْتزمتم به قبل الفوز بذلك .

قال لها أماديس :

– استناداً للخدمات التى تلقَّيتها منكم يا سيدتى ، والتى قبلتها بحب كبيرٍ ذلك ، الحب الذى تكنونه لى ، وعلى الرَّغم من أنَّه لكى أرضى إرادتى القوية الآن فإنَّنى أشعر جدا بالتَّعاسة إذا لم أقم بكلِّ الأمور التى تخدم شرفكم الرَّفيع ، ولذلك فأنا رهن اشارة ما تأمروننى به ولن يكون ذلك كثيراً وفاءً لخدماتكم الجليلة ، وإنَّنى لا أبالغ فيما أقول .

قالت له أورجاندا :

– إنَّ الحبَّ الكبير الذى أكنُّه لكم يجعلنى أقول هراءاتٍ وأنْ أسدى النُّصح فى غير موضعه .

حينئذ جاء جميع هؤلاء الفرسان وحيَّوها ، وقالت للسَّيد جالاؤر :

- بالنسبة لكم يا سيدى الطَّيِّب ، وللملك ثيلادادان لن أقول شيئًا الآن ، لأنَّنى سأعيش معكم هنا بعض الأيَّام وسيكون لدينا متسعٌ من الوقت للتَّحدث إليكم .

والتفتت إلى قزميها وأمرتهما بأنْ يمسكا بالثُّعبان الضَّخم ، ويحضرا جوادًا من السَّفينة ويقدماه إلى غلاميها ، وقد تمَّ الامتثال لذلك . كان الملوك وكبار القوم قد تركوا جيادهم بعيدًا عن المكان ، لأنَّ الخوف من ذلك الحيوان المتوحِّش لم يمكنهما من الوصول إلى جيادهم ، وتركوا هناك رجالاً لكى يساعدوها على امتطاء الجواد ثم ذهبوا هم سيرًا على الأقدام لأخذ جيادهم ، وقد قالت لهم متوسلةً بأنْ يتكرموا بألاَّ يذهب معها أحدٌ سوى غلاميها المحبوبين ، وهكذا تمَّ الامتثال لذلك ، وتوجَّه الجميع إلى القلعة ، وتبعتهم هى فيما بعد مع رفقتها ، وساروا حتى وصلوا إلى البستان حيث كانت توجد الملكات والسَّيدات من علية القوم ، فلم ترد الاستراحة فى أىِّ مكانٍ آخر ، وقبل أنْ تدخل عليهن قالت لإيسبلانديان :

- أمَّا أنتم يأيُّها الغلام الجميل جــدا ، فإنَّ هــذا كنزى عليكم الحفــاظ عليه ، فلن تجدوا مثيلاً له فى معظم أنحاء العالم .

حينئذ سلَّمت إليه الغلامين فى يده ودخلت البستان حيث استقبلت بحفاوةٍ بالغةٍ لم تحظ بها أيَّة امرأة فى أى مكان فى بالعالم . عندما رأت كثيرًا من الملكات والأميرات وأشخاصًا آخرين لا حصر لهم من ذوى المقام الرَّفيع والقدر العالى نظرت إليهن جميعًا فى سرورٍ بالغٍ ، وقالت :

- يا لفرحة قلبى ! إنَّك تستطيع من الآن فصاعدا ألاَّ تعانى من الوحدة ، لأنَّك فى يومٍ واحدٍ رأيت أفضل الفرسان الفضلاء وأكثرهم شجاعة فى العالم . وأيضًا أجمل وأشرف الملكات والسَّيدات اللائى لم يولد مثلهن حتى الآن . بالتأكيد يمكننى القول إنَّ بين هؤلاء وأولئك أجد الكمال بعينه ، ويمكننى أنْ أضيف أيضًا أنَّه اجتمع هنا جميع الرجال وأعظمهم قدرًا ودراية فى استخدام الأسلحة وكذلك جمال العالم بأسره ، هكذا يوجد هنا الحبُّ والوفاء والإخلاص الكبير

الذى لا يمكن أنْ يوجد فى أى لحظة بمكان آخر . هكذا دخلت معهن البرج واستأذنت الملكات كى تستطيع الذِّهاب إلى حيث توجد أوريانا واللاتى كنَّ معها ، فأوصلنها إلى استراحة أوريانا . بعد أنْ دخلن إلى الغرفة لم تستطع إقصاء عينيها عن النَّظر إلى أوريانا والملكة بريولانخا وميليثيا وأوليندا ، فلن توجد حسناء فى جمال تلك الحسناوات ، ولم تفعل شيئًا سوى عناق الواحدة منهنَّ تلو الأخرى . هكذا ظلَّت معهنَّ فى سرورٍ بالغٍ وقد قمن جميعهنَّ بتشريفها كما لو كانت سيدتهنَّ كلهنَّ .

الفصلُ الرَّابع والعشرون بعد المائة

[زوَّج أماديس نجل عمه دراجونيس من الأميرة إيسريتا وقد منحه مملكة ÍNSULA PROFUNDA (الجزيرة العميقة) . علاوة على ذلك طلب الملك ليسوارتى دوقية بريستويا للسَّيد جيلان الكويدادور ، وقد استجاب الملك لطلبه] .

الفصلُ الخامسُ والعشرون بعد المائة

[أقيمت حفلات الزِّفاف أو العرس التى كان قد تمَّ الاتفاق عليها ، وقد استمرت الأفراح خمسة عشر يومًا . خلال تلك الأيَّام اجتازت أوريانا اختبار العقد أو القوس المسحور للمحبين الأوفياء واختبار الغرفة المحروسة كما اجتازها أماديس أيضًا ، وكانت الغرفة المحروسة محجوزةً للسَّيدة التى يفوق جمالها وإخلاصها جمال وإخلاص جميع السَّيدات الأخريات . حينئذٍ أعلن إيسانخو حاكم الجزيرة فكَّ جميع أعمال السِّحر بالجزيرة ، لأنَّ الذى وضع أعمال السحر هذه قرَّر أنْ تستمر حتى يتمكن رجلُ وسيدةٌ من إنهاء المغامرة التى تفوَّق فيها أماديس وأوريانا بنجاحٍ] .

الفصلُ السَّادسُ والعشرون بعد المــائة

كيف أنَّ أورجاندا لاديسكونوثيدا جمعت كل هؤلاء الملوك والفرسان الكثيرين الذين كانوا موجودين فى LA ÍNSOLA FLRME (الجزيرة اليابسة) ، والأمور العظيمة التى قصَّتها عليهم ، أمور الماضى والحاضر والمستقبل ، وكيف أنَّها رحلت فى النِّهاية .

تحكى القصَّة أنَّه بعد انتهاء احتفالات العرس العظيمة ، تلك التى أُقيمت فى الجزيرة اليابسة ، توسلَّت أورجاندا لاديسكونوثيدا إلى الملوك بأنْ يجمعوا كل الفرسان والسَّيدات والوصيفات لأنَّها تريد أنْ تعلن أمامهم سبب ومبرر مجيئها ، فأمروا بتلبية مطلبها . تجمَّع الجميع فى قاعةٍ كبيرةٍ بالقصر ، وجلست أورجاندا فى جانبٍ وفى يديها غلاماها هذان ، وعندما صمت الجميع فى انتظار ما ستقول قالت :

– سادتى لقد علمت ، دون أنْ يخبرنى أحدٌ بذلك ، بهذه الاحتفالات العظيمة التى أقيمت على كثيرٍ من القتلى والخسائر التى حدثت لكم ، والله شاهدٌ على أنَّ بعض تلك المصائب أو جميعها لو كان يمكن حلها أو تفاديها لبذلت ما أستطيع بكلِّ قواى ، لكن بما أنَّ العلى الأعلى أراد ذلك ، فقد أخبرنى بفضله وعظمته بما حدث ، ولأنَّه لا رادَّ لما أراد سبحانه وتعالى ، وبغير مشيئته لن يستطيع أىُّ قوى مهما كان جبروته أن يغيِّر إرادته ، فإن وجودى لم يكن بوسعه تفادى هذا الشَّر ، وقد أردت بحضورى أنْ أوصيكم خيراً ما استطعت ، طبقًا للحبِّ الجمِّ الذى أكنُّه لكم والذى تكنونه لى ، وأن أفصح أمامكم عن أشياءٍ ذكرتها

لكم من قبل بوسائل مستترة ، هكذا اعتدت القيام بذلك ، وصدِّقوا أنَّنى أقول لكم صدقًا كما فى أمورٍ أخرى ، فى بعض الأحيان ، سمعتموها من قبل .

حينئذ نظرت إلى أوريانا ، وقالت :

- سيدتى الطَّيِّبة ، يأيَّتها الخطيبة الجميلة ، من الملائم أنْ أذكِّركم بأنكم ، عندما كنتُ أنا مع والدكم الملك والملكة والدتكم فى منزله بفينوسا وهى مضطجعة معكم فى الفراش ، قد توسلتم لى كى أذكر ما سيحدث لكم ، وقد توسَّلت إليكم ألاَّ تعرفيه، لكن بما أنَّنى أعرف إرادتكم فإنَّ أسد **LA ÍNSOLA DUDADA** (الجزيرة المرعبة) ينبغى أنْ يخرج من كهوفه وسيخاف حراسكم من زئيره القوى ، وهكذا سيتمكن من جسدكم ، هذا ما ينبغى أن يعرفه زوجكم الأشجع والأقوى من أى أسدٍ خرج من هذه الجزيرة، التى يمكن أن نسميها مرعبةً حقا، حيث يوجد بها كثيرٌ من الكهوف وهى خفيةُ تمامًا ، وبقواه وزئيره الشَّديد رحل أسطول الرُّومان ، الذى كان فى انتظاركم ، وقد دُمر ومزق شرَّ مُمزَّق ، وقد تركوكم بين ذراعيه القويين واستحوذ على جسدكم ، كما رأى الجميع ، وبدون جسدكم لم يكن له أن يشبع جوعه ويسدَّ رمقه ، وهكذا ستعرفين أنَّ كل ما ذكرته لكم حقٌ وصدقٌ حقا . حينئذٍ قالت لأماديس :

- بالنسبة لكم يأيُّها الرَّجلُ الطَّيِّبُ ، فمن المناسب أنكم ستعرفون بوضوح أنَّ ما أقوله لكم حق وصدْقٌ وأنَّ دمكم الذى ضحيتم به من أجل غيركم فى معركة أردان كانيليو المرعب ، لقد ضحَّيتم به من أجل صديقيكم الملك أربان دى نورجاليس وأنجريوتى دى إيستراباوس اللذين كانا أسيرين ، إذنْ عندما رأيتم سيفكم الرَّائع فى يد عدوكم الذى كان سيسحق به جسدكم وعظامكم كنتم تفضلَّون رؤيته فى أيَّة بحيرةٍ حيث لا يظهر بعد ذلك أبدا ، إذنْ المكافأة التى حصلتم عليها من جرَّاء ذلك ماذا كانت ؟ بالتَّأكيد لم تكن سوى الغيظ والعداوة الكبيرة ، والتى أسفرت عن جزيرة مونجاثا ، حيث فزتم فى معركتها فى النِّهاية مع الملك ليسوارتى ، الموجود بيننا ، كما رأى الجميع بوضوح ،

وقد أخبرتكم بأنكم ستجنون الخير العميم من جرَّاء ذلك . فالأمور التى كتبت لكم بشأنها إذنْ - توجهت بحديثها - إلى الملك الفاضل ليسوارتى - فى الوقت الذى كان فيه ذلك الغلام الجميل إيسبلانديان، حفيدكم الذى وجدتموه فى الغابة وهو يصطاد مع اللبؤة، أعتقد أنكم تتذكَّرون ذلك جيداً وما قلته فى هذا الشَّأن أصبح من أحداث الماضى لكى تروا ما علمت وعرفت . لقد تربَّى على أيدى ثلاث مرضعات مختلفات ، وهنَّ اللبؤة والنَّعجة والمرأة اللائى أرضعنه جميعًا ، كما أحطتكم علماً أيضًا بأنَّ هذا الغلام سيجعل السَّلام يسود بينكم وبين أماديس ، وهذا ما أتركه كى تحكوا عنه من جانبكم وجانبه ، ياله من غضبٍ كبيرٍ . يالها من عداوة وبغضاء قام الغلام بانتزاعها من إراداتكم بفضل جماله الفتَّان واللطيف ، وكيف أنَّه لرصانته ورجحان عقله العظيم تمَّ إنقاذكم ومساعدتكم من جانب أماديس فى الوقت الذى لم يكن أمامكم بدٌّ من انتظار الموت . إذنْ إذا كانت خدمةٌ جليلة مثل هذه جديرة بنزع العداوة والبغضاء من قلوبكم وجلبت عليكم الحبَّ فإنَّنى أترك هذا لهؤلاء الرجال كى يحكموا على ذلك ، إذنْ فيما يتعلَّق بالأمور التى ستحدث فى عصركم ، وكذلك الرِّسالة التى سأطلعكم عليها ، وستظلُّ لكى يحكم عليها الذين سيأتون بعد ذلك وليعلموا أنَّنى أعلم ما سيحدث فى المستقبل كما علمت ما حدث فى الماضى . وهو ما يتضمن كل ما حدث لكم عند تسليم كريمتكم أوريانا للرُّومان وما أسفر عنه من الخسائر الجسيمة وعددٍ كبيرٍ من القتلى بصورةٍ بشعةٍ ، والذى لم تتذكَّروه فى أيَّام سعادة وسرورٍ وبهجة ، لأنَّ ذلك سيحزنكم ويثير جام غضبكم ، وأترك ذلك للذين يريدون الاطلاع عليه فى الكتاب الثَّانى وسيرون بوضوح أنَّ جميع الأمور التى سُرِدَت فيه قد تحققت ، وقد تنبأت بها أوَّلاً . الآن وقد أخبرتكم بالأحداث الماضية ، أودُّ أنْ تعرفوا أحداث الحاضر التى لا تعرفونها .

حينئذ أمسكت بيدى الغلامين الجميلين تالانكى ومانيلى الميسورانو - هكذا يسمَّيان - وقالت للسَّيد جالاؤر والملك ثيلدادان :

- ياسيديَّ الطيبين ، إذا كنتما قد تلقيتما خدمات ومساعدات من جانبي لإنقاذ حياتكما فإنَّني سعيدةٌ بالمكافأة التي حصلت عليها ، وسيكون ذلك مجداً وشرفًا كبيرًا بالنِّسبة لي ، وإذا لم ألد أنا شخصيا فإنَّني كنت السبب في ميلاد الكثيرين من الآخرين، وخير مثال على ذلك هذان الغلامان الجميلان جدا اللذان ترونهما معي، وإذا كان بوسعكم أنْ تَشكُّوا ، فإنَّهما - إذا كتب الله لهما البقاء لكي يبلغا سنَّ الرجال ويصبحا فارسين - سيقدمان خدمات جليلةً من أجلكم لكي يحافظا على الفضيلة والصِّدق ، ولن يُصفح فقط عن هؤلاء الذين يخالفون وصايا وتعاليم الكنيسة الكاثوليكية ، بل سيزداد شرفهما وسموهما وكفاءتهما سواء في هذه الدُّنيا أم في عالم الآخرة فيما بعد ، حيث سيتسمتع شخصاهما ونفساهما بالنَّعيم المقيم ، ولأنَّ ما سيفعله هـذان الغلامان - مهما قلت الكثير عن ذلك - لن أجد له حدا لأنه لا يحصى ، فلذلك سأتركه لحينه ، الذي لن يتأخر كثيرًا وفقًا لاستعدادات عمرهما .

حينئذٍ قالت لإيسبلانديان :

- أمَّا أنت يأيُّها الفتى الجميل جدا والسَّعيد إيسبلانديان ، يا منْ وُلدتَ في نار حب متوهج من هذين اللذين ورثت معظم صفاتهما ، وعلى الرَّغم من صغر سنِّك فإنَّك تتَّسم وتتحلَّى بجميل خصالهما ونبل أخلاقهما . خذ هذا الغلام تالانكي ، نجل السَّيد جالاؤر ومانيلي الميسورادو ، نجل الملك ثيلدادان وأفض عليهما من حبِّك سواءً بسواء، فعلى الرَّغم من أنَّك ستكون عرضة لإهانات خطيرةٍ بسببهما ، فإنَّهما سينقذانك من إهانات ومآزق أخرى خطيرة ، لن يستطيع أيُّ شخصٍ آخر القيام بها أو التَّصدي لها ، وسأترك لك هذا الثُّعبان الضَّخم الذي أحضرته معي ، والذي ستكون به فارسًا عظيمًا بذلك الجواد وتلك الأسلحة المخبَّأة فوقه وأشياء أخرى ستعرفها أو ستحاط بها علما عندما تصبح فارسًا . وسيكون هذا الثُّعبان مرشدك في أوَّل بطولة ، حيث سيثبِّت قلبك القوي لأنَّه رمزٌ للفضيلة السَّامية وسط عواصف عاتية وأمور ستحدث لك دون أدنى خطر عليك ، ولآخرين من أسرتكم النَّبيلة النَّجيبة في أعالي البحار ، حيث ستقدِّمون بالعمل

الدَّءوب وبكثير من الصُّعوبات وبمزيدٍ من الإهانات بعض الشَّيء إلى خالق الكون ردا على ما منَّ عليكم به من عظيم النِّعم ، وسيكون اسمك شهيرًا فى كثيرٍ من الأنحاء وستُلقَّبُ بفارس الثُّعبان الضَّخم . وهكذا ستقطع مسافات ومسافات طوال أيَّامٍ عديدةٍ دون مهادنةٍ أو راحةٍ ، هذا فضلاً عن الإهانات والمآزق الخطيرة التى ستحدُث لك ، فإنَّ روحك ستكون فى حزن شاملٍ وكربٍ كبيرٍ . وقد كُتب ذلك فى الحروف السَّبعة فى جانبك الأيسر ، ستستعر هذه الحروف السَّبعة كالنَّار وستُقرأ وستُفْهم ، وذلك الفهم العظيم والحماس اللذان تحلت بهما سينتقل إلى أحشائها من شدة اشتعال النيران التى لن تخمد حتى تمرَّ أسراب من الغربان البحرية من النَّاحية الشُّرقية من فوق أمواج البحر المتلاطمة وتضع العُقابَ الكبير فى مأزقٍ خطيرٍ حتى لا يجرؤ على البقاء فى مأواه ، والصَّقر المتغطرس الجميل عظيم القدر ، وتقوم كلُّ طيور الصَّيد بتجميع كثيرٍ من أفراد سلالتها وطيور أخرى ليست صيدًا تأتى لمساعدته وإنقاذه وتحدث خسائر كبيرة ودمارًا جسيمًا فى الغربان البحرية حتى يُغطِّى ذلك المكان الفسيح بريشها وسيلقى كثير منها مصرعه بأظافره القوية ، كما سيغرق بعضها فى الماء حيث سيصل العقاب المتغطرس إلى ذويه ، حينئذٍ سيقوم العقاب الكبير بإخراج معظم أحشائه وسيضعها على أظافر مساعده فما يجعله يتوقَّف ويفقد ذلك الجوع الغاضب الذى كان يعانى منه على مدى وقتٍ طويلٍ ، وعندما يصبح مالكًا لكلِّ الغابات والجبال الكبرى سيظلُّ مزهوا فوق شجرة فى البستان المبارك . فى ذلك الوقت سيقوم هذا الثُّعبان الضخم فى الوقت المحدَّد، طبقًا لنبوءتى العظيمة ، بالتَّوغل فى البحر الكبير ، ليفهم من ذلك أنَّه سيكون من الملائم لك جيِّدا أن تكون مغامراتك فى اليابسة أكثر منها فى مياه البحر الهائج وعندها سيبدأ العصر الجديد عصر المستقبل .

بعد أنْ ذكرت ذلك قالت للملوك والفرسان :

- أيُّها السَّادة الطَّيِّبون ، يناسبنى الذَّهاب إلى مكانٍ آخر الأمر الذى لا أستطيع الفكاك منه ، لكن فى الوقت الذى سيتعلَّم فيه إيسبلانديان الفروسية ،

وكذلك جميع الغلمان الذين برفقته ، أعلم جيداً أنَّه فى تلك اللحظة ، لأمرٍ خفىٍ عليكم ، سيجتمع هنا كثيرون من الموجودين الآن منكم ، وسأحضر فى ذلك الوقت ، وسيقام فى وجودى ذلك الاحتفال الكبير لهؤلاء الفرسان الجدد ، وسأخبركم بأمورٍ عظيمةٍ وعجيبةٍ ستحدث فى المستقبل . وأحذِّركم جميعًا من أنْ يتجرَّأ أىُّ واحدٍ منكم على الوصول إلى الثُّعبان إلى أنْ أعود ، وإلاَّ كلُّ من فى العالم لن يمنعوه من الموت . ولأنَّكم يا بنىَّ أماديس ، لديكم هاهنا أسيرٌ ، ذلك الشرير ذو الأعمال السَّيئة الخبيثة المؤذية أركالاوس الذى يسمى EL ENCANTADOR (السَّاحر) ومعرفته الشَّريرة التى لم يستخدمها إلاَّ فى الأذى والضَّرر ، فيمكنه إيذاؤكم ، خذ هذين الخاتمين أحدهما لك والآخر لأوريانا ، وبما أنَّكما ستضعانهما فى أيديكما فلن يصيبكم بأىِّ سوء مهما فعل ولن يمس أحداً من رفقتكم بأذىً أو ضررٍ ، ولن تكون لأعمال سحره أيَّة قوةٍ طالما أنَّه سيظلُّ أسيرًا . وأطلب منكم ألاَّ تقتلوه ، لأنَّ موته لا يكفى للانتقام من الشُّرور والآثام التى ارتكبها ، لكن ضعوه فى قفصه الحديدى كى يراه الجميع وهناك سيموت عدَّة مرَّات ، فإنه فى غاية الألم والقسوة أنْ يترك الشرير حيا أكثر من أنْ يموت ويستريح من كلِّ شىءٍ .

حينئذٍ أعطت الخاتمين لأماديس وأوريانا ، كانا خاتمين ثمينين وغريبين لم يُر مثلهما قط. قال لها أماديس :

- سيدتى ، ما الذى يمكننى القيام به كى أستطيع الرَّد بعض الشىء على حسن إرادتكم وتفضلكم علينا بكثير من التَّشريف والفضائل التى تلقَّيناها منكم ؟

- لا ، لا شىء - قالت أورجاندا - فكلُّ ما فعلته وما سأفعله من الآن فصاعداً قد سدَّدتموه لى عندما لم أتمكَّن من الاستفادة من علمى ومعرفتى ورددتم لى ذلك الفارس الجميل جدا ، وهو أروع شىء فى العالم أكنُّ له حبا ، وإنْ كان يضمر لى عكس ذلك . وذلك عندما هزمتم بقوة الأسلحة الفرسان الأربعة فى القلعة

الرُومانية حيث كانوا يأسرونه ، وبعد ذلك صاحب القلعة ، وفى النِّهاية جعلتم شقيقكم السَّيد جالاؤر فارسًا . وهكذا فبتلك الخدمة الجليلة فى حياتى التى لولاها لما استطعت الحفاظ عليها ، قد كوفئت تمامًا ، وستظلُّ حياتى على مرِّ الأيَّام حيث كرَّسها الخالق القادر العظيم لتكون فى خدمتكم .

حينئذ أمرت بأنْ يحضروا لها جوادها ، وقام كلُّ هؤلاء الرِّجال بمرافقتها حتى ساحل البحر حيث وجدت قزميها وزورقها ، وبعد أنْ ودَّعها الجميع دخلت زورقها ورأوا كيف أنَّ الثُّعبان عاد إليها وبعد ذلك كان الدُّخان أسود جدا ، وقد ظلُّوا أربعة أيَّام لا يستطيعون رؤية أى شىءٍ فى البحر بسبب هذا الدُّخان الأسود الكثيف ، لكن بعد انقضاء أربعة أيَّامٍ انقشع وتبدَّد ورأوا الثُّعبان كما كان من قبل ، ولم يعرفوا شيئًا عمَّا فعلته أورجاندا .

هكذا تمَّ ذلك ، وعاد هؤلاء الرِّجال إلى الجزيرة يستمتعون بألعابهم وسعادتهم الغامرة التى نعموا بها فى تلك الأفراح . وفى النِّهاية تمَّ الإعداد لجميع الأمور واستأذن الإمبراطور أماديس لأنَّه يريد العودة إلى وطنه مع زوجته لإصلاح أمر الإمبراطورية التى منَّ عليه بها بعد الله سبحانه وتعالى ، وأنْ يذهب معه السَّيد فلوريستان ، ملك سردينيا وسيسلِّم إليه فيما بعد كل إمارة كالابريا كما أمر أماديس ، وفيما يتعلَّق بالأمر الآخر فإنَّ السَّيد فلوريستان سيرحل معه كشقيق حقيقى للإمبراطور . وقد تمَّ ذلك . وعندما وصل أركيسيل هذا إمبراطور روما إلى إمبراطوريته استقبل بكلِّ الحبِّ من قبَلِ الجميع ، وكان برفقته دائمًا ذلك الفارس الشُّجاع والمقدام السَّيد فلوريستان ، ملك سردينيا وأمير كالابريا ، الذى بفضله اتسعت وامتدَّت كلُّ الإمبراطورية فضلاً عن أنَّها ازدادت شرفًا وتكريمًا كما سنسرد ذلك فيما بعد .

ودَّع هذا الإمبراطور أماديس وقد وضع شخصه وسلطانه وإمبراطوريته تحت أمره ورهن إشارته ، واصطحب معه زوجته التى كان يحبُّها حبا جما أكثر من حبِّه لنفسه ، وأيضًا ذلك الفارس النَّبيل والشُّجاع السَّيد فلوريستان الذى كان يعتبره شقيقًا له، وكذلك الحسناء الفاتنة جدا الملكة سارداميرا ، وأمر باصطحاب جثمان الإمبراطور

باتين وأيضًا رفات ذلك الفارس المقدام فلويان اللذين كانا فى دير لوبينا – بأمرٍ من الملك ليسوارتى كانا قد وُضعا هناك – وكذلك رفات الأمير سالوستانكيديو ، فى الوقت الذى قام فيه أماديس ورفاقه بإحضار أوريانا إلى الجزيرة اليابسة أمر أيضًا بأنْ يوضع فى مصلًّى يليق بمقامه ومكانته ، لكى يُدفن كما ينبغى فى وطنه ويتلقَّى التَّكريم والتَّشريف اللائقين بعظمته وكذلك جميع الرُّومان المأسورين فى الجزيرة اليابسة . أبحر هؤلاء فى الأسطول الذى كان قد تركه الإمبراطور باتين فى ميناء بينديليسورا ، حيث أمر بإحضار جميع قطع الأسطول لكى تعود إلى وطنه .

وقد استعد جميع الملوك والفرسان الآخرون للعودة إلى أوطانهم . لكن قبل رحيلهم اتفقوا على إصدار أمرٍ بشأن فرسان سانسوينيا هؤلاء وفرسان الملك أرابيجو والجزيرة العميقة دون أية معارضة لكى يقرِّروا ما يرونه مناسبًا . ثم تحدَّث أماديس مع الملك ليسوارتى قائلاً له إنَّه كان يعتقد أنَّه قضى وقتًا طويلاً خارج وطنه ، وبالتَّالى كان ينتابه بعض الكرب والغم ، وتوسَّل إليه أنْ ينعم عليه بألاَّ يستوقفه أكثر من ذلك . قال له الملك إنَّه ينبغى أنْ يستريح كما يجب قبل الرَّحيل ، لكنه استجاب لطلبه، وأن يذهب معه حتمًا هؤلاء الفرسان لمساعدته عند الرَّحيل وأنَّ القيام بذلك سيسعد الملك كثيرًا ، شكره أماديس شكرًا جزيلاً وقال له إنَّ هؤلاء الفرسان كانوا مأسورين وأنَّه لا حاجة لأناس آخرين سوى إعداد وتجهيز الفرسان الذين يرافقون والده وسيده الملك بيريون الذين ظلُّوا هناك ، وإذا اقتضت الضَّرورة ذلك واحتاج هو وكذلك الملك والده وسيده ، الذى ينبغى أنْ يكون الجميع فى خدمته، فهو جدير بذلك تمامًا ، فلن يتأخَّر فى أنْ يقرِّر ذلك . قال له الملك ليسوارتى إذا كان يرى الأمر هكذا فقد وافق فيما بعد على رحيله ، لكنَّه قبل ذلك جمع هؤلاء الرِّجال والسَّيدات فى القاعة الكبيرة لأنَّه كان يريد التَّحدُّث إليهم . عندما تجمَّع الجميع قال الملك ليسوارتى للملك ثيلادان :

– إنَّ ولاءك العظيم حيث أنقذتمونى فى المعارك الماضية من مخاطر وكروب كثيرةٍ، إنَّ ذلك الولاء يُعذِّبنى ويحزننى لأنَّنى لا أدرى كيف أجازيكم عليه ، وإذا كانت المكافأة كبيرة فإنَّ استحقاقكم العظيم لها أمرٌ أنتم جديرون به ، وسيكون من

العبث البحث عن المكافأة اللائقة لأنَّه لا يمكن إيجاد تلك المكافأة اللائقة . وإذا التزمنا بما هو فى الإمكان وفى استطاعتى، أقول لكم إنَّه لشخصكم النَّبيل وما قدمتموه لى من خدمات ، حيث تعرضتم لكثير من الإهانات ، فإنَّنى مهما قدمت لكم فلن أُقدِّر قدركم ، وبالتَّالى ستكون إرادتى على أهبة الاستعداد للوفاء دائمًا بكلِّ الأمور التى تخدم شرفكم ورفعتكم ، واعتبارًا من اليوم ألغى تبعية سلطانكم لى ولمملكتى إذا كان هذا يرضيكم - ومن الآن فصاعدًا - وإذا كانت سعادتكم بدون تلك التَّبعية ، كما يحدث بين الأشقَّاء الطَّيِّبين .

قال له الملك ثيلدادان :

- إذا كان ينبغى تقديم الشُّكر على ذلك أو لا، أترك الأمر لهؤلاء الذين كوفئوا على أمرٍ أو قضيةٍ كانوا قد خضعوا فيها لإرادة الآخرين أكثر من خضوعهم لإرادتهم الذَّاتية، حيث كان ذلك يسببُ لهم الهمَّ والغمَّ، وتستطيعون، يا سيدى ، الاعتقاد بأنَّ السُّلطان الذى كنتم تمارسونه حتى الآن ببغض وكراهية ، فمن الآن فصاعدًا سيكون بمزيدٍ من النَّاس والطَّاعة والإذعان لكم فى كلِّ ما يليق بكم ويسعدكم ، ولنترك ذلك للزَّمن كى يبرهن عليه.

رأى هؤلاء الرجال العظماء مدى عظمة وسمو فضيله الملك ليسوارتى ، وقد أثنوا على ذلك ثناءً كبيرًا ، وعلى وجه الخصوص السَّيد كوادراجانتى الذى لم يكن قد فكَّر فى هذا الأمر قط، اللَّهم إلاَّ فى تلك المأساة والخسارة الفادحة وسوء الحظ الكبير الذى ألم بتلك المملكة التى كان ينتمى إليها ، على الرَّغم من أنَّها كانت فى أزمنة أخرى تبسط سلطانها وهيمنتها على ممالك أخرى ، وذلك لأنَّ المملكة أصبحت حرَّةً من تلك العبودية الكبيرة والمهينة . سأله الملك ليسوارتى ماذا كان يريد لأنَّه قرَّر العودة إلى وطنه ، فأجابه بأنَّه يطيب له أنْ يظلَّ هناك ويصدر أمرًا كى يتولى عمه السَّيد كوادراجانتى إمارة سانسوينيا ، ولو لزم الأمر لذهب برفقته . قال له الملك لقد أصبتم وإنَّه ليسعده أنْ يتمَّ ذلك ، وإذا استدعى الأمر إرسال بعض رجاله سيرسلهم فيما بعد . شكره على ذلك شكرًا جزيلاً وقال له يكفى ما سيتم إرساله إلى هناك لأنَّ بارسينان كان أسيرًا .

رحل بذلك الملك ورفقته، وذهب معه أماديس وأوريانا وإنْ كان أماديس لم يرد ذلك، ساروا حوالى يوم ، ثم عادوا لإعطاء ذلك الأمر الذى سمعتموه حيث تمَّ الاتفاق على هذا النَّحو ؛ بما أنَّ مملكة الملك أرابيجو كانت مجاورةً لإمارة سانسوينيا ، فليذهب السَّيد كوادراجانتى والسَّيد برونيو معًا ، وفى البداية يفتتحان الإمارات المزدهرة اقتصاديًا والأقل قوةً وتحصينًا ، وأمَّا الأخرى فمن السَّهل الفوز بها والحصول عليها . قال السَّيد جالاؤر إنَّه يريد الرَّحيل وأن يذهب معه دراجونيس ابن عمه فبعد وقتٍ قصيرٍ يستطيع التدريب على الأسلحة فهو ، إلى جانب جميع رجال مملكته ، يستطيعون مساعدته لكى يغزو تلك الجزيرة العميقة ، وقال له السَّيد جالبانيس إنَّه يريد القيام بالرِّحلة نفسها ، وإنَّه سيأخذ من جزيرة مونجاثا رجالاً لتحقيق ذلك .

رحل السَّيد جالاؤر بمقتضى هذا الاتفاق مع تلك الملكة الحسناء بريولانخا زوجته ، ودراجونيس معهما والسَّيد جالبانيس وماداسيما إلى وطنهم لكى يعد العدَّة لما يلزم لذلك الطريق على وجه السُّرعة .

على الرَّغم من أنَّه تمَّ التَّوسل إلى أجراخيس لكى يبقى فى الجزيرة اليابسة مع أماديس فإنَّه لم يرد ذلك ، قال قبل ذلك إنَّه سيذهب مع السَّيد برونيو ومع أناس والده الملك ، وأنَّه لن يرحل عنه حتى يتركه فى أمان كونه ملكًا ، وهكذا فعل ذلك . أمَّا السَّيد بريان دى مونجاستى فقد ظلَّ مع السَّيد كوادراجانتى وجميع الفرسان الآخرين الذين كانوا هناك، وعلى وجه الخصوص الفارس الطَّيِّب والشُّجاع أنجريوتى دى إيستراباوس، والذى لم يستجب للأمور التى طلبها منه أماديس لكى يذهب إلى وطنه ليستريح ولم يستطع أنْ ينتزع من ذهنه فكرة الذَّهاب مع السَّيد برونيو دى بونامار .

ذهب هؤلاء جميعًا بأسلحةٍ جديدةٍ وقلوب شجاعةٍ متحمِّسة وقد اصطحبوا معهم فرسان إسبانيا واسكتلندا وأيرلندا والماركيز دى تروكى ، والد السَّيد برونيو ، وكذلك رجال جاولا ورجال ملك بوهيميا ، وقوات أخرى أتت إليهم من أماكن أخرى . أبحروا فى الأسطول العظيم ، وقد توسَّل جميعهم إلى جراساندور لكى يبقى مع أماديس ليرافقه حيث ظلَّ هناك ضدَّ رغبته فقد كان توَّاقًا لكى يشاركهم السَّير فى هذا الدَّرب ،

لكنه لم يبق هناك هراءً أو بلا جدوى ، كما لم يكن أماديس يريد البقاء أيضًا ، فقد خرجا معًا وقاما ببطولاتٍ كبيرة بالأسلحة حيث رفعوا كثيرًا من المظالم والإهانات تعرضت لها السَّيدات والوصيفات وأشخاص آخرون لم يكن بوسعهم رد الظُّلم عن أنفسهم ، لذلك طُلب من هذين الفارسين القصاص لهم كما ستحكيه لنا القصَّة فيما بعد .

بما أنَّ الملك ثيلدادن كان يحب السَّيد كوادراجانتى حبا جما فقد أصرَّ على الذَّهاب معه بإلحاحٍ شديدٍ ، لكن السَّيد كوادراجانتى لم يسمح له بأى حالٍ من الأحوال ، وقد توسَّل إليه بالذَّهاب أولاً إلى مملكته لكى يدخل السَّعادة على قلوب رعاياه ويسرِّى قليلاً عن زوجته الملكة وأهله وذويه بالأنباء الجديدة السَّعيدة التى كان يحملها لهم ، فبما أنَّه كان مسلوب الحرية نظرًا لتبعيته للملك ليسوارتى فقد أدَّى واجبه دفاعًا عن شرفه مضطرًا تنفيذًا للوعد الذى كان قد قطعه على نفسه وأقسم على الوفاء به ، وبالتَّالى استردَّ حريته .

أما جاستيليس نجل شقيق إمبراطور القسطنطينية فقد أرسل جميع رجاله مع الكونت سالودير ، وظلَّ هو هناك لكى يرى ما تسفر عنه هذه الصَّفقات لكى يحكى كل شىءٍ كاملاً إلى سيده الإمبراطور . وبما أنَّه رأى كل شىء تمَّ القيام به ، فقد تحدَّث مع أماديس وقال له إنَّه حزينٌ جدا لأنَّه ليس لديه رجالٌ لكى يساعد هؤلاء الفرسان فى تلك المعركة ، ولكن إذا وافق أماديس على ذهابه بنفسه ومع بعض الرِّجال الذين ظلوا معه فهو على أتمِّ الاستعداد لذلك . قال له أماديس :

– يا سيدى ، كفى ما فعلتم ، فبفضل عمكم وبفضلكم حقَّقت مزيداً من الشَّرف كما ترون ، وأتضرَّع إلى الله أنْ يمنَّ علىَّ بفضله ويأتى الوقت كى أخدمكما ، وارحلوا أنتم ، يا سيدى ، وقبِّلوا يدى الإمبراطور من جانبى ، وأخبروه بأنَّ كل الذى حقَّقه من انتصارات فى المعارك الماضية فاز بها عن جدارةٍ واستحقاق ، وسأكون دائمًا فى خدمته ورهن إشارته لكلِّ ما يأمر به ، وأوصيكم بتقبيل يدى الحسناء ليونورينا والملكة مينوريسا من جانبى ، وقل لهما إنَّنى سأوفى بما وعدتهما به ، وسأرسل لهما فارسًا من أسرتى النَّجيبة سيقدِّم لهما خدماتٍ جليلة .

- إنَّنى أعتقد ذلك جيداً - قال جاستيليس - فإنَّ فى أسرتكم النَّجيبة العريقة كثيراً من الفرسان الشُّجعان الذين يستطيعون أنْ يخدموا العالم بأسره بكفاءةٍ واقتدارٍ .

وبهذا ودَّع أماديس ودخل سفينة ، حيث لن يُحكى عنه شيءٌ حتى يحين الوقت لذلك .

بعد أن تمَّ الاتفاق على ما سمعتموه تحرك الأسطول العظيم من الميناء فى عرض البحر بكل هؤلاء الفرسان بتلك الشُّجاعة التى اتسمت بها قلوبهم واعتادت عليها فى جميع المآزق والصعاب والإهانات . ظلَّ أماديس فى الجزيرة اليابسة وبقى معه جراساندور كما ذُكر ، وظلَّت مع أوريانا مابيليا وميليثيا وأوليندا وجراسيندا ، وقد تضرعن إلى الله كى يساعد أزواجهنَّ . أمَّا الملك بيريون والملكة إيليسينا زوجته فقد عادا إلى جاولا ، وبالنِّسبة لإيسبلانديان وملك داثيا والغلامين الآخرين فقد ظلُّو مع أماديس فى انتظار الوقت لكى يصحبوا فرساناً ، حيث إن أورجاندا لاديسكونوثيدا ينبغى عليها أنْ تنظِّم كل شيءٍ وتُعدَّ له عدته كما وعدت بذلك وذكرته . لكن القصَّة ستترك الآن الحديث عن هؤلاء الفرسان الذين توجَّهوا لغزو تلك الإمارات فضلاً عن الأمور الأخرى لكى تقصَّ ما حدث لأماديس بعد فترة إقامته هناك .

الفصلُ السَّابع والعشرون بعد المـائة

[ظلَّ أماديس بالجزيرة اليابسة مع أوريانا التى استوقفت البطل حتى لا يذهب بحثًا عن مغامرات. وذات يومٍ، على الرَّغم من ذلك ، وصلت إلى الساحل داريوليتا وصيفةُ لوالدته الملكة إيليسينا وهى تحمل نجلها مقتولاً . لكى ينتقم أماديس ويثأر لجريمة القتل هذه ، أبحر بصحبة داريوليتا صوب LA ÍNSULA DE LA TORRE BERMEJA (جزيرة البرج الأبيض المشرب بالحمرة) ، حيث يعيش العملاق بالان الذى قتل نجل الوصيفة وأسر زوجها ونجلتها . واصل الإبحار فى طريقه . نزل أماديس فى ÍNSULA DEL INFANTE (جزيرة الأمير) حيث عرض عليه حاكمها مرافقته فى مغامرته] .

الفصلُ الثَّامنُ والعشرون بعد المـائة

[قصَّ الحاكم على أماديس أنَّ العملاق بالان هو نجل العملاق ماندانفابول ، الذى قتله فى معركة ضد الملك ثيلدادان وهو متزوِّجٌ من نجلة العملاق جاندالاك أمير بينيا دى جالتاريس ، وهو رصينٌ رزينٌ وراجح العقل . وصلا إلى جزيرة البرج الأبيض المشرب بالحمرة ، واجه أماديس العملاق فى معركةٍ طويلةٍ وعنيفةٍ ، حقَّق فيها البطلُ النَّصر فى النهاية] .

الفصلُ التَّاسعُ والعشرون بعد المائة

[بعد أنْ استردَّ العملاق وعيه عقب الهزيمة قام بإنقاذ أماديس من غضب رجاله ، الذين اعتقدوا أنَّ سيدهم قد لقى حتفه فحاولوا قتل البطل . قام العملاق فيما بعد بإطلاق سراح زوج داريوليتا ونجلتهــا التى زوَّجها بعد ذلك لنجلــه - وكان أماديس قد أخفى اسمه تمامًا - فأفصح عن هــويته . علِم جراســاندور فى الجزيرة اليــابسة - فى تلك الأثناء - برحيــل أماديس ، فأبلغ ذلك لأوريــانا ، وخرج بحثًا عن البطــل ، وبعد أن مرَّ بظروف متنوعة بالقــرب من جــزيرة البرج الأبيض المشرب بالحمــرة وجد البطل] .

الفصلُ الثّلاثون بعد المــائة

كيف أنَّ أماديس كان جالسًا فــوق صخور عند البحر
فى جزيرة البرج الأبيض المشرب بالحمـرة يتحدَّث
مع جراساندور عن أمـور زوجتــه أوريـانــا ، فرأى زورقًا قادمًا
حيث عرف منه أنباءً جديدة عن الأسطول الذى ذهب إلى سانسوينيا
LAS ÍNSOLAS DE LANDAS (جزر لانداس) .

هكذا - كما سمعتم - كان أماديس وجراساندور فى جزيرة البرج الأبيض المشرب بالحمرة فى سعادةٍ غامرةٍ ، وكان أماديس يسأل دائمًا عن زوجته أوريانا ، حيث تركَّزت فيها كلُّ رغباته واهتماماته ، وعلى الرَّغم من أنَّها كانت فى حوزته فإنَّ هذا لم ينقص حبَّه لها ، ذلك الحبُّ الجمُّ الذى كان يُكنُّه لها ، والآن أكثر من أىِّ وقت مضى كان قلبه خاضعًا لها ، وبمزيدٍ من الطَّاعة كان يُنفِّذ لها ما تريد ، وهذا يبرز مدى الحبِّ الكبير الذى جمع بينهما ، لم يكن حبا عارضًا مثل كثير من أنماط الحبِّ حيث يشعر فيها الحبيبان بالحبِّ والجاذبية بسرعةٍ هائلةٍ ثمَّ لا يلبثان أنْ يملأً بعضهما الآخر ، لكن حبَّهما (أماديس وأوريانا) كان غاليًا وفى غاية الفكر الشَّريف العفيف ، وطبقًا لوعىٍ وضميرٍ ووجدان يقظ طيِّب كان هذا الحبُّ يتزايد دائمًا ، مثل جميع الأمور التى تقوم وتستند على الفضيلة ، إنَّهما على العكس منَّا تمامًا ومما ننتهجه ، فرغباتنا تهدف إلى السُّرور والرِّضا لإراداتنا الشِّريرة وشهواتنا أكثر من انصياعنا للطيبة والعقل ، الأمر الذى ينبغى علينا الانقياد له ، والذى ينبغى أنْ نضعه فى ذاكرتنا ونصب أعيننا ، ولنضع فى اعتبارنا أنَّه لو وضعت كلُّ الأشياء اللذيذة والحلوة فى أفواهنا ففى النِّهاية

يبقى فى هذه الأفواه طعمٌ مُرٌّ ، ولن يضيع فقط الطعم الحلو اللذيذ الشهى ، بل ستكون الإرادة متغيِّرةً للغاية وفى النِّهاية ستشعر بالغضب الكبير لما حدث أولاً، لذلك نستطيع القول : فى النِّهاية ليس هناك أفضل من المجد والكمال . إذن إذا كان الأمر كذلك ، لأننا نجهل تمامًا أنَّ الأمور غير الشَّريفة - هكذا الحب وأيَّة رذيلة أخرى - تجلب فى البداية متعةً ولذةً وفى النهاية مرارًا وندامةً ، أمَّا الأمور الفاضلة وذات الضمير الطيب فهى فى البداية تحدث بفظاظة ومرارةٍ ، أمَّا فى النِّهاية فإنَّها تجلب السَّعادة والسُّرور ، ولكن فيما يتعلَّق بهذا الفارس وزوجته لا يمكننا أنْ نفصل بين ما هو خيرٌ وما هو شر ، ولا بين ما هو محزنٌ وما هو سار وسعيد لأنَّه منذ البداية كان فكرهما دائما منصبا على تحقيق الشَّرف والعفَّة وهما فى النِّهاية يستمتعان بها الآن، وإذا كان كلٌّ منهما قد عانى الأمرَّين من كثرة اهتمامه بالآخر وقلقه عليه - فلم تكن كروبهما وهمومهما قليلةً كما تسرده هذه القصَّة العظيمة - فلا تعتقدوا أنَّهم فى تلك الكروب والهموم كانا يشعران بالحزن أو بالألم ، وإنما كانا يشعران قبل ذلك بالسَّعادة والرَّاحة والارتياح ، لأنَّهما كلَّما استرجعا فى ذاكرتيهما غرامياتهما العظيمة - كانت هذه الغراميات كثيرةً جدا وسببا فى أنْ يضع كل منهما الآخر نصب عينيه - كانا يشعران وكأنَّ شيئًا لم يحدث ، مما كان يمنحهما صبرًا وسلوانًا لأحزانهما السَّعيدة التى لم ترد بأيَّة وسيلة كانت أنْ تبعد عنهما تلك الذكرى الرَّائعة .

لكن لنترك الحديث عن هذا الحب الوفى ، لأنَّ الحديث عنه لا نهاية له ، فقد مرَّت أزمنةٌ طويلةٌ وستمر أزمنةٌ عديدةٌ حتى تُرى حالاتٌ مماثلةٌ من هذا الحب الوفى ، كما لن يستطيع الشَّخص مهما كانت ذاكرته وقدرته على الكتابة أنْ يوفيه حقَّه .

هكذا تحدث إذنْ أماديس مع جراساندور عن تلك الأمور التى كانت تسعده كثيرًا . وبينما كانا يجلسان فوق صخورٍ عاليةٍ بالقرب من البحر حدث أنْ رأيا زورقًا صغيرًا قادمًا إلى ذلك الميناء مباشرةً ، ولم يريدا الرَّحيل عن هناك حتى يعرفا أوَّلاً من القادم فيه . وصل الزورق إلى الميناء فأرسلا أحد حاملى أسلحة جراساندور لكى يرى من

هؤلاء النَّاس القادمين فيه والذين بدأوا في النُّزول منه ، فذهب حامَل الدُّروع فيما بعد ليستطلع الأمر ، وعندما عاد قال :

- سيدى ، لقد جاء هناك كبير خدم ماداسيما زوجة السَّيد جالبانيس ، والذى سيذهب إلى جزيرة مونجاثا .

- إذنْ من أين أتى ؟ - قال أماديس

- يا سيدى - قال حامل الأسلحة - يقول إنَّه جاء من المكان الذى يوجد به السَّيد جالبانيس والسَّيد جالاؤر ، ولم أعرف منه شيئًا أكثر من ذلك .

عندما سمع أماديس ذلك نزل هو وجراساندور من فوق الصُّخور وذهبا إلى الميناء حيث كان الزَّورق موجودًا ، وعندما وصلا عرف أماديس كبير الخدم الذى كان يُدْعى نوفولون ، وقال له :

- يا صديقى نوفولون ، كم أنا سعيدٌ لرؤياكم لأنَّكم ستخبروننى بأنباء عن شقيقى السَّيد جالاؤر وعن السَّيد جالبانيس ، لأنَّهما بعد أنْ رحلا عن الجزيرة اليابسة لم أعرف عنهما شيئًا قط .

عندما رآه رئيس الخدم وعرف أنَّه أماديس تعجَّب كثيرًا لوجوده فى ذلك المكان ، فقد كان يعرف جيدًا أنَّ هذه الجزيرة كانت للعملاق بالان ، أكبر عدو لدودٍ لأماديس لأنَّه هو الذى قتل والده ، ثم خرج رئيس الخدم إلى الشَّاطئ وجثا على ركبتيه أمامه لكى يقبِّل يديه ، لكن أماديس عانقه ورفض إعطاءه يديه . قال كبير الخدم :

- يا سيدى ، ما هى تلك المغامرة التى أتت بكم إلى هذه البلاد البعيدة جدا عن المكان الذى تركناكم فيه ؟

قال له أماديس :

- يا صديقى الطَّيِّبُ ، لقد أتى بى الله لأمرٍ ستعرفونه فيما بعد ، لكن أخبرنى بكلِّ شيءٍ رأيتموه عن شقيقى وعن السَّيد جالبانيس ودراجونيس .

- سيدى - قال نوفولون - سبحان الله ، سأقص عليكم أنَّهم بخيرٍ وعلى ما يرام فضلاً عن أمورٍ ستسعدكم . أنتم تعرفون أنَّ السَّيد جالاؤر ودراجونيس رحلا عن سوبراديسا مع كثيرٍ من النَّاس المدرَّبين المحنَّكين ، أمَّا السَّيد جالبانيس سيدى ، فقد انضم إليهم مع كل ما استطاع جمعه من رجال فى جزيرة مونجاثا ، والتقوا على صخرةٍ فى أعالى البحار كانوا قد اتفقوا على اللقاء عندها ، تُسمَّى LA PENA DONCELLA DE LA ENCANTADORA (صخرة الوصيفة السَّاحرة) لا أدرى هل سمعتم عنها .

- قال له أماديس :

- بحق إيمانكم بالله ، يا رئيس الخدم ، إذا كنتم تعرفون أموراً عن تلك الصخرة أرجو أنْ تخبرونى بها لأنَّ السَّيد جابارتى ديل بال تيمروسو كان قد قال لى إنَّه عندما كان مريضًا وهو قادم عبر البحر مر بالقرب من تلك الصَّخرة التى تتحدَّثون عنها ، وقد منعه مرضه من الصُّعود فوقها ليرى أموراً كثيرةً تحدثُ فيها ، وقال له الذين رأوها إنَّه كانت هناك مغامرة من بين أخريات حيث لقى الفرسان الذين أقدموا على اجتيازها حتفهم قبل الانتهاء منها .

قال له رئيس الخدم :

- إنَّ كل ما استطعت أنْ أدركه من ذلك كلَّه ، والذى ظلَّ عالقًا فى ذاكرة الرِّجال سأذكره لكم بكلِّ سرور . اعلموا أنَّ تلك الصَّخرة سُمِّيت بهذا الاسم لأنَّه فى الزَّمن الماضى كانت هناك فتاةٌ تسكن فى تلك الصَّخرة وأصبحت سيدةً لها . بذلت جهداً شاقا لكى تتعلَّم فنون السِّحر واستحضار الأرواح ، وقد تعلَّمتها لدرجة أنَّها كانت تفعل كل شىءٍ وفقًا لإرادتها وهواها ، وخلال الوقت الذى عاشته هناك شيَّدت مسكنها الذى كان أجمل مسكنٍ لم يرَ مثيلاً له قط ، وحدث أنْ كانت هناك زوارق كثيرة حول تلك الصَّخرة من التى تمرُّ بالبحر قادمة من أيرلندا والنرويج وسوبراديسا فى طريقها إلى سوبراديسا وجزر لانداس والجزيرة العميقة، ولم يكن بوسع هذه الزوارق الرَّحيل عن هناك بأيَّة وسيلةٍ مهما كانت إذا لم تسمح الوصيفة بذلك بفكِّ أعمال السِّحر التى كانت

تحتجزهم بها ، وكانت تأخذ من الزَّوارق ما يحظى بإعجابها ، وإذا كان بالزَّوارق فرسانٌ كانت تحتجزهم طوال الوقت الذى تريده ، وكانت تحضُّهم على الاقتتال فيما بينهم حتى يقهروا أو يلقوا مصرعهم ، ولم يكن بوسع هؤلاء الفرسان إلا أن يرضخوا لأوامرها ، وكانت الوصيفة السَّاحرة تتلذَّذ وتستمتع بذلك كثيراً . وكانت تقوم بأعمال أخرى سيطول سردها . ولكن بما أنه أكيد جدا أنَّ الذين يَخْدعون يُخدعون ويُقهرون فى الدُّنيا وفى الآخرة ، حيث يقعون فى الشِّراك نفسها التى نصبوها للآخرين ، فبعد فترة ما كانت هذه الوصيفة تقضى أيَّامها فى سعادةٍ بالغةٍ وثراءٍ فاحشٍ واعتقدت أنَّها بمعرفتها العظيمة تستطيع التَّوغل فى أسرار الله العليا، لكن هذا لا يحدث إلا بإرادة الله ومشيئته، لقد خدعت من جانب منْ لا يعرف ذلك ، وقد حدث هذا لأنَّه كان أحد الفرسان الذين أحضرتهم من جزيرة كريت ، وكان رجلاً جميلا ومتمرِّساً فى مهارات الأسلحةً، وكان فى الثَّامنة والعشرين من العمر وقد أُعجبت الوصيفة بهذا الفارس ، وأحبَّته حبا جما لدرجة أنَّه كان يخرجها عن وعيها ، بالشَّكل الذى لم يشفع لها عملها ولا مقاومتها الكبيرة من الإذعان له ، فقد خضعت إراداتها الضَّعيفة والمقهورة لهذا الرَّجل حتى أصبح سيداً ومهيمناً على كلِّ ذلك ، وحتى الآن لم تكن لدية ملكية أكثر من شخصه ، لقد قضى معها وقتًا سعيداً لاهتمامه فى المقام الأوَّل بالنَّفع العظيم الذى سيعود عليه أكثر من أكتراثه بجمالها، الذى كانت تتمتَّع بقدرٍ بسيط منه . هكذا عندما كانت تلك الفتاة تعيش حياتها مع صديقها ذلك الفارس ، الذى فكَّر فى كونه فى مكان مثل هذا المكان الغريب النَّائى ، وأنَّه لم يستفد كثيرًا من ذلك ففكَّر فيما سيفعل من أجل الخروج إذا أمكن من هذا السِّجن ، وفكَّر فى أنَّ الكلمات المعسولة والوجه الودود ، فضلاً عن الأعمال اللطيفة المحبَّبة إلى النَّفس التى تمسُّ شغاف القلب فى العلاقات الغرامية حتى ولو كانت مصطنعة ومتكلِّفةً ، فإنَّها كفيلة بأنْ تصيب بالاضطراب أىَّ شخص عاشق ولهان وتفقده صوابه ، فبدأ يظهر لها أكثر من أىِّ وقت مضى أنَّه خاضعٌ لها وشغوفٌ متيَّمٌ بحبِّها سواء على الملأ أو سرا ، وكان يؤكد لها أنَّ هذا لم يحدث نتيجة قوة أعمال سحرها ،

بل لأنَّ إرادته ورغبته هى التى دفعته لكى يتيَّم بحبِّها . أصرَّ على ذلك كثيراً لدرجة أنَّها اعتقدت أنَّها تستحوذ عليه تمامًا ، وبالحكم على قلبه الخاضع الخنوع وبما أنَّها كانت تحبُّه حبا جما دون خداعٍ كما كان يفعل هو أطلقت سراحه لكى يفعل بنفسه ما يشاء ، وعندما رأى نفسه حرا طليقًا أراد أكثر من ذى قبل التخلُّص من تلك الحياة ، وذات يومٍ كان يتحدَّث مع الفتاة وهما يشاهدان البحر ، كما فى مرَّات أُخر ، كان يعانقها ويظهر لها مزيداً من الحبِّ حتى سقط معها من أعلى الصَّخرة فتمزَّقت الفتاة إربًا . فأخذ الفارس كلَّ ما استطاع حمله من الكنوز والأمتعة وأخذ معه أيضًا كل سكان الجزيرة من الرِّجال والنِّساء وذهب إلى جزيرة كريت ، لكنه ترك هناك فى غرفه بالقصر الكبير الذى كانت تعيش فيه الفتاة كنزاً عظيما ، طبقا لما يقولون ، لم يستطع أخذه معه ولا أىُّ شخص آخر حتى اليوم لأنَّه كان مسحوراً . وقد تجرَّأ البعض فى وقت البرد القارس ، عندما تحتبس الثَّعابين فى بياتها الشَّتوى ، على الصعود إلى الصَّخرة ، ويقولون إنَّهم وصلوا إلى باب تلك الغرفة ، لكنَّهم لم يستطيعوا الدُّخول وهناك حروفٌ مكتوبةٌ فى أحد الأبواب حمراء كلون الدَّم، وفى الآخر حروفٌ تشير إلى الفارس الذى ينبغى أنْ يدخل إلى هناك ويفوز بذلك الكنز عندما يخرج سيفًا غرس فى الأبواب حتى مقبضه ، وبعد ذلك ستفتح الأبواب . هذا يا سيدى الذى أعرفه عما سألتمونى عنه .

منذ أنْ سمع ذلك أماديس ظلَّ يفكِّر قليلاً كيف يستطيع الذَّهاب إليه وينهى ذلك الذى لقى بسببه الكثيرون مصرعهم ، وصمت ولم يقل شيئًا عن ذلك ، لكنَّه سأل عن شقيقيه وأصدقائه ، فقال له نوفولون :

- سيدى ، تجمَّعت قطع الأسطول هناك ، أسفل تلك الصَّخرة التى سمعتم عنها ، وتوجَّهت فى طريقها إلى LA ISLA PROFUNDA (الجزيرة العميقة) ، لكن وصولها لم يكن سرا فقد اكتشف أمرها من جانب بعض الذين كانوا يبحرون ، وهاجت الجزيرة وماجت لمصرع نجل عم الملك ، وبمجرَّد أنْ وصلنا إلى الميناء جاء إلى هناك جميع النَّاس ، فخضنا معهم معركةً كبيرةً ، هم فى اليابس ونحن فى السُّفن ، لكن فى النِّهاية قفز السَّيد جالاؤر ودراجونيس والسَّيد

جالبانيس على الأرض رغم أنف الأعداء ، وألحقوا بهم خسائر كبيرة بمساعدة كثيرٍ من رجالنا الذين ساعدوهم ، وأبعدوا الأعداء عن الشَّاطئ فاستطاع رجالنا الخروج من السُّفن ، وبعد ذلك قام الجميع فى الوقت نفسه بالهجوم على الأعداء بقوةٍ فلم يستطيعوا الصُّمود فى وجهنا فولوا هاربين ، لكن البطولات التى قام بها السَّيد جالاؤر لم يستطع أىُّ رجل كائنًا من كان أنْ يسردها ، فهناك استطاع أنْ يستردَّ كل ما فقده أثناء مرضه، وكان من بين الذين قتلهم ذلك القائد نجل عم الملك مما جعل كلَّ رجاله يتوجَّهون إلينا على الفور فى المدينة المحاصرة حيث حاصرناهم من كلِّ جانب ، لكن بما أنَّهم جميعًا كانوا رجالاً قليلى الحظِّ ولا حيلة لهم فى القتال ولم يكن لهم قائدٌ فقد لقى فرسانهم مصرعهم مع ملكهم وأسر كثيرٌ منهم فى إنقاذهم لمدينة لوبينا ، وآخرون رأوا أنَّنا قد استولينا على الأراضى فما كان أمامهم بدٌّ من أنْ يغيِّروا فكرتهم ، فتركنا لهم ممتلكاتهم فاطمأنوا إلى ذلك وهدأ بالهم واستسلموا وخضعوا . وهكذا تمَّ ذلك ، ولم يمض سوى ثمانية أيَّام وكنا قد استولينا على الجزيرة بأسرها ، وتمَّ تنصيب دراجونيس ملكًا عليها ، وبما أنَّ سيدى السَّيد جالبانيس والسَّيد جالاؤر أصيبا ، وإن كانت إصاباتهما طفيفة ، فقد اتفقا على إرسالى إلى سيدتى ماداسيما وإلى الملكة بريولانخا لكى أخبرهما بالأنباء الجديدة . وأنا يا سيدى ، جئت إلى هنا لكى أرى ماداسيما ، عمة سيدتى التى تُحبُّها حبا جما وتكنُّ لها تقديرًا كبيرًا لأنَّها سيدةٌ نبيلةٌ جدا وذات قلبٍ طيبٍ عظيمٍ ولا يمكن أنْ تجدوا لها مثيلاً فى هذا المكان .

سُرَّ أماديس من الأنباء الجديدة وشكرا الله كثيرًا على النَّصر الذى منحه ومنَّ به على شقيقه وعلى هؤلاء الفرسان الذين كان يحبُّهم حبا جما ، وسأله عما إذا كانوا يعرفون شيئًا عمَّا فعله السَّيد كوادراجانتى والسَّيد برونيو دى بونامار والفرسان الذين ذهبوا معهما .

- سيدى - قال نوفولون - بعد أنْ استولينا على الجزيرة وجدنا بها بعض الأشخاص الذين نجوا، لم يكونوا على علمٍ بمجيئنا، وقالوا إنَّهم قبل أنْ يرحلوا عن هناك وقعت معركةٌ كبيرةٌ بين نجل شقيق الملك أرابيجو وأهالى المدينة

والجزيرة ، وفى النِّهاية هُزم أهالى الجزر وأثخنوا بالجراح وما عدا ذلك لم يعرفوا أىَّ شىءٍ .

بهذه الأنباء الجديدة صعد الجميع إلى القلعة فى سعادةٍ غامرةٍ ، وتحدَّث أماديس مع بالان العملاق الذى لم يكن قد نهض من فراشه بعد ، وقال له إنَّه من الأنسب له أنْ يرحل عن هناك وتوسَّل إليه أنْ يردَّ لداريوليتا وزوجها كلَّ ما سلبوه منهما والزَّورق الذى جاءا فيه إلى هناك ، لأنهما سيذهبان إلى الجزيرة اليابسة ، ومن السَّعادة أيضا أنْ يرسل معهما نجلهما برابور وزوجته لكى تراهم أوريانا وليكون مع غلمان آخرين الذين كانوا هناك حتى يحين الوقت ليصبحوا فرسانًا ، وإنَّه سيرسل به معزَّزًا مكرَّمًا كما يليق برجلٍ رفيع المقام والمكانة السَّامية . قال العملاق :

- سيدى أماديس ، هكذا رغم أنَّ إرادتى حتى الآن كانت تكمن فى رغبتى أنْ ألحق بكم كلَّ مكروه فى استطاعتى ، فإننى الآن ، على العكس من تلك الفكرة تمامًا ، إنَّنى أُحبُّك حبا خالصًا ، ويشرِّفنى أنْ أكون صديقك ، وذلك الذى تأمرنى به سينفَّذ فيما بعد . وأنا عندما أنهض من فراشى وأكون فى وضع يسمح لى بالعمل ، أودُّ الذهاب لرؤية منزلكم وتلك الجزيرة وأن أكون فى صحبتك وكلَّ الذى يحلو لك .

قال له أماديس :

- سيتم الاستجابة لما تقوله ، وصدِّق أنَّك ستجدنى شقيقًا لشجاعتك وقدرك وبسبب أصلك وقرابتك من جاندلاك ، الذى نعتبره أنا وأشقائى بمثابة والدنا . واسمح لنا لأنَّنا نريد الرَّحيل غداً ، ولا تنس ما وعدتنى به .

لكن أودُّ أنْ تعرفوا أنَّ بالان هذا لم يسلك ذلك الطريق كما كان ينوى ، فعندما علم بأنَّ السَّيد كوادراجانتى والسَّيد برونيو كانا يحاصران مدينة أرابيا وكانا يحتاجان إلى رجالٍ ، أخذ ما استطاع من الرِّجال من الجزيرة والجزر الأخرى لأصدقائه ، وذهب لكى يساعدهما بمثل تلك العُدَّة ، لدرجة أنَّ الذى بدأ بهذا الشَّرف العظيم انتهى بمزيد من الشرف والمجد والرِّفعة ، ولم يرحل عنهما حتى خضعت لهم مملكة سانسوينيا ومملكة الملك أرابيجو ، كما ستسرد القصَّة فيما بعد .

تحكى القصَّة الآن أنَّ أماديس وجراساندور رحلا يوم الاثنين فى الصَّباح عن الجزيرة المسمَّاة LA ÍNSULA DE LA TORRE BERMEJO (جزيرة البرج الأبيض المشرب بالحمرة) حيث كان ذلك العملاق القوى المدعو بالان سيداً لها ، وتوسَّل أماديس إلى نوفولون ، رئيس خدم ماداسيما ، بأنْ يعطيه أحد رجاله كى يرشده إلى صخرة الفتاة السَّاحرة . قال له نوفولون إنَّ هذا يسعده جدا ، وإذا كان يريد الصُّعود إلى الصَّخرة فالطَّقس هائلٌ على الرَّغم من كوننا فى فصل الشِّتاء وفى أبرد أيَّامه ، وإذا أمره بأنْ يذهب معه شخصيا سيُلبِّى ذلك عن طيب خاطرٍ . شكره أماديس على ذلك وقال له إنَّه لا ينبغى أنْ يترك ما أُمر به ، وإنَّه يكفى له أنْ يكون معه مرشدٌ أو دليلٌ .

– باسم الله قال رئيس الخدم ، فالله يرشدكم ويوجِّهكم فى ذلك وفى كلِّ شىءٍ آخر تبدأونه فى سبيل الله كما فعلتم حتى الآن .

– حينئذ ودَّع كلٌّ منهما الآخر، وواصل رئيس الخدم طريق أنتينا ، وتوجَّه أماديس وجراساندور عبر البحر مع المرشد الذى اصطحباه معهما ، فظلُّوا يبحرون خمسة أيَّام ولم يستطيعوا مجرَّد رؤية الصَّخرة على الرَّغم من جودة الطقس . وفى اليوم السَّادس فى الصَّباح رأوها شاهقة الارتفاع وكانت تبدو وكأنها تعانق السَّحاب. هكذا ظلُّوا يبحرون حتى وصلوا إلى أسفلها ووجدوا هناك سفينةً عند الشَّاطئ، بلا أحدٍ يحرسها ، مما أصابهم بالدَّهشة ، لكنهم اعتقدوا أنَّ شخصًا قد صعد إلى الصَّخرة وتركها هناك . قال أماديس لجراساندور :

– يا سيدى الطيب ، إنَّنى أريد الصُّعود إلى هذه الصَّخرة وأرى ما إذا كان ما حكاه لنا رئيس الخدم حقيقةً ، وأتوسَّل إليكم كثيرًا ، فعلى الرَّغم من أنَّكم ستشعرون بالحزن فى أنْ تنتظرونى هنا إلى ليلة الغد ، فقد أستطيع العودة أو أشير لكم من فوقها. وإذا لم أعد فى تلك الفترة أو فى اليوم الثَّالث، تستطيعون الاعتقاد جيداً بأنَّ مهمتى ليست على ما يرام ، وبالتَّالى بوسعكم اتخاذ القرار الذى يروق لكم .

قال له جراساندور :

- إن ذلك سيحزننى كثيرًا يا سيدى ، لأنكم لم تأخذونى معكم فإنَّ قوتى وشجاعتى تسمح لى بأنْ أتحمل أية مشقة مهما كانت ، إلى أنْ ألقى حتفى وأنا برفقتكم ، فإنَّ فيض شجاعتكم يعوض افتقارى إليها، والخير أو الشَّر الذى سنحصده من الصُّعود إلى الصخرة أريد أن أنال نصيبى منه . عانقه أماديس ضاحكا ، وقال :

- سيدى ، لا تأخذوا الكلام على هذا المحمل فيما قلته لكم ، فأنتم تعرفون جيداً وأنا شاهدٌ على أنَّ شجاعتكم يمكن أنْ تكفى ، وإذا كان الأمر هكذا يسعدكم فسيتم الاستجابة لما تقولون .

حينئذ أمروا بأنْ يقدموا إليهما شيئًا من الطَّعام ، وهكذا تمَّ تلبية ذلك ، وبعد أن تناولا من طعامهما ما كان يكفيهما لذلك الصُّعود على أقدامهما، لأنَّ الصعود بالجواد كان مستحيلاً ، أخذا كلَّ أسلحتهما باستثناء رماحهما وسلكا طريقهما ، الذى كان محدَّدا حتى قمة الصَّخرة ، لكن كان صعبًا شاقا فى الصُّعود ، هكذا سارا معظم اليوم ، أحيانا يسيران وأحيانا أخرى يستريحان ، لأنَّ ثقل الأسلحة كان يكلفهما مشقَّةً كبيرةً . وفى منتصف الصَّخرة وجدا منزلاً أشبه بالصَّومعة ، شُيد من الأحجار وبداخله تمثالٌ لصنمٍ من المعدن وعلى رأسه تاجٌ كبيرٌ من المعدن نفسه ، وكان قريبًا من صدره لوح مربَّع ذهبى من ذلك المعدن يمسكه التمثال بكلتا يديه كأنه يعانقه، وقد كتب عليه حروفُ كبيرةٌ أُعدَّت بإتقان باللغة الإغريقية ، وكان يمكن قراءتها جيداً ، على الرَّغم من أنَّها كُتبت منذ أنْ كانت الفتاة السَّاحرة تعيش هناك، حيث مرَّ على ذلك أكثر من مائتى عام، وكانت هذه الفتاة ابنة عالم كبير ضليعٍ فى كلِّ الفنون من أهالى مدينة أرجوس ، فى اليونان ، وخاصة فى علوم السِّحر واستحضار الأرواح ، وكان يُسمَّى فينيكتور ، وكانت الفتاة تتَّسم بعبقريةٍ هائلةٍ لذلك عكفت على تعلم تلك الفنون ، وبرعت فيها لدرجة أنَّها تفوَّقت على والدها وعلى أى رجل آخر كان على دراية بها فى ذلك الوقت ، وجاءت لتعيش فى تلك الصَّخرة ، كما ذكر، والطَّريقة التى فعلت بها ذلك ، مسهبةٌ مستفيضة ، ومن الملائم ألاَّ نخرج عن صلب القصَّة ، فإنَّها ستكف عن سرده .

عندما دخل أماديس وجراساندور الصَّومعة جلسا على مصطبةٍ من الأحجار وجداها بداخلها لكى يستريحا ، وبعد فترةٍ وجيزةٍ نهضا وتوجَّها لكى يريا التِّمثال الذى

بدا لهما جميلاً جدا، ونظرا إليه لمدة طويلة ورأيا الحروف ، وبدأ أماديس فى قراءتها ، حيث إنه فى الوقت الذى كان يتجوَّل فيه فى اليونان تعلَّم الكثير من اللغة والأدب الإغريقى، وقد علَّمه الكثير من ذلك الأستاذ الطَّبيب إيليبساباد عندما كان يبحر . كما علَّمه لغة ألمانيا ، ولغات بلدان أخرى ، كان يعرفها جيداً بما أنَّ ذلك كان عالما فى جميع الفنون وقد تجوَّل فى كثيرٍ من المحافظات والمقاطعات ، وكانت الحروف تقول ما يلى :

فى الوقت الذى كانت الجزيرة الكبيرة ستزدهر وسيحكمها الملك ذو القوة والسُّلطان ، وكانت الجزيرة ذات نفوذٍ على ممالك أخرى كثيرة وكذلك لفرسانٍ كانوا مشهورين فى العالم ، وستكون هذه الممالك مجتمعة فى مملكةٍ واحدةٍ ذات براعةٍ فى فنون استخدام الأسلحة وكذلك فى ريعان الجمال ، لم يكن فى زمنها مثيلٌ لها ، ومن هذه الممالك سيخرج ذلك الفارس الذى سيخرج عندما يتم تدريبه وتعليمه الفروسية ، وستفتح الأبواب الحجرية القوية ، التى بداخلها الكنز العظيم .

عندما قرأ أماديس الحروف قال لجراساندور :

- يا سيدى ، هل قرأتم هذه الحروف ؟

- لا - قال جراساندور - لأنَّنى لا أفهم بأىِّ لغةٍ كُتبت .

أخبره أماديس بكلِّ ما تقوله هذه الحروف ، وكانت تشبه نبوءةً قديمةً وكان يعتقد أنَّه لن يستطيع أىٌّ منهما إنهاء تلك المغامرة ، كما فكَّر فى أنَّه وأوريانا زوجته من الممكن أن يكونا هما اللذان سينجبان ذلك الفارس الذى سينهيها ، لكنَّه لم يذكر شيئًا عن ذلك ، وقال جراساندور :

- إذا لم تنته من جانبكم فستمر عصورٌ طويلةٌ قبل أنْ يكون لتلك المغامرة نهايةٌ ، فأنتم نجل أفضل فارسٍ فى العالم، ذلك الذى فى زمنه كان يتمتَّع بمزيد من المجد والسُّمو فى استخدام الأسلحة ، ونجل الملكة التى كما علمت كانت إحدى هؤلاء الحسناوات اللائى وجدن فى زمنها ، ولذلك سنتوجَّه إلى الصَّخرة ولم يبق لنا أىُّ شىءٍ لنراه ونختبره، وهكذا مثل آخرين سيكون أمرًا غريبًا أنْ ينهيا مغامرةً كبيرةً ، بل أكثر من ذلك بكثير، وبالنِّسبة لكم توقَّفوا عن إكمالها ، وإذا حدث ذلك سأرى أنا ما لم يستطع أحدٌ أن يراه حتى اليوم فى عصركم .

ضحك أماديس كثيراً ولم يرد عليه بأىّ شىءٍ ، لكنه رأى جيداً أنَّ ما قاله لا وزن له ، لأنَّ براعة والده فى فنون القتال وجمال والدته لا يساويان قدراً مما يتمتَّع به وأوريانا ، وقال له :

– فلنصعد الآن ، وإذا أمكن الوصول قبل أنْ يحل الليل .

حينئذٍ خرجا من الصَّومعة وبدآ يصعدان بحماس شديدٍ ، كانت الصَّخرة شاهقة الارتفاع ووعرة جدا ، وقد تأخَّرا كثيراً قبل أنْ يصلا إلى قمتها وقد جنَّ الليل عليهما ، وهكذا بدا لهما من الملائم أنْ يظلاَّ تحت صخرةٍ ، حيث قضيا عندها معظم الليل يتحدَّثان عن أمور الماضى ، وعلى وجه الخصوص عن صديقاتهما ونساءٍ أخريات حيث كانا قد تركا قلبيهما هناك ، ولدى سيدات أخريات كنَّ معهنَّ . وقال أماديس لجراساندور إذا كان لا يخشى غضب وحنق زوجته ، فبمجرَّد النُّزول من فوق الصَّخرة سيتوجَّهان إلى حيث يوجد السَّيد كوادراجانتى والسَّيد برونيو وأجراخيس وأصدقاؤه الآخرون لكى يساعدوهم . قال جراساندور :

– هكذا كنتُ أريد ذلك ، لكن ليس من الملائم أنْ يتمَّ ذلك فى مثل تلك اللحظة لأنَّه طبقًا لرحيلكم عن الجزيرة اليابسة على جناح السُّرعة وأنا جئت كذلك لكى تأمرونى بما تريدون ، فإننا قد خلَّفنا هناك حزنًا وألمًا كبيرين لصديقتكم ، وخاصة أنَّها لا تعرف كيف وجدتكم ، لذلك فمن الأفضل أنْ نذهب لكى نراهما أولاً قبل الذَّهاب إلى أى مكانٍ آخر للقيام بمهمةٍ ، وبالتَّالى سنعرف مزيداً من الأشياء عن هؤلاء الفرسان الذين تتحدثون عنهم ، وسنتخذ أفضل قرارٍ ، وإذا كانت مساعدتنا ضروريةً سنقوم بها بمزيدٍ من الرجال معنا .

– هكذا سيتم ذلك – قال أماديس – وليكن طريقنا عبر LA ÍNSOLA DEL INFANTE (جزيرة الأمير) ، وهناك سنأخذ سفينةً لأحد حاملى أسلحتنا ، وليحمل رسالتى إلى بالان العملاق ، التى سأتوسَّل إليه فيها بأنْ يبعث هذه إلى حيث يوجدون لكى يتم إخبارنا على وجه السُّرعة بما يفعلونه فى الجزيرة اليابسة حيث سنساعدهم .

- سيكون ذلك من الأفضل - قال جراساندور

هكذا ظلاَّ عند الصَّخرة أحيانا يتكلَّمان ، ويناماَن أحيانا أخرى ، حتى طلع النَّهار فبدأ يصعدان القليل الذى بقى لهما ، وعندما وصلا إلى القمة نظرا إلى جميع الجهات ورأيا سهلاً شاسعًا مترامى الأطراف وكثيراً من المنازل المنهارة ، وفى وسط السَّهل كانت هناك بعض القصور الكبيرة جدا ومعظمها منهارٌ ، وبعد ذلك ذهبا لرؤيتها ودخلا أسفل قوسٍ حجرى جميل للغاية، وكان فوقه تمثالٌ من الحجر لفتاةٍ ، أُعِدَّ بإتقانٍ بارع ، وكان فى يده اليمنى قلمٌ من الحجــر نفســه ، أمسكت به اليد كـأنها تريد الكتابة ، وفى اليد اليسرى لافتةٌ كُتبت عليها باللغة الإغريقية عبارةٌ على النحو التَّالى : " إنَّ المعرفة الحقَّة هى تلك التى يستفاد منها أمام الآلهة أكثر من أمام البشر ، أمَّا الأخرى فهى زهوٌ وغرورٌ " . قرأ أماديس العبارة وذكر لجراساندور ما تقوله . وقال له أيضًا :

- إذا كان الرِّجال الحكماء لديهم علمٌ بالفضل الذى ينعم الله به عليهم ، وبالتَّالى يكون فى ذلك هدايتهم ورشدهم ونصحهم ، فإنَّ كثيرين آخرين يريدون التَّمتع بعلمهم وحكمتهم لأنهم كانوا حذرين فى أنْ يبعدوا عن روحهم تلك الأمور ، وبالابتعاد عنها يمكنهم أنْ يسيروا فى هذا العالم بذلك الوضوح والجلاء والنَّقاء كما خلقهم الله العلى القدير فى هذا العالم . طوبى لهؤلاء ، والثمرة وفائدة علمهم النَّافع ! ولكن إذا كان الأمر عكس ذلك كما هو المألوف لدينا عادة فى الميل إلى الشَّرِّ ، وفيما يحدث لنا ، فإنَّنا نستخدم هذا العلم لإنقاذ وخلاص أنفسنا ولهذا فقد منَّ الله به علينا فى كلِّ الأمور الشَّريفة ، لكننا نستخدمه فى الملذَّات الدُّنيوية الفانية فى هذا العالم ، مما يجعلنا نخسرُ عالم الآخرة الخالد السَّرمدى . هكذا كما فعلت تلك الفتاة التَّعيسة ، ففى تلك الكلمات القليلة الموجزة حكمٌ وعبرٌ جليةٌ واضحةٌ ، وكان عقلها يتمتَّع بكلِّ الأفكار والفنون الذَّكية لكنها لم تدر إلا القليل عن علمها ولم تستطع الاستفادة منه . لكن لندع الحديث عن هذا الآن ، حيث إنَّنا إذا أخطأنا كالأسلاف ينبغى علينا أنْ ننتهج ما ساروا على دربه وسنرى فيما بعد ما سيقدِّم لنا . هكذا مراً من ذلك القوس ودخلا فناءً كبيراً كان به بعض نوافير المياه ، وبالقرب منها كان يبدو أنَّه كانت

هناك مبان كبيرة ، والآن قد تهدَّمت . وكانت الأشياء المحيطة بها تبدو أنها لا تنتمى لعصرها ، اللهم إلاَّ الجدران الحجرية التى لا تزال موجودةً ، فلم يكن بوسع المياه الإضرار بها ، وهكذا وجدا من بين تلك الأطلال كهوفًا للثَّعابين التى كانت تسكنها ، وقد احتاطا جيدًا ألا يكشفا عمًّا يبحثان عنه وإلا سيكون مشكلةً عويصةً ، لكن لم يكن الأمر هكذا ، فلم يعوقهما ثعبانٌ واحدٌ منها . هكذا توغَّلا فى المنازل إلى الأمام ، وقد تسلَّحوا بدروعهما ، وكانت خوذتاهما على رأسيهما وسيفاهما فى أيديهما خارج غمديهما ، وبعد أنْ تجاوزا ذلك الفناء دخلا قاعةً كبيرةً كانت على شكل قبوٍ ، استطاع القار والأحجار أنْ يحفظاها من الاندثار والانهيار على مر الزَّمن ويمكن مشاهدة روعة تصميمها وتشييدها المتْقن ، ورأيا فى نهاية تلك الصَّالة بعض الأبواب الحجرية المغلقة متجاورة حتى لم يبد أنَّ شيئا بداخلها، وعند التقائها كان هناك سيف قد غرِس حتى مقبضه، ورأيا بعد ذلك أنَّ تلك هى الغرفة المسحورة حيث كان يوجد الكنز. تأمَّلا كثيرًا حصنها وصلابتها ، لكنَّهما لم يستطيعا معرفة المادة التى صنع منها السيف ، لقد كان صنعه غريبًا جدا ، وخاصةً الصَّليب الذى كان فى نهاية المقبض ورُمَّانة السَّيف ، وكان مقبض السَّيف يبدو لهما كأنَّه صُنع من العظم الشَّفاف مثل الزُّجاج وكان أحمر جدا وبرَّاقًا مثل ياقوتٍ أحمر رقيقٍ ، كما رأيا فى الجانب الأيمن للباب سبعة حروفٍ نُقِشَت ببراعةٍ فائقةٍ ، كانت أخرى ناصعة البياض جدا أكثر من الحجر كُتبت باللغة اللاتينية ، كانت تقول :

"سيبذل الفارس جهدًا بلا جدوى كى يحاول إخراج السَّيف ، فلا الشَّجاعة ولا القوة مهما كانتا متوفرتين لديه سيمكِّنانه من ذلك ، اللهم إلاَّ إذا كان ذلك الذى تشير إليه الحروف المكتوبة على اللوح عند صدر التِّمثال والسَّبعة الأحرف المستعرة كالنَّار عند صدره عندما يستطيع تجميعها بالنِّسبة لذلك الفارس . إنَّ ذلك الفارس سيكون محميا وفى رعاية تلك الفتاة التى تعلَّمت الكثير بالحكمة العظيمة لدرجه أنَّه لم يكن فى زمنها ولا بعده بسنوات طويلة من يضارعها فى ذلك ." .

عندما رأى أماديس ذلك ، وتأمَّل الحروف الحمراء خطر بباله أنَّ تلك الحروف تشبه تمامًا التي لدى نجله إيسبلانديان في جانبه الأيسر واعتقد أنَّ تلك المغامرة لأفضل الفرسان جميعًا ، وأنَّه سيتركها له لطيبة قلبه ، وأنَّ تلك المغامرة سيحفظها له جيدًا ، وقال لجراساندور :

– ما رأيكم في هذه الأحرف ؟

– يبدو لي – قال جراساندور – أنَّني أدرك جيدًا ما تعنيه الأحرف البيضاء ، أمَّا الحمراء فلم أستطع قراءتها .

– ولا أنا أيضًا على الرَّغم من أنَّني رأيت في مكان آخر أحرف أخرى مماثلةً لهذه ، وأعتقد أنَّك رأيت كلتيهما .

حينئذ تأمَّلها جراساندور مرةً أخرى ، وقال :

– يأيتها العذراء البتول مريم ! إنَّها الأحرف نفسها التي لدى نجلك ، وهذه المغامرةُ منوطةٌ به . الآن أقول لكم إنكم ستنصرفون من هنا دون إنهائها ، وبوسعكم أنْ تفخروا بأنكم أنجبتم شخصًا يفوقكم في الشَّجاعة .

قال له أماديس :

– صدقوا ، يا صديقي الطَّيِّب ، أنَّه عندما قرأنا حروف اللوح الذي كان على صورة التِّمثال بالصَّومعة عندما مررنا هناك فكَّرت في ذلك الذي تخبرونني به ، وبالتَّالي رأيت نفسي غير كفء كما تقول الكلمات هناك ، وعرفت أنني سأكون من ينجب هذا الفارس ، لم أجرؤ أنْ أخبركم بذلك ، وهذه الكلمات تجعلني أصدقُ ما تقولونه لي .

قال له جراساندور ضاحكًا مستبشرًا :

– فلنهبط من هنا ولنعد إلى رفقتنا ، وكما يبدو لي أننا ربحنا هنا مزيدًا من الشَّرف والنَّصر من جرَّاء سفرنا هذا ، ولندع هذا لذلك الغلام الذي سيبدأ الصُّعود من المكان الذي تنزلون منه .

هكذا خرجا كلاهما تغمرهما سعادةٌ كبيرةٌ ، وعندما كانا خارج القصور الكبيرة قال أماديس :

- فلننظر ما إذا كانت تلك الغرفة المسحورة بها مكان آخر يمكن الدُّخول إليها بحيلة ما .

- نعم الفكرة - قال جراساندور - هذه هى الضَّيعة فلنتركها لصاحبها ، وبدلاً من هذا السَّيف الذى جئتم للفوز به لا تتركوا سيفكم هذا الذى فزتم به بمزيد من المعاناة والحذر والحبِّ الكبير والجهد الشَّاق بإرادتكم وعزمكم .

قال هذا جراساندور لأنَّ أماديس فاز بهذا السَّيف لأنَّه أعظم وأسمى وأوفى حبيبٍ وُجد فى عصره ، ولم يستطع الفوز بذلك إلاَّ بعد أنْ زجَّ بنفسه فى كثيرٍ من الأخطار والكروب والهموم كما قصَّت علينا ذلك هذه القصَّة فى جزئها الثَّانى .

حينئذ رحلا عبر ذلك السَّهل، حيث بدا لهما أنَّ هناك مزيداً من البلدان والسُّكَّان ، فوجدا بعض البحيرات الكبيرة جدا بالقرب من بعض النَّوافير والحمَّامات المنهارة وبعض المنازل الصَّغيرة التى شُيِّدت ببراعة وإتقان ببعض التَّماثيل المعدنية ، وأخرى من الحجر إلى جانب أشياء كثيرةٍ قديمةٍ . وعندما كانا على هذا الحال كما تسمعون رأيا قدوم فارس مدجَّج بكلِّ الأسلحة البيضاء إلى حيث كانا موجودين، وفى يده سيفه، كان يصعد فى طريقهما نفسه، ولم يكن هناك طريق آخر للصُّعود ، وعندما اقترب منهما حيَّاهما ، فردَّا عليه التَّحيَّة ، وقال لهما الفارس :

- يأيُّها الفارسان هل أنتما من الجزيرة اليابسة ؟

- نعم - قال أماديس وجراساندور - لماذا تسألون ؟

- لأنَّنى وجدت هناك أسفل الصَّخرة أناسًا فى سفينةٍ قالوا لى إنَّ هناك فارسين من الجزيرة اليابسة ، ولم أستطع أنْ أعرف منهم اسميهما ، أمَّا أنا فأعرف اسميهما ، لم أكن أريد أنْ أشترك مع أحدٍ منهم فى نزال اللهم إلاَّ الأمان والسَّلام ، إنَّنى جئت بحثًا عن فارسٍ شريرٍ ، ولدىَّ أنباءٌ جديدةٌ حيث أجبر فتاةً على المجىء إلى هنا رغم أنفها .

عندما سمع أماديس ذلك قال :

- أيُها الفارس ، من فضلكم أخبرونا ما اسمكم أو انزعوا عن رأسكم الخوذة .

- إذا كنتما من الجزيرة اليابسة - قال الفارس - فلتخبرانى وأقسما بإيمانكم وسأخبركما به ، وبغير ذلك فمن العبث أنْ تسألونى عن ذلك .

- أنا أقول لكم - قال جراساندور - ونقسم بأننا من هناك كما أخبروكم بذلك .

حينئذ خلع الفارس الخوذة من فوق رأسه ، وقال :

- الآن بوسعكما التَّعرف علىَّ، إذا كان الأمر كما قلت .

عندما رأياه هكذا عرفا أنَّه جندالين. توجَّه إليه أماديس وقد فرد ذراعيه ، وقال له :

- آه ، يأيُّها الصَّديق والشقيق الطيبُ ، يا لعظيم سعادتى أنْ ألتقى بك !

كان جندالين مذهولاً للغاية ، فحتَّى الآن لم يعرفه ، وقال له جراساندور :

- يا جندالين ، إنَّ أماديس هو الذى يعانقكم .

عندما سمع ذلك جثا على ركبتيه وأمسك بيديه وقبَّلهما مرَّات كثيرة ، لكن أماديس ساعده على النُّهوض وعاد ليعانقه كمن يحبُّه حبا جما من أعماق قلبه . حينئذ نزع أماديس وجراساندور خوذتيهما ، وسألاه :

أيَّةُ مغامرةٍ أتت بك إلى هنا ؟

قال لهما جندالين :

- يأيُها الفارسان الطيِّبان ، إنَّ الشَّىء نفسه أستطيع أنْ أسالكما عنه طبقًا لما تركتكم عليه والمكان الذى أجدكم فيه الآن ، وهو مكان بعيدٌ ناءٍ ، لكنَّنى أريد أنْ أجيب عن ما سألتمانى عنه . اعلما أنَّنى عندما كنت مع أجراخيس ومع فرسان آخرين كانوا معه فى تلك الفتوحات التى تعرفونها ، وبعد أنْ تغلَّب فى معركةٍ كبيرةٍ عانى كثيرٌ من الرجال مع نجل شقيق الملك أرابيجو وحاصرناهم فى مدينة أرابيا الكبيرة ، وذات يوم دخلت إلى خيمة أجراخيس سيدةٌ من مملكة النُّرويج ، وهى ترتدى كل ملابسها سوداء ، وهوت على قدمى أجراخيس وتوسَّلت إليه فى حماس كى ينقذها من مصيبةٍ كبيرةٍ تعانى منها . ساعدها أجراخيس على النُّهوض ، وأجلسها إلى جواره ، وسألها عن أى هم أو كربٍ

أصابها وأنَّه سيقدم لها الحل إذا كان ذلك المطلب عادلاً . قالت له السَّيدة : "يا سيد أجراخيس ، إنَّنى من مملكة النُّرويج ، بلد سيدتى أوليندا زوجتكم ، وبما أنَّنى من أهاليها وإحدى رعايا الملك والدها ، أجىء إليكم نظراً للقرابة وحبٍّ هؤلاء السَّادة أطلب مساعدتكم من جانب فارسٍ ممتازٍ كى يعيد إلىَّ كريمتى التى أخذها عنوةً فارسٌ شريرٌ ، أمير البرج الكبير بالشَّاطىء لأنَّنى رفضت أنْ أزوِّجها له ، إنَّه ليس نجيب الأصل ولا من دم نجلتى ، لقد كان قبل ذلك قليل الحظ والثَّروة ، لكنه استطاع فيما بعد أنْ يكون سيداً لذلك البرج ، حيث يهيمن على جزءٍ كبيرٍ هناك حيث يعيش ، وكان زوجى نجل عم السَّيد جروميدان مستشار الملكة بريسينا عاهلة بريطانيا العظمى ، ولم يرد ردَّها لى مهما فعلت ، ويقول لن يكون ذلك إلا بقوة السِّلاح ، وبطريقةٍ أخرى لا أنتظر أنْ أراها برفقتى " .

قال لها أجراخيس :

- يا سيدتى ، كيف أنَّ الملك سيدكم لا يقيم العدل لكم ؟

- سيدى - قالت هى - إنَّ الملك مسن للغاية ومريض جدا ، وبالتَّالى لا يستطيع ممارسة السُّلطة .

- إذنْ هل بعيدٌ عن هنا - قال أجراخيس - أين يوجد هذا الفارس ؟

- لا - قالت هى- فى يومٍ وليلةٍ فى طقس جيدٍ يمكن الوصول إلى هناك بطريق البحر .

بما أنَّنى رأيت ذلك فقد توسلت كثيراً إلى أجراخيس كى يسمح لى بالذَّهاب مع السَّيدة ، وإذا كتب الله لى النَّصر سأعود إليه . سمح لى أجراخيس وطلب منِّى ألاَّ أتدخَّل فى مغامرةٍ أخرى اللَّهم إلاَّ فى تلك ، وأنا وعدته بذلك .

حينئذٍ أخذت جوادى ودخلت السَّفينة مع السَّيدة التى كانت قد جاءت فيها ، وأبحرنا فيما تبقَّى من ذلك النَّهار والليل ، وفى اليوم التَّالى عند الزَّوال خرجنا إلى اليابس، وقد أرشدتنى إلى مكان برج الفارس ، وبمجرَّد أنْ وصلنا إليه طرقت الباب ، فردَّ علىَّ رَجلٌ قائلاً ماذا أريد . قلت له أخبر الفارس صاحب البرج بتسليم الفتاة التى كانت معه ، أو يُقدِّم تبريراً للاستحواذ عليها ، وماذا ينبغى عليه القيام به ،

وإذا لم يفعل ذلك فليتأكَّد أنَّه لن يخرج أىُّ شخصٍ من ذلك البرج إلاَّ ميِّتًا أو أسيرًا .
ردَّ علىَّ الرَّجل وقال : " فيما يتعلَّق بما تستطيع القيام به ، فبوسعنا القليل أنْ نفعله هنا ، لكن هاهنا سيكون لك ما طلبت" . عندئذٍ ابتعدت عن البرج ، وقاموا بفتح الأبواب بعد فترةٍ ، وخرج رجلٌ عملاقٌ تسلَّح بأسلحةٍ لونها أصفر قاتمٌ ، وممتطيًا جوادًا كبيرًا ، وقال لى : "يأيُّها الفـارس الذى تُهدِّد وأنت قليـل العقـل ، ماذا تريد ، مـاذا تطلبُ ؟" قلت له : "إنَّنى لا أهدِّدُك ولا أتحدَّاك حتى أعرف المبرِّر الذى لديك كى تحتجز فتاةً عنوةً هى كريمة سيدةٍ سلبتها منها" . قال لى العملاق : "إذنْ إذا افترضنا أنَّ السَّيدة تقول الحقيقة ماذا بوسعك أنْ تفعله فى هذا الشَّأن ؟" قلت أنا : "صحح الأمر بنفسك إذا كانت هذه هى إرادة الله ومشيئته" . قال الفارس : " إنَّنى أريد أنْ أضربك بسنِّ هذا الرُّمح" . وجاء نحوى بقوةٍ وتوجَّهت إليه أيضًا فى عنف ، ووقعت بيننا معركةٌ استمرت معظم النَّهار، لكن فى النِّهاية، بما أنَّنى كنت أطالب بإحقاق الحق وهو يطالب بالباطل ، أراد الله أنْ يمنحنى النَّصر ، لدرجة أنَّه كان ممددًا على الأرض عند قدمىَّ كى أقطع له رأسه ، وقد طلب منِّى العفو و الرَّحمة ألاَّ أقتله وأنَّه سينفِّذ لى كلَّ ما أريده ، أمرته بأنْ يسلِّم الفتاة لوالدتها وأنْ يقسم على أنَّه لن يأخذ أيَّة امرأةٍ رغمًا عنها ، وقد وعدنى وتعهَّد لى بذلك . إذنْ بعد أنْ تمَّ ذلك أطلقت سراحه ، واستأذننى فى الدخول إلى البرج وأنَّه بنفسه سيحضر لى الفتاة ، وقد وثقت فيه وتركته ينصرف . وبعد قليل من دخوله البرج خرج من بابٍ آخر ، كان يطلُّ على البحر ، ودخل قاربًا مع الفتاة مسلَّحًا كما كان ، وقال لى : " يأيُّها الفارس ، لا تندهش إذا لم ألتزم بصدقى ، فإنَّ حبا كبيرًا هو الـذى دفعنـى إلى القيـام بذلك ، وبدون هـذه الفتاة لن أعيش ساعةً واحدةً ، إنَّ نفسى لا أستطيع إخضاعها وتذليلها ، لا تلق بالتَّبعة علىَّ فى ذلك ، لأمرٍ كما تراه فىَّ لأنَّك ستفقد الأمل فى أنْ تستردها . أنت ووالدتها أيضًا ، ألا ترون أنَّنى راحلٌ معها فى هذا البحر إلى مكان قضيت معها فيه وقتًا طويلاً وممتعًا لن يعرفه أحدٌ من طرفى ولا من طرفها " .

وبمجرَّد أنْ قال هذا رحل عن الشَّاطىء بأقصى سرعةٍ بمجداف كان فى يده ، وتقدَّم إلى الأمام فى البحر ، وكانت الفتاة تبكى معه بألمٍ شـديد . عندما رأيت ذلك ،

ألم بى ألم كبيرٌ، لدرجة أنَّنى كنت أفضِّل الموت على الحياة لأنَّ السَّيدة التى أحضرتنى إلى هناك مزَّقت ثيابها وكسَّرت حليِّها ومجـواهـراتها أمامى ، وتألَّمت أشـدَّ ألم فى هذه الدُّنيا ، يمكن أنْ يراه إنسانٌ قائلةً إنَّ الضَّرر الذى لحق بها منى أشد ممَّا لحق بها من ذلك الفارس ، لأنَّ مع وجود كريمتها فى ذلك البرج كان يحدوها الأمل دائمًا فى أن تستردها ، أمَّا الآن فقد تبدَّد هذا الأمل لأنَّها رأتها تذهب إلى مكان مجهولٍ ولن تستطيع عيناها رؤيتها بعد ذلك أبدًا ، وقد كنت أنا السَّبب ، بما أنَّنى تمكَّنتُ من قهر ذلك الفارس ، فلم يكن لدى رصانةٌ من جانبى أنْ أمنحه الحقَّ الذى كانت السَّيدة تنتظره ، وأنَّها لم تشكرنى فقط على ما فعلته من أجلها ، لكن جميع النَّاس كانوا يتظلمون منِّى ولقد سَرَّيت عنها قدر استطاعتى وقلت لها : " ياسيدتى ، إنَّنى أعتبر نفسى مذنبًا ، فلم أستطع إنجاز المهمة التى أحضرتنى من أجلها ، وكان ينبغى أنْ أفكِّر فى أنَّ الفارس بكلِّ الخسَّة والخيانة استحوذ على كريمتكم، الأمر الذى كان مقارنةً بكلِّ الأمور الأخرى يتَّسم بقلة الحيلة ، لكن إذا كان الأمر هكذا فإنَّنى أعدكم أنَّنى لن أكف ولن أهنأ براحةٍ حتى أجد هذه الفتاة فى البرِّ أوفى البحر أو أموت فى هذه المهمة، وأتوسَّل إليكم فقط أنْ تظلى فى وطنكم ، وستساعدوننى بالسَّفينة التى جئنا فيها وبرجل من رجالكم كى يقودها" . ظلَّت السَّيدة هادئةً بعض الشَّىء وقالت لى خذ السَّفينة وأمرت رجلا من رجالها كى يذهب معى وأوصته جيداً بما كان قد وعدها به وما كان ينبغى عليه أنْ يفعله فى ذلك الصَّدد .

وبذلك ودَّعتها وعدت من الطَّريق الذى أتيت منه ، وعندما وصلت إلى السَّفينة كان الليل قد أظلم ، لذلك اضطررت للانتظار حتى الصَّباح ، وعندما أشرق الصَّباح سرت فى الطريق الذى سلكه الفارس مع الفتاة ، وسرت ذلك اليوم دون أنْ أعرف أيَّة أخبار جديدةٍ، وهكذا سرت خمسة أيَّام مبحراً إلى كلِّ الأماكن إلى حيث يحملنى القدر. وفى هذا الصَّباح وجدت بعض الرِّجال كانوا يصطادون السَّمك ، وأخبرونى بأنهم رأوا فارسًا ومعه فتاة فى قاربٍ قادمًا من تلك الصَّخرة التى تدعى صخرة الفتاة المسحورة. بمجرَّد أنْ عرفت هذا النَّبأ أمرت الرَّجل الذى كان يرشدنى بأنْ يتركنى هنا ،

وعندما ذهبت أسفل الصَّخرة وجدت بالقرب منها قاربًا خاليًا بعيدًا عنهما ، وسألتهم عن أنباء ذلك وعن الفتاة فأخبروني بأنهم لم يروهما ، اللهم إلاَّ هذا القارب الموجود هناك خاليًا ، ولهذا السَّبب صعدت إلى هناك ، حيث اعتقدت أنَّ ذلك الفارس الخائن موجود هنا ، وأيضًا لكي أجرِّب حظي ، فقد أخبرني هؤلاء الصَّيَّادون أنَّ في تلك الصَّخرة توجد غرفة مسحورةٌ إذا تمكَّنت من الوصول إليها فبها ونعمت، وإذا لم أستطع، فما عليَّ إلاَّ أن أخبر عنها من لا يعرفونها .

قال له جراساندور ضاحكًا :

– يا صديقي الطبيب جندالين ، عليك بما يتعلَّق بالفارس والفتاة حيث تحاولون إيجاد حل لهذه المشكلة ، أما بالنِّسبة للمغامرة التي تتحدَّثون عنها فالأفضل تركها عندما تكون هناك فسحةٌ من الوقت ، فهي مغامرةٌ ليس من السَّهل الانتهاء منها .

حينئذ قصُّوا عليه كلَّ ما حدث لهم ، مما أذهل جندالين كثيرًا .

قال له أماديس :

– لقد سرنا معظم هذا السَّهل وهذه الدِّيار ، ولم نر أيَّ شخصٍ ، لكن هكذا فلنبحث عن كلِّ شيءٍ لأنَّ هذا يسعد إرادتك .

وبعد ذلك بدأ الثلاثةُ يبحثون في كلِّ تلك الدِّيار المنهارة ووجدوا بعد وقتٍ قصير داخل حمَّامٍ الفارس مع الفتاة ، وعندما رآهم خرج ممسكًا الفتاة من يدها ، وقال :

– يأيُّها السَّادة الفرسان ، عمَّن تبحثون ؟

– نبحث عنكم يأيُّها الرَّجل الشِّرير – قال جندالين – لن تجدي حيلك على الإطلاق ولا أكاذيبك ولن تكرروا معي السُّخرية التي اقترفتموها في حقِّي ، والمشقَّة التي عانيت منها كي أعثر عليكم .

تعرَّف عليه الفارس فيما بعد من الأسلحة البيضاء التي كانت معه ، فهو الفارس الذي كان قد ألحق به الهزيمة من قبل ، وقال له :

- يأيُّها الفارس ، لقد قلت لك إنَّ دافعي هو الحب الكبيـــر لهذه الفتـاة ، الذى يجـعلنى لا أتحكَّم فى نفـسى ، وإذا كنت تعـرف أنت وهـؤلاء الفـرسـان الحبَّ الحقيـقى فلن تلقى بالتَّبعة علىَّ فـيما أفعله . افـعل بى مـا تمليـه عليك إرادتك وبالتَّالى فليس هناك سوى الموت الذى سيبعدنى عن هذه المرأة .

عندما سمع أماديس ذلك عرف جيداً من خلال نبضـات قلبه ، منْ جرَّاء علاقاته الغرامية الكبيرة التى يكنُّها لزوجته ، أنَّ الفارس لا ذنب له فى ذلك ، وأنَّ قوته لا تكفى لكى يبذل مزيداً من الجهد للابتعاد عن تلك الفتاة ، وقال :

- يأيُّها الفارس ، إذا كان الذى ذكرتموه يعفيكم من الذَّنب فإنَّ هذا لا يعنى أنْ تغفل حقَّ والدة هذه الفتـاة ، لأنَّك إذا لم تفعل ذلك ستكون مـذنباً أمـام الرجـال الطَّيِّبين .

قال له الفارس :

- يا سيدى الطيِّب ، هكذا أعرف ذلك ، وإذا رضـى فسـأكون فى حوزته لكى يحملنى إلى تلك السَّـيدة التى تتحـدَّثون عنهـا ، والتى بنـاءً على طلبـهـا قـام بنزالى ، وليفـعـل بى ما يشاء وليساعدنى لأنَّ كريمتها سعيدةٌ معى ، ولتسعد الأم أيضاً وتزوجنى إيَّاها .

سـأل أماديس الفتـاة عمَّا إذا كـان الفـارس يقول الحقيقة . ردَّت عليه بالإيجاب ، فعلى الرَّغم من أنَّها ظلت تحت سلطانه طوال هذه الفترة رغماً عنـها فإنَّها عندمـا رأت من جانبه الحب الكبير الذى يكنُّه لها ، وما كان على استعداد للقيام به فإن قلبها منحه حبًّها وقبلت أنْ يكون زوجها . قال أماديس لجندالين :

- خذهما معًا وسلمـهما ليد تلك السَّيدة ، وافعل مـا تستطيعه كى تقبل اتخـاذها زوجة له ، فإنَّ ذلك سيسعدهـا .

وبهذا الاتفـاق نزل الجميع من فوق الصَّـخرة ونـاموا تلك الليلة فى الصَّومعة ذات التَّمـثال المعدنى، وهنـاك تناولوا العشـاء الذى كـان الفـارس والفتـاة قد أحضـراه لهم .

وفى اليوم التَّالى نزلوا إلى حيث كانت توجد سفنهم ، وقام جندالين بوداعهم وذهب مع الفارس والفتاة . لكن قبل الرَّحيل تحدَّث معه أماديس وجراساندور وطلبا منه إبلاغ أجراخيس وأصدقائه هؤلاء أنه إذا ما كانوا يحتاجون إلى رجالٍ ، فما عليهم إلاَّ أنْ يبلغوا ذلك إلى الجزيرة اليابسة، إما أنْ يذهبا هما وإمَّا أن يرسلا لهم هؤلاء الرِّجال فيما بعد . هكذا افترق بعضهم عن بعض ، ووصل جندالين إلى منزل السَّيدة وسلَّمها الفارس وكريمتها ، وهكذا بما أنَّ تلك الفتاة بالحبِّ الذى أظهره لها ذلك الفارس غيَّرت رأيها ، كما أعتادت النِّساء على ذلك ، وكذلك الأم لحسن الحظِّ كانت من نفس طبيعة كريمتها ، فغيَّرت رأيها أيضًا ، وبما قاله لها جندالين وآخرون أرادوا إصلاح الأمر ، فقد تمَّ الزَّواج فى سعادةٍ وسرورٍ غمر الجميع .

تمَّ ذلك ، وعاد جندالين إلى حيث كان يوجد أجراخيس ، وتحدَّث معه كثيرًا عن الأنباء التى أخبره بها أماديس ، ووجد أنَّهم جميعا كانوا سعداء جدا من جرَّاء المغامرات السَّعيدة التى حدثت لهم فى ذلك الحصار الذين جاءوا منه ، لأنَّه بعد أنْ حاصروا أعداءهم فى تلك المدينة، كما سمعتم من قبل ، دارت معارك شرسة قُتل فيها الفرسان الممتازون الذين كانوا بداخلها ومزَّقوا شرَّ ممزَّقٍ ، وبمجىء السَّيد جالاؤر والسَّيد جالبانيس أيضًا اللذين تركا دراجونيس ملكًا على الجزيرة العميقة ، ولم يضيِّعا وقتًا وانطلقا إلى أسطولها على جناح السُّرعة ، وذهبا ليساعداهم ، وبما أنَّ المرضى ، عندما يتمُّ شفاؤهم من مرضٍ عضالٍ ويستردون صحتَّهم ، لا يفكرون أبدًا إلاَّ فى الأمور التى تناسب وتتمشَّى مع حبِّهم وإرادتهم ، وهم يعتقدون بذلك أنَّهم يتخلَّصون مما تبقَّى لديهم من المرض ، فهكذا كان السَّيد جالاؤر ملك سوبراديسا ، فبعد أنْ رأى نفسه قد شُفى من ذلك المرض الذى كان على وشك أنْ يودى بحياته عدَّة مراتٍ، لم يفكِّر فى إسعاد نفسه وإرادته ولا باسترداد صحته وعافيته ، وإنما فكَّر فقط فى تلك الأمور التى كان يمليها عليه قلبه الشُّجاع والقوى ، وكان هذا ديدنه ومتعته الكبيرة ، فهو منذ ذلك اليوم الذى تلقَّى فيه دروس الفروسية وتتلمذ على يدى شقيقه أماديس وأصبح فارسًا أمام القلعة الرُومانية فى وجود أورجاندا لاديسكونوثيدا ، لم تفارق ذهنه على الإطلاق رغبته فى معرفة كلِّ شىء عن الفروسية وأن يضعه موضع التَّنفيذ ،

كما فى جميع الأماكن الذى تحدَّثت هذه القصَّة العظيمة عن كلٍّ ما ذكره ، ولم يعبأ الآن بأنه أصبح ملكًا ذا نفوذٍ قوىٍ مع تلك الملكة الحسناء بريولانخا ، وهو طبقًا للبطولات التى حقَّقها كان ينبغى عليه أنْ يستريح زمنًا طويلاً ويسعد نفسه . لكنَّه بما أنَّه يرى أنَّ الشَّرف والمجد لا نهاية لهما ، وأنَّهما أمران هشَّان إذا نُسيا لفترةٍ وجيزةٍ يندثران ، وخاصةً الذين وصلوا فى هذا الأمر إلى ذروة المجد، لذلك ترك ذلك الملك الشُّجاع كلَّ شيءٍ جانبًا وأراد القيام بمهمة نصرة ومساعدة دراجونيس نجل عمه كما سمعتم ، وأنَّه لن يسعد فى نهاية هذا العمل الشَّاق إلاَّ إذا توجَّه على الفور قدر استطاعته لمساعدة هؤلاء الفرسان أصدقائه العظماء ونصرتهم . آه ! كيف سينبغى على هؤلاء الذين ولدوا فى هذا العالم أن يواصلوا مسيرة الفروسية، وكيف ينبغى عليهم أنْ يفكروا فى أنَّهم خلال وقتٍ ما حققوا مزيداً من الشَّرف والمجد ، وأنَّهم بمجرَّد ترك الفروسية واجبهم الأساسى لن تصدأ أسلحتهم فقط ، بل ستختفى وتندثر شهرتهم لمدةٍ طويلةٍ لن يستطيعوا معها العودة إلى الأضواء والشُّهرة والمجد ، كذلك مثل الحرفيين فى أيَّة حرفةٍ ، طبقًا لأعمالهم وجهودهم يظلون مشهورين شرفاء دون الحاجة إلى ذلك ، أمَّا إذا أهملوا حرفهم ولم يتقنوها ولم يهتموا بها فإنَّهم سيفقدون الذى كانوا قد حقَّقوه من قبل، وسيعيشون فى بؤسٍ وفقرٍ ، هكذا مصير الفرسان لمثل هذا الأمر. فإذا أهملوا فيما ينبغى عليهم القيام به فإنَّ شرفهم ومجدهم وشهرتهم وفضائلهم سيندثر ويتلاشى وسيُهْرمون وسيقهرون . وهذا الملك النَّبيل، السَّيد جالاور ، لكى لا يقع فى ذلك الخطأ ، كان يتخذ من والده الملك بيريون مثلا يحتذى وقدوة حسنةً وكذلك شقيقيه ، الذين كما سمعتم تعرفونهم جيداً ، وبمجرَّد أنْ انتهى من أمر الجزيرة العميقة رحل، كما قيل لكم، مع السَّيد جالبانيس لمساعدته ونصرته لكى يتحقَّق النَّصر ، وكان لمجيئه أكبر الأثر فى تشجيع رجاله، وأدخل الذُّعر لدى الأعداء، ومنذ أنْ وصلا إلى هناك لم يجرؤ الأعداء على الخروج خارج الأسوار ، بالشَّكل الذى سيفوزون فيه بهذه المملكة فى وقت وجيز .

لكن الآن سندعهم فى مخيَّماتهم وقد اتفقوا على محاربة أعدائهم ، إذ لم يجرؤ هؤلاء على محاربتهم ، وسنحكى لكم قصة أماديس وجراسانور اللذين رحلا عن جندالين عند صخرة الفتاة السَّاحرة وذهبا إلى الجزيرة اليابسة .

تحكي القصَّة أنَّه بعد أنْ رحل أماديس وجراساندور عن جندالين عند صخرة الفتاة السَّاحرة أبحرا كثيراً فى البحر دون عوائق أو مصاعب . وصلا إلى الميناء الكبير للجزيرة اليابسة ذات صباح ، وخرجا من السَّفينة وامتطيا جواديهما . هكذا كانا مسلَّحين عندما ذهبا ، وقبل أنْ يصعدا القلعة دخلا ليصلِّيا فى الدير الذى كان أسفل الصَّخرة ، والذى أمر أماديس بتشييده عندما خرج من الصَّخرة الفقيرة ، وهكذا وفَّى بنذره عندما كان يقف أمام تمثال العذراء البتول مريم ، الذى كان فى الصَّومعة آنذاك ، وعندما وصلا إلى الباب وجدا هناك سيدة ترتدى ملابس سوداء ، وكان معها حاملا سلاح وجيادهما بالقرب منهما قاما بتحيتها ، وحيتهما . وبينما كان أماديس وجراساندور جاثيين على ركبتيهما أمام المذبح أو المحراب ، عرفت السَّيدة من بعض رجال الدير أنَّ هذا هو أماديس ، فانتظرته عند باب الكنيسة ، ولما رأته قادمًا توجَّهت إليه باكيةً وجثت على ركبتيها على الأرض ، وقالت له :

– يا سيدى أماديس ، ألستم أنتم ذلك الفارس الذى ينقذ المنكوبين والمساكين ، وعلى وجه الخصوص السَّيدات والفتيات ؟ بالتَّأكيد إذا لم يكن الأمر كذلك لما ذاع صيتكم وانتشرت شهرتكم فى كلِّ أرجاء الدُّنيا مقترنةً بالمجد الذى غطَّى جميع الأنحاء . إذنْ إنَّنى واحدةٌ من أكثر السَّيدات حزنًا ، لذلك أطلب منكم الرَّحمة والشَّفقة .

حينئذ أمسكت بطرف الدِّرع بكلتا يديها بقوةٍ ، ولم تتركه يخطو خطوةً واحدةً . أراد أماديس أنْ يجعلها تنهض ، لكنَّه لم يستطع ، فقال لها :

– يا صديقتى الطَّيِّبةُ ، أخبرينى من أنت ولماذا تريدين مساعدتى ؟ فطبقًا لحزنك الكبير ، حتى لو ماتت جميع السَّيدات الأخريات ، فإنَّنى من أجلكم سأعرِّضُ شخصى لكلِّ خطرٍ وإهانةٍ ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

قالت له السَّيدة :

– من أكون أنا لن تعرفوا ذلك حتى أجد تأكيداً من جانبكم للاستجابة لمطلبى ، لكن ما أطلبه هو أنَّنى كنت متزوِّجة من فارسٍ ، أحبُّه حبا جما ، ولسوء

طالعه وطالعى أنَّه سجينٌ فى سجن ألدِّ أعدائه فى هذا العالم ، ولن يستطيع الخروج منه إلا بمساعدتكم شخصيا ، وصدِّقنى إنَّ ركبتى لن ترفعا من على الأرض ولن تترك يداى طرف الدِّرع إلا إذا قمتم بانتزاعها بمزيدٍ من الجنون وقلة الوقار ، حتى تمنحونى هذا الذى أطلبه منكم .

عندما رآها أماديس وسمع ما كانت تقوله لم يكن يدرى بماذا يردُّ عليها ، كان يخشى أنْ يورِّط نفسه فى أمرٍ قد يعود عليه بالخزى والعار الكبير ، لكنَّه بما أنَّه رآها تبكى بمرارةٍ ، وكانت تمسك درعه بقوةٍ ، وركبتاها على الأرض ، أحسَّ بالشفقة نحوها لذلك نسى أن يشرط وعده لها بالمساعدة فى قضية عادلة ، فقال لها :

- يا سيدتى أخبرينى من أنتم ، وأنا أعدكم بإخراج زوجكم من السِّجن الذى يوجد به وسأسلِّمه لك إنْ استطعت ذلك .

حينئذٍ أمسكت السَّيدة بيديه وقبَّلتهما عنوةً وقالت لجراساندور :

- يا سيدى الفارس ، انظر إلى ما وعدنى به أماديس .

وقالت بعد ذلك :

- اعملوا ، يا سيدى أماديس ، أنَّنى زوجة أركالاوس السَّاحر الذى تأسرونه . مروا بتسليمه لى ومروا أنْ يوضع فى المكان الذى تريدونه ولا تخشوا من هروبه هذه المرَّة ، فأنتم أكبر عدو لدودٍ له ، وبما أنَّه عدوٌّ لدودٌ سأجعل منه صديقًا إن استطعت .

عندما سمع أماديس ذلك اضطرب للغاية خشية أنْ يكون مخدوعًا من جانب تلك السَّيدة بهذه الحيلة ، وكان يبحث عن وسيلة شريفة كيلا يفى لها بمطلبها ، سيكون سعيدًا لو وجدها (أى تلك الوسيلة) لأنَّه كان يخشى مزيدًا من الشَّرِّ والأذى من جانب ذلك الفارس الشِّرير ، والذى سيرتكبه فى حق الكثيرين الذين لا يستحقون ذلك منه ، فضلاً عن الشر الذى قد يسبِّبه له شخصيا . لكنه عندما رأى السَّبب الكبير الذى جاء بتلك السَّيدة ، وبلا أىِّ مبررٍ منطقى اللَّهم إلاَّ لكونها مضطرة لإنقاذ زوجها وتخليصه

من الأسر ، لذلك كان بوسعه إلقاء التَّبعة عليها ، وخاصة أنَّ أماديس كان يريد ألاَّ تكون كلمتها والصدق محلَّ شك بأيَّة وسيلة كانت ، فقرَّر أماديس الاستجابة لما كانت قد طلبته منه .

- ياسيدتى ، لقد طلبتم منِّى أمرًا جدَّ خطيرٍ ، ويمكنكم أنْ تتأكَّدوا من أنَّنى بهذا سأهين إرادتى وأذللها وأخضعها كى تقبل ما طلبتموه منِّى ، وسأجبر قلبى كى أخرج زوجك من سجنه لاشتراكه فى المعارك ضدَّنا ، لأنَّ فى خروجه خطرًا كبيرًا وسأخاطر فى ذلك ، ويمكننى أنْ أقول جيدًا إنَّنى منذ أنْ أصبحت فارسًا لم أقدِّم خدمة أو معروفًا ولا إنقاذًا أو معونةً لسيدة أو فتاةٍ ضدَّ إرادتى ورغبتى باستثناء هذه .

حينئذ امتطى أماديس وجراساندور جواديهما وطلب أماديس من السَّيدة أنْ تسير خلفهما، وصعد القلعة . عندما علمت أوريانا ومابيليا بقدومهما غمرتهما سعادةٌ كبيرةٌ لا يمكن وصفها . وبعد ذلك خرجتا ، وجميع هؤلاء السَّيدات الأخريات خرجن معهما ، لاستقبالهما . إنَّ مراسم الاستقبال والتَّبجيل التى استقبل بها أماديس وزوجته سنتغاضى عن وصفها ، لأنَّهما كانا ما زالا حتى الآن عاشقين ولهانين متيَّمين ، وبما أنَّهما الآن متزوجان ينبغى أن نضعهما فى طى النسيان .

عانقت أوليندا LAMESURADA (أوليندا العاقلة) وجراسيندا أماديس وجراساندور، ثم ذهبوا جميعًا إلى غرفهم التى كانت موجودةً بالبرج الكبير الكائن فى ذلك البستان كما سمعتم من قبل ، وهناك تحدَّثوا فى سعادةٍ غامرةٍ مثل هؤلاء الذين يحبُّون بعضهم بعضًا من أعماق قلوبهم .

أمر أماديس بأن يتمَّ إيواء السَّيدة (زوجة أركالاوس) وأنْ يقدِّموا لها كلَّ ما تحتاج إليه، وفى اليوم التَّالى استمعوا جميعًا إلى القُدَّاس مع جراسيندا فى استراحتها، وبعد أنْ انتهى القُدَّاس مع جراسيندا فى استراحتها طلبت زوجة أركالاوس من أماديس أنْ يفى بوعده . قال لها إنَّه سيفى به جيدًا . حينئذ ذهب الجميع معًا كما كانوا هناك فى القصر ، حيث كان أركالاوس سجينًا فى قفصٍ من الحديد ،

فمنذ أنْ تحدَث معه أماديس فى مدينة لوبينا ، عندما أسروه ، لم يرد رؤيته أبدًا ، كما لم يره هؤلاء السَّيدات أيضًا ، لأنَّهُنَّ عندما خرجن لاستقبال الملك ليسوارتى لم يستطعن رؤيته ، وفى يوم أفراح العرس لم يخرجن من تلك المدينة قط ، وعندما وصلوا إلى هناك وجدوه يرتدى جُبَّةً مبطنةً بجلود بعض الحيوانات التى تمَّ صيدها فى تلك الجزيرة ، كانت جبَّةً فاخرةً جدا، أعدَّها له السَّيد جنداليس سيد أماديس لكوننا فى فصل الشِّتاء ، وكان يقرأ فى كتابٍ أرسله إليه به كثير من الأمثلة والنَّصائح بشأن تقلبات الزَّمن وخطوبه ، وكانت لحيته طويلةً وذات شعرٍ أبيض ، وبما أنَّه كان ذا جسم ضخمٍ وقمىء الوجه ، وكان دائمًا عبوس الوجه غاضبًا ، وفى تلك اللحظة عندما رآه قادمًا نحوه ، ازداد وجهه عبوسًا ، فقد ألمَّ الذُّعر بتلك السَّيدات عندما رأينه ، خاصةً أوريانا ، حيث خطر ببالها عندما أخذها عنوةً وانتزعها من يدى أماديس هو وأربعة فرسان آخرين ، كما حكى ذلك الكتاب الأوَّل من القصَّة ، وعندما وصلوا إلى مكانه ترك أركالاوس القراءة ، ونهض واقفًا وقد رأى زوجته ، لكنَّه لم يقل شيئًا . قال له أماديس :

– يا أركالاوس ، هل تعرف هذه السَّيدة ؟

– نعم ، أعرفها – قال أركالاوس .

– هل سررت لقدومها ؟

– إذا كانت قد جاءت من أجلى فهذا أمرٌ جيد – قال أركالاوس – وأنت تستطيع الحكم على ذلك ، لكن إذا كانت قد أتت لأمرٍ آخر فعلى العكس من ذلك تمامًا ، وبما أنَّنى بإرادتى أعانى كلَّ شر ومكروه يحدث لى ، وقد خضع لذلك قلبى تمامًا ، وإذا لم تكن رؤيتها لتبث الأمل فى نفسى لكى أستريح من هذا العناء فإنَّ قدومها بالنِّسبة لى سيكون ألمًا كبيرًا .

قال له أماديس :

– إذا كان مجيئها لكى تصبح حرا وتخرج من هذا السِّجن ينبغى أنْ تشكر لى ذلك ، ويجب عليك أنْ تعترف بذلك فى المستقبل ؟

- هل هذا بدافع إرادتك - قال أركالاوس - هل أرسلت لها لكى تُنفِّذ ما تقول ؟!
سيكون ذلك محطَّ تقديرى العظيم دائمًا . لكنَّها إذا كانت قد أتت دون رضاك وبدون علمك وإذا كنت قد وعدتها بشيءٍ فإنَّنى لن أستطيع أنْ أقدِّم لك الشُّكر ، لأنَّ الأعمال الصَّالحة التى تتمُّ لقهر الحاجة وإشباعها هى أعمال خير ليست جديرة بالثَّناء والمدح . لذلك أتوسَّل إليك أنْ تخبرنى ، إذا تكرَّمت ، ما السَّبب الذى دفعها إلى ذلك ودفعك أنت وهؤلاء السَّيدات لكى تأتوا لرؤيتى ؟

قال له أماديس :

- سأخبرك بالحقيقة عن كلِّ شيءٍ كيف حدث ، وأتوسَّل إليك وأرجوك أنْ تكون صادقًا فى إجابتك .

حينئذ حكى له كيف أنَّ زوجته بالخديعة كانت قد طلبت منه هديةً أو عطيةً ، وكيف أنَّها طلبت منه أن يطلق سراحه وكلَّ ما يتعلَّق بذلك ، وقد ردَّ عليها بأنَّه لم يبق شيء آخر . حينئذٍ قال أركالاوس لأماديس :

- بما أنَّ الأمر جاء من جانبها فسأخبرك بالحقيقة كاملةً عمَّا يتعلَّق بإرادتى طالما أنَّك تريد معرفتها . إذا كنت طلبت منك الشَّفقة والرَّحمة فى لوبينا كى تطلق سراحى ، صدِّق حقيقة أنَّنى كنت سأكون مضطرا لخدمتك طوال ما تبقى من حياتى وستجد فىَّ دائمًا أعمالاً من صديق ، لكن القيام بذلك الآن لا أريده ولا أستطيع الاعتذار عنه أو الفكاك ، بخسَّةٍ وشر ، إنَّك تقدم لى هذه الخدمة الجليلة ، ولذلك فإنَّنى أقبلها عن طيب خاطر وأضعها فى مكانتها اللائقة ، فما زلت تحتقرنى ، وتعتبرنى ذا قلبٍ جبانٍ مما أنا مدينٌ لك به ، رغم كراهيتى لك آنفا ، فإنَّنى أتقدَّم لك بالشُّكر الجزيل .

- كانت هناك سعادةٌ غامرةٌ - قال أماديس - لما قلته يا أركالاوس ، وتقول صدقًا ، فبمجرَّد إخراجك من هنا لا ينبغى أنْ تكون مدينًا لى بأىِّ شيءٍ ، بالتَّأكيد كان مقرَّرًا أنْ تظلَّ سجينًا وقتًا طويلاً ، كنت أعتقد أنَّه من الأنسب أنْ تُنفَّذ عليك العقوبة التى كنت تستحقها بسبب الشُّرور والجرائم التى اقترفتها فى حق الكثيرين من الأبرياء الذين لا يستحقونها ، لكن بسبب الوعد الذى

أعطيته لتلك السَّيدة سامر بإخراجك من ذلك السِّجن وسأطلق سراحك . أتوسَّل إليك فى أمرٍ ، إنَّه على الرَّغم من أنَّ إرادتك لن تغفر لى صنيعى معك وأنَّك تعاملنى بتلك العدواة التى أضمرتها لى دائمًا فى الأزمنة الماضية ، أتوسَّل إليك أنْ تصفح عن الآخرين الذين لم يلحقوا بك أذىً أو ضرراً ، وافعل ذلك من أجل الله العلى القدير ، لأنَّه عندما كنت يائسًا من الحصول على حريتك ومنى أن أمنحك إيَّاها ، أراد الله أنْ يضع نهاية لشرورك وجرائمك بعد أنْ اقترفت الكثير منها ، هكذا يفعل الله برحمته الواسعة مع الأشرار الذين يأوبون إلى رشدهم ويتوبون من أعمالهم الشِّريرة ، لأنَّهم بمثل ما فعلوا بالآخرين يجلدون ذاتهم ويرهقونها ويضعون نهايةً لأعمالهم الشِّريرة التى تتعارض مع خدمة الرَّب ومصالح عباده وشئونهم ، وعندما يدركون ذلك أتوسَّل إليك يا ربِّى متضرِّعًا أنْ تمنحهم نهايةً سعيدةً فى هذه الدُّنيا وتنعم عليهم بالسَّعادة الأبدية والنَّعيم المقيم فى الآخرة، أمَّا إذا فعلوا عكس ذلك فلتعاقبهم بما يستحقون وأنْ تقتصَّ منهم بالعقوبة التى تناسبهم ولا تعطيهم أىَّ أملٍ ولا تهادن أرواحهم بعد أنْ تغادر أجسادهم التَّعيسة .

قال أركالاوس :

- فيما يتعلَّق بك فالأمر معروفٌ لأنَّنى لا أستطيع أنْ أحبَّك على الإطلاق ولن أتخلَّى عن إلحاق الضَّرر بك ما استطعت ، وفيما يخصُّ الآخرين الذين تتحدَّث عنهم لا أدرى ماذا سأفعل ، لأنَّه طبقًا لعادتى القديمة والمتأصِّلة والتى اقترفت بها كثيراً من الآثام والشُّرور والجرائم ، لم يبق لى إلا قليل من الأمل فى ذلك الرَّب الذى تحدَّثنى عنه وأنَّه سيعفو عنِّى إذا كنت أستحق ذلك ، لأنَّه بدون عفوه لن يستطيع وضعى مقاومة هذا الأمر الصَّعب جدا وبعيداً عن إرادته ومشيئته ، وبالتَّالى يكفى ألاَّ أرتكب شرا لمجرَّد الإصغاء إلى نصيحتك ، لأنَّك لم تُحقِّق المجد الذى استطعت تحقيقه مع الآخرين جميعهم ، وإذا كان الله منَّ علىَّ بنعمة فلن تكون سوى أنْ أقدم لك الشُّكر وألاَّ أضعك فى قلبى (ألاَّ أحبك) ، فعندما طلبت منك إطلاق سراحى فى تواضعٍ جم فقد أراد الله فى البداية أنْ يكون ذلك رغم أنفك ، ولم يبق أىُّ شىءٍ يمكن أنْ يدينك أو يلقى بالتَّبعة عليك .

أصاب الذُّعر تلك السَّيدات عندما سمعن ما قاله أركالاوس ، وتوسَّلن كثيرًا إلى أماديس ألاَّ يطلق سراحه ، لأنَّه سيخطئ كثيرًا فى حقِّ الرَّبِّ عندما يصبح ذلك الرَّجل حرا طليقًا ، لأنَّه وهو حرٌّ طليقٌ يستطيع أنْ ينفِّذ رغباته الشِّريرة ، خاصةً وأنَّه يخطئ وهو ما زال أسيرًا . قال أماديس لهنَّ :

– سيداتى ، هكذا كما يحدث مرارًا وتكرارًا يتمُّ إصلاح الأشخاص وتهذيب أخلاقهم وتحسين سلوكياتهم ، وذلك بأنْ تكون الأنفس قويةً وراسخةً فى تشبثها بأمل الله ورحمته ، لأنَّ الذين يفتقرون إلى ذلك ، فإنَّ ذلك الأمل وتلك الرَّحمة يكونان سببًا فى إحباطهم وقنوطهم ، وبالتَّالى يلحقون الضَّرر بأنفسهم لا محالةً ، وهذا ما يمكن أنْ يحدث مع أركالاوس إذا أبقيته هنا ، ويقينى أنَّه فى نفسه لن يُصحِّح أخلاقه ولن يحسِّن سلوكياته بهذه الوسيلة (يقصد السِّجن) . سألتزم بوعدى وسأفى بكلمتى وصدقى ، أمَّا فيما يتعلَّق بذلك الرَّجل فسوف أترك أمره إلى الله ، ففى لحظةٍ ما يستطيع أنْ يجذبه للعمل فى سبيله كما فعل مع كثيرين كانوا خطَّائين .

وبهذا تركوا الحديث معه ، وأمر أماديس السَّيدة زوجة أركالاوس بالدُّخول معه فى القفص الحديدى لكى تكون فى رفقته فى تلك الليلة ، ثمَّ عاد أماديس مع هؤلاء السَّيدات الأخريات إلى برج البستان . وفى صباح اليوم التَّالى أمر أماديس باستدعاء إيسانخو حاكم الجزيرة وتوسَّل إليه أن يطلق سراح أركالاوس وزوجته من السِّجن وأنْ يعطيهما جوادًا وأسلحةً ، وأمر بأنْ يخرج أنجال الحاكم مع عشرة فرسان ويرافقونهما إلى حيث يريد أركالاوس ويكون سعيدًا ، وحتى تُسرَّ زوجته من تلبية ما طلبته ، هكذا تمَّ ذلك ، فقد خرج أنجال إيسانخو مع أركالاوس حتى وصلوا إلى قلعته فى VALDERÍN وتركوه هناك ، وعندما أرادوا الانصراف قال لهم أركالاوس :

– أبلغوا أماديس أنَّ الحيوانات المفترسة والحيوانات الضَّارية هى التى تُحبس فى الأقفاص ، وليس الفرسان مثلى أنا ، وليكن على حذرٍ منِّى ، وآمل أنْ أقتصَّ لنفسى منه بسرعة على الرَّغم من تلك المرأة العاهرة التى تساعده وتسمَّى أورجاندا لاديسكونوثيدا .

قال له الفرسان :

– على هذا الدَّرب ستعودون سريعًا إلى المكان الذى خرجتم منه .

وبهذا عاد الفرسان

يمكن الاعتقاد هنا أنَّه لكون تلك السَّيدة زوجة أركالاوس طيِّبةً للغاية وتخشى الله كثيراً من جميع جرائم القتل والعنف التى كان يرتكبها زوجها أحسَّت بالحزن الشَّديد والألم الكبير فى قلبها ، لذلك حاولت التَّخلُّص من حزنها وألمها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، فلفضائلها استطاعت الحصول على العفو لزوجها وإخراجه من السِّجن ، ولقد حاول كلُّ رجال الدُّنيا أنْ يفعلوا ذلك فما استطاعوا . ولهذا فإنَّ السَّيدة الطَّيِّبة والمرأة التَّقية ينبغى أنْ تكون محل تقديرٍ وتبجيلٍ ، لأنَّ الله العلى القدير سمح بأنْ تكون هذه السَّيدة السَّبب مثل أخريات فى الحفاظ على الثَّروات والأزواج والأبناء .

كما تسمعون إذنْ ، كان أماديس وجراساندور مع زوجتيهما فى الجزيرة اليابسة وقلوبهم جمعيًا فى سعادةٍ غامرةٍ ، حيث وصلت بعد وقتٍ قصيرٍ داريوليتا مع زوجها ونجلتهما مع زوجها برابور ، فازدادت سعادتهم كثيراً .

لكن الآن ستترك القصَّة الحديث عنهم لتحكى ما فعله بالان العملاق ، أمير جزيرة البرج الأبيض المشرب بالحمرة . تحكى القصَّة أنَّه بعد أنْ رحل أماديس وجراساندور عن جزيرة البرج الأبيض المشرب بالحمرة بخمسة عشر يومًا ، حيث تركا العملاق بالان مثخنًا بالجراح، نهض العملاق من فراشه وأمر بإعطاء كثير من الجواهر الثَّمينة إلى داريوليتا وزوجها وأنجالهما وزورق رائع لكى يذهبوا فيه ، وأرسل معهم نجله برابور ، هكذا كما وعد أماديس بذلك ، وبعد أنْ رحلوا من هناك أعدَّ بالان العملاق أسطولاً كبيراً من سفنه ، فقد كان لديه الكثير من السفن ، وأخرى كان قد استولى عليها من الذين كانوا يمرُّون من هناك ، وقد زوَّد الأسطول بالأسلحة والمؤن قدر استطاعته وانطلق بالأسطول عبر البحر فى طقسٍ بديعٍ . وسار كثيراً دون أيَّة عوائق ، وبعد عشرة أيَّام وصل إلى ميناء مدينة صغيرة كانت تُسمَّى ليكريا تابعة لسيادة الملك أرابيجو ،

وهناك علم بأنَّ هؤلاء الرجال كانوا يحاصرون مدينة أرابيا وكان الحصار شديداً ، وخاصةً بعد مجيء ملك سوبراديسا إلى هناك ، السَّيد جالاؤر ، والسَّيد جالبانيس . وبعد ذلك أمر بأنْ يخرج جميع رجاله إلى اليابسة وأنْ يخرجوا جيادهم وأسلحتهم وسهامهم وحرابهم وأقواسهم ورماحهم وجميع أسلحة القتال الأخرى ، وترك فى الأسطول بعض الجنود المسلَّحين تأمينًا له . توجَّه مباشرة إلى المكان الذى توجد فيه استراحة الملك السَّيد جالاؤر والسَّيد جالبانيس ، ولمَّا علما بقدومه من خلال رُسلِ العملاق امتطيا جواديهما ومعهما الكثير من الفرسان والرِّجال وخرجا لاستقباله . وصل العملاق هكذا فى رفقة طيبة ، وكان مسلَّحًا بأسلحة هائلة وقد امتطى جوادًا جميلًا وعظيمًا ، فلم يكن هناك فى وجاهته وعظمته إلاَّ القليلون ، كانا يعرفان ما تمَّ الاتفاق بينه وبين أماديس فقد حكاه لهما جندالين كما حدث بالضَّبط ، ووضع السَّيد جالاؤر السَّيد جالبانيس فى المقدِّمة على الرَّغم من أنَّه لم يكن يساويه فى الملك والسلُّطان ، وإنما لكونه أكبر سنا بكثير من السَّيد جالاؤر ، هذا فضلاً عن نجابة وعراقة أصله وأسرته ، حيث كان يتصرَّف من منطلق الفضائل السَّامية التى تعلَّمها وشبَّ عليها ، فقد كان أماديس وأشقاؤه وأجراخيس يكنون له كلَّ احترامٍ وتبجيلٍ . لم يكن العملاق يعرفه فلم يره قط ، وإنْ كان يعرف عنه كلَّ شيءٍ لأن ماداسيما ، زوجة السَّيد جالبانيس ، كانت نجلة شقيق ماداسيما والدة العملاق بالان ، كما حُكى لكم من قبل ، وعندما اقترب منه قال العملاق :

– يا سيدى الطَّيِّب ، هل أنتم السَّيد جالاؤر ؟

– لا – قال السَّيد جالبانيس – بل أنا السَّيد جالبانيس ، الذى أحبكم حبا جما .

حينئذ عانقه العملاق ، وقال له :

– سيدى السَّيد جالبانيس ، طبقًا للقرابة بالنَّسب التى تجمعنا كان ينبغى ألاَّ يمرَّ وقتٌ طويلٌ هكذا دون أنْ ترونى ، لكن عداوتى مع مَن تجمعكم به صداقة كبيرة أدَّت إلى تأخير لقائنا ، لكن هذا التَّأخير قد انتهى بفضل ذلك العاقل الرَّزين الذى لا يضارعه أحدٌ فى الشَّجاعة .

ضحك الملك جالاوُر وكان بشوش المحيًا فعانقه ، وقال :

- يا صديقى الطَّيِّبُ وسيدى ، إنَّنى أنا الذى سألتم عنه .

نظر إليه بالان ، وقال :

- حقيقة ، فخير شاهد على ذلك أنَّك تُشبه ذلك الذى أريد التَّعرُّف عليه .

قال العملاق ذلك لأنَّ أماديس والسَّيد جالاوُر كانا متشابهين كثيراً لدرجة أنَّهما فى كثيرٍ من الأماكن كانوا يلتبس عليهم أمرهما (ينادون على أحدهما على أنَّه الآخر والعكس) اللَّهم باستثناء أن السَّيد جالاوُر كان أطول قامةً من أماديس ، وأماديس أكثر بدانةً من السَّيد جالاوُر .

بعد ذلك أخذا الملك السَّيد جالاوُر بينهما وتوجهوا إلى مخيَّمه ، واصطحب السَّيد جالبانيس السَّيد بالان إلى خيمته حتى يتمَّ إعداد مأوىً له ، وقد خُدم كلاهما كما أراد وينبغى أنْ يكون ذلك .

الفصلُ الحادي والثّلاثون بعد المــائة

كيف جاء أجراخيس والسّيد كوادراجانتي والسّيد برونيو دى بونامار ، جاءوا مع فرسان كثيرين آخرين لرؤية العملاق بالان والوقت الذى قضوه معه .

عندما علم السَّيد كوادراجانتي والسَّيد برونيو دى بونامار بقدوم ذلك العملاق اصطحبا معهما أنجريوتى دى إيستراباوس والسَّيد جابارتى ديل بال تيمروسو وبالومير والسَّيد بريان دى مونجاستى وفرسانًا آخرين كثيرين من ذوى الشُّهرة والمجد العظيم الذين كانوا معهم ، وتوجهوا إليه لكى يساعدهما فى فتح تلك الإمارات التى سمعتم عنها ، وذهبوا جميعًا إلى مخيَّم الملك السَّيد جالاؤر والسَّيد جالبانيس ، حيث كان العملاق بالان يقيم هناك فوجدوه فى خيمة السَّيد جالبانيس التى كانت أجمل وأروع خيمة ، أُعدَّت وجُهزت جيدًا ولم يكن بوسع إمبراطور ولا ملك أنْ تكون له خيمةٌ مماثلة ، كانت الخيمة لدى زوجته ماداسيما قد بقيت لها من والدها فامونجومادان ، وكان ينصب هذه الخيمة كلَّ عام فى مرجٍ كان أمام قلعة FERVIENTE ، وكان يُجلسُ نجله باساجانتى على دكة أو منصَّةٍ فاخرةٍ ، وكان جميع أقاربه ، وهم كثيرون ، يطيعونه طاعةً عمياء على أنَّه سيدهم لقوته وثرائه ، وكان رعاياه وأناس كثيرون آخرون يخضعون له بقوه السِّلاح يقبِّلون يديه لكونه ملك بريطانيا العظمى ، وبهذه الفكرة طلب يد أوريانا من الملك ليسوارتى لكى تتزوَّج من نجله باساجانتى ، وبما أنَّه رفض تزويجها منه اندلعت حربٌ ضروسٌ عندما قام أماديس بقتل كليهما وانتزع منهما ليونوريتا ، شقيقة أوريانا ، والفرسان العشرة الذين كانوا قد أسروا معها ، كما حكى الكتاب الثَّانى من هذه القصَّة ذلك بإسهابٍ .

إذنْ عندما وصل هؤلاء الفرسان كان العملاق بلا أسلحةٍ ومتدثِّرا بعباءةٍ من الحرير مزركشة بالورود الذَّهبية التى تلائمها تمامًا ، وبما أنَّه كان ضخمًا وجميلاً جدا وفى ريعان الشَّباب أو عمر الزُّهور ، فقد كان يبدو للجميع رائعًا للغاية ، وبعد أنْ تحدَّثوا إليه كثيراً ، لأنَّهم كانوا يعرفون جيداً الطَّبيعة القوية للعماليق ، وبالطَّبع كان جميعهم غلاظًا جفاة الطَّبع ومكابرين ولا يخضعون لأىِّ عقلٍ ، لم يكونوا يفكِّرون فى أنَّ أيًا منهم يمكن أنْ يكون على عكس ذلك مثل بالان ، ولهذا السبَّب كانوا يقدِّرونه أعظم تقديرٍ لشجاعته العظيمة . وعلى الرَّغم من أنَّ معظمهم كانوا على درايةٍ كبيرةٍ بما فعله باستخدام الأسلحة ، فإنهَّم كانوا يعتبرون تلك الشَّجاعة الكبيرة دون وضعٍ اجتماعىٍّ مرموقٍ وبلا رزانة ورجاحة عقل أمراً مملا فى معظم الأحيان .

إذنْ عندما كان الجميع فى تلك الخيمة الكبيرة كان العملاق ينظر إليهم ، وكانوا يبدون إليه أنَّه لا يمكن أنْ يُصدَّق أنْ يوجد كثير من الفرسان الطَّيِّبين مثلهم فى أى مكان فى الدُّنيا ، ولما رآهم هادئين قال لهم :

– إنَّ مجيئى دون شك لنصرتكم . بوسعكم أنْ تندهشوا من ذلك ، الأمر الذى لم يكن لديكم أدنى أملٍ فى أنْ يحدث كما أنَّكم لم تكونوا تكترثون له ، هكذا أقوم بذلك لأنَّنى لم يكن بوسعى أنْ أعتقد أنَّه بأيَّة وسيلةٍ يمكن أنْ يكون هناك سببٌ يعوقنى عن أنْ أكون عدواً لدوداً حتى الموت . لكن بما أنَّ تنفيذ الأفكار منوطٌ بيد الله وحده أكثر من كونها فى أيدى هؤلاء الذين يريدون تنفيذها بقوةٍ وصرامةٍ . فى معارك كثيرةٍ وشرسةٍ خضتها من أجل رفعة شرفى ، كانت هناك إحداها اضطررت إليها فى البداية ، وفى نهايتها بدافع إرادتى تغيَّر هدفى ومقصدى حتى اعتبرت أنَّ الشَّرف يكمن طوال أيَّام حياتى فيما كنت أعتبره من قبل عاراً وخزيًا ، حتى أقتصَّ لذلك ، وعندما كان شغلى الشَّاغل فى هذه الدُّنيا وأرغب فى تلبية ما تمليه علىَّ إرادتى ، حينئذٍ سينتهى غضبى وحنقى لكن ليس فى الذى كنت أسير على نهجه بل ذلك الذى كان مضاداً ومناهضًا لمصيرى الذى أتحدَّث إليكم عنه . فكما عرفتم الآن ، إنَّنى نجل ذلك الشُّجاع والباسل العملاق ماندافابول ، أمير جزيرة البرج الأبيض المشرب بالحمرة الذى

قتله أماديس دى جاولا عندما كان يُسمَّى بيلتينبروس فى معركة وقعت بين الملك ليسوارتى والملك ثيلدادان ، وأنا بوصفى ابنًا لهذا الوالد الشَّريف كنت مضطراً للثأر لمقتل والدى ، وكان ذلك لا يفارق ذهنى حتى أحققه بأن أقتل الذى أودى بحياة والدى ، وعندما تبدَّد الأمل لدىَّ ، نظراً للقدر والشجاعة الكبيرة لذلك الفارس ، فقد أحضره القدر إلى أرض إمارتى ونفوذى وسلطان ، ولم يكن هناك شخصٌ يستطيع مساعدته ، وفى تلك المعركة هُزمت بكلِّ قوةٍ وقد عُوملت بكلِّ وقارٍ وتبجيلٍ، هكذا بما أنَّ هذا الأمر (أعنى الانتصار على أماديس) لم يستطع أىٌّ من الأحياء تحقيقه ، فقد أدَّى هذا إلى أنَّ تلك العداوة الكبيرة التى كنت أضمرها له تحوَّلت إلى صداقة عظيمةٍ وحب حقيقى كان السَّببُ فى مجيئى كما ترون ، عندما علمت أنَّكم بحاجة إلى أناس فى تلك المعارك التى تخوضونها معتقداً أنَّ ما تحقَّق لكم من شرفٍ ورفعةٍ ومكاسب يرجع أكبر الفضل فيه إلى أماديس .

حينئذٍ حكى لهم منذ البداية كلَّ ما حدث بينه وبين أماديس والمعركة الذى دارت بينهما وكلَّ الأمور الأخرى التى حدثت، ولم يغفل منها شيئًا مثلما حكت القصَّة تمامًا ، وفى النِّهاية قال لهم إنَّه لن يغادرهم حتى تنتهى تلك الحرب ، وسيظلُّ فى رفقتهم ، وعندما ينتهى ذلك يريد الذِّهاب إلى الجزيرة اليابسة كما وعد أماديس . كل تلك السَّنوات يا سادتى كانت هناك سعادةٌ كبيرةٌ فى الاستماع إلى ما قاله لهم ، لأنَّهم عرفوا من جندالين كيف أنَّ أماديس نازل هذا العملاق وقهره وتغلب عليه ، لكنهم لم يكونوا على علمٍ بسبب ذلك مثلما حكاه العملاق بالان بنفسه ، وتحدَّث لهم بإسهابٍ عن مجيئه وعن شجاعة شخصه وقَدره والرِّجال المحاربين الذين اصطحبهم معه ، والذين كان من الضَّرورى مجيئهم ، فقد خسروا المعارك السَّابقة ، وقد شكروه شكراً جزيلاً لحسن نيته ونبل مقصده على المساعدة التى يعرضها عليهم حبا فى أماديس .

الفصلُ الثَّانى والثَّلاثون بعد المــائة

يتحدَّث عن الرَّد الذى قدَّمه أجراخيس للعملاق بالان على كلمته التى ألقاها.

ردَّ أجراخيس وقال :

– سيدى الطَّيبُ بالان ، أودُّ أنْ أردَّ عليكم فيما يتعلَّق بالعداوة لنجل عمِّى وسيدى أماديس ، إنَّنى وهؤلاء السَّادة قدَّمنا لكم الشكر على ما وعدتمونا به ، وإذا لم يكن ردى مطابقًا لإرادتكم فاقبله فارسًا ، فعلى الرَّغم من أنَّه لا يوجد من يضارعكم فى فن استخدام الأسلحة ، لحسن طالعكم ولعمر زهوركم الأمر الذى أقدِّره أعظم تقدير ، وأعلم جيداً مدى قدرتكم تمامًا على الوفاء بما وعدتمونا به، فإننى أقول إنَّ الفرسان الذين يخوضون المعارك على حق ويؤدُّون واجبهم فيها على أكمل وجه دون أنْ يؤثر على ذلك شىء من العقل والمنطق ، وعلى الرَّغم من الوفاء بما أقسموا عليه فإن هذا أمرٌ جديرٌ بالثَّناء والإطراء كثيراً. إذن فالإرادة والعمل أصبحا غير مدينين على الإطلاق ، لكن الذين يريدون تجاوز حدود العقل إلى الخيال ، فهؤلاء الذين فى نهاية الشَّرف لا يحقِّقون المزيد لكونهم مكابرين ولأنَّهم غير رشيدين أكثر من كونهم أقوياء ولا شجعان كما يحكمون عليهم. إنَّه ملحوظٌ للجميع ولكم يا سيدى، ولا ينبغى إخفاء ذلك ، أن الطَّريقة التى لقى والدكم بها حتفه – كأنَّ القدر أراد ذلك ليضع حدا لجرأته فى أخذ الملك ليسوارتى كما أخذه – كانت جديرةً بالثَّناء والمدح والشُّهرة حتى الجنَّة، وهكذا كان الخزى والعار والازدراء من نصيب هؤلاء الذى كانوا فى خدمة هذا الملك وفى نصرته،

كان مصيره الجحيم ، ولهذا لا ينبغى عليكم أنْ تندهشوا من أنَّ أماديس كان يغبط والدكم على الشُهرة والمجد الذى حقَّقه ، وكان يطمع فى أنْ يناله هو ، كما يفعل جميع الطَّيِّبين وينبغى عليهم القيام به . وموت مثل هذا ، باعتبار أنَّ كلَّ واحد منهما كان يريد أنْ يصرع الآخر أملاً فى تحقيق المجد ، لا ينبغى أنْ يطالب أىُّ أحد بالقصاص له مثل تلك الحالات الأخرى التى تتعلَّق بالشَّرف ويراد الصفح والعفو عنها. هكذا يا سيدى فإنَّ ما يتعلَّق بوالدكم وما اتفقتم عليه مع أماديس أمر لا يمكن أنْ يكون فيه مبررٌ للشَّكوى لأنَّكم وهو تمتثلان تمامًا لما ينبغى على الفرسان الامتثال له وتنفيذه ، وإذا كان يمكن إلقاء التَّبعة على شىءٍ فإنَّ ذلك يرجع إلى القدر الذى كان فى صالحه أكثر منكم لكى تقوموا بمساعدته ونصرته . لذلك يا صديقى الطَّيبُ ، اعتبروا جيداً أنَّ شرفكم قد فزتم به دون أدنى نقص وكسبتم إلى جانبه ذلك الفارس النَّبيل وكل هؤلاء الفرسان الشجعان والرِّجال الأشدَّاء الذين ترونهم هنا إلى جانب كثيرين آخرين يمكنكم رؤيتهم إذا كان هناك سببٌ يستوجب مجيئكم .

عندما سمع العملاق بالان ذلك قال له :

– يا سيدى أجراخيس، على الرَّغم من إرضاء إرادتى لم يكن هناك داع لأى تأنيبٍ، إنَّنى أشكركم على ما قلتموه لى ، لأنَّه فى مثل هذه الحالة كان يمكن تفادى ذلك ، وليس من العقل أنْ يعتذر القادمون ، لندع الحديث عن ذلك لكونه شيئا فى طى النِّسيان وعفا الله عما سلف ، ومن الأفضل أنْ نتفاهم ولننه هذه المعركة بتلك الشَّجاعة والاهتمام اللذين ينبغى أنْ يتحلَّى بهما هؤلاء الذين تركوا ديارهم وأوطانهم لكى يغزوا أوطان الآخرين .

قال له السَّيد جالبانيس :

– يا سيدى الطَّيب ، فليذهب هؤلاء الفرسان إلى خيامهم فقد حان وقت العشاء ، ستسريحون هذه الليلة وغداً عندما تُنصب خيامكم ويتم إيواء رجالكم سيعطى بمشورتكم ونصحكم الأمر بما ينبغى أنْ يتِّم القيام به .

هـكذا ذهب هؤلاء الرِّجال إلى مخيَّماتهم، وظلَّ مع العملاق بالان السَّيد جالبانيس والملك جالاوْر حيث تناول معهما طعام العشاء تلك الليلة فى تلك الخيمة الفاخرة التى سمعتم عنها آنفًا فى سعادة غامرةٍ . وعقب انتهـاء العشـاء ذهب الملك إلى خيامه ، أمَّا هم فقد ناموا على الفرش الوثيرة ، وعندما طلع النَّهارُ قال العملاق بالان للسَّيد جالبانيس إنَّه يريد امتطاء جواده ويقوم بجولةٍ فى المدينة لكى يطلع على الاستعدادات وأفضل الأماكن للقتال . أحاط السَّيد جالبانيس بذلك علمًا الملك السَّيد جالاوْر ، وذهب كلاهما مع العملاق بالان وقاموا بجولة حول تلك المدينة الكبيرة ، التى كانت آهلة بكثيرٍ من السُّكَّان ، وبها كثير من الأبراج العالية والأسوار الحصينة لكونها أكبر مدن تلك المملكة بأسرها وجزر لانداس التى كانت تحت نفوذها وكان بها أهم قصور الملوك ، جاء بعضهم تلو الآخر وكان شغلهم الشَّاغل تحصين المدينة وزيادة عدد مدنها وبلدانها وتقوية استحكاماتها قدر الاستطاعة ، بالشَّكل الذى جعل عظمتها وقوتها وحصونها أمرًا بارزًا للغاية . إذنْ عندما رأوها قال لهما بالان :

– يا سيدىَّ ، ماذا ترون أنَّه يمكن القيام به لغزو مدينةٍ حصينةٍ كهذه ؟

قال له السَّيد جالاوْر :

– لا يوجد فى العالم شىءُ أقوى ولا أكبر من قلب الإنسان ، وإذا كان من بداخلها يتحلَّون بالشَّجاعة فإنَّنى أشكُّ أنه يمكن الاستيلاء عليها بالقوة إذا لزم ذلك ، لكن بما أنَّه يوجد خلاف دائمًا بين الكثرة ، وخاصة عندما يكون الحظُّ مناهضًا لهم ، وبالتَّالى يحلُّ بهم الضَّعفُ فيما بعد ، فإنَّنى لا أشكُّ فى أنَّ تلك المدينة ستسقط فى أيدينا أيضًا مثلما سقطت مدن أخرى حصينة فى أيدى فاتحيها .

لكن بالحديث عن هذا وعن أمورٍ أخرى ذهب الثلاثةُ معًا إلى مخيَّمات السَّيد كوادراجانتى والسَّيد برونيو والآخرين من رفاقهما حيث يمكن خوض المعركة بشكلٍ أفضل ، وعندما كانوا على مقربة من الخيام التى كان يستريح فيها أجراخيس ، جاء إليهم إينيل الطَّيبُ والشُّجاع ، وقال لهم :

- يا سيدى بالان ، إنَّ أجراخيس يتوسَّل إليكم أن تروا الملك أرابيجو الذى يوجد أسيراً فى خيمتى ، إنَّه يريد التَّحدُّث معكم ، لأنَّه علم بقدومكم فأرسل بكلِّ الحبِّ والودِّ الكبير ويتوسَّل إلى أجراخيس لكى يسمح له ويتوسَّل إليكم أنْ تذهبوا لرؤيته .

قال له العملاق :

- يأيُّها الفارسُ الطَّيبُ ، إنَّنى سعيدٌ للقيام بذلك ، ومن الممكن أنْ تستفيد من هذه المقابلة أكثر من المعارك الكبيرة حيث يُنتظر المزيد والمزيد .

هكذا سار الجميع حتى وصلوا إلى خيمة إينيل ، ذهب الملك السَّيد جالاؤر والسَّيد جالبانيس إلى السَّيد برونيو دى بونامار ، ونزل العملاق من فوق صهوة جواده ودخل فى شقَّة حيث كان يوجد الملك أرابيجو ، كانت مؤثثةً بأفضل الأثاث والمفروشات والبسط ، وكان يرتدى ملابس نبيلةً فاخرةً بناءً على أوامر من أجراخيس كى يخدموه بما يليق به بوصفه ملكًا ، لكنه كان مكبَّلاً بالأغلال ومصفَّدا بالأصفاد القوية التى كانت تمنعه من أنْ يخطو خطوةً واحدةً ، وعندما رآه العملاق هكذا جثا أمامه على ركبتيه وأراد أنْ يُقبل يديه ، لكن الملك جذبهما منه ، وعانقه باكيًا وقال له :

- يا صديقى بالان ، ما رأيك فىَّ الآن ؟ هل أنا ذلك الملك الذى رأيته أنت ووالدك مرارًا وتكرارًا ؟ وكنتما تريانى فى ذلك البلاط فى رفقة كبار الأمراء والفرسان وملوك آخرين من أصدقائى ، كما رأيتمانى مرأت كثيرةٍ ، أملاً فى أنْ أغزو أراضى وممالك ! أرجو أنْ تحكم علىَّ بوصفى رجلاً عاديًّا خسيسًا . أسيرًا وسجينًا ، غير شريف ، تحت سلطان أعدائى كما ترى جيداً ، وأكثر ما يؤلمنى ويؤلم قلبى الحزين أنَّ الذين كنت أنتظر منهم الكثير ، وكذلك منك ومن العماليق الآخرين لكونكم أصدقائى الطَّيِّبين أراكم تأتون لكى ترون نهاية دمارى الشَّامل .

بعد أنْ قال هذا لم يستطع التَّحدُّث نظرًا للدُّموع الغزيرة التى غزت عينيه .

قال له بالان :

- إنَّنى أقول ، مثلما رأت عيناى ، حقيقة ما تقول ، يأيُّها الملك أرابيجو الطَّيِّبُ ، لقد قلت إنَّك كنت فى صحبة ممتازة ومكرَّمًا وكنت حريًا بغزو ممالك وإمارات كبيرة ، وإذا كنت أراك الآن وقد تغَيَّرَ حالك وتبدَّل أمرك ، فلا تعتقد أنَّ هذا لم يؤثر فى نفسى كثيرًا ، فأنا على الرَّغم من أنَّ وضعى مختلفُ الآن عن عظمتك فإنَّنى لست بعيدًا عن المعاناة من صنوف الدَّهر وتقلباته القاسية التى تعرفها جيدًا يأيُّها الملك الطَّيِّبُ ، بما أنَّ ذلك الشُّجاع أماديس دى جاولا الذى قتل والدى ماندافابول ، عندما أردت القصاص لقتله كان حظى العاثر حيث هُزمت بقوة الأسلحة وخضعت له وكان بوسعه أنْ يمنحنى الحياة أو يقضى علىَّ بالموت ، وأعلم مدى حزنك وألمك الكبيرين اللذين لن يسمحا لك بالاستماع إلى قصةٍ طويلةٍ أستطيع أنْ أسردها لك ، لقد هُزمت من ذلك الذى كنت أودُّ هزيمته وقتله بيدى انتقاما لمقتل والدى وإذا تمكَّنت لما تراجعت ، لقد أتيت إلى هنا ، ولسببٍ مشروع أستطيع أنْ أسدد لك القليل من كثير قدمته لى ، وهاهو مجيئى قد تسبَّب فى أنْ تنهمر دموعك بغزارة. وبالتَّالى كان يتحتَّم علىَّ أنْ أسرِّى عنك، لكن بما أنَّنى أعرف جيدًا تقلبات الدَّهر وصروفه ، لذلك كان من المنطق أن يستجيب الإنسان لنداء العقل ، فقرَّرت أنْ أكون صديقًا لمن كان عدوى اللدود ، ولم يكن هذا برضاى بل رغمًا عنى وضعفًا منِّى وكان لقضيةٍ عادلة وكنتُ مضطرًا للإقدام على ذلك . وإذا كُنت أيُّها الملك النَّبيل تريد نصيحتى ومشورتى وستعمل بها وأنا على علمٍ بأنَّها ستكون فى صالحك ، وأنا مثل ذلك فى الصَّرامة والشِّقاق أعتبرك عدوا لى يمكن أنْ أكون صديقًا مخلصًا فى الوفاق والوئام .

وعندما سمع ذلك قال له :

- أىُّ وفاق أستطيع الإقدام عليه وأنا أفقد مملكتى ؟

- أنْ تُسرَّ وترضى - قال العملاق بالان - بما تستطيع الحصول عليه .

- أليس من الأفضل - قال الملك أرابيجو - أن أموت على أنْ أرى نفسى قليل الشَّأن وغير شريفٍ وموصومًا بالخزى والعار ؟!

- بما أنَّ الموت - قال بالان - يقضي على كلِّ أملٍ ، أمَّا مع الحياة فإنَّ كثيرًا من الطُّموحات والرَّغبات تتحقَّق ويتم تعويض الخسائر الفادحة ، فمن الأفضل أنْ يتشبَّث الإنسان بالحياة عن أنْ يتمنَّى الموت لهؤلاء الذين يفقدون مصالحهم أكثر من هؤلاء الذين يستطيعون تحقيقها بالخزى والعار .

- يا بالان ، يا صديقي - قال الملك أرابيجو - إنَّنى أودُّ الاسترشاد بنصحك ، وأترك أمرى في يدك كي ترى ما ينبغي عليَّ القيام به ، وأتوسَّل إليك كثيرًا أنَّه على الرَّغم من أنَّك فى أمورى تفصح عن كونك عدوًّا فى غيابى ، فإنك عندما ترانى فى هذا السِّجن وفى حضورى تكون صديقي وتنصحنى وترشدنى .

- هكذا سأفعل ذلك - قال بالان العملاق - دون تأخير .

حينئذ ودَّعه العملاق بالان وأخذ معه إينيل وذهب إلى خيمة برونيو دى بونامار حيث وجد الملك السَّيد جالاؤر وأجراخيس والسَّيد جالبانيس وفرسانًا آخرين من ذوى المرتبة السَّامية والمكانة العليا الذين استقبلوه وأجلسوه بينهم فى سعادةٍ كبيرةٍ فأخبرهم بما تحدَّث بشأنه مع الملك أرابيجو عن بعض الأمور التى ينبغى أنْ يعرفوها، وأنْ ينظروا ما إذا كان من الضَّرورى أنْ يوجد آخرون . قال له أجراخيس : يُفضَّل أنْ يُستدعى كلٌّ من السَّيد كوادراجانتى والسَّيد بريان دى مونجاستى وأنجريونى دى إيستراباوس، وهكذا تمَّ ذلك ، وقد جاءوا ومعهم فرسان آخرون ذوو وشهرةٍ كبيرةٍ .

حينئذٍ قال لهم العملاق بالان ما حدث مع الملك أرابيجو ، ولم يغفل منه شيئًا ، وأنَّ رأيه كان يكمن فى ذلك ، هذا إلى جانب ضرورة استمراره فى مساعدتهم بغضِّ النظر عن كونه حيًّا أو ميِّتًا ، عما إذا كان الملك أرابيجو يرضى بأن يُمنح جزيرة من جزر لانديس أكثرها بعدًا ودون أنْ يكون هناك مزيدٌ من الضحايا ويصدر الأمر بتسليمها له ، لأنَّ الوفاق والوئام أمرٌ جيدٌ ، وخاصةً أنَّهم سيستمرون فى كفاحهم لغزو مملكة سانسوينيا التى كانت - بالنظر لرجالها وقلاعها الحصينة - فى غاية الصُّعوبة. شكر هؤلاء السَّادة ما قاله العملاق بالان وعدُّوه أمرًا فى غاية الرَّزانة والعقل ، ولم يستطيعوا التَّفكير فى أنَّ رجلا من أسرةٍ عريقةٍ نجيبة الأصل بوسعه أنْ يتَّسم

برجاحة عقل مثله . وهكذا كان أمراً بالتفكير فيه والتَّروِّى بشأنه لأنَّ عناده ومكابرته الكبيرة لم تدع أيَّة فرصةٍ للعقل والرَّصانة لديه ، لكن الفارق أنَّ بالان هذا كان يهيمن على العماليق الآخرين ، كما أنَّ والدته ماداسيما كانت ذات وضعٍ اجتماعىٍّ مرموقٍ ، كما حكته لكم القصَّة ، فهى لم تنجب من زوجها ماندافابول سوى هذا الابن فقط ، بذلت مجهوداً كبيراً ، ضد إرادة زوجها ورغبته ، الذى كان شريراً ومكابراً، كى تربِّى بالان وتعلِّمه على أيدى عالم أحضرته من بلاد الإغريق ، وبتنشئة هذا العالم وحسن تربيتها لنجلها أصبح بالان نبيلاً فى كلِّ شىءٍ ، أصبح وديعًا جدا ورصينًا رزينًا فلم يكن هناك إلاَّ رجالٌ قليلون عقلاء وصادقون مثله .

اتفق هؤلاء الرجال فيما بينهم ، ووجدوا أنَّ ما قاله لهم العملاق بالان إذا تحقَّق فسيكون مكسبًا كبيراً وراحة كبيرة بالنِّسبة لهم ، وإنْ كان جزءٌ ما من هذه المملكة سيظلُّ تحت سيطرة الملك أرابيجو وسلطانه . وردُّوا عليه بعد أنْ عرفوا مدى الحبِّ والإرادة الصَّادقة التى جعلته يأتى إلى هناك ويتحدَّث عن ذلك ، وأنَّهم سيستطيعون تحقيق ما يصبون إليه بفضل وساطته أولاً وبالتَّالى سيتوصَّلون إلى اتفاقٍ مع ذلك الملك . ويمكن أنْ يلاحظ هنا أنَّه فى النزاعات الكبيرة تكون الحاجة ماسةً إلى أشخاص عقلاء يتحرَّكون بنيةٍ حسنةٍ وعزمٍ صادقٍ لإيجاد حل لتلك النِّزاعات ، وبالتَّالى يتم تفادى عمليات القتل والأسر والسَّلب والنَّهب وشرورٍ وآثامٍ أخرى لا حصر لها . إذنْ فبعد الاستماع إلى ذلك الذى تحدَّث بشأنه العملاق بالان مع الملك أرابيجو ، وإلى اتفاقيات كثيرةٍ يمكن تجنب الحديث عنها لكون ذلك أمراً ضرورياً ، سواء لإسهابها وطولها أو لعدم الخروج عن الهدف والمقصد الأساسى ، فقد تمَّ الاتفاق على أنْ يقوم الملك أرابيجو بتسليم تلك المدينة الكبيرة وكل الأراضى الخاضعة لها وأنْ يأخذ أبعد جزيرة من جزر لانديس الثَّلاث والتى يُسمُّونها ليكونيا والتى كانت فى الشَّمال ويتوَّج هناك ملكا ، وأنْ يتمَّ تسليم الجزيرتين الأخريين ضمن ما تمَّ الاتفاق على تسليمه ، وأن يُتوج السَّيد برونيو دى بونامار ملكًا لأرابيا . تمَّ ذلك بموافقة نجل شقيق الملك أرابيجو الذى كان يدافع عن المملكة كما سمعتم آنفًا ، وكذلك بموافقة جميع كبار وعلية القوم بالمدينة . تم إطلاق سراح الملك أرابيجو الذى ألم الإرهاق والحزن بقلبه فذهب بحراً إلى جزيرة ليكونيا ،

وقد تمَّ تتويج السَّيد برونيو دى بونامار ملكًا فى سعادة غامرةٍ وسرورٍ كبيرٍ من جانبه ومن جانب الأعداء أيضًا ، لأنَّهم كانوا على علمٍ بطيبة قلبه وشجاعته العظيمة ولأنَّهم كانوا يأملون أنْ يكونوا فى عهده أكثر شرفًا ورفعةً ومجدًا وحمايةً . انتهى ذلك كما سردته القصَّة ، وبعد وقتٍ قصيرٍ استراحوا فيه وتحدَّثوا مع الملك السَّيد برونيو دى بونامار قاموا بتنظيم قواتهم وفرقهم وجميع الأمور الضَّرورية واللازمة للطَّريق ورحلوا عن هناك عبر طريق مدينة كاليفان ، التى كانت أقرب مدينة للمكان الذى أقاموا فيه مخيَّمهم ، لكن أهل سانسوينيا عندما علموا بسقوط مدينة أرابيا والاتفاق الذى تمَّ بين الملك أرابيجو وهؤلاء النَّاس خافوا ممَّا حدث فتجمَّعوا كلهم سواءً كانوا فرسانًا أم جنودًا فى أعدادٍ كبيرةٍ ، فقد كانت تلك المملكة كبيرة جدا وكان أناسها كثيرين ومسلَّحين جيداً ، ومتمرِّسى حرب لأنَّهم كانوا دائمًا رعايا لهؤلاء السَّادة المكابرين المعاندين ومثيرى الفضائح ، وعندما رأوا أنفسهم جنبًا إلى جنبٍ فى أعدادٍ غفيرةٍ تشجَّعت قلوبهم ، وبمكابرة كبيرةٍ نظَّموا جنودهم وقد جعلوا كبار فرسانهم قادةً لقواتهم ، وخرجوا لملاقاة أعدائهم قبل أنْ يصلوا إلى مدينة كاليفان ، حيث التقى الجمعان ونشبت بينهما معركةٌ شرسةٌ ضاريةٌ أصيب فيها كثير من الجانبين ، وقد وقعت فيها أمورٌ غريبةٌ للغاية وشهدت مصرع كثيرٍ من الفرسان والرِّجال الآخرين ، لكن ما فعله هناك الفرسان البارزون وذلك العملاق الشُّجاع أمرٌ يستحيل سرده بأىِّ حالٍ من الأحوال ، ونظرًا للبطولات التى لا تُحصى وشجاعة وبسالة قلوبهم فقد هُزم أهل سانسوينيا هزيمةً نكراء ومُزِقوا شرَّ ممزَّقٍ ؛ حيث قُتِلَ وجُرح معظمهم فى ميدان القتال ، أمَّا الباقون الذين كانوا فى المواقع الحصينة فلم يجرءوا على الدِّفاع عن المدينة . هكذا استولى السَّيد كوادراجانتى وهؤلاء الفرسان والرِّجال الذين بقوا على قيد الحياة معه بعد المعركة، فقد لقى كثير منهم حتفه وأصيب كثيرون آخرون، استولوا على ميدان القتال دون أيَّة مقاومةٍ تُذكر أو أىِّ دفاع من جانب الأعداء . وإذا كانت القصَّة لن تسرد لكم المزيد عن هذه المعركة ، نظرًا لكثرة البطولات والأعمال البطولية والشُّجاعة التى حدثت فى تلك الفتوحات وما أعقبها من معارك للاستيلاء على هذه الممالك والإمارات ، فسببُ ذلك لأنَّ هذه القصَّة هى قصَّة أماديس دى جاولا وبطولاته العظيمة ،

وليس هناك داعٍ لكى تُسرد البطولات الأخرى إلاَّ بإيجاز ، لأنَّه إذا حدث عكس ذلك فإنَّ الكتابة المسهبة والمستفيضة ستؤدى إلى إزعاج وغضب القرَّاء ، بالإضافة إلى أنَّ العقل لن يستطيع الوفاء بكلا الأمرين ، ولذلك فمن المنطق الاستجابة للقضية الرَّئيسية وهى سرد بطولات ذلك الفارس الباسل والشُّجاع أماديس دى جاولا أكثر من الخوض فى تفاصيل البطولات الأخرى بل احترامًا لها تشير إليها القصَّة بإيجاز ، لذلك لن يُقال شىءٌ آخر اللَّهم إلاَّ الفوز فى هذه المعركة الشَّرسة الضَّارية والكبيرة والخطيرة . وبعد وقت قصيرٍ خضعت مملكة سانسوينيا الكبيرة ، لذلك كان من المناسب لجنود المواقع غير الحصينة ولجنود المواقع الحصينة القوية التى دافع عنها الأقوياء ببسالة منقطعة النَّظير أنْ يقبلوا السَّيد كوادراجانتى ملكًا عليهم . لكننا الآن سنتركهم سعداء مسرورين جدا من جرَّاء الانتصارات التى حقَّقوها وينبغى أنْ نحكى لكم قصَّة الملك ليسوارتى ، فهناك أمرٌ عظيمٌ لم نسرده عنه .

الفصلُ الثّالث والثّلاثون بعد المـــائة

خرج الملك ليسوارتى ذات يومٍ ممتطيًا جواده لإنقاذ فتاةٍ فوقع أسيرًا لأركالاوس . يئست الملكة بريسينا فطلبت مساعدة أماديس وفرسانه ، لكن بعد وقتٍ قصيرٍ جاءت أورجاندا لاديسكونوثيدا ، التى استطاعت إقناع الفرسان بتدريب إيسبلانديان على الفروسية وعهدت إليه بإنقاذ الملك ليسوارتى. نصحه والده بالتّوجه إلى القسطنطينية وأن يقدم نفسه للإمبراطور . اختفى نجل أماديس والسّاحر وفرسان شبانٌ فى الضّباب الكثيف الذى كان يحيط بزورق أورجاندا .

عندما رأى هؤلاء الرِّجال بعضهم بعضًا نظـروا بعضهـم إلى بعـض وبـدا لهم أنَّ ما حدث كان من قبيل الأحلام ، لكن أماديس وجـــد فى يده اليمنى رســالةً تقول ما يلى :

"أنتم أيُّها الملوك والفرسان الموجودون هنا، عودوا إلى دياركم، أريحوا أرواحكم ، ولتهدأ نفوسكم ، دعوا مجد الأسلحة وشهرة الشَّرف لهؤلاء الذين سيبدأون الصُّعود فى عجلة الحظ المتحرِّكة ، وارضوا بما حقَّقتموه منه حتى الآن لأنَّ عجلة الحظ ستصبح خطيرة بالنِّسبة لكم ولبعض رجال زمنكم . وأنت يا أماديس دى جاولا ، منذ اليوم الذى قام الملك بيريون والدك بتدريبك فارسًا تلبيةً لرجاء زوجتك أوريانا ، قهرت وهزمت كثيرًا من الفرسان الأقوياء والعماليق الشُّجعان ، وقد عرَّضــت نفســك لخطرٍ داهمٍ فى كل وقتٍ وحين حتى يومنا هذا ، كما أدخلت الرُّعب والذُّعر على الحيوانات المفترسة

الضَّارية ، لقد أدخلت عليها الذُّعـر من قلبك الشُّجاع القوى ، أمَّا الآن فامنح أعضاء جسدك الرَّاحة ، لأنَّ عجلة الحظِّ تلك التى كانت فى صالحك ، وقد استطعت التَّغلب على الآخرين ، حتى وصلت إلى ذروة المجد ، عجلة الحظ هذه تبدأ الآن فى الدَّوران عكس الاتجاه وتشعر بالأحاسيس المريرة التى تجلبها وتتسبَّب فيها الممالك والإمارات التى ستصيبك بسرعة ، وكما قمت بمفردك وأسلحتك وجوادك بإنقاذ الكثيرين ، ويدين لك الكثيرون بالفضل ، فهكذا الآن إنَّ الممالك والإمارات الكبيرة لن تمنحك إلاَّ راحات مزيَّفة ، وسيناسبك جدا أنْ ينقذك ويعينك ويدافع عنك ويرعاك الكثيرون . وأنت ، حتى الآن ، كان شغلك الشَّاغل أنْ تُحقِّق المجد لشخصك فقط معتقداً أنَّك أديت ما عليك من واجبٍ ، الآن يناسبك جيداً أنْ توزِّع أفكارك واهتماماتك فى مختلف الأنحاء والأرجاء ، وأن تريد مراراً وتكراراً أنْ تعود إلى حياتك الأولى وأنْ يكون لك قزمٌ تستطيع أنْ تأمره بما تريد . عش حياةً جديدةً تحاول فيها الاهتمام بالحكم أكثر من الاهتمام بالقتال كما فعلت حتى الآن . اترك الأسلحة لذلك الذى ستمنح له الانتصارات العظيمة من الله الحاكم العادل العلى القدير ، الذى لا يستطيع أحدٌ أنْ يعترض على حكمه ، إنَّ أعمالك البطولية العظيمة فى فنون الأسلحة والقتال شهيرةٌ جدا فى كلِّ الدُّنيا ، وسيكتب لها الفناء لدى أهلك وذويك ، وهكذا سيقول الكثيرون ممن لا يعرفون أنَّ الابن قتل أباه . لكنَّنى أقول ليس الموت الطَّبيعى المكتوب علينا جميعًا ، إلاَّ ذلك الذى يُعرِّضُ الآخرين للأخطار الدَّاهمة والكروب الكبيرة ، وتُحقِّق مجداً كبيراً يتمُّ معه نسيان مجد الأجداد ، وإذا سمح بجزء لها ، فلا مجد ولا شهرة يمكن أنْ يُشار إليهما ، بل ظلَّ ذلك المجد والشُّهرة".

بعد الانتهاء من قراءة تلك الرسالة تحدَّثوا فيما بينهم كثيرًا عمَّا ينبغى عليهم أو ما يستطيعون القيام به . هكذا كانت النَّصائح متعددة للغاية ، وإنْ كانت قد انحصرت فى أمرٍ واحدٍ ، لكن أماديس قال لهم :

- يأيُّها السَّادة الطَّيِّبون ، رغم أنَّه لا ينبغى أنْ نصدِّق السَّحرة ولا العرَّافين ، فإنَّ أمور هذه السَّيدة التى حدثت ورأيناها بأنفسنا تجعلنا نتشبَّث بالأمل الحقيقى فيما يتعلَّق بالأحداث المستقبلية ، دون أنْ نشكَّ ولو لحظة فى أنَّ الله

العلى القدير – بقدرته وعلمه – يعلم كلَّ شىءٍ قبل أنْ تخبره أو حتى تُفكِّر فيه أورجاندا هذه ، لقد تحقَّق كل ما تنبَّأت به هذه السَّاحرة فى أمور شتَّى . ولذلك يأيُّها السَّادة الطَّيِّبون ، فإنَّنى أرى أنَّه من الأفضل – كما تنصحنا وتأمرنا – أنْ نمتثل لنصحها وأمرها ، فلتعودوا إلى ممالكم وإمارتكم التى فتحتموها مؤخَّرًا ، أمَّا شقيقى الملك السَّيد جالاؤر وعمِّى السَّيد جالبانيس فسيصطحبان معهما براندو إيباس ، ويذهبون إلى الملكة بريسينا كى يخبروها بما عزمت عليه إرادتنا لتنفيذ أوامرها وسبب توقفنا عن القيام بذلك . وستعرفون منها رأيها لكى نواصل المهمة ، أمَّا أنا فسأظلُّ هنا مع نجل عمى أجراخيس ، حتى تصل إلينا أنباءُ جديدةٌ ، وإذا كانت نصرتنا ومساعدتنا ضروريةً فسنعرفها ونحن متفرقون أكثر من كوننا مجتمعين ، وأيًّا كان مصدر هذه الأنباء ، سيُكلَّفُ هؤلاء بإبلاغ الآخرين لكى يأتوا .

استحسن جميع هؤلاء الرِّجال والفرسان ما قاله أماديس لهم ، ووضعوه هكذا فى حيِّز التَّنفيذ ، لذلك عاد الملك السَّيد برونيو دى بونامار والسَّيد كوادراجانتى ، ملك سانسوينيا ، إلى مملكتيهما واصطحبا معهما هاتين الزَّوجتين الجميلتين جدا ، ميليثيا وجراسيندا ، أمَّا الملك السَّيد جالبانيس مع براندو إيباس فقد ذهبا إلى لندن حيث كانت توجد الملكة بريسينا . وظلَّ أماديس وأجراخيس وجراساندور فى الجزيرة اليابسة ومعهم ذلك العملاق القوى بالان ، ملك جزيرة البرج الأبيض المُشرب بالحمرة ، رغبةً منه فى ألاَّ يفارق أماديس حتى يعرفوا أخبارًا جديدة عن الملك ليسوارتى ، وإذا استلزم الأمر الحاجة إلى أناسٍ فسيكون على أهبة الاستعداد حتى تنتهى تلك المغامرة .

انتهت هنا الكُتب الأربعة

للفارس التَّقى الورع والشُّجاع

أماديس دى جاولا

نجل الملك بيريون والملكة إيليسينا .

وفيها توجد المغامرات الكبيرة والمعارك المرعبة ،

وقد سُرِدتْ بإسهابٍ ، تلك التى خاضها فى زمنه

وانتصر فيها هو وكثيرٌ من الفرسان من أسرته النَّجيبة

وكذلك من أصدقائه .

فهرس لأهم شخصيات أماديس دى جاولا

أبييس : ملك أيرلنـدا ، فارسٌ شجاعٌ وقوىٌّ . حارب الملك بيريون وقُتِلَ على يدى فتى البحر .

أبيسيوس : ملك سوبراديسا . جرَّد شقيقه من مملكته . وقُتِلَ على يدى أماديس .

أبرادان : فارسٌ عجوزٌ كان يُؤوى الفرسان الجائلين فى قلعته .

أجانون : فارسٌ عجوزٌ ذو شجاعة كبيرة . عندما حارب أماديس الملك أبييس كان أجانون يحمل له الرُّمح .

أجراخيس : نجل عم أماديس . تزوَّج من أوليندا لاميسورادا .

ألبادان : عملاقٌ شرِّيرٌ احتل صخرة جالتاريس .

ألديبا : نجلة الملك أندرويد دى سيروليس .

ألوماس : فارس اختطف ثلاث فتيات عند نافورة أشجار الدَّردار . نازله السَّيد فلوريستان وقتله .

أماديس دى جاولا : الشَّخصية الرَّئيسية فى الكتاب .

نجل الملك بيريون دى جاولا والأميرة إيليسينا . عند ولادته ، نظرًا لكونه نجلاً لعلاقات غرامية سرِّيةٍ ، أُلقى به فى البحر فى صندوق خشبى. أخذه السَّيد جنداليس ، تعرَّف على أوريانا ، كريمة الملك ليسوارتى ، وأنجب منها ابنًا يدعى إيسبلانديان . طلبت أوريانا من بيريون أنْ يجعل من أماديس فارسًا . فيما بعد ، وبفضل أورجاندا لاديسكونوثيدا ، استقبله والده فى المملكة . أنَّبته وانتهرته أوريانا فترك تدريبات

الفروسية والأسلحة وفرض على نفسه كفَّارة جزيرة الصَّخرة الفقيرة . وبعد ذلك استقرَّ مع فرسان آخرين فى الجــزيرة اليابسة ، تصالح مع الملك ليسوارتى وتزوَّج أوريانا . ومن بين الأسماء التى أطلقت عليه فى الكتاب: **فتى البحر، والفارس الإغريقى، وبليتينيبروس، والفارس نو السَّيف الأخضر ، وفارس القزم ، والفارس نو الخوذة الذَّهبية .**

أنثيديل : نجل شقيق الملك أرابيجو . قتل جواد أماديس وجرح السَّيد فلوريستان .

أندالود : ناسك كان يعيش فى عزلة بالصَّخرة الفقيرة .

أندرويد دى سيروليس : ملك سيروليس ووالد جريندالايا .

أنجريوتى دى إيسترابِاوس : فارس هُزم على يد أماديس ، ثمَّ أُطلق سراحه فيما بعد .

أنتيبون دى جاولا : فارسٌ قُتِلَ غدراً . اقتصَّ جالاؤر لقتله .

أنتيفون : فارسٌ قهره الملك ليسوارتى .

أبوليدون : نجل ملك إغريقى وشقيق إمبراطور القسطنطينية . كان يستحضر الأرواح ويزاول أعمال السِّحر . تخلَّى عن مملكته ليتفرَّغ لكتبه . عُيِّن فيما بعد إمبراطوراً لبلاد الإغريق .

أرابيجو : ملك أرابيا . حارب الملك ليسوارتى ، وبعد أنْ هُزم نُفى إلى جزيرة ليكونيا .

أريان دى نورجاليس : ملك نورجاليس . فارس الملك ليسوارتى ورفيق أماديس فى كثير من المغامرات .

أركالاوس السَّاحر : ساحر سحر أماديس ، ثم أسره أماديس بعد ذلك . وتلبيةً لطلب زوجة أركالاوس أطلق أماديس سراحه .

أرديان : قزم أماديس .

أركيسيل : فارسٌ رومانى أسره أماديس . قاد فى وقت لاحق جانبا من جيش الملك ليسوارتى ، وقد عُيِّن إمبراطوراً للرُّومان .

أرتوس : ملك بريطانيا .

بالايس دى كارسانتى : أحد الفرسان الذين تم إطلاق سراحهم من أركالاوس السَّاحر على يدى أماديس . حارب الملك ليسوارتى .

بالان : عملاقٌ تغلَّب عليه أماديس .

بارسينان : ملك سانسوينيا . حضر إلى البلاط الملكى للملك ليسوارتى بغية الاستيلاء على المملكــة والزَّواج من أوريانا . تمَّ اكتشــاف خيانته وأُعْدم حرقا أمام أهله وذويه .

باساجانتى : نجل العملاق فامونجومادان . قتله أماديس قبل معركة ليسوارتى ضد العماليق .

بيليتينيبروس : اسم تبنَّاه أماديس عندما اعتزل ليقدم الكفَّارة فى الصُّخرة الفقيرة .

برانداسيديل : فارسٌ تحدَّى أماديس ، ولكن هذا تغلَّب عليه . أصرَّ على استفزازه فُهزم للمرَّة الثَّانية .

برانفيل : شقيق برونيو دى بونامار ، حارب إلى جانب الملك ليسوراتى ، ثمَّ ساعد أماديس بستمائة فارسٍ ، وحارب أيضًا دفاعًا عن مملكة داثيا .

بريان دى مونجاستى : فارسٌ صديق للملك ليسوارتى . وكان قائدًا لجناحٍ من جيش الملك بيريون .

بريولانخا : كريمة ملك سوبراديسا ، الذى قتله شقيقه. اقتصَّ لها أماديس واستردَّ لها عرشها.

بريسينا : زوجة الملك ليسوارتى ووالدة أوريانا .

برونداخيل دى روكا : رئيس خدم إمبراطور روما . كان ضمن الوفد الذى ذهب لطلب يد أوريانا للإمبراطور .

برونيو دى بونامار : شقيق برانفيل . حارب لصالح الملك ليسوارتى . شارك فى عدة مغامرات مع أماديس وأنجريوتى دى إيسترا باوس وفرسانٍ آخرين .

الفارس الإغريقى : اسمُ تبنَّاه أماديس عند عودته إلى بريطانيا العظمى .

فارس الغابة : فارسٌ كان يقف عند مدخل الغابة لكى يحارب أىَّ فارس يأتى إليها . أسقط أماديس وأجراخيس وجالاؤر . تمَّ اكتشاف شخصيته أو هويته ، وهو السَّيد فلوريستان شقيق جالاؤر وأماديس .

فارس القزم : اسم تبنَّاه أماديس أثناء مغامراته فى ألمانيا .

فارس السَّيف الأخضر : اسم تبنَّاه أماديس أثناء مغامراته فى ألمانيا .

كارتاداكى لامونتانيا ديفينديدا : عملاقٌ عدوٌّ لدودٌ للملك ليسوارتى . واجه جالاؤر شقيق أماديس فصرعه جالاؤر

ثينديل دى جانوتا : فارس الملك ليسوارتى. وبوصفه سفيرًا له أبلغ أماديس بإعلان ليسوارتى للحرب .

ثيلدادان : ملك أيرلندا وعدوٌّ لدودٌ للملك ليسوارتى. أصابه أماديس بجروحٍ، وقد عالجته أورجاندا لاديسكونوثيدا . ثم بعد ذلك قاتل فى صفوف الملك ليسوارتى .

ثيلدادان دى لامونتانيا ديفينديدا : عملاق شارك فى معركة المائة فارسٍ ضد الملك ليسوارتى ، وقتله السَّيد جالاؤر .

كوريساندا : سيدةٌ حرضت السَّيد فلوريستان على محاربة جميع الفرسان الذين جاءوا إلى قلعتها .

داراسيون : نجل ملك سوبراديسا المزيَّف أبيسيوس . قتله أجراخيس .

داردان المكابر : فارس صارع أماديس وهُزم على يديه . قتل صديقته حينئذٍ وانتحر ، أمر الملك ليسوارتى بأن يدفنا معًا .

داريولينا : وصيفة إيليسينا وهى التى شيَّدت السَّفينة التى ألقى فيها أماديس فى اليَّم أو البحر .

فتى البحر : اسم أماديس قبل أن يكتشف اسمه الحقيقى . وقد سمِّى به بعد أنْ عُثر عليه فى البحر .

دراجونيس : فارس الملك ليسوارتى ونجل عم أماديس . شارك فى الحروب ضدَّ ثيلدادان ولصالح السَّيد جالبانيس . زوَّجه أماديس من إيستريتا .

دراميس : نجل مغتصب مملكة سوبراديسا ، أبيسيوس . هزمه أماديس ثمَّ قتله فى نزالهما .

دورين : شقيق الفتاة الدَّانماركية ورسول أوريانا .

إيليان إيلوثانو : فارس السَّيد جالبانيس . أسره ليسوارتى . سيحارب فيما بعد فى صفوف الملك بيريون .

إيليسينا : زوجة بيريون دى جاولا ، والدة أماديس وكريمة الملك جارينتر .

إينيل : نجل شقيق جنداليس . رسول أوريانا ، علَّمه أماديس فنَّ الفروسية واستخدام الأسلحة .

إيسبلانديان : نجل أوريانا وأماديس . ربته لبؤة فى منزل النَّاسك ناسيانو . عثر عليه الملك ليسوارتى بالصُّدفة المحضة واصطحبه إلى بلاطه. تعرف على أماديس ، وقد أصبح فارساً فى سفينة أورجاندا لاديسكونوثيدا .

إيستريتا : أميرةٌ شاركت إلى جانب نساءٍ أخريات فى اختبار إكليل الزَّهر المسحور . تزوَّجت دراجونيس نجل عم أماديس .

فامونجومادان : عملاق البحيرة المتحمِّسة. تحدَّى ليسوارتى، وقد هزمه أماديس . كان يذبح الفتيات ويقدم دماءهن قرباناً لصنمٍ كان يعبده .

فيليبسبينيل : فارس الملك ليسوارتى ، وقد ظهر فى عدَّة فصول سفيراً ورجل حربٍ .

فلوريستان : نجل الملك بيريون . حارب مع جالاؤر وبعد ذلك ذهب معه ومع أجراخيس بحثًا عن أماديس عندما كان منعزلاً فى الصَّخرة الفقيرة . هزم الفارسين جرادامور وفلويان . تزوَّج من سارداميرا ملكة سردينا .

فلويان : قائد جيوش إمبراطور روما وشقيق الأمير سالوستانكيديو . نازل أماديس ، وقتله فلوريستان .

جالاؤر : نجل بيريون دى جاولا وإيليسينا ، شقيق أماديس عندما كان طفلاً اختطفه العملاق جاندلاك . لم يكن أماديس يعرفه ودرَّبه على الفروسية . حارب أماديس قبل أنْ يتعرَّف أحدهما على الآخر بوصفهما شقيقين . أطلق سراح الملك ليسوارتى الذى كان أسيراً . ذهب مع أجراخيس وفلوريستان للبحث عن أماديس فى الصَّخرة الفقيرة ، وبعد معركة الملوك السَّبعة عالجته أورجاندا لاديسكونوثيدا .

جاليفون : فارسٌ قوىٌّ أصاب إيليسيو وحارب لاندين وجراساندور .

جالتينيس : نجل عم طافينور ملك بوهيميا. ساعد أماديس فى المعركة بألف وخمسمائة فارس .

جالبانيس بلا وطن : فارسٌ كان يمتلك قلعةً فقط. شقيق ملك اسكتلندا وعم أجراخيس ذهب معه إلى بلاط ليسوارتى. اعترض على الهجوم الذى كان يُعدُّ له ليسوارتى ضدَّ أماديس .

جاندلاك دى ليونيس : عملاقٌ طيِّبٌ قام بخطف جالاؤر عندما كان طفلاً لكى تتحقَّق النُّبوءة ، والتى تكمن فى أنَّ جالاؤر ينبغى أنْ يتغلَّب على العملاق ألبادان ، الذى اغتصب منه صخرة جالتاريس . ساعد فى معركة قوات ليسوارتى ضدَّ قوات ثيلدادان .

جنداليس : فارس اسكتلندى عثر على أماديس فى البحر .

جندالين : نجل جنداليس وشقيق أماديس فى الرَّضاعة . كان حامل أسلحة أماديس وسفيره . تعلَّم الفروسية على أيدى أماديس . ذهب إلى مملكة النرويج فى مساعدة ونصرة كريمة إحدى السَّيدات .

جاراداں : نجل عم باتين إمبراطور روما . كان سفيراً لدى طافينور، ملك بوهيميا . حاربه أماديس حيث صرعه وقضى عليه .

جاسينان : عديل أنجريوتى دى إيستراباوس . اختطف فتاةً نائمةً ، تحدَّاه أماديس وقهره . وفى وقت لاحقٍ حارب مع الملك ليسوارتى .

جاسكيلان إيلفويون : فارسٌ ونجل شقيق لانثينو ملك سويسا . حالف لانثينو وحارب ضدَّ أماديس فى معركته مع الملك ليسوارتى .

جاستيليس : فارسٌ ونجل شقيق إمبراطور القسطنطينية . حارب إلى جوار أماديس وقاد رجاله فى الحملة ضدَّ الملك أرابيجو .

جابارتى ديل بال تيمروسو : فارسٌ خرج مع أماديس من بلاط الملك ليسوارتى ، حارب لصالح السَّيد جالبانيس ضدَّ ليسوارتى .

خيونتيس : نجل شقيق ليسوارتى ، حارب فى المعركة ضدَّ ثيلداداں . هزمه جابارتى ديل بال تيمروسو عندما كان ضمن حراسة أوريانا . أرسله ليسوارتى سفيراً إلى روما .

جلوسيسترى : فارس الملك ليسوراتى رافق أماديس .

جورداں : شقيق أنجريوتى دى إيستراباوس . أحد الفرسان الذين رافقوا أوريانا إلى الجزيرة اليابسة .

جرادامور : فارسٌ رومانى هزمه السَّيد فلوريستان وقد أصابه أماديس بإصاباتٍ خطيرةٍ .

جراندوريس : أحد الفرسان الذين رافقوا أماديس عندما غادر بلاط ليسوارتى .

جراساندور : نجل طافينور ، ملك بوهيميا . شارك فى عدَّة أحداث لصالح أماديس .

جراسيندا : نجلة شقيق طافينور ، ملك بوهيميا . كانت نصيرة لأماديس ، ساعدها عدة مرَّاتٍ. تزوَّجت من السَّيد كوادراجانتى .

جريميو الشُّجاع : فارس الملك ليسوارتى حارب معه ضدَّ جيش السَّيد جالبانيس .

جريندالايا : نجلة أندرويد ، ملك سيروليس . أطلق أماديس سراحها من قبضة أركالاوس السَّاحر .

جروماداسا : زوجة العملاق فامونجومادان . أرسلت فتاةً إلى الملك ليسوارتى لكى يتحدَّاه فى النِّزال .

جروبادان : شقيق أنجريوتى دى إيسترافاوس . حارب مع السَّيد جالبانيس ضدَّ الملك ليسوارتى .

جروميدان : مستشار ووصيف الملكة بريسينا . شارك فى عدة أحداث وقد أسقطوا منه راية الملك ليسوارتى فى معركة ضدَّ ملك أرابيا .

جيلان إيلكويدادور : عثر على أسلحة أماديس وذهب إلى بلاط الملك ليسوارتى حاملاً تلك الأسلحة . عيَّنه ليسوارتى سفيراً فى روما .

إيليساباد : رجل متمرِّسٌ فى علاج الجروح . عالج جراح أماديس التى أصيب بها فى نزاله مع برانداسيديل وبعد قتاله مع إيندرياجو .

إيموسيل : شقيق دوق بورجونيا وفارس أماديس .

إيسانخو : حاكم الجزيرة اليابسة وصديق أماديس .

خوليـاندا : فتاة السَّاحرة أورجاندا لاديسكونوثيدا . رزقت من جالاوْر بمولود يُدعى تالانكى .

لاداسين المبارز : فارسٌ وفىٌّ للملك ليسوارتى قاتل ضدَّ جيش السَّيد جالبانيس وضدَّ الملك بيريون .

لادين دى فاخاركى : فارس الملك ليسوارتى ، قاتل مع أماديس . ثم حارب بعد ذلك ضدَّ جيش ليسوارتى فى صفوف الملك بيريون .

لاندين : فـارسٌ قَدِمَ إلى بلاط الملك ليسـوارتى لكى يقـاتل مع أمـاديس . نجل شـقـيق السَّيد كوادراجانتى ، طلب من جانب السَّيد كوادراجانتى تعزيزات وإمدادات لملكة أيرلندا. أنقذ حياته فى المعركة السَّيد كوادراجانتى .

لاسامور : فارس الملك ليسوارتى الذى هزمه أماديس .

لاسانور : شقيق جرادامور . أصابه أماديس وأنقذ حياته إيسبلانديان .

لاسيندور : حـامل أسلحـة برونيـو دى بونامـار . رسـول برونيـو وقد درَّبه سـيـده على الفروسية كى يُصبح فارسًا .

ليدادرين دى فاخاركى : هجر بلاط ليسوارتى مع أماديس . أرسله أماديس كى ينقذ بعض الفتيات .

ليسوارتى : ملك بريطانيا العظـمى . وصـل إلى اسكتلندا مع كريمتـه أوريانا وقد أُسر غدرًا من جـانب أركالاوس السَّاحـر . أنقذه السَّيد جـالاؤر . وافق على زواج كـريمـتـه أوريانا من إمـبـراطور رومـا . حـارب فـرسـان أمـاديس وفـى النهـاية تصالح معه .

مابيليا : وصيفة أوريانا ، وهى كريمة لانجينيس ، عاهل اسكتلندا .

مانداثيل دى لابونتى دى بلاتا (الجسر الفضى) : فارسٌ مخلصٌ لأماديس .

مانكابون : حـامل أسلحة كان لديه سيف مسحورٌ تكمن عظمته فى أنَّه لا يستطيع أن يخرجه من غمده إلا عاشق وفىٌّ مخلصٌ .

ماندافابول دى لاتورى بيرميخا (ملك البرج الأبيض المُشرب بالحمرة) : عملاق حارب ليسوارتى . قتله أماديس .

مادارکى : عملاقٌ شريرٌ من الجزيرة الحزينة . هزمه أماديس وجعله يعتنق المسيحية .

ماداسيما : كريمة العملاق فامونجومادان . سجنت أماديس وجالاؤر .

مانيلى الميسورادو (العاقل) : ابن غير شرعى للملك ثيلدادان . ذهب إلى القسطنطينية بحثًا عن مغامرات ثمَّ أصبح غلامًا لأورجاندا لاديسكونوثيدا .

ماتاليسا لاديسميخادا (المشوَّهة) : فتاة سرقت سيف أماديس . عندما شهدت مقتل عمِّها وشقيقها على أيدى أماديس والسَّيد برونيو انتحرت .

ميليثيا : نجلة الملك بيريون والملكة إيليسينا وتوءم جالاؤر . تزوَّجت السَّيد برونيو .

ناسيانو : ناسك أنقذ إيسبلانديان من أنْ تلتهمه اللبؤة . سفير السَّلام بين ليسوارتى وبيريون .

نيكوران دى لابوينتى ميدروسا (الجسر المرعب) : فارسٌ حارب مع أماديس . حارب فى البداية فى جيش ليسوارتى ضد ثيلدادان وبعد ذلك ضد جيش السَّيد جالبانيس .

نوارنديل : نجل ليسوارتى والأميرة ثيلدينا ، دربَّه والده كى يُصبح فارسًا دون علمها .

أوليندا لاميسورادا (العاقلة) : كريمة بناين ، ملك النرويج . شاركت فى عدَّة اختبارات وتزوجت من أجراخيس .

أولينباس : فارسٌ حارب دوق بريستويا . قاتل أيضًا ضدَّ الملك ثيلدادان وجيش السَّيد جالبانيس .

أوريانا : كريمة الملك ليسوارتى . أحبَّت أماديس ، وطلبت من الملك بيريون أنْ يجعل منه فارسًا . بعد ذلك انتهرت وعاقبت أماديس على سلوكياته فاعتزل أماديس القوم لكى يكفر عن ذنوبه وآثامه فى الصَّخرة الفقيرة . رُزقت بابنٍ من أماديس ، هو إيسبلانديان. أرسلها ليسوارتى إلى روما لكى تتزوَّج الإمبراطور ، لكنَّ أماديس وفرسانه أنقذوها. بعد أنْ شاركت فى اختبار المحبِّين الأوفياء تزوجت أماديس على الملأ .

أورلاندين : نجل كونت أيرلندا وفارسٌ وفىٌّ لأماديس .

بالومير : فارسُ الملك ليسوارتى . حارب الملك ثيلدادان لصَّالح السَّيد جالبانيس . منحه أماديس إمارة .

باتين : إمبراطور روما . أحبَّ أوريانا وأرسل مجموعة من الفرسان لاستقبالها . حارب مع الملك ليسوارتى ضدَّ أماديس . قتله أماديس .

بيريون دى جاولا : والد أماديس . أحبَّه دون أنْ يعرفه . بعد ذلك جاء ورجاله إلى الجزيرة اليابسة لنصرة أماديس ضد ليسوارتى وإمبراطور روما .

بينوريس : نجل شقيق أنجريوتى دى إيستراباوس. عندما هجر أماديس بلاط الملك ليسوارتى رافقه بينوريس .

سادامون : فارس أماديس الذى أوكل إليه عدَّة مهام . حارب ضدَّ الملك ليسوارتى .

سالوستانكيديو : أمير كالابريا ورئيس المجموعة التى جاءت تطلب من الملك ليسوارتى يد كريمته أوريانا لإمبراطور روما باتين . حارب أماديس فهزمه الفارس ذو السَّيف الأخضر . قتله أجراخيس فى الهجوم على المجموعة التى كانت تحمى أوريانا فى طريقِها إلى روما .

سارداميرا : ملكة سردينيا . كانت ضمن المجموعة التى أرسلها إمبراطور روما لاصطحاب أوريانا .

ساركيليس : نجل شقيق أنجريوتى دى إيستراباوس حارب لصالح الملك ليسوارتى فى معركة ضدَّ السَّيد جالبانيس .

دوق السويد : قتل ملك داثيا والد زوجتـــه ، وبالقرب من المدينة هزمته قوات أنجريوتى دى إيستراباوس وأعدم شنقًا .

طافينور : ملك بوهيما الذى كان فى حربٍ مع إمبراطور روما . قضى أماديس شتاءً فى بلاطه .

تالانكى : نجل خولياندا والسَّيد جالاؤر . ذهب مع ملك داثيا ومع إيسبلانديان بحثًا عن مغامرات .

تانتيليس دى سويراديسا : حاكم مملكة سوبراديسا . قاد ألفًا ومائتى فارسٍ من قوات الملكة بريولانخا لنصرة أماديس .

تيريون : نجل عم الملكة بريولانخا الذى سقط أسيرًا فى أيدى السَّيد كوادراجانتى .

أورجاندا لاديسكونوثيدا : ساحرة كانت تُجيد تغيير مظهرها الخارجى . تعرف جيدًا أسرار جميع شخصيات القصَّة وأسباب تعاساتهم . إنَّها عرَّافه أو متنبئة شاركت فى كثير من الأحداث إمَّا بإرسال نبوءاتها ، أو بتجميع الشخصيات الرَّئيسية فى القصَّة لكى تشرح لهم الأحداث . فى نهاية الكتاب اختفت بصورة غامضةٍ .

أوتير بادراجون : ملك بريطانيا العظمى ووالد الملك أرتوس .

معجم الألفاظ والتعبيرات القديمة
وصيغتها الحديثة وترجمتها

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
a brazos	por los brazos	بالذراعين
a cabo de gran pieza	al cabo de largo rato	بعد فترة طويلة، بعد وقت طويل
a caso	por casualidad	بالصدفة
a cuya requesta se combatió conmigo	a cuya requerimiento, a instacias suyas, se combatió conmigo	بناء على طلبه نازلني أو قاتلني أو حاربني
a cuyo es de derecho	a quien pertenece por derecho	لمن له الحق في ذلك
a derecho golpe	con la parte cortante de la espada	ضربة بحدّ السّيف أو بنصل السّيف
a duro	apenas	بالكاد ، بصعوبة
a duro	difícilmente	بصعوبة ، بشقّ الأنفس
a duro lo podría creer quien lo no viese	difícilmente lo podría creer quien no lo viese	يصعب تصديق ذلك على من لم يره
a él no tiene pro	no le aprovecha	لم يستغله ، لم يستفد منه
a fucia que	confiando en que	يثق بـ
a fuerza	a la fuerza	بالقوة ، غصبا
a hilo por la faz	le caín sin interrupción, continuamente	انهالت عليه دون انقطاع، باستمرار
a la fe	fórmula de juramento	صيغة قسم أو يمين
a la memoria le ocurrió	le vino a la memoria	عنّ لخاطره ، خطر على باله
a la pasada de un río	en el paso de un río	عند معبر نهر
a las veces	a veces	أحيانا
a las veces	a ratos	أحيانا
a los que menos facer no pueden	a los que no pueden dejar de hacerlo	
a mal de mi grado	a pesar mío	رغما عنّي.
a mal de su grado	a su pesar	رغما عنه ، غصبا عنه
a mala verdad	con traición	بالخيانة ، بالغدر

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
a manos y a brazos:	con las manos y con los brazos	بالأيدى والسواعد
a mi saber	a mi juicio, según mis conocimientos	فى رأيى ، طبقا لمعلوماتى
a nosotros es gran vergüenza	nos causa gran vergüenza construcción latinizante	يُسبِّب لنا حرجًا كبيرا. (عبارة متأثرة باللاتينية).
a paso	en voz baja	بصوتٍ خفيض
a pena de traidor	como pena de traidor	كعقوبة الخائن
a poca de hora	dentro de poco tiempo	بعد وقتٍ قصير
a razón	en proporción de	على أساس
a recaudo	a salvo, en el lugar adecuado	سالما ، فى المكان المناسب
a salva fe	se trata de sobre seguro, un juramento de seguridad	ظرف موثق، قسم مؤكد
a salva fe	asegurados, sin temer traición	عن يقين ، متأكدون ، لا يخشون الخيانة
a señalado día	en el día prefijado	فى اليوم المحدّد سلفا. فى اليوم المحدد من قبل
a tal recaudo	con tal precaución	بمثل هذا الحذر
a tiempo	a su tiempo	فى حينه ، فى وقته
a todo mi poder no seré conocido	mientras pueda no seré reconocido	سأحاول على قدر استطاعتى
a tuerto que a derecho todos dudan su batalla	manteniendo una causa justa o injusta todos temen luchar con él	يدافع عن قضية عادلة أو جائرة ويخشى الجميع محاربته
a una sazón	al mismo tiempo	فى الوقت نفسه ، فى آن واحد
a zaga	atrás	خلف ، فى الوراء
abastado	provisto	مزوّد بـ
abolorio	linaje, abolengo	أصل ، نسب
abrasado	encendido, inflamado	مشتعل ، مستعر ، ملتهب.
absolver	resolver, aclarar	حلّ ، وجد حلا ، أوضح
abundada	bien provista, abundante	مزودة جيدا بكثرة ، بوفرة
acaso	por casualidad	بالصُدفة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
acataba	miraba	كان ينظر
ación	correa del estribo	حزام الرِّكاب
acogéronse	acogiéronse	أووا إلى ، لاذوا بـ
acomendó	encomendó	أوصى
acordando	volviendo en sí	عاد إلى وعيه، فاق
acordar	volver en sí	أفاق ، عاد إلى وعيه
acordar	volver en sí, recobrar el conocimiento	استردَّ وعيه
acordó ya cuanto	volvió en sí algo, un poco	عاد إلى وعيه قليلا ، أفاق قليلا
acordó ya cuanto	volvió un poco en sí	عاد إلى وعيه قليلا، استردَّ قليلا من وعيه
acorrámosle	socorrámosle	فلننقذه ، فلننجده ، فلنساعده
acórreme	ayúdame, socórreme	ساعدني ، أنقذني
acorro y defendimiento	socorro y defensa	نجدة ، مساعدة ودفاع
acostados	acostaos	ناموا ، اضطجعوا
acostando	acercando	يقترب
acostra	acercar	اقترب
acucia	prisa	سرعة
adarga	escudo	درع
adereza	haz los preparativos	أعدَّ الترتيبات ، أعدَّ التجهيزات
aderezó de	se preparó para	أعدَّ نفسه لـ ، هيَّأ نفسه لـ
afeccionó	aficionó	أحب شخصا أو شغفه حبا
afincados	profundos, intensos	عميقة ، شديدة
afincó	instó, apremio	أزعج
afortunado de corazón	tepestuoso de corazón	ذو قلب متأرجح ، متقلب مزاجيّ
afrontó	amonestó	أنب ، انتهر
afruenta ninguna	ninguna otra afrenta	بلا إهانة أخرى
afruentas	peligros, apuros	أخطار ، مأزق
agora pune de ser mejor, y decidle	ahora trate de ser mejor y decidle	الآن حاولوا أن تكونوا أفضل وأخبروه
agramente	amargamente	بمرارة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
aguardaban	guardaban, custodiaban	كانوا يحرسون، أو كانوا يحمون
aguerdamiento	guarda	حراسة ، حماية
aguijando	espoleando	يهمز الجواد بالمهماز
águilas tan mañas	águilas tan grandes tamañas	نسور كبيرة الحكم ، نسور ضخمة جدا
aguisada	razonable, adecuada	معقولة ، مناسبة
aguja	carne del cuarto delantero o trasero del animal	لحم الربع الأمامي أو الخلفي للحيوان، لحم ضلوع الذبيحة، الرّيش
ahincadamente	con ahínco, con interés	بحماس ، باهتمام
ahincado	apremiado	في ضيق ، في مأزق
ahincado	afectado grandemente acuciado	كان متأثرا جدا ، منزعجا
aína	pronto	بسرعة أو سريعا
aína	pronto, inmediata mente	بسرعة ، فورا
ál	otra cosa	أمر آخر ، شئ آخر
al mi cuidar	a mi juicio, en mi opinión	في رأي
al parecer	al mostrarse	عند إثبات ذلك
albricia	regalo que se da por alguna buena nueva a la primera noticia de aquella	بشارة ، بشرى ، عبارة عن هدية تقدم للإبلاغ عن نبأ سعيد
alcándara	percha o varal donde se ponían las aves de cetrería	شمّاعة أو علاقة من الحديد لوضع طيور الصّيد
alegando	añadiendo	يضيف
aleve	alevosía, traición	غدر خيانة
aleve	con alevosía, con traición	بالغدر ، بالخيانة
aleve	traición, alevosía	غدر ، خيانة
algo le hacía dudar su batalla	hacía que temiera un poco combatir con él	كان يخشى قليلا محادثته أو نزاله
alimpiad	limpiad	نظّفوا
aljófar	perla de figura irregular y	لؤلؤة ، لؤلؤ ، جوهرة غير

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	comúnmente pequeña; también se denomina así el conjunto de perlas de esta clase	منتظمة الشكل و غالبا ما تكون صغيرة ، وتطلق أيضا على مجموعة الجواهر من هذا النوع.
aljuba	vestidura morisca; especie de gabán con mangas cortas y estrechas que usaron también los moriscos españoles	الجُبة ، ثوبٌ موريسكى عبارة عن نوع من المعطف بنصف كم وضيق كان يستخدمه أيضا الموريسكيون الإسبان
almadraque	colchón para la cama o para sentarse en el suelo	مرتبة سرير ، وسادة أو شلتة للجلوس على الأرض
almobares	almofares; capucha que tenía la loriga para cubrir la cabeza y el cuello del guerrero	غطاءٌ للرأس متصلٌ بالدّرع لتغطية رأس الفارس و عنقه
alongaba	alejaba	أبعد
alongabades	alejáis, postergáis	ابتعدوا ، تأخّروا
alongado	apartado alejado	بعيد ، ناء
alongamiento	alejamiento	بعد، ابتعاد
alongó	alejó	ابتعد
alueñe	lejos	بعيدا
allegada	próxima	قريبة
allegar	acercar	يقترب
alleguéis	reunáis	تُجمّعون
amollentar	ablandar	طرى ، ليّن
amortecida	desvanecida, como muerta	كالميتة ، كالمتوفاة
amostréis	enseñéis	تظهرون ، تعلمون
anduvo su camino, pero de grande espacio	anduvo su camino, pero con mucha lentitud	طريقة ولكن ببطء شديد
animalias	animales	حيوانات
ante de mí	delante de mí, en mi presencia	في وجودى

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
anuncias	anuncios, adelantos de lo que ocurrirá en el futuro	نبوءات ، تكهنات بما يمكن أن يحدث في المستقبل
aparato	adornos	زينات ، زخارف
apartadamente	suficientemente	بما فيه الكفاية ، كافٍ
apartamiento	separación, división	انفصال ، تقسيم
apoderados	fuertes	أقوياء
aportados	llegados a puerto	وصلوا إلى الميناء
aposentador	era el oficial encargado de dar alojamientos a las personas que acompañaban al rey	كان الضابط المكلف بإيواء الأشخاص الذين كانوا يرافقون الملك.
apuesta	aparejada, provista	مهيأة
aqueja	aprieta	يزعج ، يضايق
aquejabas mucho por la partida	tenía muchas ganas de partir	كان تواقاً إلى الرحيل
aquejados	apresurado	على استعجال ، متسرّعين
aquel	tiene un valor encomiástico: el famoso	له قيمة من المدح والإطراء بمثابة المدح والإطراء
aquél	a aquél	ذلك
aquel señor	a aquel Señor	ذلك الرّب
aquella que yo demando antes cuarenta años que nasciesedes	aquella que busco desde cuarenta años antes de que naciera	تلك التي أبحث عنها قبل أنْ تولد بأربعين عاماً
aquella sazón	a aquella sazón	في تلك اللحظة
aquella sazón	a aquella sazón	في تلك اللحظة
aquella sazón	a aquella sazón	في تلك اللحظة ، في تلك الأونة
aquellos	a aquellos	إلى هؤلاء ، لهؤلاء
aquesta	esta	هذه
ardid	valiente	في القصة تعني شجاع
ardideza	brío, valentía	شجاعة، إقدام
ardimento	valor, coraje	شجاعة ، جرأة
armadas	personas que espantan a los	أشخاص يطاردون الحيوانات

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	animales para que se dirijan a donde están los cazadores	كى تتوجّه إلى حيث يوجد الصّيادون
armado de unas armas jaldes	armado de unas armas de color amarillo subido	مسلّحٌ بأسلحةٍ ذات لون أصفر داكن
armellas	anillos de hierro o de otro me tal que suelen tener un tornillo para clavarlos en parte sólida como aquellos por aquellos por donde entra el cerrojo	حلقات من الحديد أو أىٍّ معدن أخر من المألوف أنه ينتهى بمسمار قلاووظ لتثبيته فى جزء صلب مثل تلك التى يمر فيها القفل
arnés	como la loriga, especie de camisón de mallas metálicas que va desde el cuello hasta las rodillas, con elementos que protegen la cabeza y los brazos	مثل درع ، وهو عبارة عن قميص معدنى يغطى الرقبة حتى الرُكبتين وبه أجزاء لحماية الرأس والذراعين
arraigada	arraigada en el corazón de la mujer	متأصّلة فى قلب المرأة
arredróse	se apartó	ابتعد ، نأى
arzón	parte delantera o trasera que une los dos brazos longitudinales del fuste de una silla de montar	الجزء الأمامى أو الخلفى الذى يربط السّاعدين الطّويلين لسرج الركوب
arzón de zaga	fuste trasero de la silla de montar	الجزء الخلفى من السرج.
ascondíades	escondíais	تُخفون
asentase	acordase	يتفق
asentó	acordó	تذكّر
así lo tenía	consideraba que era así	كان يعتبر أنه هكذا
asonado	juntado, reunido	مجتمع ، متجاور
asonados	reunidos	مجتمعون
astrosa	infausta, desgraciada	مشئوم ، منحوس

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
atalayando	observando, mirando	يراقب ، ينظر
atender	esperar	ينتظر
atenga	mantenga, cumpla	يفي بـ ، يمتثل لـ
atreguar	asegurar	أكّد
auctos	actos	أحداث
aunque dos tanto bueno fuese, no le tendría pro	aunque fuera el doble de bueno en lucha de lo que era, no le serviría de nada, no le aprovecharía	حتى لو كان ضعف خصمه في النزال فلن ينفعه ذلك أبدًا
autos católicos	actos católico	احتفالات كاثوليكية
avantaja	ventaja	ميزة
avenencia	acuerdo	اتفاق
avenir	ponerse de acuerdo	اتفق
averna	sucederá	سيحدث
averná	sucederá	سيحدث
aviesas	al revés, puesto al contrario	على العكس ، معكوسا
aviltado	afrentad, injuriado	مُهان
aviltamento	vileza, afrenta, injuria	سفالة، خسّة
avisar	informar	ابلغ أنبأ، أحاطه علما بـ
ayuntados	reunidos, juntados	مجتمعون
ayuntados en vuestro acorro	reunidos a fín de socorreros	اجتمعوا بغية مساعدتكم ، تجمّعوا لنصرتكم
bajo traer	pobre vestimenta	ملابس رديئة
baraustar	desviar el golpe de un arma	أبعد ضربة سلاح ، تفادى ضربة سلاح
basta algo	un poco	قليل ، نذر يسير.
bastada	abastecida	كانت تموّن ، وفي حالة الأراضي كانت تُروى
bastecerlas	abastecerlas, proveerlas	مدّ ، زوّد ، موّن
bastimiento	provisiones	مؤن ، زاد ، أغذية
batel	bote, barco pequeño	قارب ، سفينة أو مركب صغير

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
bayo	de color blanco amarillento	ذو لون أبيض مُشرب بالصُفرة
beleño	planta narcótica	سكران ، بنج ، نبات مخدّر
bezos	labios	شفايف
bien	sin exagerar	بلا مبالغة
bien	mucho	كثيرا
bien os quitastes de la promesa que me distes	bien cumplisteis la promesa que me hicisteis	لقد وفيتم بوعدكم الذى وعدتمونى إيّاه
bien razonado	buen conversador persuasivo	محاورٌ جيدٌ ، محاورٌ مقنعٌ
bien será que echéis el bastón entre estos dos caballeros	bien será que terciéis, paz entre estos dos caballeros	لإحلال السلام بين هذين الفارسين
blandeado	cimbreando, moviendo de un lado a otro	تحرُّك من مكان إلى الأخر
bolgados	descansados	مستريحون
bondad	destereza en el manejo de las armas	مهارة فى استخدام الأسلحة
bordo	cualquiera de los dos lados del navío, también llamados flancos	أىُّ جانب من جانبى السفينة
brasilado	rojizo, del color del brasil	أحمر ، ذو لون أحمر
braveza	bravura	شجاعة ، بسالة ، جرأة
brazada	medida de longitud equivalente a la longitud de los dos brazos abiertos y estirados	باع ، وهو مقياس طول عبارة عن فرد الذراعين ومدّهما.
brazal, embarazadora	es uno de los juegos de correas que llevaba el escudo y que no se percibía desde el exterior	أحد الأطقم التى يربط بها الفارس الدرع ولا يظهر من الخارج
breve	en breve	بإيجاز ، باختصار
buen amor	amistad	صداقة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
bujeta	pomo, frasco para los perfumes, cajita	وعاء العطور ، علبة العطور
bustillo de lagar	tornillo de hierro o madera que se usa para prensar o para machacar la manzana y obtener la sidra	مهراس من الحديد أو الخشب يستخدم في عصر الزيتون لاستخراج الزيت أو لهرس التفاح لاستخلاص عصيره أو شرابه
caba brocada	capa entretejida con oro y plata	عباءة حيكت من الذهب والفضة
caballero novel	caballero principiante, caballero sin gloria todavía	فارس مبتدئ، لم يحقق المجد حتى الآن.
caballo overo	caballo de un color parecido al del melocotón	جواد لونه كلون الخوخ
caballo ruano	caballo cuyo pelo está mezclado de blanco, gris y bayo	جواد شعره خليط من الألوان الأبيض والرمادي والأبيض المشرب بالصفرة
cabe	cabe, junto a	بالقرب ، إلى جوار
cabe una ribera	junto a la orilla de un río	بالقرب من ضفة النهر
cada que	cuando	عندما
cada que	siempre que	طالما أن
cada que	cada vez que, cuando	كلما ، عندما
caería en mal caso	incurriría en caso de menos valer, en una acción que afrentaría	سيتورط في أمر تافه ، في عمل يهينني
calafatear	calafatear	ضم ألواح السفن جيدا حتى لا يتسرب منها الماء.
caló que le llegó a los sesos	penetró tanto que le llegó hasta los sesos	توغل كثيرا لدرجة أنه وصل إلى المخ
canado de la red	candado de la verja	قفل الحاجز أو السور
cántico	cantiga; se trata de un tipo de composición poética destinado al canto	أغنية ، أنشودة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
cantos	esquinas	نواصي أو أركان
cañas	canillas; en este caso, huesos del brazo	عظام السّاعد أو الذراع
caño	pasaje subterráneo	ممر في باطن الأرض.
capa piel de escarlata	capa de piel de escarlata	عباءة قرمزية اللون
capellina	casco de hierro, propio de villanos y gigantes, que amoldarían a la forma de la cabeza	خوذة من الصُّلب يرتديها الفلاحون والعماليق يعدونها وفقا لحجم رؤسهم
carreras	caminos, sendas	طرق ، صراط
carta de creencia	la que lleva uno para ser creído en la negocio que va a tratar	خطاب ضمان
casar	solar, pueblo arruinado o conjunto de restos de edificios antiguos	أرض للبناء ، أو قرية خربة أو مجموعة من أطلال مبان قديمة
caso	suceso	واقعة أو حادثة
castigadas	enseñadas, adoctrinadas	مبادئ ، مذاهب أو تعلميات
castillo	una superficie en tanto en su parte delantera como en la trasera	سطح في السفينة أو المركب سواء في المقدمة أو في المؤخرة
cataréis	concederéis, otorgaréis	ستمنحون
cativo	desdichado, miserable	تعيس ، بائس
cativo	desgraciado, infeliz	تعيس ، حزين
cató a todas las partes:	miró, buscó por todas partes	نظر ، بحث في جميع الأماكن
católe	le miró	نظر إليه
cautivar su palabra	tenía miedo de comprometer su palabra	كان يخشى أنْ يتورّط في وعده
caya	caiga	يقع (في صيغة الشك)
cebar	dar el cebo a los animales de la caza	أعطى الطّعم لحيوانات الصّيد
cedo	Pronto	بسرعة، سريعا

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
celosía	Celos	في القصة تعني غيرة، ولها معنى آخر وهو مشربية
certendad	certidumbre	ثقة
certinidad	certeza	تأكيد ، يقين
cinta	cintura	خصر . وسط
cinta	cintura	
cobertor	cierto género de manta que se echan en las camas para el abrigo y que ordinariamente suele ser de lana	بطانية أو لحاف غالبا ما يكون من الصوف.
cobraba en su honra	recuperaba su honra	استردّ شرفه
cobrar	recobrar	استردّ
cobrar	recuperar	استردّ ، استعاد
cocodrillos	cocodrilos	تماسيح
cogió huelgo	descansó, recobrando las fuerzas	استراح ، استرد قواه ، التقط أنفاسه
cohermano	primo hermano	ابن عم
collazo	sobrino	ابن أخ أو ابن أخت
comarca	confina, linda	يحدُّ ، يجاور
comarcaban	lindaban, tenían fronteras	كان يحدُّوهم ، كان لهم حدودٌ
comarcanos	cercanos, vecinos	الأهالى ، الجيران
coménzlo a besar	empezó a besarle	بدأ يقبّله
como acordó quísose tirar afuera	cuando despertó quiso apartarse	عندما استيقظ أراد الابتعاد أو الانصراف أو الرَّحيل
como aquel sobre quien lo cargaba	como aquel que se sentía responsable del asunto	مثل ذلك الذى يشعر بأنّه هو المسئول عن الموضوع
como de ante	como anteriormente	كما سبق، كما من قبل
como de primero	como la primera vez, como al principio	كأول مرة أو كما فى البداية
como fueran	porque habían sido	لأنّهم كانوا
como la vio	cuando la vio	عندما رآها

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
como quiera que	aunque	على الرّغم من
compaña	cortejo, grupo de personas	موكب ، زمرة من الناس
con achaque	con la excusa	بحجة
con achaque de ver a su novia	con pretexto de ver a su novia	بحجة أنْ يرى خطيبته
con copia de dueñas	con gran cantidad de dueñas	بعددٍ وفير من السيدات
con el recaudo que hallare	con el resultado que obtenga	بالنتيجة التى ستتحقق له ، أو التى سيحصل عليها بتواضع
con péndola en la mano	con pluma en mano	تعلم على يده
concierto	acuerdo	اتفاق
conocencia	conocimiento	معرفة ، وعى
conocer	agradecer, reconocer	يشكر ، يعترف
conortaba	consolaba	سرّى ، سلى
conorte	consuelo	سلوى، عزاء
conoscencia	conocimiento	معرفة
conquirió	conquistó, acabó	أتمّ ، أنهى ، أنجز
conquistado	vencido, derrotado	ولها معنى أخر وهو حيلة
consiliaria	latinismo que significa consejeros	لفظ لاتينى
constelación	temple	شجاعة ، بسالة ، قوة.
continente	apariencia, aspecto exterior	الظّاهر ، المظهر الخارجي
contrallase	impidiese	يمنع ، يعوق
contraste	dificultad, oposición	صعوبة ، معارضة
contristar	entristecer	حزن
conveniese	juntase	تجمع
convusco	con vos	معكم
corona cercen	corona a cercén, la parte superior del yelmo	أعلى الخوذة. الطرف العلوى للخوذة
corridos	humillados, desamparados	مهينون ، أذلاء ، بلا رعاية أو حماية
cortarte ian la cabeza	te cortarín la cabeza	سيقطعون رأسك

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
cosa	nada	لا شيء
creyendo que los días de su señor con la fin de aquel día la habrían ellos	cryendo que su señor moriría al final de aquel día	يعتقد أنّ سيده سيموت فى نهاية ذلك اليوم
criado	persona que sido criada por alguien	شخص رباه آخر ، نشأ أو ترعرع فى كنف شخص آخر
criado	persona que ha sido criada por otra	بواسطة شخص آخر
crispos	crespos	مجعّد الشّعر
crudeza	crueldad	قسوة ، عنف
cruenzas	crueldades	فظاعات عنف
crueza	Crueldad	عنف، قسوة
cuadra	cuarto, habitación	غرفة ، حجرة
cuando ... cuando	unas veces ... otras	أحيانا ... وأحيانا أخرى
cuando fuese sazón	cuando llegara el momento adecuado	عندما يحين الوقت المناسب
cuanto	en cuanto	بالنّسبة
cuarterón	cuarta, cada una de las cuatro partes iguales en que se divide un todo	ربع ، أحد الأجزاء الأربعة المتساوية التى ينقسم إليها الواحد الصّحيح
cubriéronle un manto	cubrieronle con un manto	غطوه ببطانية أو لحاف أو عباءة
cuenta	calidad	سمة، جودة
cuento	nombradía, valor	شجاعة، قدر، قيمة، شهرة، صيت
cuento	contera; parte de la lanza situada en el extremo opuesto a aquella con que se hiere, llamada cuchilla	جزء من المعدن أو الجلد يوضع فى أقصى طرف الرُّمح، نصل الرمح ذلك الذى يجرح ويسمّى نصلً
cuidaban	esperaban	كانوا ينتظرون
cuidando	pensando	يفكّر
cuidanza	cuidado	حذر ، حيطة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
cuita	ansia, anhelo, aflicción desventura	هم ، كرب ، جزع حنين
cuita	deseo	رغبة ، إرادة
curaba	preocupaba	كان قلقا ، كان مهموما
curar	dar pienso a las caballerías y cuidarlas para que se conserven bien	علف الجياد واعتنى بها كي يتمّ الحفاظ عليها جيدا
curar de	preocuparse por	اهتم بـ ، اعتنى بـ
cure	cuide	احترس ، كن حذرا
curemos de	intentemos, nos preocupemos de	فلنحاول
cuyo era	a las cuales pertenecía	التى ينتمى إليها
cúyo fijo sois	de quien sois hijo	الذى أنتم نجله
dar sobre	arrojarse, acometer, embestir de improviso con violencia	هجم ، هجم فجأة بعنف
darle ia el juicio	le otorgaría la sentencia	سيمنحه الحكمة
darte el don que me soltaste	cumpliré la promesa de la que me eximiste	سأفى بالوعد الذى أعفيتنى منه
de antes	previamente	مسبقا
de burzas	de bruces	على وجهه
de cabo	al principio	فى البداية
de consuno	a la vez, juntamente	بالمرة، جملة، معا
de consuno	juntos	جنبا إلى جنب. مجتمعون
de consuno	a la vez, al mismo tiempo	فى آن واحد ، فى الوقت نفسه
de contino	continuamente	باستمرار
de ello podría recrescer	de ello se podría deducir, ello podría provocar	من ذلك، يمكن استنتاج ذلك يمكن أنْ يؤدى إلى
de en uno nos partamos	nos separemos en el acto	فلنفترق حالا
de fuera los atendían	los esperaban fuera	كانوا ينتظرونهم بالخارج
de gran cuento	de gran categoría	ذو منزلة عظيمة
de gran guisa	de gran linaje	من أصل نجيب ، من أسرة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
		نجيبة الأصل
de la otra parte apuntó	sobresalió por la otra parte	خرج من الناحية الأخرى ، نفذ من الجانب الآخر
de otra guisa se partiría el pleito	de otra manera se acabaría el pleito	بطريقة أخرى ستنتهي الدَّعوى
de que	desde que	منذ أن
de que	cuando	عندما
de que	cuando, en cuanto	عندما أو بالنسبة لـ
de quien	de los cuales	من هؤلاء
de rondón	intrépidamente y sin reparo entre los enemigos	توغل بشجاعة ودون هوادة بين الأعداء
de su cuidado acorcdó:	volvió en sí de su ensimismamiento, de su abstracción	عاد إلى وعيه من شروده
de sus días	en sus días	في أيّامه ، في زمنه
de yuso	debajo	تحت أو أسفل
decía guisado	hablaba justa, razonablemente	تحدث بعقلٍ ومنطق
defedido	impedido	عاجز
defender	prohibir	منع ، حرَّم
defender	rechazar	رفض ، صدَّ
defiende	impide	يمنع يعوق
dejar la gente que tenía por la que llevaba:	abandonar a los que ahora eran sus enemigos por los que le acompañaban en estos momentos	يهجر الذين كانوا حتى الآن أعداءه الذى يرافقونه فى هذه اللحظات
dejo el cargo	encomiendo o encargo	أوصى أو أكلف
delibrar	librar, entregar	سلّم
dello	algunos de ellos	بعضهم
dello... dellos	unos... unos	بعضهم بعضا
dellos	unos	بعضهم
dellos prendieron muerte y	unos murieron y otros	مات بعضهم وبعضهم الآخر

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
otros...		
demandar	reclamar, solicitar	طلب ، طالب
demás	además	علاوة على ذلك، بالإضافة إلى ذلك
demás de	además de	بالإضافة إلى ، علاوة على
dende	de allí	من هناك
dende	desde	منذ
dende	de ello	من ذلك
dende	de allí	من هناك
dende a poco	al poco rato	بعد وقت قليل
dende a poco	al poco tiempo	بعد وقتٍ قصير
dende a poco tiempo entró en la torre	al cabo de poco tiempo entró en la torre	دخل البرج بعد وقت قصير
dende a pocos días	al cabo de pocos días	بعد أيام، بعد بضعة أيام
dende adelante	de ahí en adelante	من الآن فصاعدا
dende allá	a partir de aquel momento	منذ تلك اللحظة
dentro en un año	al cabo de un año	بعد عام، خلال عام
derecha razón	razonamiento justo	منطق سليم، مبرر، عادل
derecho	verdadero	حقيقي
derrancadamente	arrebatadamente, precipitación	على استعجال ، بتسرع ، على وجه السُرعة
derrancaron	acometieron, se lanzaron al combate, repentinamente y con arranque	هاجموا ، اندفعوا إلى القتال فجأة وبقوة
desacordado	desvanecido, desfallecido	مغشيًا عليه ، فاقد الوعي
desaforadas	contra fuero	ضد القانون
desaforado	fuera de razón	بلا عقل ، بلا اتزان عقلي
desaguisados	agravios, acciones descomedidos	إهانات ، أعمال فظيعة
desahuciado de su vida	puesto en temor, desconfiándole de poderle salvar la vida	انتابه الخوف وكان لا يثق في أنه سيتمكّن من أن ينقذ له حياته

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
desapoderado detona su fuerza	desposeído de toda su fuerza	حُرم من قوته كلها، اصبح لا حول له ولا قوة
desastrada	desdichada, infeliz	تعيسة ، حزينة
desatiento	perturbación, inconveniente menoscabo	اضطراب ، عائق ، نقصان
descindió	descendió	نزل ، هبط
descolorado	descolorido	شاحب ، باهت ، ممتقع
descombrado de árboles:	desprovisto de árboles	خالى من الأشجار ، لا أشجار فيه
descomunal	fuera de lo común, inadecuado	غير مألوف ، غير ملائم
desconcertado	fuera de mesura, fuera de concierto	مجنون ، غير عاقل
desconocimiento	ingratitud	نكران الجميل، جحود
desconortéis	aflijáis	تحزنون
descontar la isla	frente a la isla	مقابل أو فى مواجهة الجزيرة
desdende	desde allí	من هناك
desembargado	desprovisto de problemas o distracciones	بلا مشاكل أو شرود
desembargado	libre	حر ، طليق
desemejado	disforme, fiero, espantoso	مشوه، متوحش، مرعب، مخيف
desempachado	acabado, muerto	ميت
desengañada	sin engaño, honesta	بلا خديعة ، شريفة
desfalesce	desfallece	خارت قواه، أغمى عليه
desgrado	desagrado	باستياء، بغضب
desí	después	بعد
desirviesen	faltasen a la obligación y deuda que se tiene de obedecer y servir al soberano	أخلّ بالواجب الذى يحتم عليه طاعة الملك وخدمته
desmamparásedes	abandonaseis	تهجرون ، تغادرون

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
desmejada	deforme, fiera, espantosa	مشوه ، بشع
despacho	resolución	حل ، قرار
despediréis	despediréis, en el sentido de declarar el vasallo al señor, besándole la mano, que ya no es más su vasallo	ينصرف، يهجر (بمعنى قيام أحد الرُّعايا بتقبيل يد سيده إيذانا بأنّه لن يكون رعية له بعد ذلك).
despenden	malversan, gastan	بذّر ، أسرف ، بدد
despender	entrénense, gastar	تسلّى ، أنفق
después mucha zazón:	después de mucho tiempo	بعد وقتٍ طويلٍ
desvariadas	diferentes	مختلفة ، متنوّعة
desvaríos	cosas fuera de razón, locuras	هذيان ، هراء ، جنون
desvisado	dicho	مذكور ، سابق
deudo	pariente	قريب .
deudo	parentesco	قرابة
diciendo en su corazón	diciendo para sí misma	قلت في نفسها
dino	digno	جدير بـ
dio de las manos	le dio con las manos	ضربه باليدين
dó	dónde	أين
dobler	talego, zurrón	كيس ، زكيبة ، جوال كبير
donas	regalos	هدايا
donde	de quien	الذي
donde	por lo que	لذلك
donde	de donde	حيث
donde será muy alegre	por lo que se sentirá muy alegre	مما سيجعله يشعر بالسّعادة
dos tanto	el doble	الضعف
dotrinado	adoctrinado	معلم ، مدرب
dudado	temido	مخيف
dueña	mujer no virgen	ثيّب، امرأة ليست بكرا أو عذراء
duraron gran pieza	permanecieron gran rato	استمروا وقتا طويلا

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
echar sus juicios y firmezas	realizar sus adivinaciones astrológicas	مارس أعمال التّنجيم
edad tan luengamente	edad tan longeva	عمرٌ طويلٌ جدا
el cabo	el principio	البداية
el cuento lo ha desvisado	el relato lo había contado	كان قد حكى الحكاية
el defendimiento que le pusiestes	la prohibición que le impusistéis	التّحريم أو المنع الذى فرضتموه عليه
el derecho	el camino	الطّريق
el emperador y el rey traían la rezaga	el emperador y el rey estaban en la parte de atrás, en la retaguardia	كان الإمبراطور والملك فى الجزء الخلفى ، فى المؤخرة
el enano besa la mano Amadís	es la señal de que el enano pasado a ser vasallo de Amadís	إنّ تقبيل القزم ليد أماديس يعنى أنّ القزم أصبح من رعاياه
el fuego era grande que daba en la torre	el fuego era tan grande que llegaba hasta la torre	كانت النيران قوية لدرجة أنها وصلت إلى البرج
él me aderezare	él me ayudare	سيساعدني
el prez	la honra, el honor	شرف ، عرض ، كرامة
elemosna	limosna	صدقة
ello por cuidar en su señora	ello por pensar en su señora	وذلك بالتّفكير فى زوجته
embargo	problema, inconveniente	مشكلة ، عائق
embarrados	acorralados	محاصرون
empacho	vergüenza	خجل ، حياء
empecer	dañar, perjudicar	يؤذى، يضّر
empecer	herir, lastimar	جرح أصاب بأذى أو بضرر
empecer	dañar	أضرّ ، أصاب بأذى
empero a gran afán:	aunque con gran dificultad	بمشقة بالغة ، بشق الأنفس ، بجدع الأنف
emprender	cortejar, requerir de amores	غازل ، لاطف من أجل الغراميات
en todo lo al	en todas las otras cosas	فى جميع الأمور الأخرى

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
en ál no entendieron	no se preocuparon de otra cosa	لم يكترثوا لشيء آخر
en balde	en vano, inútilmente	عبثا ، دون جدوى
en condición esté con muerte desesperada	esté en condiciones de morir desesperadamente. la desesperación para la mentalidad medieval es un pecado ligado al suicidio y por lo tanto uno de los más graves.	سيموت يائسا ، اليأس فى عقلية العصر الوسيط مرتبط بالانتحار وإزهاق الرُوح وبالتالى فهو من الخطايا الكبيرة.
en ello mucho no le penaba	ello no le apenaba mucho	ذل لم يحزنه كثيرا
en esta guisa	de este modo	بهذه الطريقة
en este comedio	entretanto	فى تلك الأثناء
en fuerte hora	en mal momento, en mala hora	بئست الساعة ، فى ساعة نحس
en guarda que	en prevención que	تحسبا لـ
en la hora	al momento, inmediatamente	على الفور ، توًا
en lugar de humildad	en señal de humildad	كدليل على التواضع
en obrar la virtud y no en la platicar	en actuar virtuosamente y no en hablar acerca de ello	الإقدام على الفضائل وعدم الحديث عن ذلك
en poridad	en secreto	سرا ، فى السر
en somo	encima, en lo más alto	فوق ، أعلى شيء ذروة الشيء
en somo	encima	فوق
en son que	en manera que	لدرجة أن
en soslayo	de soslayo	مائلا أو منحرفا
en su guarda y fe real la tomaba	la amparaba bajo su custodia y promesa regia	كان فى كنفه ورعايته، ووعد ملكي
en suma	en resumen	بإيجاز ، باختصار
en tal guisa	de tal modo	تلك الطريقة ، على هذا النحو
enarmonar	empinar, encabritar	شبّ ، ارتفع

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
encargarse de sus contrarios	se encarga de sus enemigos	سيتكفل بأمر أعدائه
encarnar	cebarse el perro en la caza que coge, sin dejarla hasta que la mata	إمساك الكلب بالصيد الذى يلحق به ولا يتركه حتى يقتله
encelado	encubierto, secreto	مستترة، مغطى ، سر
encubierta	secreto, disimulo	سر ، إخفاء
encubiertamente	en secreto, a escondidas	خفيةً ، سراً
encubiertas	añagazas, artimañas	حيل ، إرب
encubierto	a escondidas	خفيةً ، سراً
ende	por ello	لذلك
ende	allí	هناك
ende ál	allí otra cosa	هناك شيء آخر
endemás	particularmente	على وجه الخصوص
enderece	guíe	يرشد ، يوجّه
enemiga	enemistad	عداوة
enemiga	maldad, vileza	شر ، خسّة ، سوء
enramado	oculto o camuflado	خفى أو تحت الغصون
enterviene	interviene	يتدخّل
entre nona y vísperas	es una de las tres horas en las cuales los romanos dividían el día que comienza desde las tres hasta la puesta del sol	إحدى الساعات الزّمنية التى كان الرُّومان يقسمون فيها اليوم وتبدأ من الساعة الثالثة ظهرا إلى غروب الشمس
entrevalo	distracción, inconveniente, molestia	شرود ، عائق ، استياء
entrevalos	obstáculos	عوائق ، موانع ، صعوبات
entrevallo	dificultad, obstáculo	صعوبة ، عائق، مانع.
enviada	envío	إرسالية ، طرد
era tal para su contentamiento	le alegraba, le contentaba tanto	كان يسعده كثيرا
eran a lo ferir	se disponían a golpearlo	استعدوا لضربه

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
erróse de mí	se aparto de mí	ابتعد عني
es abonado	se ha vuelto bueno cel tiempo	أصبح الطقس صحوا
es queriendo	es querer, desear	يريد ، يرغب في
es significanza de	significa	يعني
escarnida	humillada, deshonrada	مَهانة
esforzar	ayudar, dar más vigor a alguna cosa, corroborándola con nuevos argumentos, razones y ejemplos	تعضيد معنى وتقويته بالمبرِّرات والأمثلة
esmerejón	ave rapaz diurna del mismo género que el alcotán y el cernícalo	طائر جارح بؤبؤ، صقر الجراد، من نفس فصيلة القطامي والعاسوق
espacio	tiempo	وقت ، زمن
esperando	creyendo	يعتقد
espolonadas	combates, hazañas	معارك ، بطولات
esquivo	dañoso, horrible	ضارٌ مؤذ ، مخيف
estado	posición social	وضع اجتماعي، الحالة الاجتماعية
estado	rango, categoría	درجة ، منزلة ، مرتبة
estar en cabellos	estar con la cabeza descubierta, sin adornos	حاسر الرأس ، بلا زينات
estar en uno	estar juntos	كانوا جنبا إلى جنب
estecho	aprieto, peligro	ضيق ، كرب ، خطر
estelo de fierro	columna, poste de fierro o de hierro	عمود من الحديد
esto es lo que aquí fuisteis llamados	para esto es para lo que fuisteis llamados aquí	لهذا تم استدعاؤكم هنا
estordefcido	variante de estordido, aturdido	مذهول ، مندهش
estrado	era el lugar donde las damas se sentaban sobre	المكان الذى يجلس فيه النّساء على وسائد حيث كن يستقبلن

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	cojines y recibían visitas	الزيارات
estrechura	aprieto	ضيق ، مأزق
estriberas	estribos de la montura de la caballería	ركاب فروسية
extraño	se trata de un juego de palabras entre las dos acepciones de este término: extranjero. en el primer caso: raro, insólito en el segundo	تلاعب بالألفاظ فأحد المعنيين يدل على: أجنبي والمعنى الآخر غريب ، نادر ، غير مألوف
fabla	charla. conversación	محادثة، دردشة
faced mi fianza	aseguradme	أكدوا لي
faces	mejillas	خدود
facés	hacéis obráis	تعملون ، تقومون بـ
fachee me por corazón:	me ponéis peor ánimo	أنتم تحبطونني
faéis derecho	actuaréis justamente	يتصرف بحكمة ، بحق
falcón neblí	ave de rapiña de plumaje pardo azulado en el lomo, blanco con manchas grises en el vientre y pardo en la cola; tiene el pico azulado y los pies amarillos por su valor y rápido vuelo era muy estimado para, la caza de cetrería	طير جارح ذو ريش بني ضارب أو مائل إلى الزرقة في ظهره أبيض اللون وبه نقاط رمادية اللون على البطن وبني الذيل ، ذو منقار مائل إلى الزرقة ورجلاه صفراوان نظراً لشجاعته وتحليقه السريع
falsó	rompió, atravesó	كسر ، اخترق خوذة من الصُلب
faltado	fallado	أخطأ، لم يُصب الهدف
faltan en las grandes roturas personas con buena intención se mueven a poner remedio	faltan en los grandes conflictos personas, con buena intención se mueven a pone paz	النزاعات الكبيرة تحتاج إلى الأشخاص ذوي النية الحسنة لإحلال السلام

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
falto de su encuentro	fallo en su encuentro, en su embestida	أخفق في هجومه
fallecer	faltar	غاب ، أخطأ
fardaje	conjunto de fardos	مجموعة من البالات والخيام
fasta los meollos lo fendió	lo hendió, le metió el arma hasta los meollos	أوغل فيه السلاح عن أخره
feble	débil, flaco	ضعيف
fianza	seguridad entristecer	أمن ، أمان ، طمأنينة
fianza	confianza, fe	يقين ، ثقة
figurado	dibujado	مرسوم
figurar	representar	يمثّل
fijadalga	hidalga	نبيلة، من أصل نبيل
fin roseta	fina rosita	وردةٌ رقيقةٌ
finamiento	muerte	موت ، وفاة
fincaré aquí	permaneceré aquí	سأظل هنا ، سأبقى هنا
fincaron	quedaron	ظلوا
finiestra	ventana	نافذة
firiendo	golpeando	يضرب ، يسدّد ضرباتٍ
firlo de las espuelas	golpeó con las espuelas, espoleó	ضربة بالمهاميز أو المنخاس
fizolo facer a un cabo y a otro	hízlo cabalgar a un lado a otro	جعله يمتطى على الجانبين
folgando	descansando	يستريح
follón	traidor, iracundo	خائن ، غدّار ، سريع الغضب
follón	arrogante, cobarde y de ruin proceder	متغطرس ، جبان وسيئ السُّلوك
fortuito y sapientia	fortaleza y sabiduría eran cualidades ideales convertidas en tópico desde virigilio	القوة والحكمة كانتا خصلتين مثاليتين، وقد أصبحتا راسختين منذ زمن الشّاعر اللاتينى فيرجيل
fortuna	adversidad	كارثة ، مصيبةَ
fortunas	adversidades	صروف الدّهر ، مصائب

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
fructuoso	frucyífero	مثمر
fucia	confianza	ثقة
fucia	fe, confianza	يقين – ثقة
fue	fui	كنتُ
fue cuanto más pudo	corrió todo lo que pudo	ركض قدر استطاعته ، جرى ما استطاع إلى ذلك سبيلا
fue echado en el mar:	fui echado en el mar	ألقيت بنفسي في البحر
fue engañada	fuí engañada	خُدِعتُ
fue metido	fue puesto	وضع
fue partida por el primer golpe	acabó con el primer golpe	أنجز المهمة بالضَّربة الأولى
fuera del marco	fuera del cerco	خارج الحصار أو الحلبة
fueras ende	excepto	باستثناء ، ماعدا
fumo en el aire resolvido	humo que fue disuelto y desecho en el aire	تبدُّد الدُّخان في الجو، انقشع الدُّخان في الجو
fusta	embarcación	سفينة ، باخرة
fuste	el puño de la lanza	مقبض الرُّمح
gaje	prenda o señal de aceptar el desafío entre dos	علامة أو مؤشر على قبول التحدى بين شخصين
galea	galera	سفينة كبيرة
gambax	túnica que se llevaba por encima como por debajo de la loriga	ثوب كان يُلبس فوق أو تحت الدِّرع
gavia	vela que se coloca en el maste lero mayor de las naves	شراع يوضع على الصاري الكبير للسُّفن
gelo levar	llevárselo	احمله ، خذه
gobernación	gobierno	يعني مستشارو الحكومة
gobernalle	timón	دفة السَّفينة
gorgojada	gargantada , porción de cualquier líquido que se arroja de una vez	غرغرة ، إخراج أو بصق أي سائل دفعة واحدة بقوة بواسطة الزُّور

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	violentamente por la garganta	
gorguera	una parte de la loriga que protege el cuello	جزء من الدّرع لحماية العنق
grado	voluntad	إرادة ، رغبة
grado	agradecimiento	شكر، امتنان
grandes días ha	hace muchos días	منذ أيام كثيرة
graveza	tristeza	حزن
grifalte	ave del orden de las rapaces con el plumaje pardo con rayas claras en las alas y cola, y blanquecino con listas cenicientas en el vientre. es el halcón mayor que se conoce y por ello fue muy estimado como ave de cetrería.	طير من الطيور بريش بخطوط في الأجنحة والذيل وريش أبيض ورمادي بالبطن، إنه الصقر الأكبر المعروف بأنه يحظى بتقدير كبير كطائر صيد
grifo	animal fabuloso, de medio cuerpo arriba águila y de medio abajo león	حيوان أسطوري أو خرافي نصفه العلوي عقاب والسُّفلي أسد
gualardón	galardón, recompensa	جزاء أو جائزة
guarecer de sus enfermedades	curar de sus enfermedades	عالج أمراضه
guarida	refugio, salvación	مأوى، إنقاذ
guarida	salvación, escapatoria	إنقاذ ، مفر
guaridos	salvados	أنقِذوا
guarnecidos	adornados	مزيّنون
guarnida	adornada, aderezada	مزينة ، مزخرفة
guarnimiento	aderezo, atavío	زينة
guiáis	acordáis, decidís	تتذكرون ، تُقرّرون
guiaje	guía	دليل ، مرشد
guirlanda	guirlanda	إكليل الزهور

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
guisa	linaje	أصل ، نسب
guisa	voluntad	رغبة أو إرادة
guisado	preparado	مستعد، مهيأ
guisado de	preparado para	مجهزّ لـ معدل ، مهيأ لـ
habé merced de mí y dame la muerte	tened piedad de mí y dame la muerte	أشفقوا على واقتلوني.
habéis algún deudo	tenéis algún parentesco	لديكم شيء، من القرابة ، تجمعكم قرابة ما
habéis más parte	tenéis más acogida, favor	معروف، خدمة، مزيد من التُرحيب
haber	riqueza, dinero	ثروة، مال، نقود
haber escapado de muerte	haber salvado de la muerte	أنقذ من الموت ، نجا من الموت
haberes	bienes materiales. riqueza	ممتلكات ، ثروة
había mucho a voluntad	deseaba mucho	أراد بشغف ، تلهّف
habla	discurso	خطاب أو كلمة ، خطبة
habrés a dar	tendréis que dar	ينبغي عليكم أن تعطوا
hacello he	lo haré	سأقوم بذلك
hacerle he de saber cómo era criado della	le haré sabe cómo había sido criado por ella	سأخبره كيف أنها ربته
hacía menester	hacía falta	كان في حاجة إلى ، كان من الواجب أنْ
hacíala adolecer	la hacía sufrir	جعلها تعاني – سبب لها معاناة
haciéndoles seguros que no estaba en más ser señores de aquel reino de cuanto en el pasasen	asegurándoles que bastaba con que llegasen a ese reino para hacerse dueño de él	أكد لهم أنهم بمجرد الوصول إلى المملكة سيستولون عليها
hagas segura mi compaña	protejas mi mesnada, mi ejército	احم حشودي ، وجيشي
halda	falda	تنورة
haya mancilla	tenga piedad	كن رحيما ، تحلَّ بالشفقة
hayás	tengáis	لديكم

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
hecistes	hicisteis	فعلتم ، قمتم بـ
hizo cierto	certificó	شهد
hombre de poco recaudo	hombre de poco seso	رجل قليل العقل
hombres de orden	clérigos	رجال دين ، رهبان
honostedad	honestidad	شرفٌ ، عفة ، أمانةً
hora tercia	una de las horas en que los romanos divídían el día (9 a.m)	إحدى السّاعات التى كان يقسم بها الرومان اليوم (التاسعة صباحا)
hubo ya cuanto de vagar	tuvo algo de descanso	استراح قليلا
hugo	fuego	نار
humildanza	humildad	تواضع
humildanza le ficiesen:	se le humillasen le rindieran pleitesía	وقّروه ، بجّلوه ، عظّموه
humilmente	humildemente	بتواضع
ides	vais	تذهبون
igualeza	igualdad	مساواة
imágines	imágenes	صور ، أيقونات
imos	vamos. presente de ir	نذهب ، مضارع ذهب
incomportable	insufrible	لا يطاق ، لا يحتمل
indio	indigno	غير جدير
indio	indigno, azul	غير جدير ، أزرق
infanzón	hijodalgo o hidalgo que en sus heredamientos tenía potestad señorío limitados	ابن نبيل أو نبيل لديه وصاية أولاية على بعض الممتلكات
infintosa	fingida, disimulada, engañosa	متكلف ، مصطنع ، مخادع
inorancia	ignorancia	جهل
insola	isla	جزيرة
jaldados	de color amarillo	لونه اصفر داكن
jamete	tela de seda rica	نسيج من حرير فاخر
jarapes	jarabes	أدوية شُرب
jarope	trago amargo y debatido	جرعة مرّة كريهة الطّعم

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
jayán	gigante	عملاق
juntó	se juntó	التحم معه ، اقترب منه
junto con	junto a	بالقرب من، قريبا من
justas	es una modalidad de lucha individual entre dos caballeros	نوع من المصارعة الفردية بين فارسين
la cataba mucho con sabor de la haber	la miraba mucho con ganas de tenerla	نظر إليها كثيرا واشتهاها كي تكون في حوزته
la coaevorum virtus	la virtud de los contemporáneos	فضيلة أو خصال المعاصرين
la conosció	la poseyó	استحوز عليها
la dudo	la temo	أخشاها، أهابها، أخافها
la enemistad de tanto acá tan endurecida	la enemistad tan afianzada de un tiempo a esta parte	اشتدت العداوة منذ وقت إلى الآن
la espada era toda una tinta de sangre de los enemigos	la espada era toda teñida de sangre de los enemigos	كان السّيف مخضبًا تماما بدماء الأعداء
la fallo menos	la echo de menos	اشتاق إليها
la gent allí allegada	al gente allí reunida	الناس المجتمعون هناك ، أو الذين يجتمعون هناك
la guarecer	salvarla	ينقذها
la hobiese piedad	se apiade de ella	فليشفق عليها، فليرحمها ويترأف بها
la pobreza lo desemejase	la pobreza lo desfigurase	شوّهه الفقر
la soledad que a su señora tenía	la añoranza que tenía de su señora	الاشتياق أو الحنين الذى كان يشعر به تجاه زوجته
la tiró	la arrebató	انتزعها
la vuelta	se refiere a la batalla, al combate	يشير إلى المعركة أو إلى القتال
laceren	sufran	يعانون
lanzólo fuera de la silla en una cava	lo lanzó de la silla en un hoyo	أطاح به من فوق السرج في حفرة
las armas se tornan de orín	la armas se oxidan, se	ستصدأ أسلحته أو سيكون

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	vuelven del color del orín	لونها لون الصدأ
las paredes de canto que eran quedadazas	las paredes construidas de piedras habían permanecido en pie	الجدران التى كانت مشيّدة من الأحجار ظلت باقية
lasa	cansada, fatigada, debilitada	مرهقة ، متعبة
launas	láminas de hierro	صفائح أو رقائق من الحديد
le daría guarido:	lo dejaría curado	سأعالجه حتى الشفاء
le escaecía	se le olvidaba	نسيهُ
le ficieron espaldas	se colocaron a sus espaldas, detrás de ellos	وقفوا خلفهم، وقفوا أو اصطفوا ورائهم
le hizo recordar de aquel gran pesamiento, tirándolo a sí	hizo que regresara de su abstracción volviendo en sí	جعله يفيق من شروده وتفكيره العميق ليعود إلى وعيه
le ocurría	le venía, le acudía a la memoria	عنّ لخاطره أو خطر على باله
le redondearía mayor peligro	le redundaría un gran peligro	يحدق به خطرٌ داهم
leda	contenta, alegre	سعيدةٌ ، مسرورةٌ
ledos	alegres, contentos	سعداء ، مسرورون
legó	allegó, acercó	وصل ، اقترب
lenaje	linaje	نسب أصل
lenguajes desvariados:	lenguajes extraños	لغات غريبة
leó	leyó	قرأ
leones pardos	leopardos. son animales comunes en heráldica	فهود ، وهى حيواناتٌ شاع استخدامها فى شعارات المدن والأسر
letuario	electuario	معجون ، دواء سائل أو صلب يتكوّن من عدة عناصر معظمها نباتية
levantamiento	acusación falsa o mentirosa	اتهام زائف أو كاذب، بهتان. وتعنى أيضا انتفاضة
leyendo muy viciosa	estando bien atendida	تحظى برعاية ممتازة، تعيش

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	rodeada de lujos	فى رغدٍ من العيش
leyentes	lectores	قرّاء
leyes	leyes religiosas	الشرائع الدّينية
liberal	generoso, dadivos, noble	كريمٌ ، سخىٌّ ، نبيلٌ
liberales	generosos	كرماء
ligero	fácil	سهل
limitada	en el sentido estricto de puesta con limites	فى المعنى الدّقيق للكلمة
lombarda	cañón antiguo de gran calibre	مدفع قديم ذو عيار كبير
los delanteros	los enemigos que se encontraban en una posición más adelantada	الأعداء الذين كانوا فى موقع متقدم
los reparaba	los ayudaba. les daba reparo	كان يساعدهم ، كان يعاونهم
los retrajeron	los hicieron retrocede	جعلوهم يتقهقرون، يتراجعون إلى الخلف
los sus sabios cronistas	sus sabios cronistas	مؤرخوهم الحكماء
los tiempos pasados	en los tiempos pasados	فى الأزمنة الماضية
lozano	orgulloso	متكبِّر ، متغطرس
lúa	guante	قفاز
luego a la hora	inmediatamente, al momento	فورا ، توًّ
luenga	lejana	بعيدة
lueñe	lejos	بعيد
lumbrera	tragaluz	كوة ، أو منور
lunar	luz de la luna	ضوء القمر ، نور القمر
luvas	guantes	قفاز
llegado	cerca	قريب
llegados	llegaos	اقتربوا ، هلموا إلينا
llegar	reunir	يجمع ، يجتمع ، ينضم إلى
llevando a hurto la hermana del emperador	llevando hurtada o raptada la hermana del emperador	اختطف شقيقة الإمبراطور

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
llevar la lanza a sobremano	el arma en el momento del ataque se mantiene el arma en posición horizonta bien sujeta por el puño y descansando sobre el antebrazo, que en su momento forma ángulo recto con el brazo	يُوضع السّلاح فى لحظة الهجوم فى وضع أفقى ويمسك جيداً بقبضة اليد ويستند على العضد ، ويشكل فى تلك اللحظة زاوية قائمة مع السّاعد
maguer	aunque	على الرّغم من
maitines	una hora para rezar antes del amanecer	ساعة مبكرة فجرا لأداء الصّلوات
mal baratado	malograd mal procedido, mala conducta	سوء سلوك
mal pecado	por desgracia	لسوء الحظ أو الطالع
mal recaudo	mal negocio, mala idea	صفقة خاسرةً، فكرةُ سيئة
mal su grado	a pesar de él	على الرّغم من
mal tullido	malparado, malherido	مثخن بالجراح
mala andanza	desgracia	مصيبة ، بلوى
malandanza	desgracia, percance	مصيبة أو بلوى
malencolía	melancolía	حزن شديد ، اكتئاب
mallado	de mallas, de acero encadenadas y unidas unas con otras	عبارة عن نوع من الحلقات الفولاذية صُفّت وشُبّكت بعضها ببعضها الأخر
mallas del arnés	las mallas del arnés eran de plaquitas metálicas	شبكات الدرع وهى عبارة عن رقائق أو صفائح معدنية.
mancilla	lastima, compasión	شفقة. رأفة
mancilla	compasión, lástima	شفقة
mancilla	pena, lástima	خسارة ، حزن
mancillas	llagas, heridas que mueven a compasión. es un diminutivo de mancha o mácula	قروح، جراح تثير الشّفقة، تصغير عار أو خزىّ

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
manchado	lleno de heridas, mancillas	مثخن بالجراح
mandardes	mandéis	تأمرون ، وترسلون
manera	costumbre, condición	عادة
maneras	clases	أنواع ، أنماط
manzana	pomo	رمّانه السّيف
mareantes	marineros	بحّارة
mas	sino	إلا، بل
más de provecho que de parecer	más útiles que meramente hermoso o aparentes	إنها أكثر فائدة أو نفعا من شكلها ومظهرها
mástel	mástil	صارى السّفينة
mato	conjunto de matas	مجموعة من الأعشاب أو الشجيرات
mauguer	aunque	على الرّغم من
me avino	me ocurrió	عنّ لى ، خطر لى
me habéis a dar el don	me tenéis que dar el don	ينبغى عليكم أن تعطونى الهبة أو العطية
me pena	me apena, me entristece	إنّه ليحزننى
medroso	que provoca miedo	يثير الخوف ، مخيف
melecina	medicina	طب ، دواء ، علاج
membrar	recordar, acordarse	تذكّر
mensaje recadado	mensaje recaudado, despachado	رسالة مبلّغة
mercadero	mercader	تاجر
mercado	negocio	تجارة ، سوق
mercedes	gracias	فضائل أو نعم
metidos en la finiestra	puestos en la ventana	موجّهة إلى النافذة
mezclador	chismoso, cuentista persona, persona que mete cizaña para perjudicar a otra, cizañero	نمّام ، شخص يبث الفرقة بين الناس ، شخص يثير المشاكل والقلاقل
miembre	acuerde	تذكّر

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
mirada de soslayo al través en derecho del puño	mirar de reojo de lado en dirección del puño	جانبيًا فى اتجاه قبضة اليد
mirando en el punto que mi honra tengo	considerando el lugar, la situación en que se halla mi honra	بالنظر إلى مكانة ووضع الذى لحق بشرفه
mirar	apreciar	يحترم ، يقدّر ، يجلّ
mirar de soslayo	mirar por encima del hombro	نظر شزرا
miro en	considero, reflexionó	فكّر ، تأمّل
montero	persona que busca y persigue la caza en el monte o la ojea en el sitio en la que esperan para tirarle	شخص يبحث عن طائر الصيد فى الجبل أو فى المكان الذى ينتظرون فيه تمهيدا لصيده
monumento	monumento funerario	نُصب جنائزn
mormulo	murmullo	خفيف ، خرير ، همس
morran	mueren	يموتون
mover un pleito	proponer un trato	اقترح اتفاقا
movieron trato	cambiaron de idea propósito	غيروا فكرتهم أو مقصدهم
moviles	movedizas	متحرّك، متغيّرة
muría	moría	مات
muy a duro podía en efecto venir	difícilmente se podría convertir en realidad	من الصّعب أنْ يُصبح واقعا
muy afincadamente	con mucho ahinco	حينما أوجد ، بحماس كبير
muy duro	muy difícilmente	بصعوبة للغاية
muy graves	muy difíciles	فى غاية الصّعوبة
nao	nave	سفينة ، باخرة
natura	naturaleza	فطرة أو طبيعة
ni por arte	ni por engaño, astucia	ولا بالخدعة ، ولا بالدّهاء
nigromancia	era un saber destinado a encantar espíritus malvados	علمٌ مكرّسٌ لسحر الأرواح الشّريرة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
no cale de	no conviene	ليس ملائما ، لا يلائم
no curaba de golpes que le diesen	no le importaban golpes que le diesen	لم يكترث بالضربات التى كانوا يسدّدونها له
no era	no tenía	لم يكن لديه
no está en más de lo acabar de cuanto lo probare	lo acabará nada más probarlo	سينجزه بمجرّد الإقدام عليه
no habré que os agradezca	no tendré nada que agradecero	لن يكون لدى شىء ينبغى أن أشكركم عليه
no hobo menester maestro	murió; maestro significa cirujano, y los muertos no lo necesitan	مات ، وكلمة Maestro تعنى جراح، والموتى لا يحتاجون له. وهذا تعبير شائع فى أماديس دى جاولا وكتب الفروسية.
no le osó más atender:	no osó seguir enfrentarse a él	لم يجرؤ على الاستمرار فى مواجهته
no le tenía pro	no le aprovechaba	لم يستفد منه
no les daba cargo de gente	no ponía caballeros bajo su mando	لم يخصص له فرسانا تحت قيادته
no mantaba nada	no servía de nada	لم يكن له جدوى فى أى شىء، لا جدوى منه
no me lo haber demandado a derecho	no habérmelo pedido conforme a derecho	لم يطلبه منّى وفقا للقانون
no pudieron entender en ál	no pudieron preocuparse de otra cosa	لم يتمكّنوا من الانشغال بأمر آخر
no puedo estar de no facer lo que quisierdes	no puedo dejar de hacer lo que quisiereis	لا يمكن ألا أقوم بما تريدونه
no quedaré de lo saber	no dejaré de saberlo	لن أتخلّى عن معرفته
no querían más de cuanto	no querían más que	لم يريدا أكثر من
no sabía de sí parte	estaba fuera de sus sentidos	كان فاقد الوعى ، كان خارج وعيه
no sabiendo como ante su	sin saber como presentarse	دون أنْ يدرى كيف يظهر أمام

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
señora pareciese	ante su señora	زوجته
no se acordaban	no se ponían de acuerdo	لم يتفقوا
no se curan	no se preocupan	لم يهتموا
no siento	no conozco	لا أعرف
no tengo a buen seso	no me parece prudente, acertado	لا يبدو لى من الحكمة ، لا يبدو لى من الصُّواب
no teniendo su vida tanto como en nada	sin importarle nada su vida	لم يكترث بحياته ، لم يهتم بحياته
no vio ninguno	no vio a nadie	لم ير أحدا
nos partir	separarnos	ننفصل، نرحل
nubdas de cuervos	bandadas de cuervos	قطعان الغربان
nuestro natural	nuestro señor	سيدنا
nuevamente	recientemente	حديثا، مؤخرا
ocasión	accidente ocurrencia imprevista. daño	حادث فجائى ، أذى ، ضرر
ocurriéndole en la memoria	viniéndole en la memoria, recordando	خطر بباله ، عنّ لخاطره ، تذكر
ocurrieron	acudieron	قدموا ، حضروا ، جاءوا
ocurrieron	se juntaron, concurrieron	تجمعوا
oístes	oísteis,	سمعتم
ónde	cuánto o porque	كما ، أو لأن أو بسبب
os daré guarido	os curaré	سأعالجكم
os lo contrallaren	se opusieran a ello	عارضوا ذلك أو اعترضوا عليه
os pulgo	os complacisteis	استمتعتم
osudo	huesudo	كان قوى البنية
otorgaría	asentiría, estaría de acuerdo	وافق. اتفق على
otra vegada	otra vez	مرة أخرى
otro día mañana	al día siguiente por la mañana	فى صباح اليوم التالى
otrosí	otro tanto, del mismo modo	كذلك ، أيضا ، بنفس الطريقة
padrón	columna con una lápida o	حجر أو شاهد أو كتابة أثرية

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	inscripción que recuerda un suceso	لتذكار واقعةٍ أو حدث
pagado	contento satisfecho	سعيد ، سرور ، مبتهج
pagar con las setenas	sufrir un castigo superior a la culpa cometida	واجه عقوبة تفوق الذنب الذى ارتكبه
paja	el valor despectivo está señalado por un vocablo que conlleva de poco valor, valor, poco peso	يشار إلى المعنى التّافة أو الازدرائى بالتّعبير عن ذلك بلفظ قليل القيمة أو الوزن
palafrenes de diestro	palafrenes llevados por el cabestro o riendas que se ponen a los animales	جياد تقادُ من اللجام
palenque	la estacada que cerca el campo donde se pelean dos caballeros	حاجز يحيط بالسّاحة أو الحلبة التى يتصارع فيها فارسان
paño	así se denominaba figuradamente cualquier tipo de vestidura	هكذا كان يطلق على جميع الملابس مجازاً. أمّا الكلمة فمعناها قماش.
para	por	من أجل ، لـ
para más espacio	para cuando haya más tiempo, para otro rato	عندما يكون هناك متسعٌ من الوقت ، فى وقت آخر
para que con los suyos contraten	para que negocien, conversen, parlamenten	لكى يتفاوضوا أو يتحاوروا
paraba	mostraba	أثبت ، أظهر
paraban mientes en su bondad	se fijaban en su bondad	أمعنوا النظر فى طيبته ، تأملوا طيبته
pararon mientes en su cuidado	se fijaron en su preocupación	أمعن النظر فى اهتمامه
parasen en el campo	dispusiesen, colocasen en el campo	وزعوهم فى الميدان
parcioneras	partícipes	مشاركون
parece por scripto	aparece por escrito	ظهر مكتوبا

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
parecía	veía	كان يرى
parescían	dejaban ver, veían	كانوا قد ظهروا ، كانوا يرون
parias	tributo que paga un príncipe a otro en reconocimiento de superioridad	ضريبة يدفعها أمير لآخر كاعتراف بتبعيته له.
parido	pacto, trato	اتفاق ، معاملة ، معاشرة
paró mientes contra sus señora	miró, considero a su señora	احترم أو أجلّ زوجته أو سيدته
paróse	quedóse	ظلّ، بقى
partida	grupo de gente, escudrón	سريّة، مجموعة من الناس
partidas	en blasón, se dice del escudo que está dividido en dos partes iguales	فى شعار ، يشار به إلى الدّرع المقسوم إلى نصفين متساويين
partieron	separaron	انفصلوا ، رحلوا
partiré la guerra	pondré fin a la guerra	سأنهي الحرب
pasada	viaje	رحلة ، سفر
pasito	despacito	مهلا ، رويدا
paso	despacio, lenta mente	ببطء ، بتمهل
paso	despacio	ببطء ، بتريث
paso	despacio	ببطء ، رويدا
pasó... de	pasó a	انتقل إلى
patín	patio pequeño	فناء صغير
peligro	peligrosamente	خطر ، بخطورة
pelote	prenda de abrigo de pieles finas que cubre el torso, pelliza	سترة أو معطف من الفراء الرقيق
pelote, tabardo	prendas de abrigo propias de labradores	ملابس سميكة خاصة بالفلاحين أو أهل الرّيف
péndolas	plumas de ave	ريش طير
pensó de responder	empezó a responder	شرع فى الإجابة ، بدأ يجيب
pensoso	pensativo	متأمّلا ، مكثرا التفكير.
peña agra y alta	peña áspera, escarpada	صخرة عالية ووعرة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
peor se le cuidó del pleito que él cuidaba	el asunto le salió peor de lo que esperaba	خرج الموضوع أسوأ مما كان يتوقع
pernadas	patadas	ركلات أو ضربات بالسّاق
pero	aunque	على الرغم من
Pero que	aunque	على الرَّغم من
petral	es la correa que se pone ante el pecho del caballo	الحزام الذى يربط به صدر الحصان
piedrazufre	base o piedra de donde se extrae el azufre	أساس أو حجر يستخرج منه الكبريت
pintas	manchas, moras	بقع ، نقط
pleiteastes	pactasteis	اتفقتم
plugo	gustó, agradó	أعجب ، سرُ
poner en esecución	ejecutar o realizar	ينفّذ، ينجز
poquedad	pusilanimidad	خمود الهمة ، صغر النّفس
por cima	encima	علاوة على ذلك ، فوق
por cima de las espaldas	sobre los hombros	على كاهله ، على عاتقه
por cual guisa	de qué modo	بأية طريقة
por dicho me tenía de las ver	me había prometido verlas	وعدنى برؤيتهن
por dicho se tenía que no era parte para sostener la tercera batalla	daba por hecho que no sería capaz de sostener la tercera batalla	أعلن فعلا عن كونه غير قادر على خوض المعركة الثالثة
por el deudo que con Gandalac comedio	por el parentesco que te une a Gandalac intervalo de tiempo	نظر للقرابة التى تجمعك بجندالاك فترة من الوقت أو الزّمن
por el semejante	de idéntica manera	بنفس الطريقة، بطريقة مشابهة
por ellos que do el campo	el campo de batalla que do en su poder	على ميدان القتال أو المعركة
por ende	por allí	هنالك
por las haces	por las mejillas	على الخدين
por lo no haber usado	por no estar acostumbrado a ello	لكونه غير معتادٍ على ذلك

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
por los contrarios	entre los enemigos	بين الأعداء
por quien los otros se mandaban	que mandaba a los otros	الذى كان يرأس الآخرين أو يقودهم
por todo el mundo se suenan	se cuentan por todo el mundo	تُحكى فى كل الدنيا ، تسرد فى العالم كله
por todos estos señores me profiero:	me comprometo en nombre de todos estos señores	أتعهّد باسم هؤلاء السّادة جميعا
por un parejo llevaremos de aquí las honras y la victoria de este viaje	en este viaje vamos a sacar de aquí tanta honra como victorias hemos obtenido	فى هذه الرّحلة سنحقق مزيدا من الشّرف، وأيضا الانتصارات التى حققناها
por ver cima	por ver culminación	لكى يرى النّهاية ، لكى يرى القمة
poridad	secreto	سر
porné	pondré	سأضع
posar	dar posada, alojar	أنزل، أوى، أسكن
posentamiento	aposento	غرفة ، حجرة ، مأوى
postrimero	último	أخير
precio	estimación, valor	قيمة، تقدير ، قدر
premia	violencia, opresión	عنف ، اضطهاد
premia	apuros , dolores	مأزق ، آلام
premia	urgencia, ahínco	أمرٌ طارئٌ ، حماس
preofertas	ofrecimientos	خدمات
presuraza	ansiedad, angustia	جزع ، ضيق
prez	honra	شرف
priesa	aprieto	مأزق
prieso	apuro	مأزق ، ضيق
profazan	mumuran hablan mal	نمّ ، اغتاب شخصا، تكلموا بسوء
prometimiento	promesa	وعد
pues la dellos en fatiga lo sentía	ya que la voluntad de los marineros, fatigada, se resentía de todos aquellos	كان يشعر بإرهاق البحارة من جميع تلك الأسفار

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	viajes	
pues la dueña	después la dueña	بعد السَّيدة الثَّيب أو غير البكر.
pues que	puesto que	حيث إنَّ
pujándole tan recio:	empujándole con tanta fuerza	دفعة بقوةٍ كبيرة
pujo con recio	empujó con tanta fuerza con tanta energía	دفع بقوةٍ كبيرةٍ ، بحيويةٍ كبيرةٍ
pujóle	empujóle	دفعه
pujólo	empújalo	دفعه
pune de lo encobrir	trate de encubrirlo	حاول إخفاءه
que va a él	que le importa a él	ما الذى يعنيه
que a ésta empachasen:	que les distrajesen que les apartasen de, ésta	فليسروا عنهم ، فليبعدوهم عنها
que cubriesen	con que se cubriesen	يتدثرون بها
que él será agradable en	que a él le agradará	بالنسبة له سيسعده ذلك
que les campo tuvie se	que pudiera enfrentarse a ellos	يمكنه مواجهتهم
que me ende venir pudiese, en tal que	que me pudiese venir por ello con tal de que	يمكن أنْ يحدث لى شريطة أن
que no le prestó armadura	a quien no le sirvió su armadura	الذى لم تجد أو تنفعه أسلحته
que nuevamente habéis ganado	que hace escaso tiempo, recientemente habéis ganado	التى فزتم بها مؤخَّرا
que os no meta en mano	que no ponga en vuestras manos que no os entregue	فلا يستسلم لكم ، فلا يسلِّم نفسه لكم
que os serán mandados	que estarán bajo vuestro mando, que os obedecerán	سيخضعون لقيادتكم ، سيطيعونكم
que otra vida sino cazar tenía	que no tenía más vida que la de la caza	ليست لديه حياة إلا الصيد
que se ficiera	qué había sido de él	ما أخباره ، ماذا عنه
que si la poder excusar me	en la que sin poder evitarlo	الأمر الذى لا أستطيع تفاديه

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
ha puesto	me he puesto	
que sólo catar no osaba a su señora	que ni siquiera se atrevía a mirar a su señora	لم يجرؤ على النظر إلى سيدته
qué sufre	cómo sufre, cuánto sufre	كيف يعاني ، كم يعاني
que tanta más parte	cuanto más alcanza	كم نصيب ، أوحصة
que vos contrallar pueda	que pueda oponer a vuestros deseos.	بوسعه أنْ يعارض رغباتكم
que vos membréis	que os acordéis	كما تتذكرون
quedareos zagueras	nos retrasaremos	نتراجع ، نتقهقر
quedo	silencioso, callado	صامت
quejadas	mandíbulas, quijadas	صدغ ، أو فك
queno se cuidó de dormir	que se preocupó de no dormir	اهتم بألاّ ينام
queréis a	queréis de	تريدون من
quísogelo	quisosélo	أراد ذلك
quísole besar las manos, mas el rey las tiró a sí	quiso besar las manos del rey, mas ése las recogió, arrebatándoselas a él	أراد تقبيل يدى الملك ، لكن هذا انتزعها منه
quita	libre	حُر
quitaba de	cesaba de	توقّف عن
quitar	liberar de una obligación o compromiso	أبرأه من واجب أو ارتباطٍ ، أعفاه من واجب
quitara	se había quitado	نزعَ
quitarme el don	librarme del don	أتخلص من العطية أو الهبة
ramo	rama que sale de la rama madre	غصن شجرة يتفرع عن الغصن الأم أو الأصلي
razón	discurso	كلمة ، خطبة ، خطاب
rebato	alarma o conmoción ocasionada por algún acontecimiento repentino y temeroso	خطر أو اضطراب ناجم عن حدثٍ فجائيٍ ومخيفٍ
recaudado	ejecutado, acabado	تمّ تنفيذه ، منفّذ

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
recaudé	ejecuté, realicé	أنجزتُ ، نفّذت
recaudo	satisfacción	سعادة ، بهجة ، سرور
recaudo	nuevas, mensaje	أنباء أو رسالة
recaudo	noticia	نبأ ، خبر
recaudo	satisfacción, cumplimiento	سرور أو سعادة
recibí	recibid	تسلموا ، تقبلوا
recontando sus vencimientos	relatando sus victorias	يحكي انتصاراته يسرد انتصاراته
recordación	recuerdo	ذكرى
recordando	volviendo en sí	استرد وعيه، عاد إلى وعيه
recuesta	demanda o petición	طلب ، التماس
recuesto ayuso	pendiente abajo	مَنْزَلٌ ، منحدرٌ
recuesto ayuso	pendiente abajo	منحدر
red	redecilla	شبكة
redecilla de fierro	rejita, verja pequeña de hierro	شبكة صغيرة من الحديد
redes de fierro	rejas de hierro, un tipo de prisiones	قضبان حديدية، شبكة من الحديد، نوع من السُّجون.
redundaron	resultaron	أدت إلى ، أسفرت عن
remembranza	recuerdo, memoria	ذكرى ، ذاكرة
rendir gracias	agradecer	شكر ، قدّم الشُّكر
rendó	Rindió	استسلم
reparar	dar reparo, defender	أصلح ، حمى ، دافع
reparo	guarda, arreglo	إصلاح ، حل
reparo	ayuda, defensa	مساعدة ، نجدة ، حماية
repositarius	en la Baja Edad Media repostero: oficial palatino encargado de la guardia	في أواخر العصر الوسيط تعني ضابط القصر المكلف بالحراسة
requestas	requerimientos, demandas	مطالب ، متطلبات
reteñían	retumbaban	اضطجعوا
retornados	vueltos	ملتفة
retraer	reprochar, echar en cara	لام ، وبخ ، انتهر ، منَّ

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
retraer	detener	استوقف
retraer	apartar	أبعد
retrata	denuesta, habla mal. también cabe la posibilidad de que signifique volver a tratar	لعن ، تحدّث بقول فاحش ويمكن ان تعنى أيضا عامل ثانية ، عالج مرة أخرى
retrayendo	evocando	يستحضر ، يستلهم
reutada	retada	المتحدّاه
reutado	reprochado, echado en cara	منتهرٌ ، مذمومٌ
revesada y mal condicionadas	perverso y mal acondicionados	أشرار وفاسدون
revesar	volver del revés	ينقلب إلى ضدّه
ribaldo	bellaco, malvado	شريرٌ ، فظّ
ribera	río	نهر
riberas	ríos	أنهار
ricos hombres	caballeros nobles o de alto linaje, o de conocida y estimable bondad	فرسان أو رجال من أصل نجيب أو مشهورون بطيبة القلب
riendo muy fermoso:	riendo hermosamente	ضحك بلطفٍ للغاية
riñiendo	riñendo	مؤنّبا أو منتهر
rogarias	plegarias y oraciones	صلوات وابتهالات وتضرعات
romo	de nariz chata	أفطس الأنف
rompiese	atacase	يهاجم
ronco	voz o sonido, áspero y ronco	صوت أجش
ruano	rojizo	أحمر أو ضارب إلى الحمرة
rúas	calles	شوارع
sabencia	sabiduría	حكمة أو معرفة
saberlo heis	habréis de saberlo	ينبغى عليكم أنْ تعرفوه
sabidor	conocedor, sabio	عالم ، حكيم
sabrosamente	con placer	بمتعةٍ ، بلذة
salida la tregua	finalizada la tregua	بانتهاء الهدنة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
salieron de poder	escaparon	هربوا ، فرّوا
salir	a partarse, alejarse	
salirá	se saldrá, se apartara	سيخرج ، سيبتعد
salva	excusa	عذر
salvaron	saludaron	حيُّوا
sandio	necio o simple	سفيه ، أبله ، ساذج
sandío	idiota, loco	سفيه أو مجنون
sano le tomase	le sanase	يعالجه
saya y cota	cota es la vestidura que cubre los hombros hasta la cintura, y a justada al cuerpo a falda	ثوب يغطى الكتفين حتى الخصر وهو مجسم تماما، أما saya فتعنى تنورة
scarlata	escarlata, tejido de lana y teñido de color carmesí	نسيج أو قماش من الصوف المصنوع باللون القرمزى
se aquejaba	se impacientaba	جزع ، فقد صبره
se aquejó	se apresuró	تعجل ، تسرع
se asentó	se sentó	جلس
se atienten	se anden con tiento, se moderen	يسيرون بمهارة
se darían	se entregarían, se rendirían	استسلموا، سلموا أنفسهم
se diese medio	se arreglase, se dice una solución	يقال إنّ له حلاً
se empachaban en	se ocupaban de	اهتموا بـ ، انشغلوا بـ
se envolviesen	se enzarzasen en combate	اشتبكوا فى المعركة ، اشتركوا فى القتال
se habían retraído	se habían retirado	انسحبوا
se le habían dado a él	se habían entregado a él, se le habían rendido	استسلموا له، سلموا أنفسهم له
se le tiró delante	se aparto de su presencia	ابتعد عن مكان وجوده
se lo extrañó	lo intentó apartar de su propósito	حاول إثناءه عن عزمه أو قصده
se me aparejó	se me presentó la oportunidad	سنحت لى الفرصة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
se mueve	se lleva a cabo	أنجز ، أنهى ، أتمّ
se parecían todas sus dueñas y doncellas	podía verse a todas sus dueñas y doncellas	كانت تستطيع رؤية جميع وصيفاتها وفتياتها
se partieron de en uno	se separaron	انفصلوا
se quitó afuera	se apartó	ابتعد ، نأى
se sufrir	sostenerse	تماسك، تحامل على نفسه
seades quito	quedéis libre	تصبحون أحرارًا
seer	estar sentada	إنّها جالسة
seer	estar sentado	كان جالسًا
segurado	asegurado, libre de peligro	آمن ، فى مأمن
seguro	seguridad	أمن، أمان، طمأنينة
seía	estaba	كان
seían	Estaban	كانوا
semejantes golpes como éstos	semejantes golpes a éstos	ضربات مماثلة لهؤلاء
sendos mantos que cubrieron	sendos mantos con los que se cubrieron	وتغطيها بالغطاءين اللذين يغطيانها (الجلّين)
sento	conozco	أعرف
sepamos ser	sepamos que son	فلتعرف أنهم
ser en cargo	estar en deuda	إنه مدينٌ
ser ensoreada sobre	hacerse señora de dominar a	سادت ، هيمنت فرضت سلطتها
será	causará	سيتسبّب
sería en la ayudar	estaría dispuesta a ayudarla, la ayudaría	على استعداد لمساعدتها
sería una echadura de arco de tierra firme	tenía una superficie de tierra firme equiparable a una distancia de un tiro de arco	كانت لديه مساحة من الأرض اليابسة بمقدار مسافة رمية قوس
seso	cordura	عقل
seyendo tan noche	siendo tan de noche	ليلا ، أو فى وقت متأخّر من الليل

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
si	aunque	على الرّغم من ذلك
si dende lo partimos	si lo apartamos de su propósito	إذا أثنيناه عن عزمه أو مقصده
si dos tanto amárades	si amaráis el doble, dos veces lo que amáis	إذا أحببتم الضّعف
si en rotura parase	si acabasen en enfrentamiento, en batalla	إذا انتهى بهم الأمر إلى المواجهة فى معركة
si ha de allá menos	si allá se echa de menos	لو هناك يفتقر إلى
si hubo de ello gran placer esto no es de contar	recibió con ello tanto placer que no se puede contar	تلقّى لذلك سرورا بالغا
si no	de no ser	إذا لم يكن
si no facés ál desas palabras	si no hacéis otra cosa que decir esas palabras	إذا لم تفعلوا شيئا سوى أن تقولوا تلك الكلمات
si no fue la primera vez	excepto la primera vez	باستثناء المَرة الأولى ، ماعدا المرة الأولى
si osardes tener lo que está puesto	si osáis mantener lo que está convenido	إذا تجرأتم على الحفاظ أو الإبقاء على ما تمّ الاتفاق بشأنه
sí pedazada sea la barca que os acá pasó	ojalá se hubiera despedazado la barca que os trajo hasta aquí	كم كنت أتمنى أن تتحطم السفينة التى أحضرتكم حتّى هنا.
siesta	la hora sexta, el momento después del mediodía en que más aprieta el calor.	السّاعة السّادسة وقتُ بعد الزّوال حيث يشتدُّ الحرُ.
silbos	silbidos, chillidos	صفير ، صراخ
sin detencia	sin detenerse, sin pérdida de tiempo	دون فقدان للوقت
sin se poder valer	sin poder hacer nada por evitarlo	لم يستطع القيام بشيء لكى يتفادى ذلك
sino solamente	salvo, excepto	باستثناء ، ما عدا
sino tanto que	salvo que	باستثناء
so unos árboles	debajo de unos árboles	تحت بعض الأشجار
soberbiosamente	con soberbia	بمكابرة ، بعناد.

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
sobrado amor	gran amor	حبٌ كبيرٌ
sobrados	grandes	كبار
sobrando	superando	يتجاوز ، متجاوزا
sobre	por causa de	بسبب ، من جرّاء
sobrescripto	inscripción que se pone en la cubierta de una carta para dirigirla a alguien	كتابة تُدوَّن على ظرف الرّسالة لإرسالها لشخص
sobreseñales	sobrevista	عبارة عن رداء مزركش عليه شعار الفارس
sobrevenido	llegado de repente	وصل فجأة
sofrir de	refrenar, aguantar	تحمل ، طاق
sojeción	sujeción	خضوع، إذعان، خنوع
solaz	placer, regocijo	سعادة ، سرور
soledad	añoranza, ansia	حزن ، كرب ، جزع لغياب الحبيب
soltar y declarar	aclarar y explicar	وضّح وشرح
sonado	famoso	شهير، مشهور
sonar las nuevas	correr las historias	تنتشر الحكايات
sosieguen	Descansen, estén	يستريحون
sospecho en	sospecho que	أشك في ، أرتاب في
su facienda	su procedencia y, en un sentido general, todo lo relacionado con él	مجيئه ، وكل ما يتعلق به بصفة عامة
subió suso a gran afán ... y bajóse ayuso.	subió arriba con gran dificultad y descendió abajo	صعد إلى أعلى بصعوبة بالغة ... ونزل إلى أسفل
sufrir	soportar	تحمّل
súpita	súbita	فجأةً
suso	arriba	فوق
suso por la ribera	orilla arriba	في أعلى الضفة
suspensos	perplejos, admirados	معجبون، حائرون
sutilezas	argucias, artimañas	حيل ، إرب ، مكايد
tabardo	prenda de abrigo ancha y	نوع من المعاطف الطويلة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	larga, que usan los labradores y otras personas en el campo	والواسعةَ يستخدمه الفلاحون وأشخاصٌ آخرون فى الرِّيف
tabla	mesa	طاولة، منضدة
tallo	forma del cuerpo humano	شكل جسم الإنسان
tan a duro	con tanta dificultad	بصعوبة بالغةٍ
tan apoderadamente:	tan poderosamente con tanto poder	بقوة كبيرةٍ
tan apuesto	tan hermoso	جميل جدا
tan complido	tan completo, tan perfecto	كامل تماما
tan lueñe tierra	tan le jana tierra	أرض بعيدة جدا
tan tenidos somos	somos tan obligado	نحن مضطـرون
tanto	mientras tanto	بينما ، ربثما
tanto	entre tanto	بينما ، فى تلك الأثناء
tanto avistamiento la abajase	tanta vileza humillase la alteza en que el señor me puso	بمثل هذه الحقارة، بمثل هذه الخسَّة أزدرى السُمو والرِّفعة الذى مَنَّ الرب على بهما.
tanto que	hasta que	إلى أن ، حتَى
tanto que	en cuanto	بمجرَّد أن، عندما
tanto que yo sea	en cuanto yo esté	بينما أكون موجودا
tapete	alfombra	بساط ، سجادة
te non tiene por alguno	no te aprovecha en nada	لا يستفيد منك فى شىء لا يستغلك فى شىء
tendejones	tiendas	خيام
tendiendo las lúas en señal de gajes	tendiendo los guantes como prenda en señal de estar aceptando el combate entre dos	قدم القُفَّازين كمؤشر لقبول المبارزة أو النِّزال بين شخصين
tenebreguera	tenebrosidad	ظلام ، ظلمة
tenebregura	tenebrosidad	ظلام ، دجى
tened manera	encontrad el modo	ابحثوا عن وسيلةٍ
tenedme paridad	manténedme el secreto	حافظوا على السِّرّ ، اكتموا لى

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
		سرّى
tener	mantener, sostener	حافظ على ، أكّد على
tener	sujetar	أمسك ، أخضع
tener en corazón	pensar	فكر
tener lo que puso	mantener lo que pactó	أوفى بما اتفق عليه ، وفّى بما اتفق عليه
tengo muchas cosas	tengo muchos asuntos que resolver	لدى عدة أمور أريد لها حلاً
tenía de allí acudir	acudiría allí	سيحضر هناك
tenían campo	mantenían el lugar prefijado para los duelos	كانوا يبقون أو يحافظون على المكان المحدد مسبقاً للمبارزات
tenían guisado	tenían preparado de comer	كانو مستعدين لتناول الطعام
tenían mucho lugar	tenían buenas ocasiones	سنحت له فرص طيبة ، ممتازة
tenían ya guisado	ya tenían preparadas	كانت قد جهزوها أو أعدوها
teniendo las en mucha merced	agradecimiento mucho	شكرهم شكراً جزيلا
tercia	una de las horas en que los romanos dividan el día; corresponde a las nueve de la mañana	إحدى الساعات الثلاث التى كان يقسم بها الرومان اليوم وكانت حوالى الساعة التاسعة صباحاً
ternía	tendría	سيكون لديه
ternía por bien	me parecería bien	يبدو لى حسنا
tiento	cordura, discreción	عقل ، رصانة ، رزانة
tintas de sangre	teñidas de sangre	مخضّبة بالدّماء
tirándose la fermosa corona de la cabeza	apartándose la hermosa corona de la cabeza	أبعدت التاج الجميل عن الرأس، أطاحت بالتاج الجميل عن الرأس
tírola	Sacóla	أخرجها
tiróse cuanto afuera	se apartó un poco	ابتعد قليلا
tiróse de la finiestra	se apartó, se alejó de la ventana	ابتعد عن النافذة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
todavía	a pesar de ello no obstante	على الرّغم من ذلك
todavía	a pesar de ello	على الرّغم من
todavía quiero que sea vuestro	a pesar de ello, no obstante quiero que sea vuestro	على الرغم من ذلك أو ومع ذلك أريد أن يكون لكم
todo lo que del día les fincó	todo lo que les quedó del día	كل ما تبقى لهم من اليوم
todos los tenían en un patio	todos los pasaban en un patio	قضوها جميعا في فناء
todos ocurrieron a la mar	todos se dirigieron a la mar	اتجه الجميع صوب البحر
tolled	herid	اجرحوا ، أصيبوا
tollerás	quitará	ستنتزع
tollido que solo no podía hablar a su hermano	furioso, que ni siquiera podía hablar a su hermano	غاضب لدرجة أنه لم يستطع التحدث مع شقيقه
tomando alarde	cobrando animo cobrando fuerzas	استرد قواه ، استعاد حيويته
tomase algún aviso	obtuviese alguna información acerca de lo que allí ocurría	كي يحصل على معلومات عمّا كان يحدث هناك
tornéis el desafío	retiréis el desafío	اسحبوا هذا التحدى، تخلّوا عن هذا التّحدى
tornido	trueno, ruido grande	رعد ، دوى شديد
tovo el palafrén	retuvo el palafrén	أوقف الجواد
trabar	inculpar, censurar	اتهم، ذمّ
trabucar	trastocar, descomponer el buen orden que tiene una cosa	أخلّ بترتيب شيء أو بنظامه
traía	sacaba	أخرج
traídos somos a engaño	somos traídos con engaño	جئنا بخدعة
traílla	cuerda o correa con que usualmente se llevaba a los perros atados a las cacerías,	حبل أو حزام أو قايش عادة كان يربط بها كلاب الصّيد ، ويتم إطلاقهم في الوقت

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
	para soltarlos a tiempo	المناسب
trasladando	traduciendo	يترجم
traspasaba	desmayaba, perdía el conocimiento	فقد الوعى ، أغمى عليه
trasportado	traspuesto	وُضِعَ فى الخلف
traviesa	travesía	عبور ، عطفة، حارة، أجرة الملاح، حاجز وقائى فى الاستحكامات العسكرية، خسارة أوربح فى القمار ، ريح مقابلة للساحل
trayo nuevas	traigo noticias	يحمل أخبارا
trebejando	jugando	يلعب
trebejar	jugar	لعب ، تسلى
trecho de arco	distancia equivalente ala que recorre una flecha lanzada	مسافة تساوى التى يقطعها السَّهم عند إطلاقه من القوس
trecho de ballesta	tiro de ballesta	قذيفة منجنيق
tremer	temblar	ارتعد ، ارتجف
tremíale	le temblaba	كان يرتعد
tremiendo	templando	يرتعد ، مرتعدا
tresquilado	trasquilado, con el pelo cortado a trechos y sin orden	حليق الشعر بشكلٍ عشوائىٍ، مجزوز الشعر بلا هندام
trimiendo	temblando	يرتعد ، يرتجف
tropelléla	la embestí, la atropellé	هجمت عليها ، انقضضت عليها
trueco	cambio, trueque	تغيير ، مبادلة ، مقايضة
tú me farás pleito	te comprometerás	ستتكفّل ، ستتعهّد
turaba	duraba	استمرّ ، استغرق
turable	durable	دائمٌ ، مستمرٌ
turó	duró	استغرق ، استمر.
tus armas son tales paradas	tus armas están en tal estado	أسلحتك فى حالة يرثى لها

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
tuvieron en mucho	estimaron. apreciaron	قدّر ، أجل ، احترم
tuviese	sostuviese	يؤكد ، يساند ، يدعم
tuvo que decía	consideró que hablaba sensato y razonablemente	كان يتحدّث بعقلٍ ومنطق
un caballeo de gran cuenta	linaje, categoría	فارس من أصل عريق ، فارس نجيب الأصل
una puerta injerida en la torre	una puerta insertada en la torre	باب فى البرج
unas doncella mancilladas	unas doncellas deshonradas	فتياتٌ غير عفيفاتٍ
vades	vayáis	تذهبون
vagar	tardanza, dilación	تأخير أو تسويف
vagaroso	lento pausado	بطيء ، متأن متمهل
vais	vayáis	تذهبون
valedme	socórrame	أنقذونى ، أنجدونى
valer	defender, proteger	دافع عن ، صان ، حمى
valer	ayudar	ساعد
vamos	vayamos	فلنذهب
vergas	varas	قضبان ، أو سيوخ
veros	esmaltes que cubren el escudo y son de color de plata y azul	طلاء للدّرع لونه فضّى وأزرق
vicios	placeres, deleites	ملذات، متع ، رذائل
vo	voy	أذهب
voladas	grandes vuelos	تحليق لمدةٍ كبيرةٍ، طيران لمسافات طويلة
vos quitardes afuera	os echaréis atrás	ستتراجعون إلى الخلف ، ستتقهقرون إلى الوراء.
voto	opinión. parecer emitido en una junta	رأى ، وجهة نظر فى اجتماع
vuestra sabrosa membranza me es menester	necesito vuestro deleitable recuerdo	إننى فى حاجة إلى ذكراكم الممتعة

VOCBLOS Y EXPRESIONES ANTIGUOS	SU FORMA MODERNA	SU TRADUCCIÓN
ý	allí	هناك
ý ál facer	hacer otra cosa en este asunto	يقوم بشيء آخر في هذا الموضوع
y atendióle	y lo esperó	وانتظره
y otros caballeros de gran cuenta	y otros caballeros de gran categoría	وفرسان آخرون رفيعو الشأن أو المنزلة
y porque yo tengo lo contrario	y porque yo pienso lo contrario	ولأنني أعتقد أو أفكر عكس ذلك.
y que lo no fuese	aunque no lo fuese	وعلى الرغم من أنه لم يحدث
ya no podrán prestar vuestras mentiras ni mentiras	ya no os servirán de nada vuestros engaños ni mentiras	لن تنفعكم خدعكم ولا أكاذيبكم
yelmo	casco de acero de forma cilíndrica que protege la cabeza de los caballeros	شكل أسطواني لحماية رءوس الفرسان
yermar	arrasar	حرق ، دمّر ، خرّب
yo cuido	yo espero	أمل
yo no perdonaré tan ligero	yo no perdonaré tan fácilmente	لن أصفح بسهولة ، لن أعفو بسهولة
yo soy quito de mi promesa	yo soy libre de mi promesa	أتملص من وعدى ، أتبرأ من وعدى
yugo	tuvo relaciones carnales con varias damas	ذو علاقات نسائية متعددة. زير نساء
zahirir	reprochar, reprender	انتهر، وبخ، أنب

المؤلف فى سطور :

جارثى رودريجيث دى مونتالبو

- من المحتمل أنْ يكون قد وُلِدَ فى زمن السَّيد خوان الثَّانى .
- كان عمر المؤلَّف عام ١٤٩٢ – عام استرداد غرناطة – يناهز الخمسين عامًا .
- كـــان جــارثى رودريجـــيث مــونتـــالبـــو من أهــــالى Medina Del Campo وعضواً بمجلسها البلدى .
- كرَّس نفسه وهو فى ريعان الشَّباب لحمل السِّلاح .
- توفى المؤلف فى عام ١٥٠٥ وفقًا لمعظم الآراء .

المترجمان فى سطور :

صبرى محمدى التهامى

- من مواليد ٢٠/٤/١٩٥١ فى محافظة الشرقية .
- حصل على دكتوراه فى اللغة الإسبانية وآدابها سنة ١٩٩٥.
- عمل بالصحافة الثقافية والترجمة فى مصر والخارج .
- صدرت له (بالاشتراك) ترجمة لتفسير القرآن الكريم فى ٢٠٠١ م - ١٤١٢ هـ.

له العديد من الترجمات منها :

- «ورود الخريف» و «عش الغريب» (مسرحيتان) من تأليف خاثينتو بينابيينتى .
- «رحلة إلى الجذور» للكاتب الكولومبى جارثيا ماركيث .
- حوارات مع خوان رامون خيمينيث .
- رواية السيد بيرفيكتا .
- روية السيد سيجوندو / سومبرا .
- روائع أندلسية إسلامية .
- فورتوناتا وخاثينتا .

السيد عبد الظاهر غانم

- تخرج فى كلية اللغــات والترجمة - قسم اللغـــة الإسبـــانية (جامعة الأزهر) عام ١٩٨٢ ، بتقدير عام ممتاز .

- حصل على درجة أستاذ عام ٢٠٠٢ .

الإنتاج العلمى

- للمترجم مجموعة من الأبحاث باللغة الإسبانية حول الأدب الإسبانى نشرت بمجلة كلية اللغات - والمجلة المغربية للدراسات الإسبانية ، والهيئة العامة للكتاب .

- له العديد من المؤلفات :

١ - إشكالية ترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الإسبانية (مؤتمر كلية الدراسات الإنسانية - الأزهر) عام ١٩٨٨ .

٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ترجمة) - مكتبة أوزوريس - القاهرة .

٣ - المرشد فى اللغة الإسبانية (مكتبة أوزوريس - القاهرة) .

٤ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (الجزء الأول) - ترجمة - المجلس الأعلى للثقافة - مصر .

٥ - تاريخ إسبانية الإسلامية (الجزء الثانى) ترجمة - المجلس الأعلى للثقافة - مصر .

٦ - مدخل إلى علم اللغات (ترجمة) المجلس الأعلى للثقافة - مصر .

٧ - تاريخ النقد الإسبانى المعاصر (ترجمة) المجلس الأعلى للثقافة - مصر .

التصحيح اللغوى : أحمد عبد العظيم
الإشراف الفنى : حسن كامل
التصميم الأساسى للغلاف : شريف مكى



انتشر نمطٌ أدبى فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر فى إسبانيا باسم الفروسية أو قصص الفروسية. وذاع انتشاره وتحقق له الازدهار فى القرنين السادس عشر و السابع عشر.

وكانت قصة " أماديس دى جاولا " أفضل نموذج لهذا النمط وأكثرها ازدهارًا. وقد نالت القصة إعجاب جميع القراء من الطبقات الاجتماعية المختلفة: من الطبقة الأرستوقراطية والطبقات المتوسطة والطبقات الدنيا. ويكفى دليلاً على ذلك أنه فى الفترة من 1508 -تاريخ ظهور أول طبعة لقصة " أماديس دى جاولا "- وحتى عام 1586 ظهرت تسع عشرة طبعة للقصة. وهذا عدد كبير من الطبعات فى غضون ثمانية وسبعين عامًا.

وتتميز القصة بجمال الأسلوب وسهولة الألفاظ والعبارات وجودة السرد. فعلى الرغم من تكرار البطولات. فإن كثرة الأحداث والبطولات وتنوعها واختلاف أماكنها جعلت القارئ فى منأى عن الملل تمامًا؛ لأن كل بطولة كانت ذات مغزى فريد.

امتدت شهرة قصة " أماديس دى جاولا " إلى العديد من الدول الأوروبية مثل: فرنسا وإنجلترا وهولندا. وكان لها تأثير واضح فى الآداب اللاحقة فى البلدان المذكورة آنفًا.



الإبداع القصصى